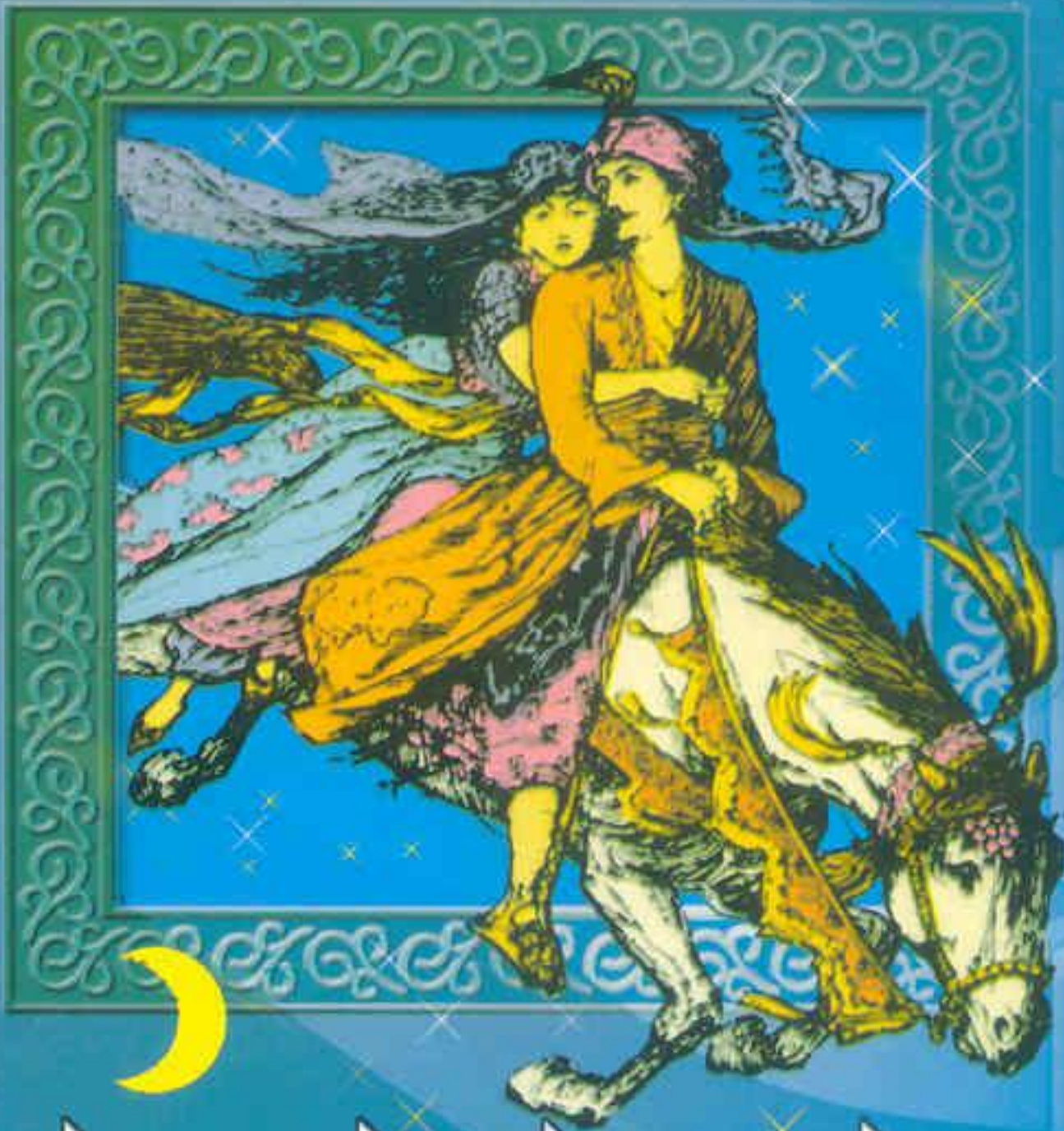


كتاب ابن عبد الباقى



سكان يا ما كان

من كل مكان وزمان



دفاقر ابن عبد الباقي
كان يا ما كان
من كل مكان وزمان



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠١

كان يا ما كان من كل زمان ومكان

- خرافات قديمة عصرية جداً.
 - حكايات وأساطير أفريقية.
 - حكايات وحواديت شرقية وغربية.
 - حكايات الست أم يوسف
- (حكايات شعبية مصرية).

• الإخراج الفني:

فاتن رضا

• تصميم غلاف الدفاتر:

محمد كامل مطاوع

• كان يا ما كان من كل زمان ومكان

الدفتر الرابع من دفاتر ابن عبد الباقي..

القاهرة ٢٠٠١

الهيئة المصرية العامة للكتاب

(١)
خدافات قديمة
عصرية جدا

(تلك الكائنات التي...)

البطة التي رحلت للدنيا الواسعة

قالت البطة لبيتها.. أنا ذاهبة لأستحم فى جدول الماء العذب.. أغلق بابك.. وانتظرنى.. أم تريد أن تأتى معى؟..

ضحك البيت وقال:

- يا ليت لى رجلين.. أو حتى جناحين.. كنت سبقتك إلى الدنيا الواسعة..

قالت البطة:

- أنا ذاهبة إلى الجدول فقط.. وليس للدنيا الواسعة.. وقفزت البطة فى الماء الصافى.. وأخذت تغطس وتعموم وتعموم وتغطس وتعموم.. ووجدت المياه تجرى بسرعة..

فسألته.. إلى أين ذاهبة يا مياه الجدول؟..

فردت عليها المياه..

- أنا ذاهبة إلى النهر الكبير.. هناك فى الوادى.. لأرى الدنيا الواسعة.

فتذكرت البطة كلام البيت.. وقالت لمياه الجدول..

- خذينى معك وعامت البطة.. مع المياه حتى وصلت إلى النهر الكبير.. وكان كبيراً جداً.. وفوقه مراكب.. وحوله أشجار وأزهار لم ترها فى حياتها.. ووجدت أمواج النهر تجرى كلها إلى ناحية واحدة

فقال لها:

- إلى أين أنت ذاهبة أيتها الأمواج المسرعة؟ ..

وردت أمواج النهر قائلة:

- نحن ذاهبات إلى البحر الكبير.. وفي طريقنا سنرى الحقول

والناس.. والمدن وسنرى الدنيا الواسعة.

فقال البطة:

- وهذا ما أريد أن أراة.. فخذوني معكم..

وعامت البطة مع الموج.. ورأت سراقى تدور.. وحقولاً خضراء

وأشجاراً وطيوراً.. حتى وصلت إلى البحر الكبير.. وكانت أمواجه

العالية تجرى هنا وهناك.. فلم تستطع البطة أن تعوم.. فخرجت

مسرعة إلى الشاطئ..

وحاولت أن تكلم موج البحر.. ولكن صوتها كان ضعيفاً جداً. فضاع

فى صوت الموج العالى الرهيب.

وحاولت أن ترى من أين تأتى هذه الأمواج.. وإلى أين تذهب..

ولكن البحر كان واسعاً جداً.. فلم تر شيئاً غير البحر والماء الذى لم

يسمع لها نداء.

فقال:

- ياه.. لم أكن أعرف أن الدنيا واسعة هكذا.. لدرجة أنه لا نهاية لها

ولا شط.

البطة التي أكلت سمك الثعلب

ذات صباح جميل مشرق قال الثعلب لنفسه: هذه أيام طيبة ويجب أن أكون طيباً.. لقد أكلت وسرقت ونهبت كثيراً.. لماذا لا أكل لقمتي بعرق جبيني هه؟.. لماذا؟ يجب أن أثبت للجميع أن ثعلباً مثلي يمكن أن يكون طيباً جداً، ولو ليوم واحد.

وذهب الثعلب إلى السوق واشترى قصبه وخيطاً وصنارة وأحضر الطعام اللازم للصيد، وأخذ معه سلة كبيرة، ومضى إلى شاطئ النهر ليصيد السمك. وألقى بصنارته في الماء وجلس ينتظر. وشاهد عصفور من بعيد فضحك وقال:

- زمن عجيب يجعل الثعلب أرنباً مرة.. ومرة أخرى ذنباً.

ومضى يغنى في كل مكان ليعلن الخبر.. ولم يكن أحد في البر كله يريد أن يصدق أن الثعلب يصيد السمك بالصنارة وظن الجميع أنها خدعة جديدة، يشترك فيها العصفور.

وحدث أن مرت البطة بالقرب من المكان حيث كان الثعلب قد اصطاد كمية قليلة من السمك بعد جهد شديد. واقتربت منه ضاحكة وقالت:

- ماذا تصيد؟

قال لها وهو يكتم غيظه:

- أصيد أرانب.

قالت فى غباء:

- غير معقول.. أرانب من الماء؟ وفى هذه الأيام الشديدة الحرارة.

ابتسم فى غيظ وقال:

- يا ست بطة.. أرجوك.. لا تجعلينى أغير رأيتى. إننى أصيد

السماك.. لقد قررت أن أشتغل واخترت أن أكون صياداً أصيد السمك..

فضحكت البطة وقالت:

- هل تسمح لى أن أكل شيئاً منه؟ أريد أن أذوق الطعام الذى كسبته

بعرق جبينك.. فلا بد أنه لذيذ.

وتركها الثعلب تذوقه وهو يكتم غيظه.. ثم سمعها تقول:

- فعلاً يا ثعلب، هذا السمك لذيذ جداً. ولا بد أنه أذ سمك فى الدنيا

لأنه مختلط بعرق جبينك.

وتناولت سمكة أخرى أكلتها وهى تبتسم والثعلب ينظر فى دهشة..

ثم تناولت سمكة أخرى..

وانقلبت دهشة الثعلب إلى غيظ مكتوم.. وبعدها تناولت سمكة أخرى

ثم سمكة أخرى وابتسامتها تتسع لتصبح ضحكة بطة شبعانة..

وانفجر غيظ الثعلب المكتوم.. وصاح:

- أنا لم أكن مغفلاً فى يوم من الأيام.. يا ست بطة.. لقد ذقت

السماك الذى كسبته بعرق جبينى.. فهل تسمحين لى الآن أن أذوق

اللحم الذى اختلط بالسّمك الذى كسبته بعرق جبينى .. فلا بد أنه لذىذ
مثل السمك .

ولم تضحك البطة .. فقد كان الثعلب الغاضب هو نفسه الثعلب
المحتال فى كل زمان ومكان .. لا يشجع على الضحك ولا يسمح بأى
كلام .

وقال العصفور الذى صادف أن شاهد المنظر:

- مسكينة البطة .. لم تنطق بكلمة واحدة لأن الثعلب هجم عليها ولم
يعطها فرصة للكلام ..



البطة التي أكل النسر أفراخها

فى يوم من الأيام كان النسر يحوم حول الشجرة التى بنى عليها
عشه، عندما جاءت البطة وحذرتة أن الحطابين يستعدون لقطع الشجرة
فى الصباح.. كان النسر والبطة عدوين، لكن البطة قدرت أنه سيحفظ
لها الجميل وسيمتنع عن أكل أفراخها، لأنها أنقذت أفراخه..

وحفظ النسر الجميل بالفعل.. وصار والبطة صديقين.. زارته فى
عشه الجديد، الذى انتقل إليه بعد قطع الشجرة.. وزارها فى بيتها عند
سفح الجبل. ورأى بيضاتها التى كانت على وشك الفقس.

واظهاراً لإخلاصه، تعهد ألا يأكل أفراخها حتى لو كاد يموت جوعاً.. ولكنه
طلب منها أن تصف له أفراخها القادمة، حتى لا يخلط بينها وبين غيرها..
فالأفراخ متشابهة.

و غضبت البطة وقالت:

- هذا خطأ.. فأفراخى هى أجمل الأفراخ ولا يمكن أن تشبه غيرها..
أنها يا نسر ستكون قوية مثلك، ولا بد أنك ستعرفها من أول نظرة..
أترانى أشبه غيرى من الطيور؟ إن أفراخى جميلة مثلى...

طمأنها النسر وضاحكها حتى ذهب غضبها وقال:

- ما دام الأمر كذلك فسأعرفها بالتأكيد. أفراخ جميلة وقوية ستكون نادرة في البرية، ولن أكلها بل سأحميها من أجل خاطرِك.. وفي حبها سأشاطرِك.. ولها أن تمرح حيث تشاء في حمايتي.

ومضت عدة أسابيع فقست خلالها أفراخ البطة.. وأصبحت تتجول أمام البيت في البراري. وذات يوم كان النسر يقوم بجولته المعتادة، التي يأكل فيها مئات من الأفراخ والطيور الصغيرة.. والكبيرة.. عندما صادف عدة أفراخ قبيحة المنظر.. تثير ضجة، وهي تتمختر في طريقها إلى الجدول، فلم يعجبه صوتهها ولا شكلها، وفضل أن يأكلها.. ومضى مطمئناً لأنها ليست جميلة ولا قوية، كأفراخ صاحبتة الغبية..

صرخت البطة وولولت ولعنت ذلك الذي خان العهد وأكل أفراخها وأعدمها الوجود.. لكن عصفورة من الشهود قالت:

- أنت التي آمنت للعدو، ونسيت أن كل فرخ في عين أمه جميل.
لكن جمال أفراخك كان يحتاج لدليل...



الثعلب الذى فاوض الأرنب

بعد مفاوضات طويلة ومباحثات معقدة، بين الأرنب ممثل النعاج والخراف، وبين الثعلب مندوب الذئاب.. اتفق الطرفان على الصلح، وإنهاء الحرب المريرة بينهما..

وكان احتفالاً كبيراً.. فى كل مكان.. بالصلح الذى كان. ولما سأل البعض عن سر غياب الأرنب ضحك الثعلب وقال: لقد ذهب ليطمئن على المكان الذى ستعيش فيه الخراف الصغيرة، رهينة فى وادى الذئاب.

ولم يفهم البعض، ولكنه أكمل يشرح لمن يجهل.. أن صغار الذئاب تعيش فى الأخرى رهينة فى حظيرة الخراف..

وهكذا لن يعتدى طرف على الآخر، لأن أبناءه الأعداء، رهينة لدى الأصدقاء ضماناً للاتفاق.. وبرهاناً على الوفاء..

وذهب بنفسه ليجهز مكاناً فى الحظيرة.. تعيش فيه الذئاب الصغيرة.

ومرت الشهور والأيام.. فى أمان وسلام.

فالذئاب الكبيرة اكتفت بما لديها من غنيمة عاشت عليها.. أياماً وليالى عظيمة.

وطبقت الخراف والنعاج بنود الاتفاق بأمانة كبيرة.. فتفانت في
خدمة الذئب الصغيرة.. أرضعتها من لبنها حتى اشتد عودها،
وظهرت أنيابها.. فانقضت على من أرضعوها.. والتهمت من
استضافوها..

وهكذا ساد السلام في وادي الذئب وفي الحظيرة.. إذ لم تعد تسمع
أية مأمأة لخراف كبيرة أو صغيرة.

وحصل الثعلب جزاء لقدرته وبراعته في المفاوضة، على تصريح
بالتهام ما يشاء من الأرانب والحيوانات القارضة.

الثعلب الذى قطع رأسه

كان (أبو تطلول) ثعلباً من أحفاد (تعاليبو) الشهير.. ورث عنه الشره والبطنة.. ولكنه لم يرث عنه أى ذرة من الفطنة.. وكان مثل كل الثعالب يحب أكل الديكة، ويكره صياحها، لأنها تبشر بطلوع الشمس وانتهاء الليل والظلام.. حيث تعيث الثعالب فساداً فى الأرض.. بالطول وبالعرض.. وكان (أبو تطلول) هذا نكرة بين الثعالب.. وكان من الممكن أن يمر نكره من الكرام، بلا أى احتقار أو احترام.. لولا أنه أكل ذات يوماً ديكاً تحبه زوجته، فكانت فى ذلك نهايته.. التى خلدت فى كتاب (سفر المقالب فى سيرة الثعالب) قصته..

لقد حزنت الدجاجة حزناً شديداً على زوجها، الذى أكله الثعلب.. فكانت تجلس فوق سور الحظيرة كل ليلة، مخفية رأسها بين جناحيها، لتدارى دموعها وحزنها عن كتاكيتها الصغار، الأحياء اليتامى..

ودفع الحنين - إلى أكلة أخرى شهية - الثعلب إلى بيت الضحية.. وكانت الشمس على وشك المغيب.. فبدت له الدجاجة بلا رأس فى وضع غريب.. سأل الكتاكيت فى حذر عن حالهم.. فجروا بعيداً عنه دون أن يبادلوه السلام.. إلا كتكوتاً ذا رقبة عارية تقدم نحوه فى إقدام.. ويادره بالكلام..

- ماذا تريد.. ألم يكفك أن جعلتنا يتامى..

أبدى الثعلب أسفه وقال:

- أنا جئت لأطمئن على رأس أمكم.. فأنا أراها بلا رأس هناك فوق
السور.

همس الكتكوت ذو الرقبة قائلاً:

- لا ترفع صوتك فتفسد عليها أمرها.. هي بخير ولكنها منذ وفاة
والدنا.. تقطع رأسها وتدفنه طوال الليل، لينزل عليه الندى.. فينبت لنا
طعاماً وفيراً.. وقبل شروق الشمس تعيده إلى حيث كان..

وتعجب الثعلب - مثلما تعجبتم الآن، لكنه تعجب مصداقاً الحكاية
طبعاً.. بينما أنتم تعجبتم من ذكاء الكتكوت ذى الرقبة، ومن خياله
الواسع.

أبدى الثعلب دهشته وقال فى لهفة:

- هل تتحدث الصدق يا فتى..

لم يعره الكتكوت اهتماماً وهو يقول:

- إنها وصفة الساحرة الطيبة التى لولاها لمتنا من الجوع منذ قتلت
والدنا.. فاتركنا فى حالنا واذهب لحال سبيك أيها القاتل، قبل أن أوقظ
الكلاب.

وذهب الثعلب وهو يفكر فى هذه الطريقة السهلة للحصول على
الطعام.. دون صيد أو قنص ودون تعب على الإطلاق، فما عليه إلا أن
يقطع رأسه فى أول الليل، ثم ينام مستريحاً كالدجاجة.. لينعم بالطعام
وبالسلم أيضاً.

وأسرع إلى زوجته، وأمرها أن تقطع رأسه على الفور لتدفنها حيث يسقط الندى.. وتعجبت زوجته وتمنعت، لكنه نهرها بشدة وأمرها بالطاعة، لكي يحصلوا على طعام وفير.. مثلما تفعل الدجاجة، التي رآها بعيني رأسه مقطوعة الرأس في انتظار الطعام..

وقطعت الثعلبية رأس الثعلب.. ودفنتها في العراء، وظلت تنتظر حتى يومنا هذا دون جدوى.. وانتشر الخبر.. وخجل أبناء وأحفاد (تعاليبو) من خيبة ثعلب منهم، بينما فرحت الكتاكيت، ورقصت حول أمها، لأنها لم تعد تدفن رأسها بين جناحيها، لتخفي دموعها.. بل أصبحت تقضى وقتها في البحث عن الطعام لأولادها دون أن تبكى..



الثعلب الذى فقد ذيله

يحكى أن ثعلباً كان يعيش فى إحدى الغابات، وكان أكثر ما يعتز به فى الحياة، ذيله الذى كان جميلاً بالفعل، فكان يعتمد أن يتمشى يومياً فى الغابة أمام بقية الثعالب وهو يهز ذيله يميناً ويساراً، فى تيه وفخر.

وفى أحد الأيام.. وبينما كان الثعلب يتمشى فى الغابة كعادته.. وقع فى فخ نصبه أحد الصيادين، وبعد طول معاناة.. تمكن من الخروج من الفخ، ولكن.. كان عليه أن يضحي بذيله العزيز، لكى ينقذ حياته.

وفى بادىء الأمر.. كان الثعلب يحمد الله، وهو لا يكاد يصدق أنه نجا بحياته، وخرج من الفخ.. ولكن، وبمرور الأيام، نسى الثعلب ما تعرض له من خطر.. وبدأ يفكر فى ذيله المقطوع، وأصبح يشعر بالعار، لأنه الثعلب الوحيد الذى يعيش بدون ذيل بين الثعالب.. وكان كلما نظر إلى ذيول الثعالب من حوله.. تذكر فى حسرة جمال ذيله المفقود، وأحس أنه أقل الثعالب شأنًا وأنهم يرثون لحاله فأصبح يقول لنفسه:

يا ليتنى مت فى الفخ ولم أعش لأرى هذا العار..

وأخيراً، توصل الثعلب إلى فكرة مكررة تخلصه من الإحساس بأنه أقل شأنًا من غيره من الثعالب.. فطلب من مجلس الثعالب الاجتماع

لأن لديه فكرة عظيمة ستجلب السعادة لكل الثعالب، وفي الاجتماع..
قال الثعلب:

- إخوانى.. لا يمكن أن تتصوروا مدى السعادة والارتياح اللذين
أشعر بهما بعد أن قطع الفخ ذيلي.. لقد أصبحت أتحرك في حرية، دون
أن يعوق ذيلي حركتى. وأشعر أنني خفيف بل يمكننى أن أطيّر.

وضحك في مرح مصطنع، ثم سكت هنيهة على أمل أن يؤيده أى
من الثعالب.. وعندما لم يتكلم أحد، أردف قائلاً:

ولذا أنا أنصحكم جميعاً بأن تستفيدوا من تجربتى المفيدة، وأن
تتخلصوا من ذيولكم الثقيلة هذه، لكى تشعروا بما أشعر به الآن من
سعادة وارتياح.

سكنت الثعالب ونظروا إلى كبيرهم الذى كان أكبرهم سناً وأكثرهم
حكمة. وقال كبير الثعالب للثعلب الذى فقد ذيله:

- يا أخى.. أعتقد أنه لو كانت لديك أى فرصة لتسترد ذيلك الذى
فقدته، لما كنت قد تقدمت إلينا بهذه النصيحة الزائفة.

ونظر إلى بقية القبيلة وقال لهم:

- إخوتى الثعالب.. إياكم وأن تسمعوا لنصيحة شرير تعس.. فهو لن
يستريح إلا عندما يشاركه الجميع تعاسته.

الثعلب الذى أصيب بالزكام

حدث هذا يوم عيد ميلاد الشبل الصغير، وكانت الأم اللبوءة ووالد الشبل السبع سعيدين بالمخلوق الجديد، الذى سيتولى يوماً ما حكم الغابة بيد من حديد..

وكان سادة الغابة ووجهائها الأفاضل مدعوين للحفل السعيد.. جاء الدب يتمختر فى فرائه اللامع المغسول ومعه حمل كامل من لحم آيائل السهول... وجاء بعده القرد يحمل ورقة موز هائلة، كتب عليها قصيدة من شعره المعسول.. وتبعهما الثعلب، فى رجل يقدم رجلاً، ويقدم الأخرى فى خجل!

وقام السبع بنفسه ليرحب بطلان المهنتين.. ويقودهم بنفسه لتصدر العرين.. لكن الدب حين خطا إلى الداخل خطوتين أو ثلاث.. أظهر الامتعاظ والقرف وهو يتشمم الأرض ويتلمس الأثاث!

والحقيقة، أن الرائحة كانت لا تطاق.. وكانت القذارة والبقايا منتشرة على أوسع نطاق.. ولم يكتف الدب بإظهار تأفقه وقرفه، بل أعلن أن هذه القذارة لا تليق بالملك ولا تشرفه.. ولم يعجب السبع هذا.. ولم ينتظر ليسأل لماذا؟. بل لطم الدب لكمة أسقطت أسنانه.. وأخرست لسانه، وجعلته يجرى عاوباً، ناجياً بنفسه.. وهنا أظهر القرد الأديب حقه على الدب.. فمضى فى أثره يلعن ويسب.. ويتهمه بالكذب..

ومحاولة إهانة سيده الأسد... ثم أخذ يصف المكان معلناً أنه الجنة بعينها، تفوح منه رائحة الزهور وتملاً أنفاس سكانه بالمسك والعود.. واستمع السبع قليلاً للقرود.. فازداد به الغضب، لأنه كان يريد أن يصدق الكلام.. لكن عيناه لم تبصرا سوى أكوام من النفايات وبقايا العظام!. فظن أن القرود يسخر منه بالمبالغة.. خاصة أنه لم يفهم كثيراً من كلمات اللغة.. فالتفت نحوه في زمجرة.. ولطمه لطمه جعلت رأسه في المؤخرة!..

ثم زعق زعقة غاضبة، وطلب من الثعلب أن يقول رأيه، إن كان صديقاً له، فهو يرى أن يعرف حقيقة رائحة العرين، قبل أن يصل بقية المدعوين؟

وهنا.. أظهر الثعلب عجزه عن الشم والكلام، واعتذر وهو يقسم بدم الدب ورأس القرود، أنه مصاب بالبرد. والزكام.. منذ عدة أيام.

الثعلب الذى هبط من القمر

فى ليلة من الليالى، خرج الثعلب يبحث عن الطعام، فسقط فى وعاء كبير به لون فضى، كان فى بيت أحد النقاشين.

نجا الثعلب بصعوبة من الغرق ومن عصا النقاش. وذهب ليغسل جسمه فى النهر. ولكن اللون كان قد صبغ جسمه تماماً. ولم يغسله الماء وأصبح ثعلباً فضياً..

وفكر الثعلب قليلاً ثم ذهب إلى الغابة ونادى الحيوانات، ليسمعوا الرسالة التى حملها إليهم من ملك القمر العظيم.

دهشت الحيوانات جميعها، حتى الفيل الحكيم والسلحفاة الساحرة.. لأنهم رأوا حيواناً عجيباً غريباً قال لهم:

- إننى ابن ملك القمر.. وقد أرسلنى إليكم لأصبح ملكاً عليكم بالنيابة عنه.

ومن يومها أصبح الثعلب ملكاً على الغابة يحمله الفيل فوق ظهره، ويطيعه النمر، ويحرسه الأسد نفسه!

فمن منهم يستطيع أن يخالف أمر القمر، وأشعته تصل إلى كل مكان فى الغابة؟

ولما اشتاق الثعلب إلى أمه، وأراد أن يحضرها لتري ملكه العظيم،
أرسل لها رسولاً.. وطبعاً، رفضت الأم الحضور. ولكن الرسول بعد
عودته همس للجميع:

- إن الملك مجرد ثعلب عادي جداً. لقد رأيت أمه.

ولم تصدق الحيوانات وأرادت أن تتأكد من الخبر.. فطلبت السلحفاة
من عدد من الثعالب أن يغنوا معاً أغنيتهم المشهورة في ضوء القمر.
وكانت الحيوانات تراقب ملكها ابن ملك القمر المزعوم، لتري ماذا
سيفعل، عندما يسمع أغنية أهله الأصليين.

وطبعاً.. نسي الثعلب نفسه، وفقد حذره، وانطلق يرقص، ويغني
أغنية قومه الأقربين. ولكنه بالطبع لم يكملها فقد انقض عليه الجميع
وألقوا به في النهر. حيث كان في استقباله فم التمساح مرحباً به في
غيظ.

الديك الذى لم يوقظ الشمس

كل يوم، قبل أن تشرق الشمس، يستيقظ الديك ويصعد إلى سطح المنزل ثم يصيح:

كو كو كو.. كى كى كى...

وعندما ينتهى من صياحه، تختفى النجوم، وتبدأ الشمس فى الظهور، وتستيقظ معها الدنيا.

وفى يوم من الأيام. تشاجر الديك مع صاحبه. وقرر الرجل أن يذبح الديك أو يبيعه يوم السوق.

وقرر الديك أن يمتنع عن الصياح، فلا تمر الأيام، لأن الشمس لن تشرق، والنجوم لن تختفى. ويظل الليل مخيماً على الدنيا، ولا يأتى يوم السوق قط.

نام الديك مطمئناً.. ولكن الليل مضى كعادته. وقام الديك وصعد إلى السطح كعادته أيضاً ولكن لم يفتح منقاره بنصف «كوكو..» وقال لنفسه:

- سوف نرى ماذا تفعله يا صاحبى.

ولكنه ما كاد ينتهى من جملته حتى حدث شيء غريب لم يكن يتوقعه. لقد بدأت الشمس فى الظهور، بعد أن اختفت النجوم واحدة وراء الأخرى.

وغضب الديك جداً، فكيف تشرق الشمس وهو لم يصح ولم ينطق بـ (كو)
واحدة؟ لا بد أن في الأمر خطأ. ولا بد أن أحداً أيقظ الشمس. إن في
الأمر خيانة سافرة، ومعنى ذلك أن يوم السوق سوف يأتي.

ولم يجد الديك أمامه سوى أن يفر هارباً...

وكان كلما قابله أحد في الطريق أثناء هربه، أقسم له بأنه لا يهرب
خوفاً أو جبناً، وإنما هو يبحث عن ذلك الخائن الذي تسبب في إيقاظ
الشمس. دون إذن منه!

الغراب الذى نبت له عقل!

عطش الغراب ذات يوم.. وهذا شىء عادى طبعاً.. لأن أى غراب فى الدنيا يمكن أن يصاب بالعطش فى أى وقت.. لا يجد فيه ماء.. وأخذ الغراب يبحث فى كل مكان.. فلم يجد قطرة ماء واحدة فى أى مكان.

كانت هذه هى المرة الأولى التى يطير فيها ذلك الغراب فوق الصحراء.. ولذلك فإنه لم يستطع العودة.. وضل الطريق إلى الوادى.. وكلما زاد عطشه، ازدادت حيرته وازداد تعبته، ومع ذلك.. لم يكن هناك أمل فى العثور على الماء..

ولكن.. مثل كل الصدف التى تحدث فى الحكايات..

حدث أن لمح جرة ماء، بجوار شجرة سنط عجوز.. فصاح فرحاً.. وانقض عليها.. ليطفىء لهيب عطشه.. ولكن.. بالأسف.. كان بالجرة بعض الماء فعلاً.. لكنه قليل.. لم يستطع أن يصل إليه.. حتى بعد أن أدخل كل رأسه فيها.. فحاول أن يكسرها.. فلم يستطع.. وعندما فكر فى قلبها لم يستطع زحزحتها..

وهنا.. ملأت الدموع عينيه.. وفكر فى مصيره الأكيد إذا لم يستطع أن يشرب فوراً..

وفجأة.. وبعد أن كان اليأس قد غلبه.. خطرت له فكرة عظيمة..
أسرع بتنفيذها على الفور..

انطلق يحمل الحصى ويلقى به فى الجرة.. المنيعة.. وحصاة بعد
حصاة.. ارتفعت المياه فى الجرة.. وطوية بعد طوية.. أخذ سطح الماء
يقرب ويعلو... و..

وأخيراً.. استطاع أن يصل إلى الماء.. فأخذ يشرب فى نشوة وسعادة
حتى ارتوى.. وأخذ يصفق بجناحيه ويرقص وهو يقول:

- عشت طول عمرى أعتقد أن الغربان لا عقول لها.. ولكن هذا خطأ
مركد.. خطأ.. (غلط).. وأكبر غلط.. يجب على الآن.. أن أعود فوراً
إلى أهلى لأبشرهم.. فلقد نبت لى عقل.. أنبته فى رأسى العطش!..

القرد الذى يحكم بالعدل

كان القرد مشهوراً بالعدالة ..

وكان جميع من فى الغابة يذهبون إليه ليحل المشاكل التى تقع بينهم، وليطبق عليهم قواعد القانون وكان يقول ويعلم دائماً ..
- كل الحيوانات، آكلة اللحم وآكلة العشب، ذات الظلف وذات الناب ..
الكبيرة والصغيرة .. كلها - كلها - متساوية أمام القانون فى الحقوق والواجبات!

ولم تكن تمضى لحظة دون أن يؤكد القرد العادل قوله عملياً ..
وإن لم تصدقوا، تعالوا معى .. فإننى أرى قطتين تمضيان إليه ..
لقد وجدت القطتان قطعة من الجبن .. واختلفتا على قسمتها .. وها
هما ذاهبتان إلى القرد ليحكم بينهما - طبعاً - بالعدل .

أحضر القرد الميزان .. وقسم قطعة الجبن إلى قسمين .. أحدهما أكبر بكثير من الآخر . فهبطت إحدى الكفتين طبعاً! . فأظهر القرد أسفه، وسرعة إلتهم جزءاً كبيراً من القسم الأكبر ليجعله مساوياً للآخر .. ولكن .. يبدو أنه (بسبب سوء الحظ) جعل هذا القسم أقل بكثير من القسم الصغير ..

وهبطت كفة الميزان الأخرى طبعاً.. وعاد القرد فالتهم من القسم
الأكبر قطعة كبيرة جعلته أصغر!. وتكرر هذا أكثر من مرة.. حتى
وجدت القطتان أن قطعة الجبن أوشكت على التلاشي.. خلال عملية
(التسوية) هذه!! فقالت إحداهما:

- يا سيدى القاضى.. يكفى هذا يا سيدى.. أترك لنا الباقي.. لقد
تصالحنا.. ولن نتشاجر بعد الآن!.

وهنا ابتسم القرد العادل ابتسامة طيبة.. وقال.. هذا جميل.. الصلح
خير.. الصلح خير.. يجب على القطة ألا تعض أختها.. مع السلامة!.
ولما طلبت القطتان إعادة ما تبقى من قطعة الجبن.. غضب القرد
غضباً شديداً، وصاح:

- هل تريدان أن تمضيا دون دفع رسوم المحكمة؟! ألا تعرفان أن
القانون يحتم دفع الرسوم!؟

ولم ترد القطتان طبعاً.. ولم تجرؤ أى واحدة منهما على النونوة..
خوفاً من أن يحاكمها القرد بتهمة إهانة المحكمة!!

القرود الذى يغسل قلبه

يحكى أن قروداً من القرود كان يسكن فوق شجرة تين كبيرة بجوار أحد الأنهار.. وعندما نضجت ثمار التين - هاص القرود وزاط - وأكل حتى شبع من التين الوفير.. ثم أخذ يلعب ويتشقلب مثل كل القرود. وحدث أن سقطت إحدى ثمرات التين من بين أصابعه إلى النهر رأساً.. ودهش القرود وفتح عينيه وفمه من الخوف عندما سمع صوت التينة فى الماء.. لكنه أسقط تينة أخرى وسمع (بلم..بلم) - ثم أسقط تينة أخرى - (بلم..بلم..بلم) ثم أسقط تينة أخرى وبعدها (بلم..بلم..بلم) أخرى. ضحك القرود، وأخذ يتطوح ويتمرجح فوق الأغصان.. وهو يغنى:

لعبة ظريفة خفيفة، نغمات التين لطيفة!..

وأخذ يسقط تينة بعد أخرى فى الماء - ثم يعود للغناء..

وكان فى النهر ذكر سلحفاة مائية.. فرح جداً.. لأنه ظن القرود يعطيه التين.. وظل القرود يلقي بالتين إلى الماء وذكر السلحفاة يأكل منه، حتى انتهى موسم التين - ولم يجد القرود شيئاً يقذفه إلى الماء ليرى صوته. فكان يجلس بجوار النهر حزيناً - فأخذ ذكر السلحفاة يطيب خاطره ويسليه بالحكايات... وما أكثر ما يعرف ذكر السلحفاة منها.. حتى نسى القرود حزنه.. وأصبح صديقاً له.. يقضيان اليوم معاً عند الشاطئ يلعبان ويثرثران.

ولكن السلحفاة زوجة ذكر السلحفاة، غضبت جداً، لأن زوجها يقضى كل وقته مع صديقه القرد، ولا يذهب لبيته أبداً.. فذهبت إلى التمساح العجوز ساحر النهر وطبيب السلاحف، وقصت عليه القصة. فنصحها أن تدعى المرض.. وعندما يأتى زوجها لسؤاله عن دوائها، فسوف يخبره أن الدواء الوحيد الذى يشفيها هو قلب قرد صغير!. وطبعاً - لن يجد قرداً سوى صديقه.. وعندما يفقد القرد قلبه سيفقد حياته.. ويعود ذكر السلحفاة إلى بيته وزوجته..

وحزن ذكر السلحفاة جداً، عندما أخبره التمساح بذلك.. ولكن ماذا يفعل وزوجته على وشك الموت!؟

احتال زوج السلحفاة حتى قبل القرد دعوته لزيارة بيته. وحمله فوق ظهره ليعبر به النهر إلى الشاطئ الآخر.

وكان ذكر السلحفاة حزيناً فبقى صامتاً لا ينطق بكلمة طوال الوقت. وأحس القرد أن فى الأمر شيئاً.. فسأله فى خوف:

- ما الذى يحزنك يا صديقى؟ أخبرنى.. أأست صديقك؟

ويكى ذكر السلحفاة وهو يخبره بالقصة كلها، وكيف أنه ذاهب به إلى بيته لكى ينتزع من صدره دواء زوجته المريضة. وارتعش القرد وملاً الرعب قلبه، ولكنه تماسك وأخذ يفكر ويقول لنفسه:

- آه.. ستضيع أيها القرد، وستفقد حياتك. إن لم تستعمل ذكاءك.. للنجاة من هذا المأزق.. إن لك عقلاً لا يغلبه سوى الإنسان. فلا تدع الخوف يقتلك.

ثم ابتسم وتظاهر بالمرح، وقال فى لا مبالاة:

- يالأسف!! يا صديقي المسكين.. وهل هذا هو ما يجعلك حزينا..
لا.. لا تشغل بالك.. ولكن عد بي فوراً إلى الشجرة.. فإن (قلبي)
هناك.. فوق الشجرة.

- وماذا يفعل قلبك فوق الشجرة؟

ضحك القرد ضحكة عالية وقال:

- آه.. إنك لا تعرف شيئاً إذن عن القروء.. مسكين، إن بقاءك طول
الوقت حبيس هذه الدرفة الصلبة جعل (مخك) متخلفاً! إننا يا صديقي
نترك قلوبنا عندما نذهب لزيارة أصحابنا.. نخلعها ونغسلها ونتركها في
الشمس لتعود بيضاء ناصعة.. لتحب أصدقاءها! لماذا لم تخبرني..
كنت أتيت بقلبي معي! هيا بنا لنحضره فوراً.. حتى لا تقلق زوجتك أو
تموت، لو تأخرنا..

وأسرع ذكر السلحفاة سابقاً بالقرد، حتى اقترب به من الشجرة مرة
أخرى، فأسرع القرد وقفز إلى الشاطيء وقال:

- آه.. أيها المغفل.. الخائن.. اذهب وابتعد من هنا ولا تطلب مني بعد
الآن تينة واحدة.. لأنني سوف ألقى صخرة ضخمة على أم رأسك..
الصغير الخائن!!

الفأر الذى صادق القط

فى يوم من الأيام.. تصادق قط وفأر.. لا تندهبش يا صديقى، ففى دنيا الحواديت تحدث أحياناً هذه الأشياء العجيبة.. ولما كانت الحواديت الخيالية حقيقية فعلاً، فإنه يحدث أحياناً.. أن يصادق الفأر قطاً.. ولكن هذا شىء يستحق أن نعرف حكايته لأن القط والفأر كانا يحبان بعضهما البعض جداً.. وفى كل مكان كان كل واحد يؤكد حبه للآخر.. لدرجة أنهما قررا أن يعيشا معاً.. فى بيت واحد. وابتسم القط وقال:

- لكن يجب أن نعمل حساب الشتاء يا صديقى فرفور.. لا يمكن أن أتركك تبحث عن طعامك هنا وهناك وإلا وقعت فى مصيدة دنيئة..

واستطاع الاثنان الحصول على جرة مليئة بالعسل الأبيض. واتفقا على أن يحفظاها تحت حجر طاحونة مهجورة.. وألا يقتريا منها إلا معاً.. عندما يأتى وقت الحاجة إليها.

وذات يوم قال القط:

- يا صديقى العزيز.. أنا ذاهب لزيارة ابن عمى لأنه ينتظر مولوداً جديداً..

- وطبعاً لا يمكن أن يصحب القط فأراً إلى حفل ميلاد (قططى).. حتى ولو كان هذا القط صديقه العزيز. لذلك تركه يذهب وحده قائلاً له:

- عندما تأكل شيئاً لذيذاً.. فكر في صديقك الوحيد.. وأنا سأحس بطعمه في فمي.

وابتسم القط، ومضى مسرعاً إلى حيث توجد الجرة.. فالتهم جزءاً من العسل.. وغسل شواربه ثم عاد إلى صديقه الذي سأله:

- ماذا سميتم المولود الجديد السعيد؟!

- ارتبك القط لأنه لم يكن يفكر في سؤال ساذج كهذا، ولكنه أسرع يقول:

- أوه.. نعم.. نعم.. لقد أسموه يا سيدي.. «بلع الرقبة»..

وتعجب الفأر وقال: «يا له من اسم غريب»!.

وبعد أيام وجد القط عذراً آخر، واستأذن من الفأر لكي يذهب لحضور عيد ميلاد بنت أخته.. ولكنه ذهب إلى الطاحونة.. وأتى على نصف العسل.. وعاد بعد أن غسل شواربه!.. وبعد أن رحب الفأر بعودته سأله عن اسم بنت أخته.. وهذه المرة كان القط قد فكر في الاسم.. فرد على الفور قائلاً:

- إن اسمها عجيب جداً.. تصور اسمها.. «شربت نصه»..

ولم يبتسم الفأر هذه المرة.. فقد أحس بأن صديقه يضحك عليه أو يغرر به.. وخاصة عندما جاء للمرة الثالثة.. يطلب منه أن يتركه ليذهب إلى حفل ميلاد ابنة خالته. ولما عاد.. كان ثقيل الحركة لأنه أتى على بقية العسل.. وسأله الفأر:

- ترى ما هو الاسم هذه المرة؟

فأجاب القط. اسمها.. «كله خلاص».

وشعر الفأر بقلق لهذه الأسماء الغريبة «بلع الرقبة»، و«شربت نصه»،
و«كله خلاص»..

ولكنه سكت، فقد كان يحب صديقه جداً ويثق به.. وعندما جاء
الشتاء.. قال الفأر هيا بنا نحضر جرة العسل يا صديقي فقد جاء وقتها،
إن لعابي يسيل..

وذهب القط معه فى براءة.. وكم كانت المفاجأة عندما وجد الفأر
الجرة مكسورة وفارغة فصرخ.. صرخة مدوية، وأخذ يسب ويلعن
ويتهم القط بسرقة العسل. ونظر القط إليه نظرة عميقة.. وقال فى
هدوء:

- اخرس.. والا.. أكلتك أنت نفسك..

وانكمش الفأر وقال:

- كنت أظن أننا أصدقاء..

وهنا تتأىب القط.. وعندما أغلق فمه الكبير.. لم يكن هناك أى فأر
ليرد عليه!

القط الذى أكل العصفورة

عاش قط صغير مع عصفور صغير، فى بيت واحد صغير.. ويمكن القول أنهما تريبا معاً.. لا يذكر أحدهما متى رأى صاحبه لأول مرة، فهذا حدث من زمان ليس بالقصير. ولكن كل واحد منهما يذكر أنهما كانا صديقين حميمين دائماً. منذ عرف كل منهما الآخر وهما فى مرح ولعب..

كان العصفور يظهر الخوف من مخالبا القط وأسنانه.. ولكنه لم يكن خوفاً حقيقياً.. فالقط - والحق يقال - كان حريصاً على عدم إخراج مخالبه من مكانها حتى لا تؤذى صديقه أثناء اللعب..

وكان العصفور ينقر صديقه فى حب بمنقاره الصغير.. ولكن هذا لم يكن يضايق القط كثيراً.. فمهما كانت قوية فإنها لم تزد عن نقرات عصفور صديق صغير..

وكانت الأيام تمر هادئة مليئة بالمرح واللعب.. وكانت أصوات مواء القط وزقزقة العصفور المرحية، تختلط فتبعث على ابتسام المارة، الذين كانوا يقفون ليشاهدوا المنظر وهم يتعجبون ويقولون:

- يا له من منظر لطيف..

ولم يكن القط ولا العصفور يفهمان سر همهمات الناس وإعجابهم، ولا سر توقفهم لمراقبة لعبهما معاً فى دهشة.. ولكنهما كانا يتماذيان فى

مرحهما ولعبهما، كأنما يرغبان في المزيد من الإعجاب.. إلى أن جاء يوم وضع حداً لهذه العلاقة الجميلة.. فقد هاجم أحد العصافير التي تسكن بالجوار هذا العصفور صديق القط ونقره نقرة آلمته كثيراً.. وضايق ذلك القط، وقال في غيظ:

- ذلك العصفور تمادى كثيراً.. ولو فعلها مرة أخرى.. فلن أتركه دون عقاب..

ولسوء حظ العصفور الذي يسكن في الجوار.. أو قل لسوء حظ العصفورين.. أنهما تشاجرا في اليوم التالي.. ونقر العصفور المعتدى العصفور الصديق نقرة أشد، أدمت رأسه، وأشعلت غضب القط، فقرر أن يضع حداً لهذا العدوان..

وما أن ظهر العصفور المعتدى في اليوم التالي متحدياً حتى قفز القط من مكانه.. فالتهمه بالكامل.. ووقف يستطعم طعمه.. بينما تناثرت بضع ريشات هنا وهناك..

ووقف العصفور الصديق، يتأمل صديقه القط وهو يلحق شفتيه مستمتعاً، وقد بدت في عينيه نظرة غريبة لم يشهدها العصفور من قبل.. كان القط يهمس لنفسه في استمتاع...

- لم أكن أعرف أن لحم العصافير.. له مثل هذا الطعام الشهى..

وقال العصفور الصديق وقد ملأ قلبه ودماعه حب الاستطلاع...

- ماذا تقول؟..

ولك أن تخمن ما حدث.. فقد كان طعم العصفور لذيذاً جداً لدرجة
أن العصفور الصديق.. لم يكن هناك.. أو لم يعد هناك.. لكي يسمع
إجابة صديقه الشره.. الذي تذوق بالصدفة لحم العصافير...



القط الذى أكل الدجاجة

بعد أن فرغ الرجل من طهى الدجاجة.. وتحميرها فى السمن وإطلاق رائحتها الشهية فى المنزل كله.. تركها فى حراسة قطه العزيز اللطيف، وذهب ليحضر خبزاً..

والحقيقة، أن القط قاوم رائحة الدجاجة الشهية مقاومة الزهاد والرهبان.. ولكنه لم يستطع فى النهاية إلا الانقضاض عليها وخطفها إلى ركن بعيد، فى اللحظة التى دخل فيها الرجل.. فجحظت عيناه من الدهشة والغضب.. ومضى.. واضعاً يديه فى خصره.. يوبخ القط ويؤنبه:

- لا.. لا.. يا قطى العزيز.. أعد الدجاجة إلى مكانها.. وإلا فضحتك فى كل مكان.. سيعرف الناس أنك خنت الأمانة.. وهذه ستكون سمعة سيئة جداً لك ولأحفادك!

التهم القط ربع الدجاجة الأولى.. فسكت الرجل برهة ثم قال:
- أنت بهذه الفعلة تضرب مثلاً سيئاً للقطط، ماذا يقول البشر عنكم.. سيؤلفون الكتب، والحكايات السخيفة التى تسب القطط لأنك سرقت الدجاجة..

التهم القط الربيع الثاني فأصبحت الدجاجة نصف دجاجة .. وارتيك
الرجل غيظاً فجلس واستمر يقول:

- أيها القط .. أعد نصف الدجاجة فأنا كنت سأعطيك النصف الذى
اغتصبته على أية حال .. ولكن أنا لا يهمنى إلا سمعة القطط التى
مرغتها فى الوحل .. وسمعتى أيضاً .. سيقولون عنى «هذا صاحب القط
اللس» ..

وهنا أكل القط الربيع الثالث .. وهو يغمز بعينه للرجل الذى استمر
يقول وقد أخذه الحماس، فانطلق يخطب، وهو يدل على بشاعة ما فعل
القط:

- أنك لا تدرك أن الأولاد سوف يقولون عنك أنك سارق .. ولص ..
وقد يتهمونك بسوء الأخلاق .. إننى أحاول أن أبين لك الخطأ من
الصواب .. ولكنك على ما يبدو لا تدرك سوء فعلتك الشنيء .. ي .. ي ..
ع .. ع .. هـ

كان القط قد انتهى من التهام الدجاجة، ثم تقدم من الرجل المذهول
وأخذ يتمسح به كعادته، وهو يقول:

- قد أكون قطعاً سيئاً .. ولكن الذى يجب أن تتعلمه «أن الكلام .. لا
يحمى الطعام» .. كنت أستطيع الاكتفاء بالربيع الأول .. لولا أنك
استرسلت فى حديثك اللذيذ .. يا صاحبي العزيز؟

القط الذى اشتغل قاضياً

كان الأرنب يسكن بيتاً جميلاً على شاطئه أحد الأنهار، حيث يتوفر الغذاء، وتصدح الأطييار، وذات يوم خرج كعادته ليحضر الطعام، وليقوم بتدريبات الصباح.. وعاد محملاً بالخضراوات الطازجة، ولكنه ما كاد يدخل حتى وجد (ابن عرس) ينام فى سريره.. فأخرست المفاجأة لسانه، وبعد أن استرد أنفاسه، صاح غاضباً فى ذلك المعتدى الأثيم الذى احتل منزله. لكن ابن عرس أجاب فى هدوء أن البيت بيته هو! وأنه كان فى رحلة طويلة ثم عاد، وطلب من الأرنب الخروج على الفور!

غضب الأرنب، ومضى ليحضر أوراقاً تثبت ملكيته للبيت.. ولكن ابن عرس قال له

- لو صدقنا الأوراق.. فالأولى أن نصدق الشهود، وأنا أستطيع أن أحضر من يقسم لك أننى ولدت فى هذا البيت منذ قرون!..

وارتفع الصراخ والنباح واشتدت الزمجرة والشوشرة.. حتى كانت فكرة أن يذهبا إلى حيث يوجد قاض يحكم بينهما.. واتفقا على أن يحكم بينهما أول من يقابلهما.. وكان القط البرى يتجول بالقرب منهما فسمع ما قالاه.. فاستبشر بما لاقاه..

واختبأ حتى خرجا.. ثم ظهر أمامهما مشغولاً بشيء ما.. فجريا إليه
وعرضنا القضية عليه..

تظاهر القط البرى بالاهتمام.. وقال إن الحكم العادل يقتضى أن
يعاين المكان.. فأسرعا وقاده إلى البيت.. وبعد فحص ودراسة.. قال
القط البرى وهو يتصنع الكياسة..

- اذهب أيها الأرنب واحضر بعض الماء الطاهر من النهر.. لنعرف
الحقيقة..

وما أن خرج الأرنب.. حتى انقض القط البرى على ابن عرس،
والتهمه، وحمد الظروف التي يسرت له غداءه.. ولما عاد الأرنب
بالماء.. شرب منه وارتوى.. ثم انقض على الأرنب.. وقتله، وخبأه
ليكون عشاءه.. وتمطى القط وتمطع.. بعد أن شبع وأمن وتمتع..
وارتمى على السرير ليسترخ، راجياً أن يذهب النوم عناءه ويهضم
عشاءه.. وهو يقول:

- بيت جميل.. دفعنا فيه من عرقنا أقل من القليل!!..



النمر الذى خاف من الشيهم

يحكى أنه كان يحكم جزيرة «جاوه» نمر شديد البأس، كثير الأتباع.. خافته جميع الحيوانات فى الجزر المجاورة.

وحدث ذات يوم أن قل الطعام فى جزيرته، لكثرة ما قتله هو وعشيرته، من حيوانات صغيرة. ولما قل الطعام أحس النمر بالخطر، لأن النمر والسباع من أتباعه كادت تأكل بعضها بعضاً.

وهنا أرسل النمر الملك عدداً من أتباعه المخلصين إلى الجزر المجاورة، يهددون بها بالحرب إن لم ترسل إليه كل جزيرة، عدداً من الحيوانات الصغيرة. وأعطى لكل رسول شعرة من شاربه الملكى، ليرهب بها ملوك الجزر وحيواناتها.

ولا أحد يعرف ما حدث للرسول الذين ذهبوا للجزر الأخرى.. ولكن الرسول الذى ذهب إلى جزيرة «بورنيو»، قابل غزالة صغيرة خرجت تبحث عن الماء، فقد كان اليوم شديد الحرارة وكل الحيوانات دخلت جحورها تبحث عن الظل.. وزمجر النمر، وسأل الغزالة عن ملك الجزيرة، وأخبرها بالرسالة ثم جعلها ترى وتلمس الشعرة الملكية، فارتعدت وخافت وطلبت منه أن يبقى فى مكانه مستريحاً، لأنها ستوصل رسالته إلى ملك الجزيرة وتعود إليه بالرد.

جرت الغزالة هاربة، فقابلت في طريقها صديقها الشيهم، وهو حيوان كالقنفذ، لكن أشواكه طويلة، فقصت عليه القصة وأخبرته بالخطر الذي يهدد الجميع وضحك الشيهم وقال:

- إذن، فقد لمست شعرة شارب النمر الملكية.

- نعم، وهي تدل على أنه فتاك قوى.

قال الشيهم:

- إذن ما رأيك في أشواكي..

ولم تفهم الغزالة شيئاً.. ولكنه انتزع شوكة من أشواكه وقال لها:

- اذهبي إلى النمر.. وأخبريه أن ملك جزيرتنا يرسل لملكه شعرة من شارب ابنه الصغير، وأنه في انتظاره إن أراد الحرب.

وما أن لمس النمر شوكة الشيهم وأحس وخزها، حتى ارتعد جسمه، وهو يتخيل الحيوان صاحب هذا الشارب. وانطلق هارياً كالجرذ..

ضحكت الغزالة وقالت للشيهم:

- أعتقد أن جزيرتنا لن ترى نموراً بعد اليوم وهذا ما حدث..

النمر الذى أكله التمساح

بعد حروب طاحنة ومعارك .. اتفق النمر مع التمساح على تقسيم مناطق نفوذهما فى الغابة .. وقالها النمر فى لهجة حاسمة: البحر لك والبر لى !!

ومن يومها لم يعد التمساح يجروء على الخروج إلى البر ليتمتع بحرارة الشمس .. أو التمرغ فى الطين فى كسل بعد أكلة لذيذة .. خوفاً من أن يلتهمه النمر أو يتهمه بخرق الاتفاق ..

ومن يومها .. لم يعد النمر ينزل إلى الماء ليسبح كعادته فى ضوء القمر واكتفى بالشرب من الأماكن الآمنة فى غفلة من التمساح، الذى كان يتريص به ليأخذه إلى قاع النهر ..

وذات يوم كان رجل وابنه الصغير يعبران الغابة، حين هبط الليل .. فقررا النوم بجوار النهر حتى تشرق الشمس . ولكن الولد كان خائفاً جداً .. أزعجه أن يترك قدميه بعيداً فيأكلها أى وحش عابر .. أخيراً طمأنه والده .. وجعله ينام فى وضع معاكس له بحيث يطمئن على قدميه فى حماية والده .. ونام الاثنان وكل منهما يمد ساقيه ناحية رأس الآخر .. ولذلك عندما أحكما حولهما الغطاء صار منظرهما غريباً .. إذ صار يشبهان حيواناً طويلاً له رأسان، كل فى ناحية .. وكل منهما يصدر شخيراً مختلفاً ..

ولسوء حظ النمر.. جاء ليلتها يريد أن يشرب من النهر خلصة،
فشاهد ذلك (الحيوان) العجيب ذا الرأسين والصوتين الغريبين. ففسى
عطشة، واستيقظ جشعه وتقدم يتشمم متلصصاً..

ولسوء حظه مرة أخرى.. لمس شاربه أنف الرجل وهو يتشممه
فأثاره وعطس الرجل عطسة شديدة.. فاجأت النمر سيء الحظ فشلت
حركته، إلا من قفزة مرتفعة في السماء.. سقط بعدها وهو يصرخ
متكوراً.. فتدحرج كالكرة إلى الماء ناسياً ما ينتظره هناك.. ويم.. بم..
يوم.. لكنه حين سقط في الماء لم يحدث طرطشة.. (تش).. لأن
التمساح كان هناك فاتحاً فمه على اتساعه مرحباً وهو يقول:

- أنت الذى قلتها يا سيد البر.. البر لك والبحر لى.. وأطبق عليه فى
قوة.. وغاص به تحت الماء إلى الأبد...

وطبعاً لم يشعر أحد من النائمين بما حدث فقوة العطس غطت على
صرخة النمر التى كتمها الغطس.. وفى الصباح استيقظ الحيوان
العجيب ذو الرأسين.. جامعاً فراشه، وانطلقا فى طريقهما.. دون أن
يعرفا ما حدث ليلتها.. ولن يعرفا إلا إذا وقع كتابى هذا فى يد أحدهما،
وكان يعرف القراءة والكتابة وهذا ما أشك فيه، كما أشك الآن فى أن
شيئاً من هذا قد حدث فى يوم من الأيام...



النمر الذى صادق الغيلم

فى يوم من الأيام كان النمر والغيلم (وهو ذكر السلحفاة) صديقين حميمين. ولأنهما كانا يحبان الإسبانخ فقد كانا يطبخانه ويأكلانه معاً ثم يذهبان للاستحمام.

وذات يوم قال النمر:

- أنا مللت من الإسبانخ يا صدىقى، لا يمكن أن تستمر الحياة هكذا فليس بالإسبانخ وحده يحيا الحيوان.. وأنا الآن أحس برغبة شديدة فى أكل اللحم، يا أذى، فتعال معى لنصيد شيئاً منه.

وأثرت حال النمر فى الغيلم تأثيراً كبيراً فمضى معه إلى الغابة، وهناك أقاما بيتاً من الأغصان والأوراق، وجهزا فخاً ثم جلسا ينتظران، وكان الحظ حليفهما منذ اليوم الأول. أمسك الفخ بوعل سمين، وفى اليوم الثانى أمسك لهما آخر أسمن منه، وفى اليوم الثالث أمسك لهما بوعل ثالث أكثر سمناً وأغزر لحماً.

وقال النمر:

- يجب علينا الآن أن نعود بهذا اللحم إلى عائلتنا. وانهمكا فى جدل سلتين كبيرتين، واحدة للنمر والأخرى للغيلم، ثم وضعنا فيهما اللحم بعد أن قسماه بالتساوى، وناما على أمل العودة إلى البيت فى الصباح التالى.

وفي منتصف الليل استيقظ الغيليم وقد ملأت رأسه فكرة أطارت النوم من عينيه، فأخذ يحدث نفسه قائلاً:

- هل يمكن أن يحتاج النمر لكل هذا اللحم وهو القوي ذو المخالب ويستطيع أن يصيد دائماً وبسهولة كل ما يريد من لحم، كلما أراد.. وهو شيء لا أستطيع أن أفعله أنا.

وشجع شخير النمر المتعب الغيليم وجعله يحسم الأمر. فقام محاذراً متسللاً، ونقل اللحم من سلة صديقه إلى سلته ووضع بدلاً منه قطعاً من الحجارة وأعاد تغطية السلتين بالأوراق حتى لا يكتشف النمر الأمر.

وفي الصباح التالي، حمل كل واحد منهما سلته. وعند حافة الغابة افترقا وكل منهما يحمل سلته على ظهره..

ولما وصل النمر إلى كهفه، وجد زوجته أمام النار تطبخ الإسبانخ كالعادة فصاح فيها وهو يدلق القدر على الأرض:

- لا أريد أن أرى هذا الطعام مرة أخرى، أو أشم رائحته في منزلي. لقد أحضرت لك أكلة عظيمة من اللحم الطازج فهياً وجهزى لنا ولأولادنا وليمة فاخرة.

ثم أنزل السلة وكانت المفاجأة كبيرة عندما كشف الغطاء فوجد اللحم وقد تحول إلى حجارة.

وزمجر النمر وصاح قائلاً:

- لقد فعلها ذلك الغيليم الخبيث...

ثم اندفع هادراً من الكهف يزلزل الأرض منادياً بالانتقام وكان من الطبيعي أن يختفى الغيليم الماكر.

فلم يعثر النمر له على أثر حتى اليوم، ولكنه من شدة غضبه، لم
يترك أي غيلم آخر صادقه إلا وأكله على الفور، وهو يزجر في غيظ،
غير تارك منه سوى صدفته القاسية الفارغة.

⊙

••

الفيل الذى هزمته اليمامة

فى يوم من الأيام، كان يعيش فى إحدى الغابات فيل شرير لا يمر عليه يوم دون أن يؤذى أحد الحيوانات، أو يهدم عش أحد الطيور، أو يدوس بقدمه جحر فأر صغير.. أو يطرد الضفادع من البركة أو يزعج أسماك البحيرة، أو يفسد مرعى الغزلان. كل يوم يسبب الأذى لواحد منهم.. كل يوم.. كل يوم.. فى الحقيقة لقد كان فيلاً غيباً شريراً.

وذات يوم هدم الفيل عش يمامة طيبة.. وداس فوق بيضها وبكت اليمامة كثيراً، ولكنها مسحت دموعها، وأقسمت أن تنتقم من الفيل. وأن تخلص الغابة من شره.

ضحك أرتب عجوز حين سمع ذلك، فهذه أول مرة يسمع كلاماً مثله.. وسخر قرد مشاغب.

ونصحتها سلحفاة عجوز عمرها أربعمئة سنة وأكثر أن تذهب بعيداً عن طريق الفيل، وأن تبني عشاً جديداً.

لكن اليمامة قالت:

- سيهدم عشى الجديد أيضاً. لابد من تخلص الغابة منه وأنا سأفعل ذلك.

طارت اليمامة إلى جماعة من العصافير وطلبت مساعدتهم لها.
خافت العصافير أول الأمر، ولكنها أقنعتهم أنها مهمة سهلة جداً فهم
فقط سيرفرفون حول رأس الفيل ليشتغلوه حتى تتمكن هي من نقر
عينيه.

وحدث ما دبترته وأصبح الفيل أعمى. ثم طارت بعدها إلى الضفادع
التي طردها الفيل من البركة ألف مرة وطلبت منهم أن يغنوا أغانيهم
في طريق الفيل أمام حافة الجبل وسمع الفيل غناء الضفادع وكان
عطشاناً ولا يعرف أين الماء وظن الضفادع تغني في البركة، فتقدم
مسرعاً نحوها ولكنه سقط من فوق الجبل.

واستطاعت اليمامة الضعيفة أن تهزم الفيل الشرير وأن تخلص الغابة
منه...

الدب الذى أكل نملة

كان الدب الضخم يرقص سعيداً بنفسه، فخوراً بقوته، فأخذ يزعم ويقول:

- أنا الدب الجبار بضربة واحدة أقتل الحمار، وفي شقطة، واحدة أبلع ألف فار.. من يكون طعامى على الإفطار؟

طارت العصافير خائفة، وهربت الأرانب، واختفت الغزلان وارتعشت حتى الثعالب، فقد كان هذا الدب جباراً شرساً مفترساً.

وعند القناة انحنى ليشرب، فشهد نملة صغيرة تحاول أن تملأ قدراً بالماء. فضحك وقال:

- أنت ستكونين إفطارى، أيتها النملة اللذيذة.

قالت النملة: يا دبدب العظيم أنا لا أشبع ولا أغنى من جوع، اتركنى لأعود لزملائى وإخوتى، إنهم يعملون منذ شروق الشمس، وهم فى عطش شديد، اتركنى وسأعلمك درساً ينفعك فى الحياة.

قال الدب ساخراً:

أنت تعلميننى درساً، إذن هيا يا أستاذة نملة.

قالت النملة:

- سأخبرك بحكمة النمل العظيمة، الخالدة، التي تقول إذا أكلت
واحدة في الصيف، احفظ اثنتين للشتاء.

ضحك الدب والتهم النملة وهو يقول:

- إذن سأكلك أنت، وأترك أول نملتين بعد ذلك.

ولم ترد النملة.. لأنه لم تعد هناك نملة.

وقلق النمل على النملة التي ذهبت لتحضر الماء ولم تعد، فجاء إلى
شاطيء النهر يبحث عنها، وأخذت آلاف منه تبحث هنا وهناك.
طوابير وراء طوابير، ولكنهم لم يعثروا لها على أثر. قال عصفور شاهد
ما حدث للنملة:

- لا تتعبوا أنفسكم يا أصدقاء.. فقد أكلها الدب، مثلما سيأكلكم يوماً،
لأن أحداً لن يقدر عليه. واستدارت النملة التي سمعت ذلك. وأخبرت
التي تقف خلفها، فأخبرت هذه النملة التي وراءها. وهذه قالت للتي
وراءها.. حتى عرف النمل كله الحكاية. واستدار كله.. واتجه دون
كلمة إلى بيت الدب الجبار الذي كان هناك أسفل شجرة الصنوبر
الضخمة.

تحت البيت أخذ النمل يحفر ويحفر.. دون كلام، ساعة.. ساعتين..
عشر ساعات... ملايين من النمل تحفر وتحفر. وانضم إليهم قنفذان
وأربع أرانب وستة من فئران الغيط.. وأخذ الجميع يحفرون.. حتى
غربت الشمس.

عاد الدب الجبار وقد حمل خروفيين فوق ظهره.. وهو يرقص
ويقول:

- من فى الدنيا أعظم منى؟ من فى الدنيا أقوى منى؟ من فى
الدنيا لا يخشانى؟.

ومرت فترة ثم تعالت صرخاته الأخيرة، فعندما دخل وهو يرقص
إلى بيته، انهارت الأرض تحته وسقطت الشجرة العملاقة فوقه، ولم
يسمع أحد صوته بعد ذلك...

الفراشة التي خدعتها ألوان النار

ذات مساء، كانت فراشة جميلة كبيرة تهيم في الظلام بعد أن دارت في الحقول والبساتين ألف دورة.. وقبلت ألف زهرة.. كانت سعيدة ولذا لم تفكر في أن تنام. ومن بعيد.. لمحت ضوءاً صغيراً لامعاً.. تتموج معه ألونة حمراء وزرقاء وصفراء جميلة كأنها أزهار راقصة.. كان أحد الكتاب عاكفاً على الكتابة في ضوء قنديل زيت تخرج منه شعلة تضئ المكان..

واندفعت الفراشة نحو الضوء الملون المبهر معجبة به، وأخذت تحوم حوله في خفة كالمسحورة.. وعلى ضوء القنديل اللامع بدت ألوان الفراشة زاهية رائعة لدرجة أن الكاتب العاكف على كتابته همس قائلاً:
- كم هي جميلة..

وعاد إلى كتابته بينما راحت الفراشة ترقص سعيدة حول اللهب، وهي تتأمله في شغف.. ثم فكرت أن تقترب أكثر لتفعل معه ما تفعله عادة مع الأزهار.. كانت تريد تقبيله كعادتها.. فدارت ثم اندفعت نحوه في شجاعة ومرت فوق الشعلة.. بل ولمستها..

وذهلّت الفراشة.. إذ لم تفهم بالضبط ما حدث.. لقد عجزت للحظة عن الاستمرار في الطيران.. بل ووجدت نفسها أسفل القنديل تعاني

بعض الألم.. وانتبهت فوجدت أنها قد فقدت ساقاً.. وأن طرفاً من جناحها قد أحرقتة النار..

ولم تستطع أن تفسر ما حدث، وسألت نفسها عما ألم بها وأجهدتها.. لكنها لم تصل إلى جواب.. ولم يكن ممكناً أن تعترف أن شيئاً على هذه الدرجة من الجمال يمكن أن يؤدي فراشة تحبه.. ولذا فقد عاودت الطيران بعد جهد وبعد أن استعادت بعض قواها.. ضربت بجناحها عدة ضربات ثم وثبت بصعوبة حتى استطاعت أن تطير.. وعلى الفور اتجهت ناحية الشعلة لتقف عليها هذه المرة.. ولكنها..

يا للأسف سقطت محترقة في الزيت الذي كان يغذي الشعلة القوية.. وهمست الفراشة وهي في النزع الأخير:

- يا لك من شيء جميل لعين.. كنت أعتقد أنك ستكون سبباً لسعادتي.. ولكني لم أجد فيك سوى الموت.. لقد علمتني شيئاً ولكن بعد فوات الأوان.. وبعد أن دفعت حياتي ثمناً لاكتشاف خطرك..

وأجابها القنديل:

- منذ أن وجدت على ظهر هذه الأرض.. ومئات مثلك يفعلون ما فعلت.. لا يعون الدرس إلا بعد فوات الأوان... وماذا أفعل؟... إن ما يصيبني بالحزن أكثر... هو أنكم تفعلون نفس الشيء.. ولا يتعلم بعضكم مما يحدث لبعضكم شيئاً...

النملة التي زرعت حبة القمح

بعد الحصاد كانت هناك حبة قمح وحيدة.. سقطت من سنبليتها
وظلت بمفردها فى الحقل.. ويقدر ما حزنت لفراق أخواتها بقدر ما
فرحت لأنها ستظل فى الأرض تنتظر المطر لتنبت من جديد.. وهى
فرصة قد لا تتحقق إذا ذهبت، لأنها قد تصبح شيئاً آخر.. قد تطحن
وتعجن وتخبز مع غيرها لتكون رغيفاً أو كعكة.

ابتسمت حبة القمح لهذا الخاطر، وبرزت قليلاً لتشهد أشعة الشمس
فأرتها النملة.. التى أسرعت وحملتها بمشقة كبيرة ومضت إلى جحرها
البعيد..

تعبت النملة فوقفت لتستريح فقالت لها حبة القمح بعد أن فكرت
طويلاً فى مصيرها الجديد.

- لماذا لا تتركينى هنا.. دعينى وشأنى؟..

فضحكت النملة وقالت:

- إذا تركتك وشأنك سنموت جوعاً هذا الشتاء، نحن كثيرون جداً

ويلزمنا طعام كثير، وحبّة قمح ناضجة مثلك تعد ثروة..

قالت حبة القمح: ولكنى لم أخلق للأكل فقط..

إن بداخلي رغبة شديدة في الحياة .. وقد خلقت لكي أعود نباتاً مرة
أخرى .. اسمعي يا صديقتي .. يبدو أنك عاقلة وتهتمين بالمستقبل
أيضاً .. هل يمكن أن نعقد اتفاقاً؟ ..

قالت النملة وقد أعجبها تبادل الحديث مع حبة القمح لتطول مدة
راحتها على الأقل.

فقالت: أى اتفاق؟ ..

قالت حبة القمح وقد ازداد أملها:

- لو أنك تركتني هنا في الحقل فسوف أنبت وأثمر .. وسيكون هناك
قمح كثير بدلاً من حبة واحدة ..

قالت النملة:

- وماذا يهمنى فى ذلك .. أنت الآن معى ..

ردت حبة القمح بسرعة:

- ولكنك لو فعلت وزرعتنى هنا .. فسوف تحصلين، عندما أنمو
وأنضج، على مائة حبة على الأقل .. مائة حبة مثلى .. بدلاً من
واحدة ..

فكرت النملة وقالت:

- مائة حبة بدلاً من حبة واحدة .. هذه ستكون معجزة ..

ثم قالت بعد تفكير ..

- ولكن من يضمن لى تحقيق وعدك ..

قالت حبة القمح:

- أنا لن أهرب.. بل أنت بنفسك سوف تدفيني هنا.. فى الأرض..
احفرى حفرة صغيرة ضعيني فيها.. ثم غطينى بالطين والتراب.. أين
سأذهب لن أتحرك ولن أهرب.. وسأظل فى مكانى حتى تعودين فى
العام القادم لتحصلى على المائة حبة..

قالت النملة:

- هى مخاطرة ولكنها تستحق.. على الأقل إن لم يحدث سأجرك هنا
ولن أخسر شيئاً..

قالت حبة القمح:

- لن تخسرى فعلاً.. ولكنك بالتأكيد ستكسبين.. ستقومين بعمل
عظيم إذا زرعتنى مرة أخرى. وهذا عمل لا يفهمه إلا القليل.. ولكنه
سيعود عليك بمائة حبة ما دمت متصبرين..

وفعلت النملة مثلما علمتها حبة القمح..

زرعت الحبة.. وعادت فى العام التالى..

وأوفت حبة القمح بوعدتها...

حبة القمح الحمقاء

كنا فى أيام آخر شهر آيار (مايو) .

وكانت سنابل القمح تنتظر مناجل الفلاحين ليحصدوها ويحملوها
إلى الأجران ..

وكانت الريح تهب دافئة، جعلت السنابل ترقص وتتمايل فى فرح
وسعادة .

وفجأة وقعت حبة قمح صغيرة، كانت تطل من بيتها الصغير لتتربى
العالم لأول مرة، كانت سعيدة بنفسها، تظن أنها أعظم شىء فى
الوجود .

وعندما وقعت على الأرض اعتذرت لها وقالت:

- سامحيني أيتها الأرض الطيبة فأنا لم أكن أقصد إيذاءك بالوقوع
هكذا فوقك ..

وضحكت الأرض وقالت:

- لا تفكرى فى ذلك، فأنا أستطيع أن أحتمل سقوط القنابل .

وتنهدت حبة القمح وقالت:

- كنت أتمنى أن تكون لى أجنحة.

سألته الأرض:

- ولماذا تريدان الأجنحة؟

فقال حبة القمح:

- حتى أطير من هنا، لأننى ثقيلة عليك.

ضحكت الأرض وقالت:

- ثقيلة؟ أنت؟ أنظري إلى هذه الجاموسة الضخمة.. إننى أحمل

المئات منها.. ولا أحس بها. ثقيلة؟ أيتها الحبة الصغيرة الحمقاء. إنك

تجعليننى أنفجر من الضحك.

ورفعت حبة القمح نفسها قليلاً.. فرأت الجاموسة مقبلة نحوها..

فقال فى غضب:

- إنى لا أظن أن هذه الجاموسة أنقل منى..

واهتزت الأرض مرة أخرى من الضحك.

فقال الجاموسة:

- أيتها الأرض، لماذا تضحكين؟

قال الأرض وهى تكتم ضحكها:

- هذه الحبة الصغيرة الحمقاء تقارن وزنها بوزنك.. أليس هذا

مضحكاً.

وسألت الجاموسة:

- وأين هذه الحبة؟

قالت الأرض:

- هنا تحت. نعم، فوق الطين، بجانب هذه الجذور.

وأخذت الجاموسة تبحث هنا وهناك وتساءل: أين أنت أيتها الحبة العملاقة؟

فأخذت الحبة تصرخ في غض:

- أنا هنا، هل أنت عمياء إنني ضخمة كالجبل.

وأخذت الجاموسة تبحث، واقتربت من الحبة وهي تنفخ وتتشمم الأرض حول الجذور والسيقان فلم تر شيئاً، لأن أنفاسها القوية ألقت بالحبة الصغيرة في جحر النملة القريب.

وهنا قالت حبة القمح لنفسها:

- الحمد لله.. هذه الريح العاصفة التي أبعدتني أنقذت تلك الجاموسة.. كان من الممكن أن أتدحرج فوقها فأهرسها كحجر الطاحونة.

النملة التي أصابها الغرور

منذ وجد الإنسان على الأرض وهو يعمل ..

بل إن بعض العلماء يقولون أن العمل هو الذى يميز الإنسان عن الحيوان .. وبعضهم يقول ويعتقد، أن العمل هو الذى جعل الإنسان مختلفاً عن الحيوان لأنه جعله يفكر ويمشى على رجليه الإثنتين، بل أن العمل هو الذى جعله ينطق ويتكلم ... عجيب غريب .. هؤلاء العلماء ... يريدون لكل شيء تفسيراً ... وكل شيء صغير يرون خلفه أشياء كبيرة، أليسوا بشراً ... وللشعر عيون ترى وأذان تسمع ... وفوق كل ذلك، عقل يفكر ... وطبقاً لقولهم .. للبشر أيضاً أيدي تعمل ... وهذا هو المهم ... الدب فى البلاد الشمالية الباردة له جلد من الفراء .. يقيه برد الشتاء ... أما الإنسان (فيصنع) لنفسه سميك الرداء ... نعم .. والسمكة فى الماء لها زعانف وذيل وقشور وخياشيم ... أما الإنسان الصياد أو الإنسان الغطاس أو الإنسان البحار .. عندما يغزو البحر يصنع زعانف من الخشب أو المطاط أو الحديد ... ويرتدى تحت الماء ثياباً تجعله يفعل فى البحر ما يريد ..

ومع ذلك .. ورغم أنني أصدق أقوال العلماء ... فهى على الأقل خير من كلام الجهلاء ..

إلا أنني أعرف (نملة) كانت تعمل - نعم فليس العمل قاصراً على الإنسان .. على الأقل هذا ما علمتني إياه الحكايات .. التى سمعتها من

الجدات - هذه (النملة) التي عرفتھا كانت تشتغل في قرية من قرى النمل المنتشرة في كل مكان، يعرفه أو يجهله الإنسان ..

ولقرى النمل كما تعرفون نظام... فساعة الجد للجد، وساعة الكلام للكلام.. وهم يعرفون ما لهم.. وما عليهم... وكل نملة أو ذكر نمل.. يعرف وتعرف ما يجب أن تفعله.. هذه لتحرس المداخل.. وتلك لتجهيز الطعام للصغار في المعامل.. وهذه للاستطلاع واكتشاف مواقع الطعام.. وتلك لمراقبة النشاط والنظام.. وهذه لنقل المرضى والمصابين أو لحمل الجرحى أو المقتولين، إن حدث قتال هنا أو صدام هناك... بين هذا أو ذاك..

والنملة التي أعرفها... كانت مثلاً للنشاط، تحمل حبة قمح كاملة من شاطئ النهر حتى المخازن.. أو تحضر حبة سكر من مطبخ أبعاد المنازل..

أو قطعة خبز من مائدة طعام.. أو لقمة من دكان.. ولم تكن تكتفي بذلك بل كانت تذهب لتحارب عندما يدق جرس الإنذار... أو تحرق بالقرية الأخطار... حتى ذاع صيتها وانتشر... وبلغت حكايتها مسامع ملكة النمل ففرحت بالخبر... وأحضرتها إليها وكرمتها، وأعطتها الوسام الرفيع المسمى (بشائر الربيع).

وفرح أهلها بها.. واحتفلوا بتكريمها.. ولكن الفرحة الكبرى كانت فرحة النملة نفسها بنفسها.. عندما وجدت اسمها على كل لسان.. والنمل يشير إليها بالبنان.. ويتحدثون عنها في كل مكان... وكما أن التقدير والتكريم والاحترام.. يشجع الكرام ذوى النفوس الكبيرة.. فهو أيضاً يفسد ذوى النفوس الصغيرة...

وهذا ما حدث مع نملتنا الشهيرة ...

بدأ الأمر .. بأن استيقظت متأخرة .. ووجدت نفسها تتمطى فى كسل
لذيذ .. وتتأمل السماء من النافذة .. وتشير للنمل الذاهب للعمل وتحببته ..
وتبتسم فى سعادة عندما يهتف باسمها بعضهم أو يشيرون لها ..

وبعد وقت ليس بالقصير ذهبت للعمل .. لكنها لم تفعل الكثير ... إذ
كانت حريصة على أن تظل يداها نظيفتان لتسلم على كل من يقابلها
بالتحية .. وكانوا فى البداية كثيرين .. ولكنهم مع الوقت قلوا لأن النمل
عنده دائماً أشغال وأعمال .. وضايقها هذا كثيراً، خاصة عندما بدأ
البعض يمر بها دون أن ينطق باسمها أو يحييها .. بل أكثر من ذلك ..
مر بها جماعة من حراس المداخل فلم يعرفوها .. وضايقها أكثر أن
حارساً طلب إليها فى جدية أن تبتعد عن الطريق حتى لا تعطل السير ..
فعاذت وظلت تعترض طريق الجماعات الذاهبة للعمل أو العائدة
بالأحمال .. وكأنها تقول لهم أنا هنا .. أنا هى أنا .. ألا تذكرون من
أنا ...

لكن أحداً لم يعد يهتم .. فالعمل أهم ..

والحياة صعبة والشتاء على الأبواب ..

واضطر أحد الحراس لإبعادها بقسوة .. فجلست فى ركن تبكى هذه
الإهانة البليغة .. لنملة تحمل وساماً رفيعاً مثل وسامها، الذى أعطته لها
الملكة بنفسها، بعد أن نطقت أمام الجميع باسمها ...

ولم تكف عن البكاء إلا بعد أن قررت قراراً فى منتهى الغباء .. قالت
لنفسها:

- هؤلاء قوم ناكرون للجميل .. لا يقدرّون العنصر النبيل .. الذى قام
بالعمل الجليل .. إنهم لا يستحقوننى . ولا بد أن أتركهم وأمضى .. لبلاد
أخرى تقدر الأبطال حاملى الأوسمة .. والنياشين ..

ولم تكذب خبراً .. بل على الفور حزمت متاعها القليل فى (هاند
باج) صغير وانطلقت دون أن تخبر أحداً .. أو تودع صديقاً .. إذ كان
عنادها وغرورها قد أخرج كل أصدقائها من قبل .. والعناد داء
المغرورين .. كما يقول الناس العارفين وكما أن السمكة لا تعيش إلا فى
الماء .. فالنملة لا تستطيع الحياة إلا فى قرية النمل ... وصاحبتنا التى
كانت تظن أن خبر سفرها قد نشرته وكالات الأنباء، وأن صيتها قد
سبقها إلى ممالك النمل فى كافة الأنحاء .. اكتشفت أن عليها أن تتعلم
الكثير .. وأن تفهم الكثير .. وخاصة عندما حل الشتاء وهى على أرض
غريبة .. ضائعة: فى الزحام وحدها ... دون صديق أو صيقة ...

فاكتشفت الحقيقة ...

وأسرعت بالعودة وهى تمنى نفسها أن يذكرها بعض أصحابها ..
فيفتحون قلوبهم لها ويتقبلونها .

ويمسحون عنها ما أصابها .. من إدعاء وغرور .. أخذت تؤكد وتقسم
أنها ستعمل أضعافاً مضاعفة .. لتعوض ما فاتها بكل سرور .. وفى
الطريق كانت تقول لنفسها ..

- أن نملها أولى بها .. وأن لحظة فى قريتها وسط أهلها، بالدنيا
كلها ...

الصرصار الذى وجد بيتاً

فكر الصرصار كثيراً فى الأخطار التى تحيط به وبجماعته.. وكان الإنسان قد أعلن الحرب عليه هو بالذات..

كان يشاهد فى خوف ورعب عشرات الضحايا كل يوم بسبب تلك العلب الجهنمية التى تفاجئهم.. (تش..تش) ويندفع منها سيل من الرذاذ والغازات فيهما الموت الأكيد..

وكان يسمع ويلاحظ فى غيظ ذلك الرجل ذى الصوت الأجش والدماغ المعدنى وهو يقدم بضائعه من (النافذة الملونة) لقتل الصراصير..

لم يدر الصرصار سر هذا الاهتمام الكبير بالقضاء عليه وعلى بنى جنسه التعساء فلم يعد يستقر فى مكان.. ولم يعد يستسلم للأحلام كتلك الأيام الخوالى..

وقرر أخيراً أن يلجأ إلى مكان آخر لا يخطر لأهل البيت على بال.. فأخذ يستكشف أرجاء البيت من الداخل والخارج.. بعد أن استبعد البالوعات وأركان المطبخ وأدراج الخزائن الخشبية.. وبدأ الأمر صعباً جداً.. بعد استبعاد كل ذلك..

لكنه فجأة صاح مثلما صاح أرشميدس:

- وجدتها...

وبالفعل قال لنفسه يا له من ملجأ.. لن يكتشفني أحد أبداً... فهو مكان جاف ويعيد جداً عن الأماكن المعروفة المأهولة ببني جنسه الضحايا..

لقد قرر الصرصار أن يسكن في ثقب الباب.. من هنا يستطيع أن يراقب ما يأكله.. خطوة واحدة أكون هنا فأحصل على ما أريد من طعام.. وخطوتين إلى تلك الناحية هناك لأقتنص ما يروق لي من حلوى.. وأخذ يتحسس جدران مخبأه المصنوع من الحديد كأنها حصن لا يعرف الهزائم..

وابتسم وهو يدور حول نفسه في راحة واطمئنان معجباً بفكرته التي لم يتوصل إليها صرصار من بني جنسه منذ وجدت الصراصير.. وأبواب البيوت.. وببساطة شهد لنفسه بالعبقريّة.. وبأنه مختلف..

وبينما كان يهنيء نفسه على عبقريته سمع صوت أقدام تصعد السلم مقترية من الباب، فانكمش قليلاً كما يملأ الحذر عليه..

وبالفعل، كان هناك رجل يريد أن يدخل البيت وسمع الصرصار صوت مفتاح ورنين سلاسل.. فازداد ترقبه.. وصمته وهدأت حركته.. وفي لحظة اندس في الثقب مفتاح حديدي.. ملأ كل الفراغ.. وسحق الصرصار على الفور...



الضفدعة التي تحب الغناء

قال الفأر العجوز لنفسه: أنا تعبت من العمل في الحقول.. الفلاحون يستعملون المبيدات الحشرية بكثرة هذه الأيام.. وهذا خطر جداً.. سأذهب للعمل في المراكب.

وحمل الفأر ملابسه ومضى إلى النهر.. وعند الشاطئ قابل ضفدعة سألته:

- إلى أين أنت ذاهب يا صديقي؟

قال: أنا لست صديقاً لك..

فقالت الضفدعة:

- هيا لنكن أصدقاء فأنا صوتي جميل جداً.. اسمع..

ولكن الفأر قال: إنك ضفدعة وأنا فأر.. أنت تعيشين في الماء وأنا فوق الأرض. ولكن الضفدعة قالت له:

- لا يهم.. يا فأر.. سوف أغني لك.. إنني مغنية عظيمة.. لقد خطفت البجعة زوجي الضفدع.. ومن يومها.. لا أحد يريد أن يسمع غنائي..

قال الفأر وهو يريد التخلص من ثرثرتها:

- إنني ذاهب إلى المراكب.. أمامي مستقبل كبير.

فاعترضت الضفدعة طريقه .. وبكت .. وأخذت تغنى (اواء اواء .. كا
الك .. كويك) .

ولم يكن الفأر قد سمع غناء أى ضفدعة .. أو غناء أى أحد آخر ..
فتأثر جداً .. وقال:

- إنك أعظم مغنية فى الدنيا ..

فصاحت الضفدعة:

- وأنت أعظم صديق فى الدنيا .. هيا لنؤكد صداقتنا على طريقة
الضفادع .. ستربط ساقك بساقى .. ونرقص .. وعندى طعام كثير ..
وأحضرت الضفدعة حبلأ ثم ربطت نفسها إلى الفأر وأخذت
ترقص .. وقال الفأر:

- ستكون حياتى كلها رقص .. أكثر راحة من العمل بالمراكب طبعاً .

ولكن البجعة ظهرت فجأة .. فقفزت الضفدعة إلى الماء وجرت
معها صديقها المسكين .. وعندما مضت مدة كافية واطمأنت الضفدعة .
صعدت على السطح تنادى: «أعز صديق لها فى الدنيا، ولكنه لم يرد
لأنه كان غريقاً عائماً على الماء إلى جوارها .. وفجأة انقض غراب
على جثة الفأر وحملها وطار .. وطبعاً .. طارت معها الضفدعة المغنينة
إلى عش الغراب .. وضحكت البجعة التى كانت تشاهد المنظر وقالت:

- غريبة .. غراب محظوظ؟ .. اصطاد عصفورين بحجر واحد!!

الضفادع التي تكلمت

لماذا تصيح الضفادع؟

البعض يقولون أن لكل المخلوقات لغة للحديث، يفهم بعضهم البعض عن طريقها.

للأرنب نغة. وللنحل طريقة للحديث مع النحل، وحتى الفيلة لها طريقة للتفاهم مع الفيلة طبعاً..

والعلماء يفسرون ذلك بطريقة علمية وأبحاث. أما أهل (أثيوبيا) فإنهم يقولون أن الضفادع لم تكن تصرخ أو تتكلم قبل أن يشب الحريق في القرية.

أية قرية وأية حريق.. ولماذا صاحت وتكلمت الضفادع؟

يجيب الإيثوبيون قائلين:

- كانت هناك قرية تتكون من عدة أكواخ، بناها أصحابها من القش والأخشاب وأغصان الشجر.. وجوار القرية كانت هناك بركة كبيرة - تعيش فيها قبيلة كبيرة.. بل قل شعباً من الضفادع.. وكانت لهم ملكة وكان لهم ملك.. ولم يكن لهم صوت.. أى صوت.. كانوا صامتين كالماء وساكنين كالظلام والتراب. وذات ليلة اشتعلت النيران في أحد الأكواخ.. ورأت الملكة ما حدث.. فصاحت:

- يا للهول .. النجدة .. النجدة .. الحقونا .. انقذونا ..

وقال الملك الضفدع:

- لماذا تصيحين .. يا للهول، النجدة .. النجدة .. إلحقونا انقذونا.

قالت الملكة الضفدعة:

- ألا ترى أن البيت يحترق؟ .. وها هو بيت آخر يحترق .. وثالث ..

وسرعان ما ستحترق القرية كلها .. قال الضفدع:

- إننى أرى ذلك ومع ذلك لا أصيح .. يا للهول النجدة .. النجدة ..

لأنه لا شأن لنا بهذا .. ستحترق القرية ولكننا لن نحترق .. نحن هنا

سالمون وسط الماء .. الماء لا يحترق يا ملكتى الذكية .. فلنبق هنا ..

وسوف ننجو بالتأكيد .. ولذلك كفى عن الصياح ..

ازدادت عينا الضفدعة اتساعاً من الدهشة، بسبب غياب زوجها الملك

الضفدع، وصاحت بصوت أعلى:

- يا للهول .. النجدة .. النجدة .. ألا تفهم .. صحيح، أنا سالمون

الآن .. ولكن بعد قليل سيأتى الجميع ليأخذوا الماء من البركة لإطفاء

النار .. وسيأخذونا مع الماء ليلقوا بنا وسط اللهب ... وساعتها سنحترق

ولن نكون سالمين ... يا للهول ... النجدة ... النجدة ... إلحقونا وهنا

اتسعت عينا الملك الضفدع أكثر وبرقت رعباً .. وصاح:

- يا للهول .. النجدة .. النجدة .. انقذونا.

وما أن سمعت الضفادع ملكها وملكته يصيحان، حتى أخذ الجميع

يصيحون أكثر .. ويضيفون:

- يا للهول.. النجدة.. النجدة.. الحقونا.. انقذونا..
واطفىء الحريق طبعاً بعد ذلك.. أو رغم ذلك..
ولكن الضفادع ظلت تصيح منذ ذلك اليوم:
- يا للهول.. النجدة.. النجدة!!
الحقونا.. انقذونا!..

الضفادع التي دخلت المعركة

عند شاطئ البركة، وحيث تعيش قبيلة من الضفادع، تشاجر ثوران ذات يوم.. كان الثور الرمادى يشرب عندما اندفع نحوه الثور الأسود فنطحه نطحة قوية، جعلته يغوص فى الماء.. وضحكت الضفادع ضحكاً صاخباً لأن الثور الرمادى (بقلل) ونفخ فى الماء حتى كاد أن يختنق.

استدار الثور الرمادى وخرج من البركة وأخذ يضرب الأرض بقدميه الأماميتين وهو يخور فى غيظ.. بينما ثبت الثور الأسود رأسه ناحية الأرض وهو يزوم مهدداً.. فرحت الضفادع وزاقت، وخرجت جميعها من الماء تشاهد المنظر المثير.. وانقسمت إلى فريقين كل منهما يهتف لأحد الثورين.. قال الأولون:

- الرمادى.. الرمادى.. خير ثور فى ها الوادى..

بينما راح الآخرون يصرخون:

- أسود أسود مثل الليل..

سوف يريك عذاب الويل..

وحميت المعركة.. واشتد الصراع.. ومع الصراع اشتد الزياط والصراخ.. وهرست الحوافر عشرات الضفادع من الجانبين بلا تمييز..

وتناثر الطين والماء مختلطاً بالأشلاء والدماء.. والضفادع تصرخ وتهلل، ولم يكن أحد يميز في أصوات الضفادع بين صراخ الحماس وبين زعيق الألم!

وانتهت المعركة.. ووقع أحد الثورين كالتل فوق جمع من الضفادع، فهرسه في الطين وهو يزوم من الألم.. ومضى الثور الآخر يرقص فرحاً منتصراً وهو يدوس في رقصته المرحية، الفرحة مئات من الضفادع من التي كانت تحاول الهرب دون جدوى...

وانطلق المنتصر إلى الوادي وهو ينعر.. نعيراً، بينما رقد المنهزم وهو يئن كثيراً...

واختفت أصوات الضفادع أو كادت.. وهمست ضفدعة كسرت رجلها الخلفية، وهي تجر جسمها بصعوبة لصديقة أخرى قطعت يدها: هل تعرفين من الذي انتصر.. الأسود أم الرمادي؟! فردت عليها الأخرى:

- لست متأكدة، ولكنى أعرف أننا نحن الضفادع قد هزمنا هزيمة مؤكدة!!



السمكة التي تحترم القانون

حدث في بحر من بحار الدنيا الواسعة، ذات يوم، أن أرادت سمكة كبيرة أن تأكل سمكة صغيرة، كعادة الأسماك في كل بحار الدنيا، لكن السمكة الصغيرة كانت سمكة مختلفة عن غيرها هذه المرة، لقد كانت سمكة (مثقفة). درست قوانين البحر في إحدى مستعمرات القواقع اليابانية، وقرأت كل كتب الحرية التي تزدهم بها أرفف المكتبات في خلجان بحار الشمال. وكانت تؤمن أن لكل الأسماك حق الحياة، حتى ولو كانت سمكة صغيرة مثلها وكانت تتركب كل التيارات المائية لتبشر بالحب بين الأسماك، ولذلك فوجئت تماماً بمحاولة السمكة الكبيرة إلتها مها بالرغم من ثقافتها، فأخذت تصرخ وتحتج:

- هذه ليست عدالة، إن لي الحق في أن أعيش أنا أيضاً، كل الأسماك متساوية في الحقوق، كل الأسماك حرة.. هذا هو القانون!!

واتسعت عينا السمكة الكبيرة من الدهشة، لا لأنها تسمع هذا الكلام لأول مرة فقد سمعته كثيراً ولكن لأن السمكة الصغيرة تصرخ بحماس لا يليق بسمكة مثقفة مثلها.. فقالت لها في هدوء:

- ولماذا تصرخين هكذا أنا أيضاً احترم القانون، وأؤمن مثلك أن كل الأسماك لها حقوق متساوية أمام القانون، والقانون لا يمنعني من ابتلاعك، أقصد أنه يعطيني الحق في ابتلاعك كما أنه يعطيك نفس

الحق .. فهيا ابتلعيني من فضلك، إن أردت أننى أرحب بذلك فهو حق لك ..

وهدأت السمكة الصغيرة، بل وقال بعض من شاهدوها أنها ابتسمت فى رضا، وفتحت فمها قدر استطاعتها محاولة ابتلاع السمكة الكبيرة، دون جدوى، لا من الرأس ولا من الذيل ..

ولما عجزت تماماً، كفت عن المحاولة ووقفت صامتة عاجزة حتى عن إبداء إعجابها بسيادة القانون ...

وتقدمت السمكة الكبيرة فى هدوء وقالت:

أرأيت إن لكل منا نفس الحقوق! ..

ثم ابتلعها ببساطة!! .



الأرنب الذى صادق القنفذ

كان الأرنب والقنفذ صديقين حميمين .. لم يكن الأرنب ينام الليل إلا إذا اطمأن على صديقه القنفذ .. ولم يكن القنفذ يحس بالراحة أو يغمض له جفن، إلا إذا لعب كل يوم مع صديقه الأرنب ..

كان كل واحد منهما يحب الثانى أكثر مما يحبه الثانى .. ولكنهما كانا يسكنان فى مكانين بعيدين، كل منهما أبعد من الثانى .. فكانا يقطعان مسافة كبيرة كل يوم ليرى كل منهما الثانى .. ولذلك جائتاهما فكرة .. والحقيقة أنها جاءت لكل منهما فى الوقت الذى جاءت فيه للثانى فالمثل الشعبى يقول .. من القلب للقلب رسول ..

ولذلك ضحك كل منهما فى وجه الثانى، عندما التقيا ذات يوم، وقالوا فى وقت واحد:

- هل تفكر فيما أفكر فيه؟ -

وطبعاً كانت إجابة الأول مثل إجابة الثانى .. أنها فكرة رائعة جداً .. وعلى الفور أخذوا يبحثان عن مكان يصلح أن يكون بيتاً لهما .. ليوفرا على نفسيهما التعب والانتقال كل يوم لكى يرى كل منهما الثانى .. ووجدوا مكاناً جميلاً فى المسافة بين بيت الأول وبيت الثانى .. وحمل كل منهما أثاث بيته وحاجياته إلى البيت الجديد ونظفوا المكان

حوله من الأعشاب والأحجار تماماً.. إلا من بقايا جذع شجرة قديم
كان مغروساً في الأرض، في المسافة بين الطريق وبين باب البيت.

قال الأول للثاني:

- لا بد من انتزاع هذا الجذع السخيف لأنه سيعوق حركتنا في
الدخول والخروج.

ورد الثاني على الأول:

- بالتأكيد.. لا بد من انتزاعه.. هيا إلى العمل..

وبذلاً جهوداً جبارة ولكنهما لم يستطيعا، إذ كانت جذوره عميقة
ومتشعبة بدرجة كبيرة.. ولما أرهقهما التعب وأحسا باليأس، قال الثاني
للأول:

- على كل حال.. ليس هناك ضرر كبير من تركه في مكانه.. فليس
له أهمية ولن يكون خطراً.

ورد الأول على الثاني:

- فعلاً.. الأمر لا يستحق كل هذا التعب.. هيا بنا نلعب.. ومضت
أيامهما في سعادة ووجداء وقتاً للعب واللهو.. كانا ينظفان المنزل معاً..
ويجمعان الغذاء معاً في وقت بسيط ثم يقضيان يومهما في الجري
واللعب والضحك.. كانت أيامهما سعيدة وبيتهما يضحج بالضحكات..
ونسياً تماماً مشكلة ذلك الجذع الرابض أمام البيت.. ثم بدأت آفات الألم
وصيحات البكاء تختلط شيئاً فشيئاً بالضحكات.. في البداية تعثر الأول
في الجذع فوق على أنفه.. وصرخ باكياً. وفي اليوم الثاني.. اصطدم
الثاني بالجذع ولولا أنه قفز في الهواء لوقع على رأسه وشقها.. لكنه

أصيب بكسر فى ساقه .. جعله يعرج لمدة أسبوع .. ومرة أخرى انكفأ
الأول وكان يحمل دلوأ مملوءأ بالماء فانقلب الدلو فوق رأسه وتدحرج به
وهو يصرخ طالبأ مساعدة الثانى .

وكان الأمر يزداد سوءأ كل يوم عن اليوم الثانى .. وذات يوم .. قال
الأول للثانى :

- هل تفكر فيما أفكر فيه ..

ورد الثانى وهو يتأوه :

- إنها فكرة رائعة .. وإن كانت متعبة .. ولكن يجب أن ننتزع هذا
الجذع السخيف من جذوره .. وإلا صارت حياتنا جحيماً .. واستند
الثانى على ذراع الأول وأمسك الأول بكف الثانى وابتدأ الإثنان فى
صبر وإصرار فى حفر التراب حول الجذع لانتزاعه .



الأرنب الذى خاف من أذنيه

فى سكون الظهيرة، استلقى السبع تحت شجرة وارفة، وراح فى النوم.. ولما ارتفع شخير سكت الفئران والجنادب وسكنت.. ومشت الثعالب على أطراف أصابعها وابتعدت العناكب.. ولكن ظبيان من ذوى القرون لم يكن عندهما خبر.. أغراهما السكون والهدوء فنسيا الحذر.. وراحا يلهوان ويلعبان.. ويقتلان سعيدين بقرونهما الجديدة..

وأثناء صراعهما ولهوهما تدحرجا ناحية السبع، فنطحه أحدهما نطحة شديدة أوجعته، ولما زار الأسد متألماً فر الظبيان هارين إلى السهول.. ولكن الأسد لمح ظل القرون، فأصدر أمره إلى ذنابه وثنالبه وضباعه أن تطارد ذوى القرون فى كل مكان.. انتقاماً للحادث الذى كان!..

ومضى جيش الذئاب والضباع والثعالب باسم السبع يطارد الغزلان والبقر.. ويقتل الجاموس والآيائل.. ولم يترك صاحب قرن فى الغابة والوديان دون عقاب.. للنطحة التى أصابت ملك الغاب..

وعند النهر كان أحد الأرانب يبحث عن طعامه، عندما شاهد فى الماء صورته.. فملاً الذعر قلبه.. إذ كانت أذناه ممدوتان كقرنين عظيمين فوق رأسه.. فانطلق يجرى هارباً ناجياً بنفسه!..

و سأله بعضهم عن سر هربه وخوفه والعقاب لا يكون، إلا لأصحاب القرون؟

لكن الأرنب استمر فى جريه، وهو يقول:

- لى أذنان نعم، وليس لى قرنان.. أنا أعرف ذلك، ولكن ذئاب السبع لا يعرفون ولو بقيت لأقنعهم بذلك.. فلا بد أننى لامحالة.. هالك!!
وانطلق يجرى بحثاً عن مكان، يمكن للذئاب فيه أن تفرق بين ظل القرون وظل الآذان.

الأرنب الذى يحمل الأخبار

أعلن ملك الغابة الحرب على ملك غابة أخرى، فجمع جيوشه وأمرهم جميعاً بالاستعداد للقتال.. وأخذ الدب قائد الجيوش يرتب الصفوف والمهام، فراح القرد يضرب الدفوف، وتقدم النمر إلى الأمام.. ليبدأ الهجوم.. وحمل الفيل الأسلحة والطعام.. وطرد الحمار لعدم الحاجة إلى حوافره، واستبعد الأرنب لأنه جبان.. بينما راح الثعلب يدرس الخطط، ويرتب دور الحيوانات، ابتداء من ذوى القرون وانتهاء بالقطط، ولما جاء السبع ليطمئن على جيشه وقوته، سأل عن الحمار والأرنب، فشرح له الدب سر فعلته.. فليست بهم حاجة لحوافر الحمار.. ولا للأرنب الذى لا يتقن غير الفرار. لكن الأسد ضحك وقال:

- كل واحد هنا مهم.. والقائد الذكى هو الذى يجد لكل واحد مهمة.. ونادى للحمار وأمره أن يتقدم الصفوف معلناً بنهيقه المعروف عن مسيرة الجيوش. فتقدم الحمار بالنهيق والزعيق يخلى لهم ويفسح الطريق.. ولما سأل الدب عن مهمة الأرنب، الذى سوف ينتهز أقرب فرصة ليهرب.. قال له الأسد:

- حين يحين الوقت سوف تعرف.. إمسه جيداً وحينما نريد.. أطلقه من محبسه يجرى كالإعصار.. ليعود للديار بالبريد، وبما نريد من أخبار.. أو ليبشر الأهل بالانتصار!..

الكلب الذى وجد صديقاً

يحكى أنه فى قديم الزمان، لم يكن الكلب يعيش مع الإنسان، ولكنه كان يعيش وحده، فى غابة كبيرة، حتى جاء يوم من الأيام ضجر الكلب، وتعب من الحياة وحيداً، فخرج يبحث عن رفيق أو صديق يشاركه العيش، وبينما هو على الطريق، قابله أرنب يجرى خائفاً مذعوراً فناداه قائلاً:

- يا صديقى الأرنب لماذا لا تأتى لتعيش معى، اللقمة اللذيذة تكفى اثنين؟

قال الأرنب:

- والله فكرة حلوة، أنا موافق.

وذهب ليعيش معه. وعندما جاء الليل نام الأرنب. ولكن الكلب ظل ساهراً وأخذ ينبح كعادته،. وهنا استيقظ الأرنب مذعوراً وصاح به..

- لماذا تنبح بصوت عال.. لو سمع الذئب صوتك سيأتى إلينا ويأكلنا، ستسبب لنا مصيبة. وهنا قال الكلب لنفسه: لقد صاحبت حيواناً جباناً، ومع الصبح تركه ومضى يبحث عن الذئب نفسه فلا بد أنه لا يخاف أحداً... ولما وجد الذئب، طلب منه أن يعيش معه، وافق الذئب وذهب معه، وكلما جاء موعد النوم أخذ الكلب يحرس المكان وهو ينبح، فقام الذئب مذعوراً يرتعش، وقال له:

- لماذا تنبح بصوت عال .. لو سمع الدب نباحك لأتى إلينا وقتلنا .
سترمينا إلى الهلاك .

قال الكلب لنفسه: إذن سأبحث عن الدب فهو الذى يستحق أن
أصاحبه . ومضى إلى الدب كى يعيش معه، ولكن عندما نبح الكلب
ارتعش الدب أيضاً وقال وهو يبكى:

- لماذا تنبح هكذا، أتريد أن يعرف الإنسان طريقنا، فيأتى ليسلخ
جلدنا، يا عم اسكت واخرس كما نحن خرس .

وهنا قرر الكلب أن يهجر كل هذه الحيوانات الجبابة التى لا تستحق
صداقته، ومضى يبحث عن الإنسان الذى يخافه الدب نفسه . قابل عند
طرف الغابة فلاحاً فعرض عليه صداقته ورحب الرجل بالكلب وأخذه
معه إلى كوخه . وحين خلد للنوم، أخذ الكلب يتجول حول الكوخ، وهو
يفكر فى صديقه الجديد، وقرر ألا ينبح إلا إذا حدث خطر حقيقى، لأنه
كان يخاف أن يجد الإنسان جباناً هو الآخر .

عند منتصف الليل، سمع الكلب صوت أقدام، فانطلق ينبح بقوة ..
واستيقظ الفلاح، ولكن لم يكن خائفاً، بل تناول عصاه الضخمة وريت
على ظهر الكلب، وهو يجرى معه صائحاً:

- هاته .. امسكه .. بسرعة ..

فرح الكلب جداً بصديقه الجديد الشجاع، وعاش معه حتى أيامنا
هذه .. ولم يعد يحس بالوحشة لأنه لم يعد وحيداً منذ ذلك الزمان
البعيد .



الذئب الذى صار متحضرأ

كعادته، كلما أتاحت له الفرصة تسلل الذئب ذات ليلة إلى حظيرة قروية، وسرق منها ديكاً سميناً ورائعاً. وحمله بسرعة إلى خارج القرية.. ولما اطمأن تماماً، وأحس بالأمان من المطاردة استعد لالتهامه فقال له الديك:

- يا لك من كافر زنديق.. ألا تصلى قبل التهام طعامك مثلما يفعل المتحضررون.. ألا تخشى لعنة الله..

فارتبك الذئب الذى سمع هذا الكلام لأول مرة، وأحس بخطورته فسأل الديك بعد تردد:

- وكيف يفعل المتحضررون ذلك.

فقال الديك:

- عليك أن تشبك يديك فى أدب، وتخفض رأسك فى إيمان وتغمض عينيك فى تضرع..

ومع أن الذئب لم يفهم تماماً سبب كل ذلك، إلا أنه عمل بالنصيحة، وشبك يديه وخفض رأسه وأغمض عينيه.. ومضت لحظة خاشعة ولكنه بدأ يحس بالملل فصاح قائلاً:

- هل أظل أصلى طوال الليل..

لكن أحداً لم يرد عليه.. فقد انطلق الديك هارياً من مدة طويلة. وما أن تبين الذئب حقيقة ما حدث، حتى صاح من الغيظ. وانفجر باكياً.

العصا التي تصنع العجائب!

كان الأرنب فى طريق عودته إلى منزله بعد غيبة طويلة .. وفى الطريق وجد قنفذاً جالساً تحت شجرة فجلس بجانبه ليستريح ..

- إلى أين أنت ذاهب ..

- أنا ذاهب إلى التل ..

- هل تسكن هناك ؟ ..

- أسكن هناك .. نعم مع أولادى . إنهم ينتظروننى منذ وقت طويل ..

هل تذهب إلى هناك ؟

فقال القنفذ:

- إنه نفس طريقى .. خذنى معك ..

وسار الإثنين يتحدثان .. وأثناء سيرهما تعثر الأرنب فى عصا كانت ملقاة على الطريق .. فأراد أن يرميها غاضباً ولكن القنفذ حملها وقال له:

- تنفع .. العصا لها فوائد كبيرة .

وضحك الأرنب من سذاجة صاحبه . الذى حمل العصا وكأنها شىء يستحق أن يحمل .. والدنيا مليئة بالعصى .. وبعد فترة اعترضتهما قناة .

وقفز الأرنب فوق القناة بسهولة . ولكن القنفذ لم يستطع .. لكنه ببساطة .. وضع العصا في منتصف القناة .. وهو ممسك بطرفها .. ثم طوح نفسه في الهواء وقفز فحملته العصا إلى الناحية الأخرى ولم يقل شيئاً .

وبعد قليل .. قابلهما مستنقع واسع مليء بالحجارة وكان الأرنب سعيداً لأنه يقترب من بيته .. فأخذ يقفز فوق الأحجار وهو يغنى . فزلت قدمه وكاد يغرق لولا أن القنفذ مد له العصا وجذبه إلى الشاطئ .

وعند الغابة، هاجمهما ذئب .. فتكور القنفذ ولم يستطع الذئب أن يقترب منه بسبب أشواكه .. فاستدار ليأكل الأرنب .. وانتهزها القنفذ فرصة .. وأنهال بالعصا عليه حتى أجبره على الفرار .

واقترب الصديقان من التل .. وكان الأرنب قد تعب تعباً شديداً .. فاضطر القنفذ أن يمد له العصا، ويشده إلى أعلى ليساعده على صعود التل . حتى وصلا إلى بيت الأرنب .

وبعد أن بقي القنفذ في ضيافة الأرنب قليلاً ، استأذنه في الرحيل، وبعد أن انتهى السلام .. طلب منه الأرنب أن يترك له تلك العصا العجيبة التي صنعت كل ما سبق . والتي ساعدته على عبور القناة، وأنقذته مرتين . والتي لا غنى عنها في أي رحلة .

لكن القنفذ ضحك وقال:

- يا صديقي ليست العصا هي المهمة .. المهم هو من الذي يستعملها؟

ضحكات التنين الأخيرة

كان يا ما كان .. زمان ... زمان ..

في بحر بعيد .. بعيد ليس له شيطان .. ولم يعرفه إنسان، يعيش تنين
ضخم يحب اللعب في الماء .. فكان يستلقى على قاع البحر ويحرك ذيله
وأقدامه فيثير الأمواج والعواصف .. أو ينفخ الماء فيثير الأعاصير ..
فيضحك ويغلبه السرور ..

وفي يوم من الأيام .. جاءت إليه سمكة فضية صغيرة ..
قالت له :

- افتح فمك لأنني أريد أن أتفرج على أسنانك اللامعة ؟
ودخلت السمكة .. ولكن التنين أغلق فمه .. وقال :
- ياه .. لحمها لذيذ جداً !

في اليوم التالي أخذ يبحث عن الأسماك الفضية .. حتى وجد طابوراً
منها يسير وهو يرقص ، فقال لهم وهو يبتسم :
- هل تريدون الفرجة على أسناني اللامعة ..

فرحت الأسماك وأسرعت إلى داخل فم التنين الواسع .. ولم تخرج
طبعاً .. لأن التنين أسرع وألقى بالطابور كله في معدته ..

وصار التنين بعد ذلك يبحث عن السمك الفضى فى كل مكان.. ثم أصبح يلتهم آلافاً من أسماك السردين وسمك موسى وسمك أبو منشار والقروش، بل أصبح يلتهم الحيتان نفسها..

وكبرت معدة التنين.. وقل السمك ولم يعد يشبع.. فسبح إلى الشاطئ.. وأخذ يخطف الأرناب والسناجب.. والغزلان ثم أخذ يدور بحثاً عن الحمير الوحشية والزراف.. وبعدها أخذ يقاتل النمر والضباع ثم لم يعد يكفيه لا سيد قشطة ولا الفيل..

وكبرت معدته.. وتضخم التنين أكثر فأكثر.. وأصبح سيره بطيئاً ولكن فمه أصبح أكثر اتساعاً.. فسار حتى وصل إلى قرية من قرى الصيادين.. وقال:

- يا سلام.. هنا سأجد كفايتى من الطعام..

وفتح فمه الواسع.. ليلتهم القرية، ولكن صياداً شجاعاً وضع فى فمه شراع مركب كبير فظل مفتوحاً ولم يستطع أن يغلقه قط.

وحتى هذا اليوم.. إذا ذهبت إلى قرية الصيادين هذه، فسوف ترى هناك عظام التنين وأسنانه البيضاء تلمع فى الشمس، وتستطيع أن تدخل لتراها، دون أن يصنع معك مثلما صنع مع الأسماك الفضية، قبل أن يقابل ذلك الصياد.. الإنسان!

صداقة الكلاب

كانت الشمس مشرقة، ونسمة البحر الطرية تهب ناحية البستان،
فتجعل الظل لطيفاً والنسيم عليلاً.. وأخذت الكلاب الأربعة.. عنبر
وبعجر وزنجر.. وأبو ذيل معدول.. تداعب بعضها البعض في ود
وحب..

قال بعجر:

- سيضرب تاريخ الحيوانات بصداقتنا المثل.. إننى لا أستطيع أن أعبر عن
مشاعرى نحو زنجر.. ولا أن أصف مكانة عنبر فى قلبى.. يا سلاااام..
- هو.. هو رد عليه عنبر فى امتنان:

- كم أود لو أن الحياة أتاحت لى مرة واحدة، أن أثبت لك أنك أعز
من أبى.. لا.. لا.. أعز من أولادى.. لا.. لا.. بل أعز من نفسى..
وزمجر زنجر وهو يقول:

- وأنا.. ألا تحبنى مثله.. يا..

لكن عنبر أسرع قبل أن يكمل قائلاً وابتسامة سخيطة تلوح على
وجهه..

- يا صديقى الحقيقى.. لم لا تدعنى أكمل كلماتى.. نحن الثلاث
سيضرب المثل بنا فى الصداقة الكلبية وسوف يخلد تاريخ البشر نفسه
وحكاياته هذه الصداقة.. هو.. هو.. هو..

أما أبو ذيل معدول فقال:

- لا تتسرع فى الحكم على الكلمات .. إنما العبرة بالأفعال .. الأفعال
هى امتحان الصداقة .. فلا تسرف فى هوهوة الحمافة ..
وزمجر الثلاثة فى وجهه زمجرة محبة وود .. وأخذ كل منهم
يداعب الآخرين بكل سماحة، ويؤكد لنفسه ولهم أنهم مثال ومثل ..
ومرت لحظات هنية فى المداعبة والملاعبة ..
وفجأة ..

ألقي أحد الناس بقطعة فاسدة من اللحم، ولست أدري هل كان ذلك
صدفة؟ .. أو أنه كان يقصد أن يقدم الدليل على عمق الصداقة
الكلبية؟ .. فما أن استقرت قطعة اللحم على أرض الحديقة .. حتى
ظهرت الحقيقة ..

طار الأصدقاء الثلاثة فى الهواء وانقضوا عليها، وفى الحقيقة قل
انقض كل منهم على الآخر، وسحقت الصداقة ومزقت بالأظافر
والأنياب، وتسلخ ثوب الود الكاذب .. مع تمزق الجلود والوجوه
والأجساد ..

ولم ينته الكلاب الثلاثة من تمزيق قطعة اللحم تمزيقاً، إلا وكانت قد
فرقت بين الثلاثة تفريقاً! .. واستدار أبو ذيل معدول مبتعداً لعله يجد
غيرهم صديقاً ..

قرصة البعوضة

تجرات بعوضة ذات يوم فقرصت الأسد، الذي كان نائماً في هدوء.. فقام مذعوراً متألماً وأخذ يخدش جبهته بأظافره حتى أدماها.. فلما رأى الدم صرخ مزمجرأ.. وجمع مجلس حرب الغابة.. وأخذ يرغبى ويزيد ويزأر ويهدد.. ثم أعلن الحرب على البعوض.. ولأن البعوض مخلوق تافه.. قرر أن يخوض ضده الحرب. وحده..

وخيم جو الحرب على الغابة.. إذ تجمعت أسراب البعوض من الشمال والجنوب ومن الشرق والغرب، آتية من برك الماء ومن المستنقعات الخفية داخل الغابات. بعد أن فشلت كل محاولاتها للاعتذار للأسد تجنباً للحرب.. وعجزت عن حل المشكلة بالمحاورة أو بالمفاوضات، فقد ركب السبع رأسه المقروصة.. مصمماً على الانتقام من تلك البعوضة المفعوصة!..

وقرب الفجر.. كان زئير الأسد يوقظ النيام على بُعد آلاف الأميال، فى السهول والآجام، لكن طنيناً وهزيماً.. وزمجرة مكتومة سمعت من بعيد ثم أخذت تقترب من جميع الجهات.. كالويل المجهول.. حتى غطت على جميع الأصوات.. وبدأت المعركة..

وفى الوقت نفسه اختبأت كل الحيوانات تاركة السبع لمعركته.. فدفنت الأفيال والخنازير البرية نفسها فى طين النهر.. وتوارت النمرور

والفهود بين كومات الورق المهمة .. واستلقت الدببة تحت جذوع
الأشجار .. بينما كان السبع محاطاً بسحابة كثيفة من الأجنحة الدقيقة
والأرجل الرقيقة .. والإبر التي لا ترحم ..

في البداية أخذ السبع يضرب الهواء شمالاً ويميناً .. في قوة وعنف
مطوحاً بالعشرات من المهاجمين . ولكن الإبر أخذت تفعل فعلها .. فوجد
نفسه يضرب جسده الملدوغ بعنف ويخريش جلده المنفوخ في
غضب .. ويركل رأسه بيديه في قسوة .. ويعض ذيله في وحشية حتى
حطم ضلوعه وهشم عظام جسده بنفسه .. وأخذ زئيره يئن .. وجعيره
يلين .. وجسده يستكن .. ويستكين .

وساد الهدوء .. إذ بدأت جيوش البعوض تبتعد، وتعود من حيث أنت،
ورفعت الوحوش رؤوسها من مخابئها، لتري ما حدث .. في صمت
ووجوم .

قالت سلحفاة في ألم أليم:

- البعوض قتل السبع العظيم ..

لكن ثعلباً قال في سخريّة:

- وما قتلوه وما هزموه .. ولكن الحماقة أعيت من يداويها ...



ثلاث خرافات عصرية قديمة جداً

- ١ -

خرج ملك الغابة مع حمار وحشى للصيد معاً..

وقد تسألنى لماذا يتعب الأسد نفسه ويخرج للصيد ما دام فى إمكانه أن يأكل الحمار!.. واسمح لى أن هذا سؤال ساذج.. لم يكن القدماء يسألونه، لأنهم يعرفون أن للأسد حكمة كبيرة فى استخدام الحمار لمطاردة فرائسه بدلاً من أكله.. ذلك لأن الأسود يملكون استراتيجية أكبر من الحمير.. المهم أن هذا ليس هو المهم فى حكايتنا.. لأن المهم أن الحمار ظل يطارد الفرائس حتى أجهد غزاة كبيرة قتلها الأسد بسهولة..

ثم قام الأسد بتقسيم الغزاة إلى أنصبة ثلاثة..

وزمجر وهو يقول للحمار:

- سأخذ القسم الأول لأننى ملك الوحوش..

فابتسم الحمار وهز رأسه موافقاً .. فقال الأسد:

- والقسم الثاني سأخذه لأننى شريك لك فى الصيد..

وازدادت ابتسامة الحمار وهز أذنيه فرحاً، لأن الأسد اعتبره شريكاً

له .. ثم قال الأسد:

أما القسم الثالث فسوف آخذه لأننى قمت بتقسيم الفريسة ..

وضاعت ابتسامة الحمار ولكنه هز رأسه موافقاً .. ومضى يبحث عن

بعض العشب ليسد جوعه .

ومن يومها اكتفت الحمير حتى الوحشية منها بمضغ الأعشاب.

- ٢ -

تقاتل أسد ودب بسبب جدى صغير اصطاداه فى نفس اللحظة ..
وكانت المعركة شرسة ودامية، وكل منهما مصمم على أن الجدى من
حقه وحده ..

وكان هناك ثعلب يراقب المعركة، وعينه على الجدى السريع ..
ولما لم يستطع أحد المتقاتلين التغلب على الآخر .. رقدا يلهثان من
التعب وقد سالت دمائهما وانهكتهما الجراح .. لدرجة أنهما لم يكونا
يستطيعان الحركة ..

وهنا تقدم الثعلب فى هدوء .. وهو يبتسم فى دبلوماسية يتقنها
الثعالب .. وقال:

- عفواً أيها العملاقان الجباران .. من كل قلبى أشكركما .. لأنكما
أجهدتما نفسيكما من أجلى ..

ثم انحنى لهما فى أدب .. واختطف الجدى وفر به .. بينما نظر كل
منهما للآخر وزمجرأ غيظاً وألماً ..

- ٣ -

كان عند رجل فقير (صنم) يعبده (أيام عبادة الأصنام طبعاً!!) ..
ويظل يصلى له ويستجديه أن يمنحه المال والطعام دون جدوى .. فقد
ظل (الصنم) لا يستمع إليه، ولا يعيره أى اهتمام .. بل ولم يرد عليه
أبداً .. وذات يوم .. اغتاض الرجل من نظرة الصنم الصارمة التى لا
تتغير .. وغضب لقسوة قلبه وقلة رحمته .. فحمله وضرب به الحائط
بقسوة .. فتحطم الصنم .. ولدهشة الرجل .. تناثرت من جوفه كمية
كبيرة من الدنانير الذهبية .. فقال:

- عجيب أمرك أيها النصاب .. عندما عاملتك بالود والرحمة
والطاعة لم تقدم لى أى خير .. وعندما حطمتك ملأت حجري ذهباً!
ومن يومها دأب البشر على تحطيم أصنامهم!



(٢)
حكايات وأساطير إفريقية

تلك الكائنات الحكيمة..)

حكايات جوزو

فى يوم من الأيام، كان يعيش فى إفريقيا رجل حكيم اسمه (جوزو)، وكان (جوزو) الحكيم يعيش وحيداً.. ليس وحيداً بالضبط.. لأن الأطفال كانوا يحضرون إليه، فى الليالى القمرية من كل مكان ليحكى لهم حكايات جميلة.. وذات يوم كان (جوزو) يجلس تحت شجرة جوز الهند فى انتظار حضور الأطفال، وكان القرد فوق الشجرة يأكل ويلهو فى حماقة، فأسقط إحدى الجوازات فوق رأس (جوزو) فقتلته. ولا أحد يدري إن كان القتل قد حدث صدفة، أم أن القرد الأحمق تعمده، لكن الذى حدث أن القرد عندما رأى ما حدث، أسرع بالهرب والاختفاء فى الغابة.

وجاء الأطفال، لكنهم وجدوا صديقهم الحكيم مقتولاً، وعثروا على ثمرة الجوز إلى جواره فقالوا:

- لا بد أن الرياح الجنوبية هى التى فعلت ذلك. وأسرعوا جميعاً إليها للانتقام منها، ولكنها خافت منهم، فقالت وهى تواصل الهرب بسرعة:
- أنا لست قوية إلى هذه الدرجة، إننى لا أستطيع أن أسقط ثمرة مثل ثمرة جوز الهند، لا تظنوا أننى قوية جداً، فإن أى باب فى بيت يستطيع أن يمنعنى من الدخول، إن أى باب ولو كان صغيراً أقوى منى فى الحقيقة..

فأسرع الأطفال لكي ينتقموا من الباب، لكن الباب قال لهم وهو يرتجف خوفاً:

- أنتم مخطئون إن ظننتم أنى قوى، فالحقيقة أن أى فأر فى الدنيا أقوى منى، يستطيع أن يقرض أخشابى، وأن يخرقنى لو أرا د...
ولما أراد الأطفال قتل الفأر انتقاماً لموت صديقهم العزيز الحكيم (جوزو) صرخ الفأر مرتعداً:

- أنا لم أقتل (جوزو)، ولم أسقط ثمرة جوز الهند، فأنا لست قويا بأى حال، القطة أقوى منى، ترعبنى نظراتها وتشل حركتى تماماً...
ولكن القطة دافعت عن نفسها، وأنكرت أنها قوية، وقالت للأطفال:
- إن أى حبل من الكتان أقوى منى كثيراً، فهو يستطيع أن يقيد حركتى تماماً ولا أستطيع أن أخلص نفسى، خاصة إذا ربط جيداً حول عنقى...

ولكن الحبل أنكر هو الآخر أنه قوى، علاوة على أنه لم ير (جوزو) هذا، ولم يقتله طبعاً، لأنه أضعف من ذلك كثيراً، وأخذ يتلوى خائفاً وقال لهم:

- إن السكين أقوى منى بكثير، إنها تستطيع أن تقطعنى قطعاً صغيرة جداً كما تشاء..

ولما حاول الأطفال الانتقام من السكين، صاحبت خائفة منهم:
- لا تفعلوا ذلك، فأنا لست قوية لهذه الدرجة، فالنار أقوى كثيراً منى، إنها تستطيع أن تصهرنى تماماً. لدرجة أننى أصبح كالماء

نفسه .. وخافت النار طبعاً من انتقام الأطفال فأسرعت تتنصل من قوتها
قائلة:

- لا .. لست أنا .. فالماء أقوى منى بالتأكيد، إن أقل كمية منه
تستطيع أن تخمد لهيبى ...

ولم يجد الماء حجة ينجو بها من انتقام الأطفال إلا أن يقول:

- لا تخطئوا معي يا أصدقائي، فالثور هو الأقوى بالتأكيد إنه يشرب
منى كميات ضخمة كل يوم، ولا يمكنى منعه أو الاحتجاج عليه ...

وهنا أسرع الأطفال يبحثون عن الثور باعتباره الأقوى والأقدر على
إسقاط ثمرة جوز الهند، التي قتلت صديقهم، لكن الثور ضحك قائلاً:

- إن الذبابة أقوى منى .. وإن كنتم لا تصدقون قولي، فشاهدوا
بأنفسكم عجزى عن طردها عندما تقف على جلدي لتلدغنى ..

وارتعشت الذبابة رعباً وصاحت:

- لا تصدقوا ذلك .. فالقرد الذى يسكن شجرة التين أقوى منى بكثير
لأنه يبتلعنى فى غمضة عين .

وأسرع الأطفال (أصدقاء جوزو) إلى شجرة التين وهم مصممون
على الانتقام لصديقهم، وعندما شاهد القرد جموع الأطفال مقبلة نحوه،
وهى تصرخ وتهدد وتتوعد، أحس أن أمره قد انكشف تماماً، فلم يستطع
أن يدافع عن نفسه بكلمة واحدة، وتوقف عن ابتلاع الذباب وفشل فى
الهرب أو ...

وان كان (جوزو) قد مات.. ومات القرد الذي قتل (جوزو) أيضا..
إلا أنني أؤكد لكم أن الحكايات التي كان (جوزو) يبدعها ويحكىها
لأصدقائه كل يوم مازالت حيه تعيش في قلوب الأطفال الإفريقيين..
واقروا معي واحكموا بأنفسكم، أستم أيضا من أبناء إفريقيا؟.

.....



سباق مجنون مجنون

ذات يوم، بينما الوعل يجرى منطلقا فى الغابة، تعثرت أقدامه
بسلفاة فقلبها على ظهرها تماما، وأخذت السلفاة تصيح وهى ترفس
الهواء محاولة أن تعود لوضعها الطبيعى:

- هل أنت أعمى، ألا تستطيع أن تنتبه، وأنت تجرى؟

فأجاب الوعل فى هدوء وهو يطمئن على سلامة أظلافه:

- كيف يمكننى أن أنتبه لكل شىء يقابلنى، وأنت ترين أننى أجرى
بسرعة هائلة جدا... جدا..

فازداد غيظ السلفاة التى كانت ماتزال ترفس الهواء فى يأس:

- لا تتحدث هكذا بكبرياء، فلو أننى كنت مكانك لتواضعت قليلا،

وما تحدثت عن السرعة.. أية سرعة تتحدث عنها؟

- وأنا.. أنا التى لا أستطيع أن أعود لوضعى الطبيعى الآن - أستطيع

أن أسابقك فى أى يوم تختار... وسترى....

فأجاب الوعل بصوت أكثر هدوء، وهو يسوى خصلة الشعر النابتة

فوق قفاه:

- أنا لا أصدق ما تقولين طبعاً...

فازداد غيظ السلفاة وقالت فى حنق شديد وهى تجز على أسنانها:

- طيب.... أنا سوف أثبت لك ما أقول.. وسوف أريك من سرعتي ما يذهلك، ولا تظن أنني سأبقى على حالي، هكذا مقلوبة... وموعدنا بعد ثلاثة أيام.. هناك في السهل الأخضر، وعند شروق الشمس ستكون الواقعة بيننا، وسوف ترى يومها، كيف سألقنك درسا أيها المغرور..

ولم يكن أمام الوعل إلا أن يوافق في هدوء، ثم يمضى وهو يهز قرونيه في ثقة، ويبتسم ابتسامة ساخرة من السلحفاة التي كانت ماتزال ترفس الهواء، في محاولة مستميتة للعودة إلى وضعها الطبيعي.

وما أن عادت السلحفاة إلى وضعها الطبيعي، حتى انطلقت لزيارة كل قريباتها وصديقاتها من السلاحف، طالبة منهن الحضور في الوقت والمكان المحددين للسباق، ودبرت مع كل منهن أن تظهرن الواحدة بعد الأخرى على مسافات متباعدة، على طول خط السباق وهي تصيح ساخرة قائلة:

- أسرع... أسرع أيها الساذج فأنا مازلت أسبقك بمسافة كبيرة....

ورغم دهشة كل واحدة منها لهذا الهتاف الغريب إلا أنهم جميعا اتفقن على أن تفعلن بالضبط كما طلبت منهن السلحفاة.

وفي اليوم المحدد، وعند شروق الشمس تقابل الخصمان واتفقا على نقطة البدء... ثم انطلقا، وفي الحقيقة انطلق الوعل وحده، بينما ظلت السلحفاة مكانها ولم تتحرك... ولكن ما حدث كان شيئا غريبا. فما كاد الوعل يقطع عدة ياردات، حتى ظهرت سلحفاة أمامه صائحة في سخرية

- أسرع... أسرع أيها الساذج فأنا مازلت أسبقك بمسافة كبيرة..

ودهش الوعل فى المرة الأولى .. وزادت دهشته عندما حدث ذلك
ثانية ... ولكن الأمر تكرر حتى كاد الوعل أن يجن، ومهما كان يسرع
أكثر، كان يرى السلحفاة أمامه باستمرار وهى تصيح ساخرة مشجعة:
- أسرع .. أسرع أيها الساذج، فأنا مازلت أسبقك بمسافة كبيرة .
ومرة بعد مرة كان يمر بها ليراها أمامه، ثم يعبرها ليراها أمامه
مرة أخرى ... حتى طار عقله وكانت المرة العاشرة التى تكرر فيها
هذا .. كافية لأن تجعله يستدير نحو الغابة، هاربا بجلده، والخوف يكاد
يقتله . ولم يكمل السباق .. طبعا

لعبة شد الحبل

لم تكن السلحفاة تعيش في البداية حياة هادئة كما هي الآن، إذ كانت لها في كل يوم مشاجرة، وفي كل ليلة مغامرة، وذات يوم تشاجرت مع الفيل لسبب تافه فقالت له:

- إنك دائم التفاخر بقوتك... ولكنني أعتقد أنني أكثر منك قوة في الحقيقة... وضحك الفيل حتى إلتوت (زلومته) وقال ساخرا:

- أنت؟.. هاهاه... إنني أحب أن أرى كيف يكون ذلك... يا صديقتي السلحفاة؟... فقالت السلحفاة في تحد وإصرار...

حسنا جدا.. طبعاً ستري، نعم سوف ترى كيف يكون ذلك، فما أبسطه - هه؟ ستلاعبنى شد الحبل، أنا عندي حبل من الكتان المتين جلت به من بلاد الفلاحين سنرى من منا سوف يهزم الآخر، إذا لم تتراجع الآن.

وكان لا بد أن يوافق الفيل وإلا ضاعت سمعته وفقد مكانته، خاصة وإن بعض الفئران سمع مادار من حديث وشجار وبين السلحفاة، وإن كانوا لم يفهموا حكاية الحبل المتين الذي جاءت به السلحفاة من بلاد الفلاحين....

وتركته السلحفاة وذهبت إلى حيث كان الخرتيت يلوك بعض الحشائش في غباوة فافتعلت شجارا معه وتحدثه قائلة: مالك تجلس

هكذا بليدا كالضفدعة، أتظن نفسك قويا إلى هذه الدرجة؟ إننى أقوى منك بالتأكيد، مهما حاولت أن تتظاهر بالهدوء والثقة، فأنا قادرة على هزيمتك..

وتعجب الخرتيت من وقاحة السلحفاة، ولكنه اضطر لقبول التحدى، خاصة وإن السلحفاة دعته إلى لعبة غريبة تسمى: شد الحبل، وحددت الموعد والمكان على أن تحضر السلحفاة الحبل ليحرب كل منهما قوته مع الآخر...

وفى اليوم التالى أحضرت السلحفاة الحبل وأعطت طرفه للفيل شارحة طريقة اللعب:

- امسك هذا الطرف وعندما أنادى «شد»، نبدأ اللعبة... وسوف نرى ما الذى سوف تفعله.

وأمسك الفيل بطرف الحبل ووقف ينتظر صيحة البدء....

بينما انطلقت السلحفاة إلى الخرتيت وناولته الطرف الآخر واتفقت معه كما اتفقت مع الفيل.. وكان الحبل طويلا... وقد اختارت السلحفاة الماكرة مكانا كثيف الأشجار حتى لا يمكن لأحدهما أن يرى الآخر.. بينما وقفت هى فى منتصف المسافة ثم صاحت بالاثنين زاعقة:

- شد الحبل.. . ابتهدى...

وبدأ كل من الفيل والخرتيت يشد الحبل بكل ما استطاع من قوة، ولم يكن أى منهما ينتظر أن يلقى مقاومه ذات قيمة، فما من فيل يصدق أن سلحفاة سوف تقف فى مواجهته وما من خرتيت يظن لحظة واحدة أن سلحفاة ستجعله يتصبب عرقاً...

وأخذ كل منهما يبذل غاية جهده، ولكن أحدهما لم يستطع أن
يزحزح الآخر شبرا واحدا... وانتصف النهار وهما يزمجران وينفخان
وهما يشدان الحبل...

وحل المساء وقد وهنت قواهما. وعند حلول الظلام صاحبت السلحفاة
من مكانها:

- ألا ترى أن هذا يكفي اليوم... لقد تعبت بالتأكيد فأنا هنا أسمع
صوت لهائك... كفانا اليوم ولنتواعد في الغد كي نكمل السباق...
وظن كل منهما أن السلحفاة تخاطبه، فوافق وارتقى على الأرض
تعب، وذهبت السلحفاة إلى الفيل وخاطبته قائلة:

- ألا تظن أن ما حدث يكفي... إن من الواضح أن قوانا متساوية
فلماذا لا تترك الخلاف... فلا ينبغي للأقوياء من أمثالنا أن يبددوا قواهم
في الشجار..

ووافق الفيل وقد سره أن يكسب صديقة قوية مثل السلحفاة. ثم
ذهبت إلى الخرتيت ووصلت معه إلى الاتفاق نفسه، وفرح الخرتيت
لأنه وجد حليفا يضاهيه في القوة، يمكن الاعتماد عليه..

وعاشت السلحفاة طويلا على هذه الخدعة... بل وقد كررتها كثيرا
مع حيوانات أخرى وكانت تقول لنفسها - إذا كنت قد استطعت أن
أخدع هذين العملاقين بهذه السهولة فهل يستطيع أحد أن يخدعني؟

اغسل يدك يا قرد

فى يوم من الأيام، قرر القرد أن يسخر من السلحفاة فدعاها لزيارته، ثم قدم لها خبزا مصنوعا من الموز، وضعه فى سلة عميقة. وقد حاولت السلحفاة أن تصل إلى الخبز لتأكل منه دون جدوى فأسرت الأمر فى نفسها، وغادرت بيت القرد وهى تغلى من الغيظ، بعد أن قالت لمضيفها:

- لقد أصبح الوقت متأخرا، وعلى أن أعود إلى بيتى قبل أن ينام الأطفال، لأحكى لهم عنك، وعن كرمك، ولا بد أن تعدنى بالحضور لزيارتى، فى بيتى فى أقرب فرصة لتتعرّف عليهم...

وبعد يومين ذهب القرد تلبية لدعوة صديقه السلحفاة، التى حمرت كتكوتا سميّنا وأعدت له مائدة شهية... وما أن جلس الاثنان إلى الطعام، حتى قالت السلحفاة لصديقها بامتعاض وهى تتأمل يديه:

- لا يا صديقى لا.. إن أى حيوان متحضر يجب أن يغسل يديه قبل الأكل، ولا يمكن أن يأكل قرد مثلك طعاما شهيا مثل هذا ويداه قذرتان هكذا..... إنهما ليستا قذرتين فقط ولكنهما فى الحقيقة شديدتى القذارة، فأذهب واغسلهما فى الجدول... ألا ترى سوادهما هذا الذى يكاد أن يكون بنيا؟

ونهب القرد لكى يغسل يديه فى الجدول القريب، وأخذ يدعكهما بشده، ولكن شدة دعه لهما لم تغير شيئا من سوادهما، وجرب أن

يدعكهما بالرمل، ولكن جلده التهب ولم يتغير لون يديه .. فعاد يدعكهما بالليف الخشن بلا فائدة .. حتى هبط الظلام ولم يكن لون يديه قد تغير، ففضل أن يعود إلى بيته طبعاً، دون أن يتذوق الكتكوت المحمر، الذي كانت رائحته تملأ خياشيمه الجائعة....

وعند أول الطريق قالت السلحفاة للقرود متشفية فيه:

- طبعاً لم يغير الغسيل لون كفيك... لأنهما لا يمكن أن يتحولا إلى اللون الأبيض.... أنا أعرف هذا جيداً، مثلما كنت تعرف أنني لا أستطيع الوصول إلى خبز الموز الذي تعددت وضعه في سلتك العميقة يا صديقي العزيز... مع السلامة.

النبات الذى غلب الحيوانات

بعد أن عاشت السلحفاة حوالي ٣٠٠ سنة أو ما يقرب من ذلك، خاضت خلالها الكثير من المغامرات، وخذعت الكثير من الحيوانات... استيقظت كل الحيوانات ذات صباح على صوتها يدعو إلى اجتماع عاجل... وعلى الرغم من معرفة الحيوانات جميعها بقدرة السلحفاة على الخداع، إلا أنها كانت تثق فى حكمة (السلحفاة) ثقة كبيرة، ولذلك حضر الجميع ولم يتخلف أحد، حتى أولئك الذين كانوا ضحية خداعها ذات يوم.. فلا بد أن وراء دعوتها لهم أمرا خطيرا .

ووقفت السلحفاة وسط الجمع الحاشد وصاحت محذرة:

- أيتها الحيوانات.. إننى أحذركم، هناك نبات خطير ينمو فى هذه الغاية.. إن لم نقض عليه فورا... فإنه سوف ينمو ليقضى علينا جميعا.. هل تذكرون ذلك الحبل اللعين الذى جاءنى ذات يوم من بلاد الفلاحين.

وتهامست الحيوانات فيما بينها عن هذا النبات، ثم انفجرت جميعها ضاحكة فى سخرية إذ كانت خدعة الفيل والخرتيت قد انكشفت منذ زمن طويل وظهرت حقيقة قوتها المزعومة، ووجدتها البعض فرصة للانتقام من حكمة السلحفاة (المزعومة)، فكيف يمكن أن يقضى نبات أيا كان حجمه وشكله على الحيوانات... وقال البعض:

- يبدو أن السلحفاة قد أصيبت بالجنون، بسبب كثرة ما دبرت من مقالب، وما فكرت فيه من مكر...

ولكن آخرين أكدوا:

- أن من الطبيعي أن يخرف الحيوان حتى ولو كان سلحفاة، بعد أن يعيش ثلاثمائة عام كاملة.

وظلت السلحفاة تخطب في كل ركن من أركان الغابة مخلصمة، وتناقش كل من يقابلها محذرة ولكن أحدا منهم لم يصنع شيئا سوى المزيد من الضحك والسخرية منها...

ولكن نبات (الكتان) ظل ينمو ويتكاثر وينتشر في الغابة، ثم جاء الإنسان، وصنع من الكتان حبلا وربطه ثم أطلقه، فأصاب السهم طائرا كان يطير لاهيا في السماء...

وأسرعت السلحفاة إلى الطائر حيث وقع وقالت له:

- سخرت مني يوم قلت لكم دمروا هذا النبات.. سخرت مني ومن كلامي ونصائحي وإغاظة لي، صنعت لأطفالك عشا بين شجيراتك.. لو كنت استمعت لنصيحتي يومها لكنت اليوم طائرا تمرح، وتغرد في السماء.

وجاء إنسان آخر فصنع حبلا آخر، ربطه في عصا ودلاه في الماء، وسرعان ما أخرجه وقد علق فيه سمكة كبيرة حاولت التخلص منه (دون جدوى) وأثناء كفاحها من أجل الإفلات (دون جدوى) لمحت السلحفاة واقفة قريبا منها تراقبها، وهي تبتسم في حزن، فأخذت تلوم نفسها لأنها كانت أشد الأسماك سخرية منها، يوم دعت الجميع لإتلاف ذلك النبات والقضاء عليه..

ثم جاء إنسان ثالث، وفتل حبلا ثالثا، وصنع منه فخا وشبكة وربطهما بين الأشجار في طريق الغزلان.

ولما صاح الغزال الذى وقع فى الفخ يستنجد برفاقه جاءت إليه السلحفاة وقالت:

- والآن يا صديقى صغير السن ... هل تأكدت الآن أننى لم أخرف بعد، رغم أننى عشت ثلاثمائة سنة كاملة؟

أرأيت كيف يزداد العقلاء حكمة بمضى السنين؟ أرأيت الان يا صغير السن أن النبات يمكن أن يقتلك أم أنك مازلت تظن أن النباتات وجدت فقط لكى تأكلها أنت؟ ...

وظل الإنسان يصنع حبالا من الكتان .. وظلت الحيوانات حتى يومنا هذا تقع ضحية لذلك النبات الخطير...

ولكن السلحفاة كفت عن تقريع الحيوانات. عندما رأت أنها إما أن تموت وتذهب إلى التراب وإما إلى بطون البشر، فى صورة أكلة شهية مطبوخة أو مشوية، كل من حضر اجتماعها القديم مضوا جميعا. وجاءت بعدهم أجيال أخرى من الحيوانات لم تكن تستطيع أن تفعل شيئا لمقاومة ذلك النبات...

إذ أن الإنسان بعد أن عرف فائدته المؤكدة... بدأ فى زراعته خصوصا فى المناطق التى يصل إليها نفوذ الحيوانات....



ذئب وضبع

فى يوم من الأيام كان الذئب يتجول باحثا عن طعام عندما شاهد
عربة محملة بالسّمك الطازج قادمة على الطريق القادم من البحر...
فسال لعابه وهو يفكر فى كل هذه الكمية من الطعام اللذيذ... وفجأة
واتته فكرة ذكية لا تتفق كثيرا مع ما يحاول لغو الحكايات إصاقه
بالذئب من غباء... فقد أسرع يسبق العربة وعند أحد منحنيات
الطريق ألقى بنفسه وتظاهر بالموت... ولما اقتربت العربة قال السائق
لنفسه:

- يا للحظ السعيد... كأن الموت قد قتل هذا الذئب من أجلى.. ياله
من فراء جميل سأحصل عليه. فلست أعتقد أن الذئب مات هنا بالذات
إلا من أجل أن يكون هذا الفراء الفاخر من نصيبى...

ونزل من العربة وحمل الذئب، وألقى به فوق حمولته الشهية التي
اشبع جزء كبير منها جوع الذئب المتماوت، وأكثر من ذلك... ظل
الذئب يلقى بالأسماك على الطريق قبل أن يغافل السائق ويقفز من
العربة ليجمع ما ألقاه، ويحمله إلى بيته القريب...

ولم يكد الذئب يصل إلى بيته حتى جاءه الضبع زائرا فأعطاه سمكة
لذيذة... لما أكلها شكر الذئب، وسأله مزيدا من السمك، ولكن الذئب لم
يكن كريما إلى هذه الدرجة ودل الضبع على كيفية الحصول على ما

يريده من السمك إن هو فعل مثلما فعل هو.. خاصة وإن العربيات
المحملة بالسمك لا ينقطع سيرها على الطريق نفسها إلى المدينة طوال
اليوم...

وأضاف ناصحا:

- بشرط ألا تحرك عضلة واحدة وأنت نائم على الطريق حتى يتأكد
السائق من موتك، ويلقى بك فوق حمولته اللذيذة.. تذكر.. لا تتحرك
مهما حدث..

وفرح الضبع، وشكر صديقه وأسرع إلى الطريق، وما أن سمع
صرير عربة قادمة من بعيد، حتى أسرع وارتمى على الأرض متظاهرا
بالموت وهو يذكر نفسه بنصيحة صديقه، ألا يتحرك.....

وصاح سائق العربة عندما اقترب من الضبع المتماوت...

- ياله من جلد أجرب لعين أكلته العتة.....

وبعدها لا تسأل عما حدث.. فقد نزل غاضبا وهو يقبض على
عصاه الغليظة. وانهاه بكل قوته على الجسد النائم الذي ظل هامدا
كالخشب الميتة، حسب نصيحة الذئب الذهبية انتظارا لتحقيق ضربة
الحظ السعيدة، بأن يلقي به الرجل فوق عريته الزاخرة بالأسماك...

ولكن ما حدث كان مخيبا للآمال... فقد رفسه الرجل بقدمه، بعد
أن تعب من ضربة، وألقى به على جانب الطريق ومضى في طريقه..
وانتظر الضبع الذي كان على وشك الموت طويلا قبل أن يتحرك
من مكانه، فقد نصحه الذئب ألا يتحرك مهما حدث.



لكل غباء دواء

لما مرض الأسد ملك الحيوانات ذات يوم.. زارته في رقدته الملكية - كل الحيوانات على اختلاف أشكالها وألوانها، تتمنى له الشفاء، وتدعو له بالصحة عدا الذئب - الذى كان مشغولا جدا بأحد شئونه الخاصة، بالقرب من حظائر الأغنام الريفية.

ولما كان الضبع حانقا عليه منذ تلك العلقة التى نالها على طريق العريبات المحملة بالسّمك، فقد تقدم من الأسد قائلا:

- مولاي العظيم، إن أى ملك حيوانى أو بشرى، لا بد وأن يحسدك على حب رعيتك الوفية، ولكن ما يؤلمنى حقا: أن واحدا من رعاياك لم يرسل حتى برقية... أرأيت جحودا مثل هذا؟ إن الذئب بهذا يظهر عدم اهتمامه بصحتك، وكأنه يريد أن يراك - بعد الشر - ميتا.

زعق الأسد غاضبا، فانتفض ألما من الصياح، وأمر الضبع أن يبحث بنفسه عن ذلك الذئب الجحود، وأن يحضره بين يديه فورا...

ولم يكذب الضبع خبرا، وانطلق بكل ما بقى لديه من قوة يبحث عن الذئب حتى وجدته، يتمتع بالشمس الشتوية الدافئة، بعد أن التهم وحده خروفا صغيرا. مما جعل حنق الضبع عليه يزداد.. فنسى حذره، وأخبره بما ينتظره من عقاب بسبب إهماله السؤال عن صحة الملك المريض.

ولم يفت الذئب أن يخمن صادقا - أن الضبع قد وشى به وشاية
دنيئة - ولذلك فقد قال بكل ثقة في النفس عندما سأله الملك عن سبب
إهماله السؤال عنه:

- يا مولاي... وما فائدة سؤالي عنكم؟! وما قيمة أن يحضر إلى هنا
من يحبك حقا؟! ليراك؟ وأنت تتألم؟! ما أسهل أن يأتي حيوان إلى
بابك ويتظاهر بالبكاء والألم - وهو في الحقيقة منافق - أما من كان
مثلي يحبك حقا ولا يريد أن يراك مريضا هكذا.. فعليه أن يظهر
إخلاصه كما فعلت أنا - أنا الذي ما أن سمعت بمرضك، حتى انطلقت
إلى حيث دعاني واجبى سبدلا من أن أتى إليك هنا مبديا حزني،
متظاهرا بالألم.. انطلقت أبحث عن الحكيم الطبيب الساحر. أسرعت
أبحث عنه في كل مكان، لكي أحضر لك دواء يعيد إليك صحتك،
ويخفف عنك آلامك هذا ما أخرني عن الحضور وأظن أن لي عذرى
يا مولاي! أليس كذلك؟!

وزال غضب الملك.. وسكن ألمه قليلا وقد انتعشت آماله في الشفاء
وقال:

- هل أعطاك الحكيم الطبيب الساحر، أيا كان هو، دواء
لمرضي.....

ورد الذئب على الفور وهو يغمز بعينه للضبع قائلا:

- طبعاً يا مولاي، وهل كنت أحضر بدون ذلك لقد نصحتني أن
أطلب منك أن تنام حتى يوم شفائك على كوم وثير من الشعر النابت
فوق ظهر ضباع الغابة جميعاً، وفي هذا شفاء سريع وعلاج بديع...

وفى الوقت الذى كان الضبع الواشى وأهل عشيرته، يصرخون من
الألم بين أيدي حلقى الغابة، والذين اندفعوا بناء على أمر ملكى عاجل
ينزعون، شعر ظهور جميع الضباع.. كان الذئب يلتهم عشاء ملكيا
فاخرا بناء على أمر من الأسد، شخصيا، جزاء له على إخلاصه
العظيم.....

صفحات من حياة تعاليبو

خرج الغزال مع الثعلب ذات يوم للبحث عن طعام، وبعد تعب شديد بلا فائدة، اقترح الثعلب أن يذهبا إلى شجرة يعرفها.. بها الكثير من خلايا النحل...

ولما سأله الغزال الحريص عن صاحب ومالك تلك الخلايا، قال الثعلب مستنكرا سؤاله...

- وهل هذا سؤال... إنها ملك أبي.. ورثتها عنه، بعد موته فى خدمة الملك..

فاطمأن الغزال وقال..

- إذن ليس هناك خطر.. هيا بنا إليها..

وحمل الاثنان معهما حزمتين من القش لإشعالهما بالقرب من الخلايا ليطرد الدخان النحل بعيدا.

ولما صعدا إلى حيث الخلايا، أشعلا بعض القش لطرد النحل ثم التهما كمية لا بأس بها من العسل الطيب المذاق..

وفى الحقيقة.. لم تكن الشجرة ملكا للثعلب، ولم تكن ملكا لأبيه.. لقد كانت ملكا للأسد الملك المرعب حاكم تلك الغابة الذى حدث أن حضر فى اللحظة التى كان الثعلب والغزال قد أسكرتهما حلوة العسل

بعد أن أكلا حتى شبعا، فأخذا يغنيان ويصفران، ويتبادلان عبارات
الهناء والسرور.

لكنهما أفاقا من أحلامهما على زمجرة الأسد الغاضبة تحت الشجرة
يهددهما صارخا:

- كيف تجرؤان أيها الصعلوكان على سرقة العسل من منحلى
الملكى!؟

وكعادته فى المآزق الخطيرة .. تمالك الثعلب نفسه وهمس فى آذن
الغزال المرتعش قائلا:

- اسمع... لقد فاجأنا الملك ويبدو أنه قرر الاستيلاء على ميراث
أبى، ولكنى فكرت فى حيلة ستنقذنا من مخالفه، سوف أختبئ فى
حزمة القش، بعد أن تلفنى بها جيدا وتربطنى، ثم تصرخ فى الأسد
محذرا من البقاء تحت الشجرة لأنك ستقذف بالحمل فوق أم رأسه،
وهذا سوف يجعله يبتعد قليلا.. حتى أخرج واشغله لتهرب...

ولم يكن الغزال المرتعش فى حالة تسمح له بالتفكير فى حيلة
الثعلب.. ففعل مثلما طلب منه تماما.. وطبعا ابتعد الأسد قليلا، عندما
رأى ضخامة القذيفة التى سيلقى بها الغزال...

وقبل أن يخمن حقيقتها، كان الثعلب قد قفز من داخلها وأطلق ساقيه
للريح واختفى بين الأحراش.. زمجر الأسد فى غيظ لما اكتشف خدعة
الثعلب وصرخ مهددا...

- هل تظن أنك قد أقلت من يدى.. سنرى... والأيام بيننا..

وازداد رعب الغزال المرتعش، وعرف أن الثعلب قد خدعه هو أيضا، ولاشئء سوف ينقذه من انتقام الأسد فنزل مستسلما معتذرا... ولكن الأسد لم يرحم ضعفه والتهمه حتى الذيل ومضى غاضبا يبحث عن الثعلب في كل مكان.. خاصة بعد أن عرف ادعاءه ملكية منحل العسل الملكى...

وبعد عدة أيام - كان الأسد قد كلف جواسيسه بالبحث عن الثعلب - استطاع خفاش ليلي أن يدلّه على الجحر الذى يعيش فيه . فأسرع إليه وهو يزمجر غضبا وفرحا، ولكنه أخذ يزمجر غضبا فقط عندما وجده خاليا، فاختبا بالقرب منه منتظرا عودة الثعلب .

ولكن الأسد بعد قليل فضل أن يدخل الجحر ينتظر الثعلب فى الداخل، لتكون المفاجأة كاملة ومرضية...

ولم يمض وقت طويل حتى عاد الثعلب، وهو يصفر سعيدا. ولما سمع الأسد صفيره من بعيد أخذ يستعد للقاء المنتظر وقد زاد انفعاله، لكن الصغير توقف والثعلب مايزال على مسافة بعيدة من الباب، ثم سمعه الأسد يتكلم مخاطبا الجحر قائلا:

- مساء الخير يابيتى الصغير، لقد اشتقت إليك كعادتى كل يوم.. وها أنا قد عدت مرة أخرى سليما.. حيا.. فهل أنت مشتاق إلى كما أنا مشتاق إليك؟

لكن البيت لم يرد طبعاً.. فالبيوت، وخاصة بيوت الثعالب لا تتكلم حتى فى الحواديت ومع ذلك قال الثعلب وقد بدا الحزن فى نبرة صوته...

- لماذا لم ترد على يا بيتى العزيز؟ ألم تعجبك تحيتى .. هه؟! ألف مساء الخير وليكن نهارك وليلك سعيدا.. هل أنت غاضب منى؟! لقد كنت ترحب بى دائما عند عودتى وترد تحيتى بأحسن منها... ماذا حدث؟ ما الذى غيرك هكذا؟! هل اعتدى على حرمتك أحد فى غيابى؟! هه؟! تكلم؟! وسوف ترى ماذا سأفعل به..

ووقع الأسد الملك المرعب فى الفخ كأى أحمق، وشرب المقلب كاملا. والحقيقة أنه حاول جاهدا أن يقلد أصوات بيوت الثعالب قدر إمكانه، ويقول:

- لست غاضبا منك يا صاحبي مساء الخير.. مساء الخير!!

وانفجر الثعلب ضاحكا بالطبع. لأن صوت الأسد، يظل دائما يشبه صوت الأسد حتى عندما يقلد صوت بيت الثعلب. وقال الثعلب وهو يرقص ساخرا أمام البيت..

- يالك من منك للحيوانات غبى.. هل صدقت حقا أن هناك بيوتا تستطيع الكلام حتى ولو كانت بيوت ثعالب؟ لقد كشفت نفسك بسبب غيابك، الذى لن يمكنك أبدا من القبض على مهما فعلت.. إلى اللقاء يا صوت بيتى العزيز...

وخرج الأسد طبعا يجر ذيل الخيبة وحاول أن يلحق بالثعلب ولكن ذيل الخيبة لم يمكنه، لأنه كان يتعثر فيه وهو يجرى.

بينما كان الثعلب يجرى أسرع من البرق، الذى لا يمكن أن يمسك به أحد حتى الأسد الملك المرعب نفسه.

ظل الثعلب يجرى.. ويجرى.. خوفاً من الأسد. فهو في النهاية
ثعلب حتى لو كان ماكراً يطارده أسد يتعثر في (ذيل الخيبة) .. ولما
انقطع نفسه وجف ريقه من العطش، وجد بئراً، فلم يفكر في شيء سوى
أن يروى عطشه. وكان البئر من ذلك الطراز الذي له وعاءان يمتلآن
بالتبادل فإذا أنزل الأول فارغاً، جذب الثاني ممتلئاً حتى السطح.. لكن
الثعلب بعد أن قفز في الدلو الفارغ إلى باطن البئر اكتشف أنه لن
يستطيع الخروج إلا إذا جذبه أحد أو إذا نزل شخص آخر في الدلو
الثاني.

كان مأزقاً حرجاً أعماه العطش الشديد عنه، وتنبه إليه بعد الارتواء
من العطش - لقد أخطأ الثعلب الحريص - فما العمل؟

ولم يكن الثعلب من النوع الذي يصيبه اليأس، لقد علمته حياة الغاية
أن لكل داء دواء.. لذلك جلس في الدلو ينتظر الفرج على يد أحد
الأغبياء...

وعندما حل المساء جاء معه الفرج. إذ وصل الضبع ليشرّب ولما
نظر إلى الداخل شاهد الثعلب يجلس سعيداً في الدلو، وهو يغني فسأله
مدهشاً:

- ماذا تفعل عندك يا أخي الثعلب؟.. هل تغني حقاً؟

وعرف الثعلب أن زائره الغبي سينقذه فوراً... فقال:

- ألا تسمع حقاً؟... إنني أغني بالفعل.. فلقد انتهيت لتوى من
التهام قرص كبير من الزبد الصافي، ولا يزال أمامي جزء كبير منه لا
استطيع التهامه لشدة شبعي، مع أنك تعرف مقدار حبي للزبد (لالالا)

إننى حزين لأن معدتى لا تتسع لأى قطعة أخرى من الزيد... وصمت قليلا ليترك الفرصة للضبع كى يفكر فى الموضوع ثم قال:

- لماذا لا تأتى يا أخى الضبع لتكمل المهمة، بدلا من أن يضيع الزيد هباء فى الماء؟..

ونظر الضبع الشره فشاهد شيئا مستديرا أصفر اللون يعوم فى الماء، ولم يكن من الذكاء بحيث يدرك أنها صورة القمر منعكسة على سطح الماء الصافى... فقال وقد سال لعابه:

- ولكن كيف آتى إليك يا أخى...

فأجاب الثعلب متظاهرا باللامبالاة:

- ... ادخل فى الدلو الموجود أمامك تجد نفسك هنا معى ..

ولم يكذب الضبع خبرا.. وما أن حشر نفسه داخل الدلو حتى هبط به فى لحظات، فى الوقت الذى اندفع الدلو الآخر بالثعلب إلى السطح.

وطبعاً لم يضيع الثعلب وقتاً فى الالتفات ليعرف ما حدث (لصاحبه) فهو متأكد تماما أن الضبع سوف يقضى الليل بطوله، محاولا اصطياد القمر من قاع البئر.

ولأن حيوانات الحكايات تنسى أحقادها الصغيرة بسرعة كبيرة، فلم يمض وقت طويل، حتى تصالح الثعلب مع الضبع وعفا الأسد عنهما، وخرج الثلاثة مما ذات يوم للصيد، وبعد فترة استطاعوا الإمساك بشاة أليفة ضعيفة من أغنام المراعى وقال الأسد للضبع فى صوت جعله متجهما قدر الإمكان - [قسم الفريسة]..

فأجاب الضبع فى نفاق كبير:

- سأخذ لنفسى الفخدين، وللملك النصف الأمامى، أما الثعلب فتكفيه
الأحشاء والأرجل.

وزاد تجهم الأسد وغضبه، وانتابته نوبة غضب ملكية مفاجئة فلطم
الضبع لكمة عنيفة اطارت إحدى عينيه. ثم التفت إلى الثعلب قائلاً -
وهو يحاول أن يكون ملكاً غير غاضب:

- قسم أنت هذه الفريسة الملعونة بيننا.

فابتسم الثعلب فى أدب شديد وقال:

- سأكتفى أنا والضبع بالأحشاء والأرجل.. أما بقية الشاة فإنها أقل
من طعام يليق بالملك.

وهنا ابتسم الأسد ابتسامة ملكية وقال:

- هذا عظيم.. ولكن قل لى أين تعلمت تقسيم الفرائس الملكية بهذه
الطريقة العادلة؟!..

فأجاب الثعلب وهو يبتسم ابتسامة ثعلبية وقال..

- لقد علمتني.. عين الضبع المفقوءة كيف أتصرف فى حضرة
الملك يا مولاي...

وهمهم الضبع وهو يبكى عينه الضائعة:

- أيتها المنافق الكاذب.. لست ذكياً جداً.. ولكن نحن أغبياء.

أرنب أمكر من ثعلب

فى يوم من الأيام، صدر أمر من العرين بأن تقوم الرعية بتطهير
البئر العميقة الموجودة فى وسط الغابة، وقام كل حيوان بدوره فى تنفيذ
الأمر الملكى، كان تطهير البئر ضرورياً لأن ماءها بدأ يفسد منذ فترة،
ولابد من إعادتها إلى حالتها الطبيعية..

واحد فقط لم يتحرك، ولم يبد أى تعاون. ففى الوقت الذى ساهمت
فيه كل الحيوانات بجهد كان الأرنب يقول لنفسه وهو مستلق فى الظل:
- إنهم سوف ينظفون البئر دون حاجة إلى.

وبالفعل عادت البئر نظيفة كما كانت وبدأ الماء البارد العذب يملؤها
من جديد دون حاجة إلى الأرنب.

واستدعى الأرنب إلى العرين وقال له الأسد:

- أنك لم تبذل جهداً فى تنظيف البئر ولذلك فمأوها محرم عليك
فحذارى أن تشرب منها.

وأجاب الأرنب مظهراً الخضوع والطاعة، مؤكداً بإشارة من إصبعه:

- بالطبع يا مولاي (من لا يتعب لا يشرب) والبئر محرم على
طبعاً.. وعلى كل حال أنا أشرب عادة من مكان آخر...

ولم يصدق الأسد ما أظهره الأرنب من طاعة. ولذلك أمر بوضع
حارس دائم بجوار البئر ليمنع الأرنب من الاقتراب منها.

وكان دور الغزالة إذ وقع عليها الاختيار للقيام بالحراسة...

وما أن استقرت في مكانها حتى جاء إليها الأرنب حاملا جرتين من
الفخار وهو ينحنى أمامها في رقة..

- نهارك سعيد يا جميل...

ولكن الغزالة لم تكن من السذاجة بحيث يستطيع الأرنب خداعها،
فقالت بسرعة:

- اذهب بعيدا ابتعد - أنا أعرف أنك قادم لتحاول أخذ ماء من البئر..
ولكنى هنا لأمنعك ولن أسمح لك بقطرة واحدة ولن أسمح بخداعى..
قمع السلامة..

ولكن الأرنب أسرع يطمئنها..

- ما هذا يا جميل.. أنا لم آت من أجل الماء.. أنت مخطئة يا حلوة
تماما. كنت مارا فقط وقد سمحت لنفسى أن أتحرر من أجلك، لأنك
الوحيدة من بين كل الحيوانات، التى لن تنال شيئا من العسل، لذلك
أحضرت جرة ممتلئة منه.. وأخذ ريشه وغمسها فى الجرة، ثم وضعها
فى فم الغزالة قائلا:

- أليس رائعا؟

ولعقت الغزالة شفتيها باستمتاع وقالت:

- ياه.. هم.. مم.. مم... إنه حلو. هل حقا أحضرت هذه الجرة لى -

بما فيها؟!!

فأسرع الأرنب مؤكداً:

- بكل ما فيها. ولكن أنصحك قبل التهامها أن تسمحى لى أن أقيد قدميك الأماميتين بهذا الرباط المصنوع من (سكر النحل) ليصبح طعم العسل أحلى - هذه وصفة مؤكدة...

وبعد أن استسلمت نه الغزالة السانجة وبعد أن قيدها جيداً... ملأ الجرة الأخرى من الماء العذب. ولم يكتف بذلك... بل تعمد أن يعكر البئر، وأن يلوث ماءه، بل أكثر من ذلك - أعطى للغزالة علقة ساخنة قبل أن (يحمل جرتيه على كتفيه ويرحل) وهو يضحك ساخراً عاتداً إلى بيته.

ولما انتهت نوبة الحراسة، جاء الوعل ليحل محل الغزالة، وفوجئ بما حدث لها، فأسرع يفك قيودها وهو يسألها مذهباً عما فعل بها ذلك - فأجابت الغزالة فى انكسار:

- لقد جاء الأرنب... وأخذ من ماء البئر بعد أن قيدينى كما ترى..

فرد الوعل فى احتقار شديد:

- ذلك البرغوث الصغير..

فقال الغزالة وكأنها تدافع عن نفسها...

- أتقول برغوث صغير؟ أنك تظن ذلك، لا تستهن به فإنه قادر على

ربطك أنت أيضاً بكل سهولة عندما يجد الفرصة.

فقهقه الوعل ساخراً، بينما كانت هى تمضى مطاطلة الرأس تجر

أقدامها بصعوبة من ألم العلقة الساخنة التى أكلتها.

ولم يمض وقت طويل حتى عاد الأرنب مرة أخرى ومثلما فعل في
المرّة الأولى، كان يحمل جرتين في كلتا يديه.. ولما اقترب من الوعل
المتحفز، إنحنى أمامه في أدب وقال في ابتسامة عذراء:

- يومك سعيد يا جميل...

ولم يتركه الوعل الفطن يكمل جملة، بل قاطعه بالضبط قبل كلمة
«يا جميل، صائحا بحدة:

- اسمع. تفضل وابتعد من هنا. أنا لست غزالة لتخدعني، لن أسمع
لك باللف والدوران معي أيها الألعبان..

وتظاهر الأرنب الوديع بالدهشة لهذا الاستقبال الجاف وقال في رقة
بالغة:

- ومن قال إنني أنوى أن ألف وأدور معك.. حاشا لله، أن تظن بي
الظنون... لقد جئت إليك وقلبي يعصره الأسف والحزن لأنهم يجعلونك
تقف هنا هكذا، متعبا ضجرا بسببي لقد أنبني ضميري لأن أعمالي
السيئة كانت السبب في حرمانك من التهام نصيبك من نبع العسل،
الذي يتزاحم حوله جميع سكان الغابة الآن، هناك بينما أنت هنا تؤدي
واجبك ومن السبب؟ أنا ولذلك ذهبت وأحضرت لك هذه الجرة
المليئة، لتلتهمها، أنت وحدك.

ومثلما فعل في المرة الأولى مع الغزالة الغافلة، صنع مع الوعل
المتحفز - أسرع وغمس الريشة نفسها، في العسل نفسه، ودفعها بين
شفتي الوعل الذي لم يستطع أن يقاوم طعمها الساحر، فأخذ يلعق شفثيه
في نهم واستمتاع حتى ذاب العسل وذابت معه كل فطنته وحذره فقال:

- هم .. مم .. مم .. إنه عسل برى رائع .. هل ستعطينى كل الجرة يا صديقى .

وأسرع الأرنب يؤكد قائلاً:

- وهل فى هذا شك .. إنها لك .. ولكن عليك أن تدعنى الف لك قدميك ورقبتك بهذا العقد من (أزهار النحل) ليصبح العسل أمتع وأكثر حلاوة .

وبينما كان الوعل المسحور يمد شفثيه نحو الجرة وقد أغمض عينيه، كان الأرنب يشد حباله حول ساقيه بقوة .. وما أن انتهى من ذلك، حتى دفع الوعل الغافل بقسوة دفعة طرحته أرضاً وأبعدته عن جرة العسل، وجعلته يواجه حقيقة غفلته، وهو عاجز تماماً عن متع الأرنب الذى ملأ جرتة الأخرى من ماء البئر .. ثم أفسد ماءه وعكره .. وبعدها وقبل أن يعود إلى بيته .. تناول عصا غليظة وأعطى الوعل علكة ساخنة جعلته يبكى كعصفور تركته أمه وحيداً فى يوم مطير عاصف .

لما علم الأسد بما فعله الأرنب مع الغزالة والوعل . غضب غضباً شديداً واعتبر هذه الإهانات موجّهة إليه شخصياً .. فأخذ يزار منازل العرين وما حول العرين من شجار ومنازل ...

ولكن الضفدع المستشار قال له فى هدوء:

- يا مولاي .. يا ملك كل الحيوانات والطيور .. لا تغضب واسمح لى أن أتولى حراسة البئر بنفسى وأنا أعدك أن الأمور ستسير كما تحب وأكثر .

ولم يكن الأسد فى حالة تسمح له أن يضحك ساخراً فاكتفى بإظهار شكه فى قدرات مستشاره الهزلية، ولكن الضفدع بما عرف عنه من

براعة فى المناقشة والإقناع، استطاع أن يقنع الأسد فأرسله إلى البئر مزودا بخطاب الاعتماد الرسمى اللازم لتولى حراسة الماء والتصدى للأرنب.

وعندما وصل الضفدع المستشار إلى البئر صعد إلى حافته ثم زحف داخله إلى مسافة كافية، وجلس ينتظر..

ولم يمض وقت طويل حتى حضر الأرنب فى موعده ودهش للوهلة الأولى لأن أحدا لا يقف فى حراسة البئر.. ولما تأكد من ذلك ضحك ضحكة عالية ساخرة وقال:

- حسنا.. حسنا.. عظيم.. ألسنت رائعا أيها الأرنب.. لقد أتعبتهم وجعلتهم يعتقدون أنه من الأسلم ألا يعترض أحدهم طريقك أكثر من ذلك ها.. ها.. لن يضايقنى أحد منهم بعد ذلك.. أليس كذلك!؟

وبعد أن ملأ جرته من الماء الصافى.. قفز إلى داخل البئر ليثير الطين ويفسد الماء، وبعد أن انتهى استعد للقفز خارجاً ولكن الضفدع قفز من مكمته، وتعلق بساقيه الخلفيتين بقوة وربطهما بحبل من الكتان.. ثم قفز إلى الخارج وسحب الأرنب خلفه إلى عرين الملك.

ولا تسل عن فرحة الأسد عندما أثبت مستشاره أنه أذكى وأكثر مكرًا من الأرنب.. وأراد أن يجعل من محاكمة الأرنب مناسبة كبرى لرفع الروح المعنوية، بعد أن انتشرت النكات حول الغزاة والوعل.. فدعا كل الحيوانات لكي يشتركوا فى تقرير العقاب الذى يستحقه الأرنب بطريقة ديمقراطية.. وطبعًا اقترح كل حيوان عقابا.. يختلف عما اقترحه

الآخرون ولذا لم يتوصل الاجتماع لأى عقاب، وكان هذا مأزقا حقيقيا.. حتى قال الأرنب فى النهاية وكأنه ينقذهم من الفشل:

- أيها الأخوة.. أنا لا يهمنى ما سيحدث لى.. فقد كنت أعرف دائما أن هذه هى نهايتى.. ولكنى أناشد مشاعركم الحيوانية ألا تجعلونى أنتظر النهاية أكثر من ذلك.. ولذلك أنا أقترح عليكم اقتراحا قد يحل الإشكال ويخرج بنا من هذا المأزق الديموقراطى.. أقترح يا أخواتى وإخوتى أن تضعونى فوق ظهر ابنة الملك الكبيرة وعليها أن تنطلق بى إلى ذلك الحرش الكثيف الأشواك خلف العرين لتمزقنى أشواكه شر ممزق وتستريحون منى إلى الأبد.

وهللت الحيوانات ووافقت على اقتراحه. فصدر القرار بالإجماع. وأسرع الحراس يضعونه فوق ظهر ابنة الملك.. وبينما كانوا منشغلين فى البحث عن الحبل... اندفع صاحبنا هاربا.. بعد أن قفز قفزة عالية وصلت به إلى حافة الأحراش.

وما أن أفاق الجميع من زهول المفاجأة حتى اندفعوا فى كل اتجاه، يتخبطون ويتعثرون ويصطدمون بعضهم ببعض بحثا عنه... ولكن ذلك كله بلا فائدة..... فليس هناك أسرع من أرنب يجرى هاربا من الموت.....

من سيضحك في النهاية

وبسبب فعلته، التي أضحكت الحيوانات في كل الغابات على الأسد وابنته، ظل الأرنب هارياً حتى تعب، واضطرت ظروفه أن يسكن مع (الغريز) في بيت واحد.. وكان (الغريز) مخلصاً مؤدباً، ودعواً على العمل، وفي الوقت الذي كان فيه الأرنب كالعادة، يتهرب دائماً من تحمل أية مسئولية كلما استطاع ذلك..

وحدث عندما حل موسم الأمطار أن قررا زراعة نبات القرع، ولما كان على أحدهما أن يذهب إلى القرية ليحضر بعضاً من بذور القرع.. قال الأرنب:

- عليك أن تذهب يا صديقي لتقوم بهذه المهمة، لأن أهل القرية لن يتركوني أمر لو ذهبت، فأنت تعرف أنهم يعشقون لحم الأرناب.. فإذهب أنت لأنهم لن يطعموا في لحمك، ولكن يجب أن تتنكر في صورة فأر.. لأنهم لو رأوك فسوف يذبحونك بسبب جلدك الثمين.

- وشكره الغريز على نصيحته قائلاً:

- فكرة طيبة بالفعل.. سوف أنتنكر في صورة فأر كما تقترح فمن من أهل القرية سوف ينتبه لفأر.. أي فأر.

أسرع الغريز إلى القرية متنكراً في صورة فأر حتى وصل إلى أقرب مخزن للحبوب والبذور، فملاً كيساً من بذور القرع وعاد مسرعاً ليقوم

بزرعتها.. ولم تمض أسابيع، حتى كانت الأرض حول البيت قد غطتها نباتات القرع اليانعة، وبعدها ظهرت الثمار الكبيرة الناضجة تبشر بمحصول وفير.

وكانت الفرحة الحقيقية، عندما قطعاً أول الثمار وطبخاها ثم جلسا ليستمتعا بالوجبة الرائعة.. وفي هذه اللحظة بدأ الأرنب الأعيبه للاحتراز على الطعام كله، مستخدماً ذكاءه الشرير...

وما أن فاحت رائحة الشرائح الشهية حتى أمسك بطنه واخذ يصرخ بشده وهو يقول:

- آه يا بطنى.. آه.. إنتظرنى يا صديقى حتى أعود... آه... وسيكون القرع قد برد وأصبح أكثر حلاوة... آه يا بطنى...

قال هذا وأسرع إلى المستنقع المجاور الذى تحيط به الأعشاب حيث كان قد رأى وعلا مقتولا.. فقام بسلخه ثم ارتدى جلده، بعد أن لطخه بالدم.. وعاد متسللاً إلى البيت..

وياله من منظر مرعب جعل (الغريز) يموت فى جلده من الرعب.. وينطلق هارباً باحثاً عن مكان آمن حتى يعود صديقه، ذلك الذى يبتسم فى خبث وهو يلتهم الطعام الشهى كله بشهية يحسد عليها.

وما أن فرغ من التهام كل شرائح القرع، حتى عاد ممسكاً ببطنه إلى البيت.. وتظاهر بالدهشة وهو يرى صديقه (الغريز) مرتعشاً مرتعباً يكاد يموت من الرعب والهلع.. وسأله وكأنه لا يعلم شيئاً، فحكى له (الغريز) القصة المرعبة... مبالغاً فى وصف ذلك الوحش ذى القرون الملطخ بالدم الذى هاجمه والتهم كل القرع..

وتظاهر الأرنب بالحزن من أجله، وهون عليه ضياع القرع.. وهو يخفى ضحكاته الساخرة ويتظاهر بلومه لوما خفيفا متحسرا على عشائهما المسروق، وبات الأرنب سعيدا بانتصاره الماكر على (الغريز) واستعد لتكرار القصة في اليوم التالي...

واختار (الغريز) قرعه أخرى أكثر حلاوة وأخذ يجهزها وهو يتمنى ألا يحرم منها مثلما حدث بالأمس وأخذ الأرنب يتربص اللحظة المناسبة لتنفيذ حيلته.. وما أن فاحت رائحة القرع الشهية حتى تلوى من الألم صارخا...

- آه.. يا معدتي، ماذا جرى لي، آه.. انتظرنى يا صديقى..

ومثلما حدث بالأمس حدث اليوم ونام كل منهما فى حاله.. نام الأرنب سعيد بانتصاره وانطلاق حيلته على (الغريز).. بينما ظل (الغريز) يفكر فى مرض صديقه المفاجئ كلما حانت لحظة نضوج الطعام..

وفى اليوم الثالث.. قال لنفسه إذا كان ذلك الحيوان المرعب يهاجمنى فور ذهاب الأرنب، وإذا كنت لا أستطع منعه من التهام القرع اللذيذ، فلماذا لا أتبع الأرنب لأكون على الأقل فى مأمن من الخوف.

ولأنه لم يكن يريد أن يظهر خوفه للأرنب، فقد تبعه دون أن يخبره وكانت مفاجأة مذهلة عندما رآه وهو يرتدى جلد الوعل الدموى فقال لنفسه:

- إذن فقد كان الأمر كما خمنت وكذبت ظنى..

لما أفاق من ذهوله، مضى مسرعاً إلى البيت قبل الأرنب المتخفي
وهناك تركه يلتهم في لذة آخر شريحة من القرع اللذيذ ثم هاجمه ثائراً
في وجهه ثورة عارمة، وانتزع عنه جلد الوعل والقاه في النار، وطرده
من البيت والحقل شرطرده.

وأسرع (الغريز) فجمع المحصول كله وخبزته في مخزن مدرع
بالمزايج الحديدية.. وكل مساء كانت رائحة القرع الشهية التي يطهوها
(الغريز) لعشائه.. تفوح حول البيت وتنتشر في الأحراش المجاورة،
لتوجع بطن الأرنب المخادع وجعاً حقيقياً.



أول إفريقي على الأرض

فى البدء كان (روح الأرض) يعيش وحيدا فى إحدى القرى الخالية، ولما أضجرتة الوحدة، وصارت أيامه طويلة ومملة أخذ يشكو وهو يتنهد:

- آه .. كم أنا ضجر .. ووحيد ..

وكان الذى يحزنه أكثر من أى شىء آخر، هو عدم وجود من يشاركه متعة التدخين .. بالرغم من أن الدخان كان وفيرا كثيرا، ولذلك كان شوقه شديداً إلى وجود من يشاركه الاستمتاع به ولهذا قرر شيئا عندما اشتدت عليه وحدته، فقال لنفسه ذات يوم: لابد أن (أصنع) بعض الناس، لكي يجهزوا لى قصبات التدخين، وليؤنسوا وحدتى القاسية هذه وليشاركونى متعة التدخين.

وروح الأرض عندما يقرر شيئا لابد أن يحدث هذا الشىء، ولذلك فقد مضى إلى الغابة ذات صباح مشرق، وظل يسير حتى وصل إلى حيث شجرة جوز الهند التى اسمها (نكولا) فأمسك بساقها العالية وأخذ يهزها بكل قوته هزا عنيفا، حتى أجبرها على إسقاط كل ثمارها الناضجة على الأرض، ثم جمع هذه الثمار وحملها إلى بيته فى القرية، وأخذ يكرر ذلك كل صباح حتى تجمعت لديه كومة كبيرة ورائحة من ثمار شجرة الجوز التى اسمها (نكولا).

ولما وجد (روح الأرض) أن كمية الثمار التي جمعها أصبحت ضخمة بما فيه الكفاية، وضعها في كيس ضخم ثم حملها فوق ظهره ومضى بها شاطئ (بحيره الماء العظيم) حيث كان ينتظره قاربه المربوط هناك إلى الشاطئ. وهناك أفرغ كيس الثمار في القارب ثم نادى بصوته المهول فجاءه التمساح يشق الماء بسرعة، ليضع نفسه في خدمة (روح الأرض) فربطه هذا وشده إلى القارب ثم جلس ممسكا بالزمام، وأمره أن ينطلق به إلى داخل البحيره، وهذا طبعاً لأن (روح الأرض) لا ينبغي أن يمس المجاديف بيديه المقدستين.

وبمجرد أن سمع التمساح الأمر:

- هيا بعيداً عن الشاطئ.

حتى اندفع صادعاً بالأمر يشق الماء شقاً، وهو يجدف بكل قوة تستطيعها أقدامه. وظل يجدف ويجدف حتى كالت أقدامه ولكنه ظل مع ذلك يجدف ويجدف ويجدف في خط مستقيم قاصداً وسط البحيرة، ولم يكن أمامه أن يفعل شيئاً آخر.

وكانت بحيرة الماء العظيم كبيرة لدرجة أن (روح الأرض) نفسه لم يكن يستطيع أن يرى شواطئها، وكانت أيضاً عميقة لدرجة أنها بلا قرار هذا ما كان يقال عنها فأنا لم أرها أبداً ولذلك فقد ظل التمساح يجدف ويجدف ويجدف كل هذه المدة الطويلة. وكان لا بد أن يأتي وقت لا يستطيع أن يجدف فيه أكثر مما فعل، ولكن لحسن حظه أن (روح الأرض) صاح به يأمره بالوقوف في نفس الوقت الذي كان سيقف فيه مرغماً بسبب التعب فوقف على الفور مسروراً وراح في النوم.

كان القارب يقف بـ (روح الأرض) فى مركز (بحيرة الماء العظيم) تماماً. وهنا تناول أكبر الجوزات الموجودة فى القارب ببطء.. ورفعها بكلتا يديه وقربها من فمه ثم نفخ فيها نفخة سريعة قوية.. وألقى بها فى الماء بكل قوته وهو يصيح:

- أنت ستكون أول إنسان على وجه الأرض. فإذهب.. وغطست الجوزة فى الماء ولكنها لم تغرق. إذ سرعان ما طفت مرة أخرى على سطح الماء وعامت متجهة إلى الشاطئ.

ثم تناول (روح الأرض) جوزة ثانية بنفس الطريقة، وأخذ يديرها بين كفيه، ثم نفخ فيها وألقى بها إلى الماء بكل قوة وهو يقول:

- أنت ستكونين أول النساء.. فإذهبي..

وغطست الجوزة فى الماء ولكنها لم تغرق، وطففت مرة أخرى على السطح، وعامت خلف الجوزة الأولى متجهة إلى الشاطئ.

وأخذ (روح الأرض) يكرر ما فعل مع الجوزتين الأولتين مع كل الجوزات الموجودة بالقارب، لدرجة أنه لم تبق هناك جوزة أخرى يمكن أن يكرر معها ذلك. وهنا صاح فى التمساح الذى كان يحلم حلما ما، فاستيقظ وهو يتثاءب ولكنه فهم الأمر جيدا وأطاع، فانطلق يسحب القارب المقدس بسرعة عائدا إلى الشاطئ مرة أخرى، وعند الشاطئ رسى التمساح بالقارب وقام (روح الأرض) لينزل. وما أن لامست قدمه الرمال الجافة بعد خطوتين حتى سمعت ضججه كبيرة، وأقبل عليه جمع غفير من البشر.

تقدم واحد منهم إليه، ويبدو أنه كان ذلك الرجل الذى خرج من الجوزة الأولى، وقال فرحاً:

- هيه.. نحن هنا..

وصاح رجل آخر:

- ونحن هنا أيضا

وصاحت امرأة

- ونحن كذلك هنا...

ونجمعت النساء خلف الرجال وعند ذلك سار أمامهم (روح الأرض) ليدلهم إلى القرية الخالية، حيث يعيش ولما وصلوا إليها التفت نحوهم قال:

- سوف تعيشون معي هنا في هذه الأكواخ...

وقد حدث، وأصبح هو عمدة للقرية وكان يجلس دائما وحوله الرجال، بينما انهمكت النساء في طهي الطعام وابتكروا أطعمة جيدة ولذيذة.

وطبعا لم يعد (روح الأرض) بعد ذلك يحس بالوحدة أو بالعزلة، ولم تعد الأيام تمر عليه طويلة ومملة، ولم يعد هو ضجرا بالحياة إذ كان الرجال يتجمعون حوله بعد الانتهاء من تناول طعامهم اللذيذ، ويجهزون قصبات التدخين الطويلة ثم يقضون الساعات الطويلة معا وهم ينفثون الدخان في الهواء.

ذهبت مع الريح

يحكى أنه لم يكن لأحد شيوخ القبائل سوى بنت واحدة رائعة الجمال اسمها (نتوتوتسانا)، وولد جميل لكنه صغير. ولأنه لم ينجب سواهما فقد كان على (نتوتوتسانا) أن تأخذ قطع الماشية كل يوم إلى المرعى.

وذات يوم بينما كانت الفتاة ترعى الماشية في سهل بعيد عن القرية، هبت ريح شديدة طوحت بها وهي الجميلة الرقيقة، وحملتها بعيدا إلى تلك الأرض التي تسكنها قبيلة (الماتيليبس) العجيبة، التي لم يكن للفرد فيها سوى قدم واحدة وأذن واحدة وعين واحدة وذراع واحدة أيضا!!!!

ولما عرفت الفتاة حقيقة المكان الذي وصلت إليه، أخذت تبكي وتندب حظها التعس الذي رمى بها بعيدا عن أهلها وبيتها وبين هؤلاء القوم المشوهين الأشرار.

وماذا كان في مقدور فتاة وحيدة رقيقة مثلها أن تفعل سوى البكاء. ولأنها كانت رائعة الجمال فقد اتخذها ابن شيخ القبيلة العجيبة زوجة له. ولأنها كانت تحن لبيتها باستمرار، وتبكي حظها على الدوام، فقد دفن زوجها تحت عتبة المنزل قرنى ثور مسحورين لمراقبتها وحراستها إن حاولت الهرب.

وطبعا كانت (نتوتو) تفكر دائما في الهرب ولكنها ما تكاد تفعل
حتى ينطلق القرنان المسحوران في الغناء قائلين:

. ها ها هاوها ها هيجا
نتوتوسانا خرجت تجرى .
لا ترغب أن تبقى زوجة
أسرع يا ابن ولى الأمر .
ليس لها من أمل يرجى
ارجعها من عند النهر.

وما أن يسمع رجال القبيلة كلمات الأغنية حتى ينطلقوا قافزين
على أرجلهم الوحيدة إلى شاطئ النهر عند حدود أرضهم فيقبضون
عليها ويعيدونها ثانياً إلى ابن شيخ قبيلتهم.

وحاولت (نتوتو) الهرب مرات كثيرة.. وفي كل مرة كانوا يعيدونها
بعد أن تبلغ شاطئ النهر.. فأنتابها اليأس واسلمت لقدرها. خاصة بعد
أن أنجبت طفلتين جميلتين تفرغت لتربيتهما حتى كبرتتا وصارتا
عروستين رائعتين تشبهان أمهما في شبابهما.

وذات يوم ذهبت الأختان الجميلتان إلى البئر فشهدتها رجالا غرباء
يختبئون وسط الأحراش، وكان الغرباء رجالا عاديين لا يشبهون
رجال (الماتيليبس) ذوى الرجل الواحدة واليد الواحدة والعين الواحدة
والأذن الواحدة اليتيمة. كانوا رجالا يشبهونهما ويشبهون أمهما الجميلة.

ولم يكن هؤلاء الغرباء فى الحقيقة سوى خالهما وعدد كبير من
جنوده، ومعهم (كبش) أسود وكانوا قد خرجوا منذ سنوات عديدة

يبحثون عن (نيتوتوتسانا) وطبهما لم تعرف الفتاتان خالهما وهو طبعا
لم يعرفهما ولكنه تقدم منهما سائلا:

- ممن أنتما أيتها الفتاتان الجميلتان ومن هو أبوكم؟
فأجابته الأختان:

- إن أبانا وحيد الرجل وحيد العين والاذن، إنه ابن شيخ قبيلة
الماتيليبس.

وعاد الخال يسأل:

- ومن هي أمكم؟

فأجابتا في اعتزاز:

- إنها نتوتوتسانا الحلوة.

وخفق قلب الخال واندفع الدم إلى وجهه الذي هذه التعب والتجوال
فسأل مضطربا:

- هل تعرفان شقيق أمكما يا صغيرتي.

فقال الفتاتان:

- لا .. نحن لا نعرفه، ولأننا لانعرفه لا نستطيع أن نذكر لك اسمه ..

كل ما نعرفه أيها الغريب أن الريح حملت أمنا من زمن بعيد بينما
كانت ترعى الماشية، وأحضرتها إلى هنا.

واندفع الخال يحتضن ابنتي أخته وقلبه يقفز من الفرح في صدره،
وأخبرهما عن نفسه وعن رحلته الطويلة التي خرج فيها يبحث عن
أمهما منذ خطفتها الريح. وبكت الفتاتان من الفرح فاخبرهما أنه ما جاء

إلا لينقذهما وينقذ أمهما، وبشرهما بقرب انتهاء سنوات العذاب والغربة ..

ثم أخذ يسألها عن القرية، وأحوال أهلها وهو يفكر في الطريقة التي يمكن بها انقاذ أحبائه الثلاثة وأخيراً قال لهما:

- سوف أقطع لكم بضع بوصات من تلك التي تنمو حول البئر.. وعندما تعودان للبيت .. دسا البوصات تحت الفراء الذي تجلس عليها والدتكما.. وعندما تجلس سوف تتكسر البوصات.. فتظاهرا بالحزن والبكاء عليها واطلبا منها أن تأتي إلى البئر، لتحضر لكم غيرها قبل موعد الغذاء.. وأتركا الباقي لنا.. لكن لا تخبرا أحداً بشيء عنا حتى لا تغنى قرون الثور وتصيح فتكشف الأمر..

وعلى هذا مضت الفتاتان إلى البيت وفعلتا مثلما طلب الخال تماماً.. ولما انكسرت البوصات انفجرت الفتاتان في البكاء وحاولت الأم إرضاءهما بلا فائدة.. فقالت:

- لاتحزنا سوف أرسل صبياً ليحضر بعض البوصات لكما في الصباح.

ولكن بكاء الفتاتين زاد وارتفع الصياح، وأصرتا على أن تذهب الأم بنفسها فوراً لتحضر البوص قبل موعد الغذاء.

ولم تفهم الأم اصرارهما، لكنهما استمرتتا في الإلحاح فلم تجد (نتوتو) بدا من الذهاب إلى البئر على الفور.

وهناك وجدت أخاها منتظرا. وعرفته من أول وهلة فانفجرت في البكاء من الحزن والفرح، قال لها أخوها في عطف:

- لا تبكى يا أختاه .. فسوف تنتهى غربتك الآن وينتهى عذابك ..
والليلة عندما ينام الجميع .

- إحضرى إبنتيك وتعالى إلينا وسوف نعود جميعاً إلى بيتنا .. ولكن
(نتوتو) ظلت تبكى . وهى تقول:

- كيف يا أخى، وقد دفن زوجى قرنى الثور المسحورين ليكشفها
هري ..

قال لها مطمئناً:

- هذا أمر فى غاية البساطة ما عليك إلا أن تحشى القرنين بأوراق
التين ثم تصبى فيهما ماء مغلياً وتغطيها بالحجارة، وعندما ينام
الجميع أحضرى ابنتيك وتعالى ..

عادت (نتوتوتسانا) .. وقد عاد إليها شبابها، وإشراقها ففعلت مثلما
طلب أخوها، ولما راح الجميع فى النوم تسللت مع البننتين وانطلقوا تحت
ستر الليل . وحاول القرنان الصياح ولكن الماء المغلى جعلهما يكركران
وأوراق التين جعلتهما يفحان وكتمت الحجارة أنفاسهما فأخذا يزمجران
وقال أهل القرية:

- لماذا تنبح الكلاب هذه الليلة؟ وتقلبوا فى فراشهم وعادوا للنوم ..

وعند الفجر - كان الماء قد تسرب من القرنين وجفت أوراق التين
وتدحرجت الحجارة .. فانطلق صوت القرنين المسحورين واضحاً جلياً
يقول:

ها ها ها هيا

نتوتوتسانا خرجت تجرى

لا ترغب أن تبقى زوجة
اسرع يا ابن ولى الأمر
ليس لها من أمل يرجى
ارجعها من عند النهر

وفى ذلك الوقت كان الهاريون قد قطعوا مسافة عدة أميال فى
الطريق إلى بلادهم.. وانطلق رجال (الماتيلبيس) يطاردونهم قافزين
قفزات واسعة فوق أرجلهم الوحيدة - فلما طلعت الشمس كانوا قد اقتربوا
منهم كثيرا وخافت (نتوتوسانا) عندما رأتهم. لكن شقيقها ضحك
لمنظرهم العجيب وهم يقفزون كالضفادع. وأطلق كبشه الأسود الذى
وقف على الفور يسد الطريق منتصبا فوق ساقيه الخلفيتين وهو يرقص
ويدور حول نفسه مغنيا بقوة وشراسة:

ماء ماء ما!!!! ماء
لا تقتربوا يا بلهاء
عودوا لو كنتم حكماء
فأنا أبلع مائة منكم
فى إفطاري حين أشاء

وارتعب المطاردون عندما شاهدوا الكبش الأسود المهول يرقص
ويغنى أغنيته المرعبة، فوقفوا مضطربين يتشاورون وقد شلهم الخوف،
حتى ابتعد الهاريون مسافة طويلة..

وعندما افاقوا من خوفهم عادوا للمطاردة وهم يملأون سطح الأرض
حفرا بسبب قفزاتهم القوية الواسعة. ولم يأت الظهر حتى كانوا قد لحقوا

بهم مرة أخرى. وعاد الأخ يضحك لمنظرهم وأطلق الكبش ليتصدى
لهم مثلما فعل في المرة الأولى فأخذ يرقص ويغنى ويقول:

ماء ماء مــاء مــاء
لا تقــريوا يا بلهاء
عودوا لو كنتم حكماء
فأنا أبلع مائة منكم
عند الظهر بكل غداء

ومرة أخرى تسمر رجال (الماتيليبس) فى أماكنهم وهم يهتممون
ويرطنون ويرتجفون رعباً.. ولم يتماسكوا إلا بعد أن كان المطاردون قد
غابوا عن البصر.

لكنهم عادوا هذه المرة للمطاردة وقد ذهب خوفهم فأتسعت قفزاتهم
أكثر وهم يقولون بعضهم للبعض..

- لن يخيفنا هذا الوحش بعد الآن ولن يربعنا رقصه الوحشى ولا
أغنيته الدموية..

ولم يأت المساء إلا وكانوا على وشك الإمساك بهم.. وفي هذه المرة
لم يضحك الخال لأنه كان يعلم أن الكبش لن ينقذهم فى المرة الثالثة
برقصه وغنائه..

وخاصة وقد بلغ التعب بـ(نتوتوتسانا) وبنيتها مبلغا كبيرا.. ولكن
الكبش الشجاع حل رباطه واندفع يتصدى للمطاردين وانتصب على
قدميه الخلفيتين، وأخذ يدور ويرقص، ويغنى قد بدا بسبب الظلام
مهولا.. وبدا صوته أكثر وحشية..

ماء ماء مااااا
لاتقتربوا يا بلهاء
عودوا لو كنتم حكماء
فأنا وحدي آكل منكم
مليوناً في كل مساء

ويسبب خوفه عليهم ويسبب الظلام الذي كان قد بدأ ينتشر أصبح
صوته أعلى ورقصه أعنف، مما جعل الأرض ترتج والشمس تسرع
بالاختفاء، وهي تخفي عينيها من الرعب حتى لا ترى منظره
الرهيب ..

وبدا جسمه كالمارد يسد الأفق، مما جعل ذوى السيقان (الواحدة) ...
يرتجفون رعباً فوق سيقانهم (الواحدة) .. فاستداروا خائفين قافزين بكل
ما في سيقانهم (الواحدة) من قوة ..

واستطاع الخال أن يستعيد ضحكته بقية الطريق، حتى وصلوا إلى
بيتهم سالمين، وخرج الجميع للقائهم مهللين فرحين بعودة
(نتوتوتسانا)، التي ظنوا أن الريح قد ذهبت بها إلى الأبد ..

وقصت أم (نتوتوتسانا) شعرها الذي كانت قد تركته يطول حزناً
عليها، حتى غطى أرض البيت. وكانت مهمة المقص صعبة ولكنها
مهمة مرحة .. إذ كان الرقص والفرح في كل مكان ..

وقد أهدتني الجدة خصلة طويلة من شعرها، لأقول لكم أن
(نتوتوتسانا) قد عاشت مع ابنتيها سعيدة حتى آخر عمرها .. ولأحكي
لكم بالصدق كل ما علمته من أخبارها.

ابنة الساحر

فى يوم من الأيام قرر (سيكولم) أن يتزوج. وهذا أمر عادى فلا بد أن يأتى اليوم الذى يقرر فيه أى شاب أن يتزوج ولكن (سيكولم) عندما قرر ذلك طلب من أخته أن تذهب لتحضر له قطعة من جلد الوحش الرهيب (أنبوليل العجيب) وأن تصنع له منها عباءة يرتديها عندما يقابل عروسه.

وذهبت الأخت إلى شاطئ النهر وقالت تعويذة سحرية لايعرفها سواها ثم صاحت:

- اصعد هنا يا (انبوليل) اخرج من الأعماق لقد أرسلنى إليك (سيكولم).

وبعد لحظات كان جسد الوحش العجيب يطفو فوق سطح الماء ويقترب من الشاطئ، ثم يقف بالقرب من الفتاة التى أسرعت فقطعت شريطين من جلده بسكينها يكفيان لصنع عباءة ونعلا، ثم تركته يمضى إلى الأعماق.

ارتدى (سيكولم) العباءة وانتعل النعل، ثم توجه إلى والده كى يأذن له فى الرحيل قائلا:

- أنا سوف أذهب لأخطب ابنة الزعيم (مانجانانزولا) زوجة لى..

لكن والده حذره قائلاً:

- لكنه ساحر وسوف يقتلك مثلما قتل الكثيرين قبلك.. لا تذهب يا ولدى وفكر في زوجة أخرى.

لكن (سيكولم) كان يعرف كل ذلك، ولذلك طلب من إخوته السبعة أن يصحبوه، ولم يجد الأب مفراً من الموافقة فباركهم وخرج الإخوة إلى غايتهم وهم ينشدون معاً نشيد الأخوة الذاهبون للقتال..

وبينما كانوا يهزون الأرض بخطواتهم القوية، وهم يعبرون أحد السهول قفز من بين الحشائش الطويلة أحد الفئران وسألهم:

- إلى أين أنتم ذاهبون؟ أيها الإخوة المنشدون!

فرد عليه (سيكولم):

- أنا ذاهب إلى الزعيم (مانجانانزولا) لأسأله أن يعطيني ابنته زوجة لي.. وهؤلاء هم إخوتي أتوا معي ليساعدوني.

هز الفأر العجوز رأسه في أمل وقال:

- حسناً.. حسناً جداً.. يبدو أنك شجاع.. بل إنك بالأكيد فتى شجاع.. ولكن ما ذنب إخوتك الأوفياء. إن الشجاعة ليست كل شيء عندما تتعلق برجل مثل (مانجانانزولا) فإنه يملك قوة السحر.. وسيقتلك بالتأكيد فالأفضل أن ترحم شباب إخوتك السبعة. وأن تعود بهم إلى والدك.

لكن (سيكولم) أكد له أنه مصر على الذهاب ورغم ذلك.. فلم يجد الفأر من الموافقة قائلاً:

- حسن .. على كل حال مادمت مصرا فعليك أن تقبل منى نصيحة صغيرة، لكنها ضرورية .. ولا بد من تنفيذها ..

ورفض (سيكولم) أن ينفذ طلب الفأر صاحب النصيحة، فقد كان أمرا غريبا وقاسيا .. ولكن رفض (سيكولم) لم يجد نفعا أمام إصرار الفأر على تنفيذ طلبه ..

فقام (سيكولم) بقتل الفأر وسلخه ثم ألقى بجلده فى الهواء عاليا كما طلب الفأر نفسه .

ولدهشة (سيكولم) وإخوته دار الجلد فى الهواء عدة دورات ثم بدأ يغنى:

مادمت مصراً أن تذهب
فاحفظ ما يعنيه غنائى
لا تدخل بابا فى الوسط
لا تتعس وحدك بفناء
لا تجلس فوق حصير أبدا
لوحلت ساعات غذاء!

ورغم دهشة (سيكولم) وأخوته فقد حفظوا الأغنية، ومضوا فى طريقهم حتى وصلوا إلى القرية المقصودة مع حلول المساء ..

وكان من الطبيعى أن يتجنبوا تلك البوابة الرئيسية القائمة فى الوسط ودخلوا من أحد الأبواب الجانبية بالضبط مثلما نصحهم جلد الفأر الطائر .. وتقدموا على الفور إلى حيث كان الزعيم (مانجانانزولا) يجلس كأى زعيم مثله . ورد عليهم تحيتهم كما يليق بزعيم فى مكانته لكنه سألهم:

- لماذا لم تدخلوا من البوابة الرئيسية؟

فقال (سيكولم) فى أدب شديد:

- إن هذه عادة قريتنا وقد لاتعجبك عادتنا ياسيدى، ولكن ما العمل؟
هى العادة التى تعودناها للأسف..

- فغمغم الزعيم وهو يكظم غيظا خفيا وقال:

- هذه عادة طيبة وهى عادة من عادات الأرانب.

- ولكن لماذا أتيتم إلينا؟

فقال (سيكولم):

- لقد جننا ياسيدى لنطلب يد ابنتكم الغالية للزواج منى..

قال الزعيم مخفياً مشاعره الحقيقية قائلاً:

- لا بأس، وما المانع؟.. ولكن دعنا نتكلم فى هذا الموضوع فى وقت
آخر، أما الآن فالوقت متأخر، اذهبوا الآن للنوم وللصباح ألف عين
ترى وألف إذن تسمع..

وأشار الزعيم إلى الحرس فقادوا إخوة (سيكولم) ناحية أحد الأكواخ
بينما صحبوه هو إلى كوخ آخر لينام فيه وحده.. لكن (سيكولم) أسرع
يقول للزعيم:

- سيدى.. أمرهم أن يدعونى أنام مع إختى.. فهذه أيضا إحدى
عادات قريتنا، ولا نستطيع تغييرها هكذا فجأة...

وعض الزعيم على أسنانه وقال:

- عادة طيبة أخرى، وأن كانت إحدى عادات القروء.

وفى الصباح كان طعام الإفطار معداً لـ (سيكولم) وإخوته وعندما ذهبوا لتناوله، وجدوا عدداً من الأبسطة والحصر الجديدة حول مائدة الطعام.. فابتسم (سيكولم) فى وجه الزعيم قائلاً:

- آه ما أجمل هذه الأبسطة يا سيدى ولكننا لن نتمكن من الجلوس عليها.. فإن العادة فى قريتنا هى أن نتناول طعام الإفطار ونحن جلوس على الأرض.. لأن....

فقاطعه الزعيم مغيضاً..

- شىء جميل آخر.. دخلتم القرية كالأرانب وفضلتم النوم كالقردة والآن تأكلون كالوعول..

وبعد الإفطار سمح للأميرة الجميلة أن تخرج للحديث مع الخطيب، الذى كانت قد أعجبت به وبما فعله مع أبيها من مواقف، ومضى الاثنان يتحدثان فى مرح وحب ولما شاهدتها زوجة الزعيم انطلقت فى أثرهم وهى تتسمع لهما... وتنقل خطواتها بالضبط فوق آثار اقدام (سيكولم) وهى تتمتم بتعاويذها السحرية.. حتى حولته إلى ظبى صغير...

لكن ابنة الساحر التى كانت بقدر جمالها ساحرة متمرسة بالسحر هى الأخرى.. أسرعت وأشعلت نارا كبيرة دفعت بالظبى الذى كان (سيكولم) إلى داخلها حتى احترق تماما.. ولم يبق منه سوى قطعة فحم محترقة صغيرة.. فأسرعت والتفتتها وقذفت بها إلى جرة مملوءة بالماء البارد.. فلم تمض دقيقة واحدة حتى كان (سيكولم) الذى كان ظبياً يقف أمامها صحيحاً معافى..

وهنا قالت له:

- أخبر إخوتك أن يستعدوا.. فإن علينا أن نرحل بسرعة

فقد كتب علينا أن نعاني كثيرا أنا وأنت في سبيل حبنا..

وبينما ذهب هو ليحضر إخوته ذهبته هي الأخرى لتستعد للرحيل معهم فاحضرت بيضة وثمره قرع وزلطة.. ثم انطلقوا هاربين وبعد قليل من رحيلهم اكتشف الساحر (مانجانانزولا) ذلك فأسرع خلفهم، في محاولة للانتقام من (سيكولم) وإعادة ابنته..

وكان الزعيم قادراً على اللحاق بهم بفضل قوته السحرية ولكن ما أن اقترب منهم، حتى ألقت الفتاة بالبيضة على الأرض خلفهم، فأرتفع حائط عال من الضباب الكثيف حال بينه وبين الوصول إليهم.. وقضى الزعيم وقتاً طويلاً في محاولات عديدة ليجد طريقة وسط الضباب. وأعطى هذا فرصة لآبأس بها لـ (سيكولم) ومن معه للابتعاد مسافة طويلة بعيداً عنه..

ولكنه استطاع بعد تخطى حائط الضباب أن يقترب منهم مرة أخرى، وما كاد يلحق بهم حتى ألقت الفتاة بثمره القرع على الأرض خلفها، فتكونت منها بحيرة واسعة من المياه العميقة، فصلت ما بينهم وبين الزعيم (مانجانانزولا) الذي اضطر للانتظار طويلاً حتى غاضت المياه وجفت الأرض بما يكفي له بمواصلة الجرى خلفهم.. فانطلق بأقصى ما سمحت له قواه السحرية حتى كاد يلحق بهم وهم على مشارف قريتهم. فأسرعت الفتاة وألقت خلفها بالزلطة التي بقيت معها.. فارتفع على الفور خلفهم جبل صخري شديد الارتفاع والانحدار

لدرجة عجز معها الزعيم أن يتقدم خطوة واحدة، كما فشل في
محاولاته المكررة لصعوده.. فاضطر يائسا أن يعود خائبا.

بينما خرجت قرية (سيكولم) كلها لتستقبله هو وعروسه وإخوته
حاملة الأعلام والزينات. وأخذ الناس يرقصون ويغنون أربعين ليلة،
احتفالا بالعودة وبالزواج أيضا!

هروب من العمالقة

مضت عدة شهور عقب زواج (سيكولم) السعيد لكن الحياة لم تلبث أن حولت سعادتهم إلى حزن شديد.. فقد قتل إخواته السبعة في الحرب. وعندما وصل خبر مقتلهم إلى الوالد الشيخ كان (سيكولم) قد فقد النطق تماما. ومرت عدة أيام حزينة حتى حدث أن رأى أحد الرجال، وكان عجوزا تتدلى لحيته فوق صدره. سبعة طيور جميلة في الأحراش الممتدة حول القرية. وكانت طيورا غريبة لا تشبه ما عرفه من طيور كما أنها كانت تغنى غناء لا يشبه ما سمعه من غناء الطيور، لقد كان غناؤها مختلفا على صورة ما. بل وكان يشبه غناء البشر بشكل أو بآخر..

فما كان منه إلا أن ذهب إلى الوالد الحزين وأخبره بما رآه وبما سمعه. ولما تأكد الوالد من عدد الطيور أخذ يفكر ويفكر ثم صاح قائلا:

- ربما كان صحيحا ما قالوه في الحكايات.. سبعة أبناء فقدهم في الحرب... لماذا لا تكون هذه الطيور السبعة قد بعثت منهم. عليك أن تراقب جيدا تلك الطيور وغدا سأرسل لك سبعة شبان للامساك بها..

وفعل العجوز ما أمره به الوالد. ولما حضر إليه الشبان السبعة وكان سابعهم هو (سيكولم) فاقد النطق نفسه.. والذي قادهم إلى حيث كانت الطيور.

وظلوا يتحिनون الفرص للإمساك بها دون جدوى، طوال ستة أيام كاملة فلما كان اليوم السابع، أمكنهم بعد جهد الإمساك بها وفي نفس اللحظة.. عادت إلى (سيكولم) قدرته على النطق وعلى الكلام..

فكانت فرحة كبيرة أنستهم أن النهار كاد أن ينتهى.. فقررروا عندما حل المساء سريعا أن يبقوا حيث هم حتى الصباح ليعودوا بما حصلوا عليه. وكان تعبهم شديدا فراحوا فى النوم بينما بقى (سيكولم) مستيقظا للحراسه والمراقبة.

وبعد منتصف الليل بقليل.. ظهر فى الظلام فجأة عملاق ضخم أخذ ينظر إلى الأولاد النيام بجشع وهو يقول لنفسه:

- يالها من وليمة فاخرة.. سبعة أولاد وسبعة طيور.. فلأذهب لأنادى اخوتى لكى يشاركونى الطعام فأنا يكفينى هذا الفتى ذو الأرجل الصغيرة..

ولم يكن ذلك الفتى الذى أشار إليه سوى (سيكولم) نفسه الذى أسرع بمجرد انصرافه، فايقظ الآخرين الذين طار النوم من عيونهم طبعا بمجرد أن حكى لهم ما شاهده وما سمعه. فلم يضيعوا وقتاً وأسرعوا هاربين حاملين الطيور معهم..

لكن (سيكولم) اكتشف بعد أن قطعوا مسافة غير قليلة أنه نسي الطائر الذى كان معه فصاح فى جزع..

- انتظرونى هنا حتى أعود به.. لا يمكن أن اتركه وحيدا..

وانطلق عائدا إلى حيث كانوا نائمين.

فى نفس الوقت كان العمالقة قد عادوا مع أخيهم جائعين فوجدوا المكان خالياً. وغازظهم هذا طبعاً.. وظنوا أنه كان يخذعهم فانقضوا عليه ليشبعوا به جوعهم.

ورأى (سيكولم) مايجرى.. فعمل جهده لكى لا يلفت إليه أنظارهم، وتسلل إلى حيث كان قد ترك الطائر.. فانقض عليه واختطفه ثم انطلق مسرعاً، لكن أحد العمالقة لمحّه وهو يجرى فصاح بإخوته أن يلحقوا به.. لكن أحداً لم يصدقّه، لأنهم ظنوا أنه يريد أن يخذعهم هو الآخر ليبعدهم عن الفريسة فأخذ يلح عليهم حتى التفتوا فرأوا واقتنعوا.. فانطلقوا وراء (سيكولم) ..

الذى كان قد وصل إلى حيث تجلس امرأة عجوز أمام كوخ مفتوح... فصاح بها:

- أرجوك.. اخفى عندك.. فإن العمالقة أكلة البشر يطاردوننى..

لكن المرأة العجوز اعتذرت قائلة:

- لا أستطيع أن أخفيك فهم سوف يعثرون عليك عندى.. وساعتها سنصبح نحن الاثنين طعاماً لهم.. لكننى سأعطيك هذه الجرة من الزيد.. خذها وضع منها شيئاً قليلاً على كل صخرة تقابلك فى الطريق وسوف يساعدك هذا فى التغلب عليهم والنجاة منهم..

لم يفهم (سيكولم) غرضها، ولكنه تناول جرة الزيد منها وانطلق ينفذ ما نصحته بفعله.. كلما اعترضه حجر من الجرانيت الأسود.

وما أن يشاهد العمالقة الحجر وفوقه قطعة الزيد الشهية حتى ينقضوا عليه، فينشب بينهم قتال رهيب، حتى يستطيع أحدهم أخيراً أن يأكل الحجر المغطى بالزيد كاملاً..

فينطلقون مرة أخرى يطاردون (سيكولم) مسرعين!!

وكرر (سيكولم) هذا الأمر عدة مرات. ويرغم صعوبة أكل الأحجار المغطاه بالزبد، ويرغم ضراوة القتال الذى كان يشب بين العمالقة، فإنهم كانوا يزدادون اقتراباً منه دون أن يلحق برفاقه.. فاضطر أن يخلع القماش الذى يلفه حول وسطه كالحزام والذى كانت أخته قد صنعته له من جلد الوحش (أنبوليل) ثم فرده للريح مطروحاً به فى الهواء فحملته الرياح بعيداً.. وبدا للعمالقة الجياع أنه جسم ضخم يمكن أن يؤكل.. فانطلقوا خلفه ينتظرون سقوطه. وأفادت هذه الخدعة (سيكولم) فقد استطاع أخيراً أن يلحق برفاقه.. ولكنها اغضبت العمالقة عندما اكتشفوا حقيقة الفريسة التى كانوا يطاردونها.. فعادوا لمطاردة (سيكولم) وهم أكثر عنفاً وضراوة مصممين على الانتقام منه..

وسرعان ما زاد اقترابهم من الأولاد الذين لمحوا أحد الأقزام جالساً على جانب الطريق وهو يلوح لهم قائلاً:

– لا تخافوا.. لا تخافوا سوف اخفيكم داخل هذه الصخرة.

ثم دق على الصخرة فانفتحت ليدخل الجميع إليها، ثم انقفلت خلفهم فى نفس اللحظة التى وصل فيها العمالقة.. فاشتد غضبهم عندما شاهدوا ما حدث.. وظلوا يعضون الصخرة بأسنانهم ويضربونها برءوسهم حتى سالت دمائهم وتحطمت أسنانهم دون فائدة.. فلما يئسوا عادوا من حيث أتوا خائبين..: عجرين يكادون من شدة غيظهم أن يأكل بعضهم البعض الآخر، أو ياكل نفسه.

ولما ابتعد العمالقة، خرج الجميع من الصخرة وشكر الأولاد القزم الذى انقذ حياتهم. وانطلقوا فى طريقهم إلى القرية.

ولما صاروا فى الأرض الآمنة .. ومثلما يحدث فى كل الحكايات المشابهة، وضعوا الطيور أمامهم فإذا بها تنتفض وتتحول إلى سبعة شبان هم نفسهم إخوة (سيكولم) الذين قتلوا فى الحرب. وتعانق الجميع ورقصوا من الفرح، ودخلوا القرية وهم ينشدون نشيد الإخوة العائدين من الحرب ..

ولكن أحدا لم يستقبلهم هذه المرة .. كانت القرية خالية تماما من أهلها، فانطلقوا وقد عقدت الدهشة لسانهم يبحثون عن أى إنسان ليخبرهم بما حدث. وبعد بحث كبير وجدوا الأميرة زوجة (سيكولم) منكمشة ترتعد من الخوف فى أحد الأكوخ البعيدة فلما رأتهم انفجرت فى البكاء وأخبرت زوجها بما حدث.

- لقد ماتت اخته أثناء غيابه، وفقدت القرية بذلك الحماية إذ صعد الوحش الرهيب (أنبوليل) العجيب من الماء .. وابتلع القرية كلها رجالا ونساء وماشية - وتركنى لأننى غريبة!!

وهنا اشتعل غضب (سيكولم) وحمل حريته وانطلق إلى النهر وقال لمن معه:

- سأنزل إلى الأعماق السوداء خلف (أنبوليل) وسأقابه فإذا بدأ الموج يضطرب يكون الوحش قد ابتلعنى وقتلنى أما إذا اصطبغ الماء بلون الدم .. فمعنى هذا أننى انتصرت عليه فانتظرونى ...

قال هذا ثم قفز إلى الماء متوعدا الوحش الجبار .. ولكن (أنبوليل) خرج إليه قبل أن يصل إلى الأعماق وتلقاه بغم مفتوح وابتلعه تماما ..

وهنا فى جوف الوحش الضخم وجد الفتى والده وأهل القرية جميعهم وكذلك الماشية وقطعان الأغنام بل والطيور الداجنة أيضا ..

واحتار الوالد هل يفرح لرؤية ولده الشجاع أم يحزن لأنه لقي نفس
المصير..

وزادت حيرته عندما علم أنه أعاد إخوته المفقودين. هل يحزن
لأنه فقدهم ثانية أم يفرح لأنهم رغم ذلك عادوا سالمين..

لكن (سيكولم) الشجاع لم يتركه طويلا لحيرته بين الحزن والفرح
إذ اندفع بكل قوة تطعن بطن الوحش (أنبوليل) بحريته فمزق احشاءه
حتى قتله..

واصطبغ النهر بلون الدم.. وطفأ الوحش المقتول فوق الماء مثل
أى سفينة مثقوبة ومنفوخة وهنا أسرع الإخوة (سيكولم) بانتزاع معدة
الوحش قبل أن يغوص مرة أخرى وشقوها بالسيوف، ليحرروا أهل القرية
وعلى رأسهم الوالد العزيز الذى انتهت حيرته بين الحزن والفرح.. إذ
غمرته السعادة لعودة أبنائه جميعاً إليه.!

طائر الرخ

كان يا ما كان، يعيش فى قديم الزمان صياد وحيد مع طفليه الصغيرين. كان الولد أكبر قليلا من البنت ولكنهما مع ذلك كانا صغيرين بما فيه الكفاية لكى يشعرنا بالخوف عندما كان والدهما يضطر للغياب عن المنزل لسبب أو لآخر..

وفى يوم من الأيام ذهب الصياد إلى الميناء لكى يشتري بعض السهام والأدوات وبعض الاحتياجات المنزلية وكان عليه أن يغيب عدة ليال بسبب طول الرحلة إلى الميناء والعودة منه.

وعندما حل الليل، أخذ الطفل أخته الصغيرة بين أحضانها وأخذ يحكى لها بعض الحكايات ليشغلها فلاتحس الخوف. كان فى الحقيقة يحاول ألا يخاف هو نفسه حتى يبدو أمامها رجلا قادرا على حمايتها..

وفى تلك الليلة هبط على سطح المنزل طائر ضخم جاء من المجهول وأخذ يصرخ فى صوت رهيب:

- أين ذهب والدكم؟.. أنا طائر الرخ العظيم

وفى صوت مرتعش خائف أجاب الطفلان:

- لقد ذهب والدنا إلى شاطئ البحر؟

فصاح الطائر غاضبا:

- ليس هذا شأنى، ذهب إلى شاطئ البحر أم ذهب إلى شاطئ البر،
أنا أريد وجبتى أريد طعامى.

ولم يستطع الطفلان أن يفعلوا شيئاً سوى أن يشيرا إلى حظيرة
الدجاج التى فى طرف الفناء. فهبط طائر الرخ والتهم كل ما بها من
طيور ثم طار بعيداً إلى المجهول مثلما جاء..

ولم يعد الوالد فى اليوم التالى لكن طائر الرخ عاد فى موعده وصاح
بالطفلين الوحيديين:

- ألم يعد والدكم بعد؟

بكت الطفلة وصاح الطفل فى صوت مرتعش:

- لا.. لم يعد بعد.

فصاح الرخ فى صوت أكثر غضباً:

- ليس هذا شأنى، عاد أو لم يعد أنا أريد وجبتى.

ولم يستطع الطفلان أن يفعلوا شيئاً سوى أن يشيرا بأصابع مرتجفة
إلى حيث تقف العنزة الوحيدة التى يملكونها فى طرف الفناء.. فانقض
الرخ عليها والتهمها وانطلق عائداً إلى المجهول مثلما جاء..

لم يعد الوالد فى الليلة الثالثة. لكن طائر الرخ عاد فى موعده وحط
فوق السطح وصاح:

- هل مازال والدكم غائباً؟

واحتضن الأخ أخته وقال:

- نعم.. لم يزل والدنا غائباً.

فصاح الرخ بصوت أكثر غضباً:

- ليس هذا شانى .. غائب أو ليس غائبا أنا أريد رجبتى

وفى هذه المرة لم يجد الطفلان شيئاً يشيران إليه سوى كلاب الصيد
التي تساعد والدهما فى عمله فأنقض عليها الرخ والتهمها، وطار إلى
المجهول مثلما جاء من المجهول.

وفى اليوم التالى عاد والدهم فلم تستقبله كلاب صيده كعادتها ولم
يسمع صياح طيوره ولم ير عنزته فوق السور كعادتها تمضغ القش
الجاف، ولم يسمع صوت أطفاله إذ كان الطفلان منكمشان فى أحد
الأركان، يكاد الخوف أن يقتلهم وسأل الوالد طفليه عما حدث...

فاجابا وهما يبكيان فوق صدره

- لقد حضر الرخ وحط فوق السطح وصاح بنا طالبا عشاءه . فى
الليلة الأولى أكل الدجاج كله، وفى الليلة الثانية التهم العنزة، وبالأمس
لم يجد سوى الكلاب وكنا خائفين جدا فى غيابك فليس فى البيت
سوانا .. ولم يكن الرخ سيرحمنا ولكنك عدت الآن ولن نبكى أو نخاف
ونحن معك.

قال الرجل وهو يحيطهما بذراعيه القويتين:

- لن تخافا بعد اليوم، ولن أدع ذلك الرخ اللعين يزعجكما بعد الآن.

ولما جاء الرخ من المجهول فى تلك الليلة، حط فوق السطح كعادته
وقبل أن يصرخ طالبا أحد الطفلين ليكون عشاء له وحتى قبل أن
يسألها عن عودة والدهما. صرخ فيه الأخ الكبير قائلاً:

- أيها الوحش الجشع البشع لقد أكلت كل ما نملك ولم يعد لدينا ما نعطيه لك فابتعد عنا وإلا ..

وتعجب الرخ من هذا الرد الجاف فصرخ غاضبا مهددا يقول:

- كيف تجرؤ على الحديث معي بهذه الطريقة .. كنت أنوى التهام أحدكما الليلة ولكنني عقابا لكما سوف أتعشى بكما أنتما الاثنين.

قال ذلك ثم هبط إلى الفناء محاولا اقتحام باب الكوخ .. ولكن الوالد الصياد الذي كان مختبئا في انتظار تلك اللحظة وقد جمع كل قرته لكي يقتل الرخ بضربة واحدة، حتى لا يفلت منه ..

وبعد ذلك نظف الطائر ونتف ريشه، وثبته على عصي أشعل تحتها النار ومضى إلى الغابة . بعد أن أوصى طفليه بالانتباه حتى لا يحترق الطائر فوق النار .

وأخذ الطفلان يديران الطائر فوق النار حتى فاحت رائحة الشواء الشهية وملأت الجو فأحضر الولد السكين . أراد أن يأخذ لنفسه قطعه من اللحم ولكن الرخ صاح فيه:

- لا تأكل لحمي .. لا تأكل لحمي .

وارتعش الولد من الخوف ولكن رائحة اللحم الشهية عادت تداعب خياشيمه وتثير شهيته .. فامسك بالسكين ومدّها نحو الطائر وحز من صدره قطعة كبيرة فصاح الطائر:

- لا تأكل لحمي .. لا تأكل لحمي ..

ولكن الطفل قال غاضبا:

- أنت ميت ومسلوخ .. وأكثر من ذلك محترق فوق النار وتحاول أن تعلمنى ماذا أفعل؟ .

وأسرع فوضع قطعة من لحم الرخ فى فمه ومضى يأكلها.

وهنا أخذ الطائر الذى جاء من المجهول يبكى وينوح.

- لماذا أكلت لحمى .. سوف تندم .. سوف تندم ..

وما أن انتهى من نواحه حتى تحول الولد فجأة إلى ذكر جاموس أفريقى، أخذ يدور ويخور فى الفناء .. فى اللحظة التى جاء فيها والده فأسرعت أخته باكية تخبره بما حدث...

ولم يكن فى استطاعة الرجل أن يفعل شيئا سوى أن يتقدم من ابنه قائلا:

- اذهب يابنى فإن قابلت قطيعا من الوعول فامض فى سبيلك . وإن قابلت قطيعاً من الأفيال فلا تصاحبه، ولكن إذا ما قابلت قطيعا من الجاموس البرى فاذهب معه ..

وهز ذكر الجاموس رأسه فى حزن . وودع والده وأخته ومضى إلى مصيره المجهول واحتضنت البنت والدها الوحيد بينما التهمت النار جثة طائر الرخ الذى جاء إليهم من المجهول ذات ليلة ليحول ابنه الوحيد إلى ذكر جاموس وحشى .!!!

البطل والأغنية التي لاتموت

كان يا ما كان، يوجد محارب جبار شهير اسمه (جاسر) هزم كل من حاربه من أعدائه، وحرق ودمر كل ما غزاه من قرى وبلاد، حتى أصبح اسمه يبعث الرعب في القلوب ويثير خوف القبائل والشعوب .. فأصبح يعتقد أن جبروته وقوته وبأسه وسطوته تدوم إلى الأبد..

وذات يوم، بينما كان عائدا من إحدى غزواته منتصرا مر على أحد المروج حيث كانت إحدى الدجاجات البرية مختفية بين الحشائش، ولما اقترب من مكانها سمعها تغنى:

ليس في العالم سيف لامع إلا سيصداً
وشهير الذكر يوما ينتهي من حيث يبدأ
إيه يا جاسر يارب الحروب
كل شمس لغروب
كل هذا المجد زيف يتهراً
فالبطولات التي قامت على جثث الضحايا
سوف تفنى مثلما الريح تلاشت في الدروب
أنا يا جاسر مثلك سوف أمضى
سوف تنساني وتنساك الليالي
وستبقى أغنياتي وحدها ملء القلوب

القرى تفنى، غدا تفنى المدائن
وشجاع القلب يفنى والجبان
ويموت القادة الشجعان والفرسان والبسطاء
فى كل زمان ومكان

وستبقى أغنياتى وحدها أبداً ستبقى لن تموت.!

وبعد أن سمع جاسر تلك الأغنية، انتابه قلق شديد وملاً قلبه حزن عميق، وذهب إلى أحد الحكماء ليستشيريه فيما سمع، فقال له الحكيم:
- يا ولدى أن الدجاجة على حق فإن شهرة البطل مهما كانت ذائعة فإنها مثل الحشائش التى تجف قبل أن يمر العام .. أما الأغنية فإنها تعيش إلى الأبد فى قلوب الناس ..

قرر (جاسر) ساعته شينا. فمضى إلى أحد صناع الآلات الموسيقية وطلب منه أن يصنع له (عودا) ليعزف عليه .. لكن الصانع وكان فنانا ماهرا قال له:

- سوف أصنع لك (عودا) جيدا ولكن ما الفائدة إن كنت لاتعرف كيف تعزف عليه ..

فأجاب (جاسر) فى لهجة جافة:

- إن هذا شأنى وليس شأنك ..

فسكت الصانع وانهمك فى صناعة عود جميل رائع ..

ولما حاول (جاسر) أن يعزف عليه لم يستطع أن يخرج منه نغمة واحدة فسأل الصانع بغیظ:

- لم صنعته هكذا صامتا لا يصدر أنغاما

لكن الصانع ضحك وقال:

- قلت لك هذا من قبل. أنت لاتعرف العزف ولما سألتك غضبت منى واعتبرتني أتدخل فى شئونك..

فخجل (جاسر) وقال:

- إذن لو سمحت تقبل اعتذارى..والآن .. ماذا أستطيع أن أفعل؟

قال الصانع:

- يا سيدى إن العود ليس إلا قطعة من الخشب الصامت لاقلب لها. ولهذا فهى لاتعرف الغناء أو الموسيقى ولابد أن تعطىها قلبا لتحس وتحسن الغناء والعزف، وعليك أن تصحبها معك إلى معاركك وحرورك.. وعندما سيتشرب الخشب الدموع والدم. وعندما تحرق مشاعر الحزن والقلق قلبه، وعندما تهتز روحه بالأم الموت وجراحات الحياة.. لن يكون مجرد قطعة خشب وإنما سيصبح قطعة منك ومن حياتك، وعندها سوف تنطق قطعة الخشب هذه وتطلق أنغامها الموسيقية..

ولم يمض وقت طويل حتى كان (جاسر) يخوض حربا مريرة مع أحد خصومه فجمع أولاده الثمانية وقال لهم:

- اليوم سنخوض معركة ضارية دفاعا عن أرضنا هذه المرة، ويجب أن نفعل المستحيل حتى لاتنسى الدنيا أفعالنا ولأما ستقوم به سيوفنا، ويجب أن يبقى مجدنا ساطعا إلى الأبد.. إننى قد أموت وأنتم كذلك ياأبنائى، ولكن يجب أن تظل ذكرى أفعالنا خالدة فى أغانى لاتموت... ما أن قال ذلك حتى نفخ بوق الانطلاق إلى المعركة وقد ربط عوده فوق ظهره، وتبعه أولاده الثمانية يسابقون الريح.

ولثمانية أيام قاتل (جاسر) قتال الأبطال وكانت ضربات سيفه تجعل
أوتار العود ترتعش .. وكانت قطرات العرق السيل من جبهته تسقى
خشب العود.

ولثمانية أيام ظل جاسر يقاتل دفاعاً عن بلده، وكل يوم يفقد ابناً من
أبنائه، حتى كان اليوم الثامن واندحر الأعداء وارتدوا على أعقابهم
وكان النصر ودفن (جاسر) ابنه الثامن. وساد هدوء حزين بعد
المعركة... وجلس جاسر البطل فوق القبر. ولأول مرة انسابت من
عيونه دموع الحزن.. كان بكاء حقيقياً يعبر عن ألم حقيقى يعرفه
البطل لأول مرة، ساعتها عرف أن حروبه السابقة كانت كلها عبثاً.. إذ
أنه الآن وحيد وبلا أنيس وتذكر كم من ضحايا قتلوا. كم من دماء
أريقت لم يهتم بها.. والأبن يفقد أبناءه جميعهم فيعصر الحزن قلبه،
ويتذكر أغنية الدجاجة وكيف أنه لن يمضى وقت طويل حتى ينسى
الجميع كل شيء عنه.

وفجأة... ومثل حلم يعبر كالبرق خلال رفة العين، سمع جاسر رنة
وتر تنبع من أعماق قلبه.. فأمسك العود الذى كانت الحياة تسرى إليه
من عروقه، لاسبب بطولاته لكن بسبب أحزانه الحقيقية.

وتغنى العود بجاسر وأبنائه الذين ماتوا فى بطولة وشجاعة دفاعاً
عن بلادهم، فعاشت ذكراهم حتى يومنا هذا بفضل تلك الأغنية.
وستظل حتى آخر العمر يعزفها العود الذى أصبح له قلب وروح!

الحربة المسحورة

كان يا ما كان، يعيش فى إحدى القرى على حافة إحدى الغابات،
غلام فقير، فقير إلى درجة أن الأمر كان يحتاج منه إلى مائه سنة
كاملة لكي يمتلك حربة خاصة به يخرج بها للصيد لكنه كان ذكيا نشطا
لدرجة أن اختصر الزمن واستطاع أن يكسب من المال ما يكفى لكي
يفكر فى شرائها.

فى السوق قضى وقتا طويلا يتأمل الحراب ويفحصها بدقة الخبير
قليل النقود، الذى سيشتري حربة واحدة طوال حياته . لكنه لم يجد
حربة واحدة تلائم ما يرغب فيه ..فجأة لمح رجلا عجوزا يجلس فى
طرف السوق وهى يمسك بحربة جيدة رائعة.

تقدم الفتى من العجوز وسأله:

- هل هذه الحربة للبيع يا جدى، أرجوك بعها لى ..

لكن العجوز أجابه فى صوت عميق:

.. هذه الحربة ليست للبيع يا فتى . لكنك تستطيع الحصول عايتها ..
فقط ،عليك أن تتذكر أنها حربة مسحورة عندما تخرج بها للصيد.
وترسلها خلف أى هدف فإنها ستصيب لك الهدف وحدها ثم تسرع
عائدة إليك . عليك أن تستقبلها مرددا هذه الأغنية التى سأقولها لك

لتحفظها، وإياك أن تنسى ذلك فإن في ذلك هلاكك المؤكد، وأخذ الفتى
يتأمل الحرية في إعجاب. وابتدأ الرجل يعلمه أغنية ترويض الحرية
التي تقول:

يا حريتي العظيمة، يا ربة الحراب
يا مليكة الوديان والهضاب..
بقدر ما ستجمعين من فرائس
كوني رحيمة بابنك الإنسان
حافظ العهد.. لن تهوني..
وقدرك العظيم لن يهان
لن تباعى يا عالية المكان
بأى وقت كان أو زمان..
فاقتري كنسمة من الحرير..
واهدأى بكفى الفقير..
كطائر صغير..

ووعده الفتى أن يحفظ وصية الشيخ العجوز وأن يحفظ الأغنية
والعهد.. وأصبح الفتى أعظم صياد في المنطقة كلها، وأصبح أحب
الناس إلى قلب أهل قريته، بعد أن عم بفضله وبفضل حريته الخير على
الجميع.

وذات يوم بينما كان في الميناء مع رجال القرية يبيعون حصيلة
صيدهم في نهاية موسم الصيد. إذ فوجيء بالحرية مندفعة نحوه
كالعاصفة قاصده صدره العريض العالي فأسرع يغنى لها أغنية العجوز
وقد أنهلته المفاجأة. ولما هدأت سرعة الحرية وزال غضبها، استقرت
مع نهاية الأغنية في كفه كطائر صغير أليف..

وحيره ما حدث حتى عاد إلى القرية فوجد العجائز ملتفين حول
جثة أحد أبناء القرية، وقد مزقت صدره طعنة حربة قوية قاتلة، وسط
قطيع من الأفيال المقتولة.

وخمن الفتى ما حدث، وعرف أن حربته المسحورة بقدر ما تغضب
أن أهينت بالبيع فإنها تصبح أكثر غضبا إذا أهينت بالخيانة...
لقد سرقها ذلك الفتى ليصطاد بها الفيلة في غيبة الرجال...



هروب حتى الموت

فى زمان بعيد، بعيد.. كان جنس الأقزام القصار القامة المعروفين بـ (البيجمز) يعيشون فى أرض (كوم) الرائعة العجيبة فى سعادة غامرة، حيث كانت الشمس مشرقة على الدوام والغابات عامرة بالطعام، والجداول عامرة بالأسمك والليل بالاحلام.

وفى يوم من الأيام، هاجم أرضهم (دزوم) العملاق الجبار الذى كان طوله يزيد عن أربعة رجال يقف كل منهم فوق الآخر. والذى يلتهم رجلاً كاملاً فى اللقمة الواحدة، والذى يأكل كثيراً كثيراً فى الوجبة الواحدة لان له ثلاثة رعوس فى كل منها عين واحدة كبيرة فى منتصف جبهته الرهيبة . أكثر من ذلك كان (لدزوم) هذا ست أياذ منها اثنتان كالهراوات الضخمة أو كجذوع أشجار حديدية يقسيهما فى النار لتصبحا باستمرار كالصلب فى القسوة والصلابة.

وحاول الأقزام إبعاد العملاق عن أرضهم مرة بعد مرة، إلى أن وجدوه ذات مرة نائماً نوماً عميقاً لدرجة أن أوراق الشجر كانت تحترق هلعاً.. ورعباً كلما سمعت صوت شخيرته الذى يدوى كالرعد فى العاصفه.

يومها أحضر الأقزام بناء على اقتراح قائدهم شبكة قوية لا يستطيع أضخم الأفيال تقطيعها، وتسللوا نحوه فى حذر، ثم ألغوها فوقه ليثقل

حركته تماماً .. وما أن ربطوها حتى انطلقوا يغنون ويرقصون فرحين
بانتصارهم قائلين:

نحن هزمتنا الفيل الفيل وغلبنا الخنزير ليرى
وربطنا العملاق بحبل لم نهرب منه ولم نجري
نادوا الأطفال لتقتله .. عملاق الغابة والنهر
ونساء قبيلتنا ليشكوا رقبته .. بحراب النصر
فلنشعل ناراً عالية نشويه على لهب الجمر
فلقد امسكنا بالفيل وأسرنا الخنزير البرى
(دزوم) سنقطع رقبته وسندفنه تحت الصخر

وطبعاً استيقظ العملاق على ضجتهم وضجيجهم . فقفز واقفاً على
قدميه ، ممزقاً الشباك بمجرد محاولة ذلك ثم جمع قبضاته وطوح بها
شمالاً ويمينا فهشم الرءوس كالببيض الطازج وكسر الضلوع كثمار
البطيخ .. وتكومت جثث الأقرام كالتلال .

وما أقل الذين استطاعوا النجاة ، لما حاولوا أن يعدوا الضحايا فشلوا
تماماً ، فاقترح بعضهم أن يعدوا الطيور التي تطير في السماء أو الفراش
الذي يتنقل بين الأزهار أو أن يعدوا الأسماك التي في الأنهار لأن فهذا
أسهل .

والحقيقة أن أحداً لم يستطع أن يعد أيًا من ذلك ولكن النساء بكين
لدرجة أن دموعهن رطبت الرياح القادمة من الصحراء الشمالية .

ويومها التهم (دزوم) منهم المئات كأنه تمساح أكول وقع على
بركة ، تغطي بالآف الضفادع .. والتهم (دزوم) حتى أولئك الذين ارتموا
على الأرض متظاهرين بالموت هرباً من ضرباته .

وقليلون هم الذين بقوا واستطاعوا الابتعاد عن أرض المعركة ولم يكن أمامهم - هكذا قال كبيرهم - سوى أن يديروا ظهورهم لأرض (كوم) حيث الشمس المشرقة وحيث الغابات عامرة بالطعام والجداول مليئة بالأسماك.. والليل بالأحلام.. أن يهربوا بأنفسهم .. ولا يعودون إليها أبداً...

ولكن الذى يهرب ويترك وطنه مرة .. يظل هارباً إلى الأبد...
استقر المقام بالأقزام الهاريين من وجه (دزوم) العملاق، على ضفة أحد الأنهار الكبيرة حيث تنمو أشجار الفاكهة وتكثر الأسماك والطيور..
وبدا وكأن الحياة عادت تبتسم لهم مرة أخرى، لكن رجالاً ضخام الأجسام مسلحين بالسيوف والحراب والهراوات والدروع المصنعة من جلد فرس النهر الذى لا تخترقه السهام هبطوا عليهم من الجبال وقالوا لهم..

- اذهبوا بعيداً فإن هذه أرضنا.

وقال بعض الأقزام :

- يجب أن نقاتل هؤلاء دفاعاً عن أرضنا الجديدة..

لكن آخرون قالوا:

- وما الفائدة لقد جربنا القتال مع (دزوم) فماذا كانت النتيجة، لقد

هزمنا وقتل منا المئات .. إن علينا أن نرحل وأن نبتعد عنهم.

على كل حال، فإن الرجال الضخام المسلحين بالدروع المصنوعة من جلد فرس النهر، لم يتركوا لهم فرصة حتى للهرب إذ انقضوا عليهم بالحراب والهراوات. وكان قتالاً عنيفاً هزم فيه الأقزام طبعاً.. وقتل منهم خلق كثير وأسر آخرين...

وفر الباقون بحياتهم وهم يطلقون سهامهم الأخيرة لحماية هربهم
ولحماية النساء والأطفال .. وصحيح أنه قد قتل أيضا عدد كبير من
الرجال الضخام ذوى الدروع والهراوات لكن الموت كان قد حط على
الأرض يتربقب الجميع . لم يكن فى استطاعة أحد أن يمد يد المساعدة
لمن يسقط أثناء القتال! - الهرب .. صاح بعضهم .

فقال أحد الأقدام

- لقد هزمنا يوم هروينا من (دزوم..!!)

وقال آخر...

- سنذهب بعيداً عن المياة العظيمة بحثاً عن أرض أخرى..

ومضت القافلة تتقدمها النساء والأطفال، ويحمى مؤخرتها من بقى
من المقاتلين، حتى وصلوا إلى غابة عظيمة خضراء فقرروا الاستقرار
بها.

كان الصيد وفيراً وكان الأقدام قوماً نشيطين . لذلك سرعان ما
أصبحت الأرض الجديدة زاخرة بالمراعى والحقول .. وارتفعت السنة
النيران أمام الأكواخ وارتفعت معها ضحكات الأطفال والصبايا .

شاهد الرجال الضخام ذوى الهراوات والدروع المصنوعة من جلد
فرس النهر - الدخان من بعيد وسمعوا الضحكات المرححة فعرفوا أن
الأقدام قد وجدوا أرضاً أخرى خصبة غنية .. فانطلقوا خلفهم مرة أخرى
حاصروهم بالأسلحة وقالوا:

- هذه الأرض تخصنا فاذهبوا بعيداً.

قال الأقدام:

- لقد تركنا لكم أرضنا تلك التي عند المياه العظيمة فماذا تريدون بعد ذلك؟..

واندلع القتال مرة أخرى وتكسرت سهام الأقزام فوق دروع الرجال الضخام ومرة أخرى حملت النساء سلال الطعام.. والأمتعة والأطفال، بينما ظل من بقي من المقاتلين يحمون مؤخرة القافلة التي انطلقت بعيدا تبحث عن أرض جديدة..

وبعد فترة وصلوا إلى الجبال الجرداء.. قال بعضهم:

- فلنستقر هنا فوق هذه الصخور، لن ينبت هنا قمح، لن ينضج موز وسنجد الصيد بصعوبة، لكنها ستكون أرضا آمنة لاثثير طمع أحد مرة أخرى.

لكن هل ممكن أن يتحقق هذا الأمان حقا؟

لم تمض فترة حتى حاصرهم الرجال الضخام طالبين منهم الرحيل بعيدا قائلين لهم:

- هذه أرض جرداء لا تنبت قمحا؟؟ ليس بها صيد كاف فلماذا تعيشون بها؟ إلا إذا كنتم تنوون سرقة محاصيلنا.. ومصائد أسماكنا..

كان الحصار شديداً وليس هناك مفر من الرحيل مرة أخرى.. ولكن أحداً لا يعرف بالضبط كيف تم ذلك.. فإن البعض منهم شوهد يسير عبر الجبال العالية.. بينما اختفى البعض في أعماق الغابات الكثيفة، وآخرين شوهدوا يعملون في خدمة الرجال الضخام ذوى الدروع المصنوعة من جلد فرس النهر!!.

سيد البحيرة

حدث ذات يوم، جفاف شديد بإحدى القرى، جفف كل المحاصيل والأنهار، ولم تسقط قطرة من المطر. حتى اضطر الأهالي لقتل الماشية أملا في أن يجدوا ماء عن طريق عصر الحشائش التي في معدتها، لكن ذلك كله كان عبثا.

ولما تفاقم الأمر أصدر الزعيم أمرا لخادمه (ميبابو) قائلا له:

- خذ عددا من الناس ومن الماشية وعددا من القرب والقدور واذهب للبحث عن الماء.

اختار (ميبابو) الثيران والرجال الشجعان وكل ما استطاع أن يجده من قرب وقدور، ورحل معهم للبحث عن الماء..

سار الراكب طويلا. ولم تبد أى بادرة لقرب عثورهم على الماء فى أى مكان.. أخيرا وصلوا إلى تل عال. صعد (ميبابو) إلى قمته لكي يستكشف الأماكن المجاورة.. ولما نظر خلف التل وجد بحيرة عظيمة عند السفح من الناحية الأخرى..

ويدون أى تردد أسرع منحدرًا نحو البحيرة حتى وصل إلى حافة الماء، فانحنى ليشرب جرعة منه. وفجأة ضربه شخص ما فى أسنانه

ضربة موجعة أتبعها بلكمة قوية، وهنا تبين (ميبابو) أن سيد البحيرة لا يريد أن يسمح له بالشرب منها فانتصب واقفا وصاح:

- أيها السيد العظيم لهذه البحيرة، لماذا لا تريدني أن أشرب؟

فأجابه صوت عميق:

- سوف أسمح لك يا (ميبابو) ولكن عليك أن تعدني أنك سوف تطلب من زعيمكم أن يعطيني ابنته الجميلة (سينكبانج) زوجة لي فإذا لم يقبل فسوف تموت قريبتكم كلها من العطش..

عند ذلك قال (ميبابو): أنا أعدك أن أفعل حسب ما طلبت مني لكن اسمح لي ولرجالي ولقطيعنا بالشرب، أتركنا نملاً قرب الماء بالماء.

سمح لهم سيد البحيرة فشرب (ميبابو) حتى اكتفى، كذلك شرب الرجال وشربت الماشية وملاءوا كل القرب والجرار التي معهم وبدءوا رحلة العودة إلى قريبتهم...ولما وصلوا ذهب (ميبابو) إلى الزعيم وأبلغه رسالة سيد البحيرة قائلاً:

- لقد أحضرنا الماء حسب رغبتكم ياسيدي ولكن سيد البحيرة قال إنه يجب أن تعطيه (سينكبانج) زوجة له وإلا فإن القرية كلها ستموت عطشا..

ولما سمعت الفتاة هذا الكلام قالت لو الدها على الفور:

- أنا لا أريد لأهلي أن يعانون أو يموتوا بسببي سوف أتزوج سيد البحيرة حسب رغبته.

وما أن انتهت (سينكبانج) من كلماتها، حتى ابتدأ المطر ينهمر من السماء. ولم يتوقف حتى فاضت الجداول وامتلات الأنهار بالماء

واخضرت الأرض الجرداء مرة أخرى.. فرح الناس لأن (سينكابانج) قد انقذت حياتهم واستعد الجميع لوداعها. فذبحوا الذبائح السميكة وجهزوا اللحم وملاءوا أكياس ضخمة من الدقيق واختاروا أجمل الفتيات والشبان كمرافقات للعروسة ومرافقين.

كان ذلك تحت أعين (ميبابو) اليقظتين لأن الزعيم اختاره كرسول إلى سيد البحيرة..

ولما أصبح كل شيء جاهزاً، رحل المركب حاملاً العروس والهدايا. وظلوا سائرين طويلاً طويلاً حتى وصلوا أخيراً إلى البحيرة فتركوا (سينكابانج) على الشاطئ وعادوا من حيث أتوا.

جلست (سينكابانج) على حافة الماء في انتظار سيد البحيرة ولكن أحداً لم يأت إليها وحل المساء فصاحت (سينكابانج) تسأل:

- ولكن أين يمكن أن أنام؟..

فاجابها صوت عميق:- هنا..

فعادت تسأل:- وأين هنا؟

فرد الصوت مرة أخرى:- هنا..

ولم تسأل (سينكابانج) مرة أخرى، ونامت فوق الحشائش وسرعان ما استغرقت في نوم عميق.. ولما استيقظت في الصباح وجدت نفسها في منزل كبير جميل جدرانه مغطاه بالستائر الملونة الحريريّة.. تنام على سرير رائع وجوارها كانت منضدة عامرة بكل ما تشتهييه من طعام...

وعاشت (سينكبانج) وحدها فى هذا البيت زمنا طويلا .. كانت تجد كل ما تحتاج إليه ولكن عينها لم تقع مرة واحدة على زوجها سيد البحيرة .

وبعد فترة من الزمن أنجبت ابناً فصمت على الذهاب لتربية لوالديها .

فسألت بصوت عال:

- هل يمكننى أن اذهب لكى يرى والدى ابنى؟

وأجابها صوت:

- نعم يمكنك ذلك ..

ومضت (سينكبانج) إلى قريتها، وعند وصولها أسرع الناس ينادى بعضهم بعضا مسرعين من كل ناحية .

- لقد عادت (سينكبانج) لزيارتنا ...

- انظروا إلى طفلها الرائع

ومكثت (سينكبانج) عدة أيام ولما بدأت تستعد للعودة قالت لها أختها الصغيرة - إننى اريد أن أذهب معك

فأجابت (سينكبانج) :

- مرحباً بك تعالى فإننى أقضى معظم الوقت وحدى على الأقل سوف تؤنسين وحدتى ..

وبعد العودة إلى المنزل - قالت (سينكبانج) لأختها:

- انتظرينى هنا سأذهب لجلب بعض الماء ... باستمرار .

وفى اللحظة التى تركت الطفل مع أختها إبتدأ الطفل يبكى باستمرار، ولم تستطع أختها تهدئته . فقالت مغناظه وهى تصرخ:
- اسكت . أنت لم تر والدك أبدا وفى اللحظة التى تغيب فيها أمك عن ناظريك لدقائق تبكى حتى يكاد قلبك يتمزق .

وما أن انتهت من كلماتها حتى انفتح الباب ودخل رجل طويل يرتدى درعاً من الحديد المحمى فاخذ الولد بين ذراعيه وقال؛
- لماذا تضربين الطفل ولماذا تؤنبيينه؟ أنا والده ..

وفى تلك اللحظة عادت (سينكبانج) وهالها منظر ذلك الرجل الغريب الذى يرتدى رداء من الحديد المحمى ويحمل طفلها بين ذراعيه .. وسأل الغريب (سينكبانج):

- من هو زوجك؟

فأجابت مرتعدة: لا أعرف، فأنا لم أره أبداً ..

فقال لها الرجل: أنا زوجك .. أنا سيد البحيرة .

وهكذا شاهدت (سينكبانج) زوجها لأول مرة .

وأليس الرجل ابنه رداء من الحديد المحمى هو الآخر، وبقي مع عائلته، وبعدها امتلا المكان المحيط بالببيت بقرية كبيرة مزدحمة بالناس والثيران والابقار والاعناب وسلال الموز والفاكهه والبطاطا والشعير الذى يصنع منه الدقيق، رأت (سينكبانج) نفسها زوجة لزعيم قوى، وعاشا فى سعادة، وحكما سويا القرية حتى آخر أيام حياتهما الطويلة .

آخر الصيادين

كان ياما كان، يعيش في سالف العصر والأوان ملك يحكم مملكة عظيمة تحيط بها الغابات الغنية الضخمة في ذلك المكان الذي يعرف باسم، (نيجيريا) كان لهذا الملك طفلة وحيدة جميلة عزيزة عليه مثل عينيه.. عندما كبرت البنت حضر الكثيرون يطلبون الزواج منها.. منهم شبان أقوياء.. وأمراء وتجار وجهاء.. وشيوخ قبائل أكابر.. وملوك وعساكر..

وقد حير ذلك الأمر الملك حيرة شديدة، لأنه إن زوجها من أحدهم فسوف يغضب الآخرون.. لذلك قرر أن يرفضهم جميعا ليريح نفسه.. ولكن الأمر ظل يتكرر كل عام حينما يحل موسم الزواج.. فالأميرة كانت جميلة، كما أنها ابنة ملك إفريقي عظيم. ومن غير المعقول أن يستمر في رفض كل الذين يتقدموا للزواج منها وكان عليه أن يختار منهم زوجا لها في النهاية.. وخروجاً من هذا المأزق فكر الملك كعادة ملوك الحواديت في فكرة غريبة فأعلن للجميع أنه سوف يزوج.. الأميرة للفارس الشجاع الذي يستطيع إحضار ذلك الحيوان العظيم المسمى (كابيتا كاتاكايل - ذى المائة واثنين وخمسين ذيلاً) كما أعلن أنه سوف يهدى ذلك الفارس نصف مملكته هدية تساعد. على كسب عيشه ومواجهة أعباء الزواج ومسؤولياته..

وعلى عكس ما هو متوقع .. قوبل إعلان الملك هذا بأسف وخوف شديدين، لأن الجميع تأكدوا أنها مهمة قاتلة ككل المهام التي يفكر فيها ملوك الحواديت للتخلص من خطاب بناتهم أو أعدائهم .. لكن شخصاً واحداً وحيداً فرح بهذا الإعلان .. ذلك كان (أونى آى) صياد الحيوانات والوحوش الشهير الذى قال :

- نحن أصحاب المهام الصعبة مادام الأمر يتعلق بصيد حيوان، حتى ولو كان صاحب مائه وأثنين وخمسين ذيلاً ولا يعرف أحد - حتى أنا - مكانه، سواء كان موجوداً فى الحقيقة أو هو مجرد وهم وخرافة فسوف نأتى به صاغراً من أجل عيون العروس السمراء.

وكان (أونى آى) فى الحقيقة ماهراً جداً تعرف مهارته كافة حيوانات الغابات والبرارى تخافه لدرجه أنها عندما تعرف أنه قد دخل الغابة فى رحلة صيد تكتم أنفاسها فلا تصيح ولا تأكل ولا تتحرك وكأنها تحولت فى مخابئها الخفية إلى أحجار.

هذا هو (أونى آى) الصياد الذى قرر صيد الحيوان الخرافى، والزواج من الأميرة. وها هو فى طريقه إلى الساحر لكى يتأكد من وجود ذلك الحيوان، قبل أن يبدأ رحلة الصيد. ولم يصف الساحر شيئاً لما يعرفه عندما قال:

- إن ذلك النوع من الحيوان قد وجد بالتأكيد ذات يوم على سطح الأرض، لكن الشئ الأكثر تأكيداً أنه انقرض منذ زمان بعيد لكن إذا صدقنا ما تقوله الحواديت يا (أونى آى) فالمؤكد أنه لم يبق من سلالة هذه الحيوانات (ذات المائة واثنين وخمسين ذيلاً) إلا حيوان واحد هو ذلك الذى يعيش فى الجبل الأجوف.

وودع (أونى آى) الساحر، وانطلق يسير لعهده ساعات حتى يصل إلى ذلك المكان الفسيح وسط الغابة حيث تجتمع الحيوانات عادة عندما تريد أن تناقش أمراً خطيراً من أمور حياتها وهناك عرف، (أونى آى) بخبرته أن كثيراً من العيون تراقبه فى حذر وخوف فتظاهر فجأة وكأنه أصيب بألم شديد فى بطنه فأخذ يتلوى ويتأوه ثم أرتدى على الأرض كجذع شجرة قديم لا يتحرك ولا يتنفس.

ولم تصدق الحيوانات حيلته أول الأمر، ولكن وقتاً طويلاً مضى وهو ساكن ساكت كالحجر يراقب بحواسه جميعاً حركة الحيوانات. وهى تراقبه، وبعد فترة طويلة لمعت عينان صغيرتان بين الغصون الجافة، وتقدم صاحبها خطوة واحدة فى اتجاه الصياد النائم، ثم مضت فترة أخرى طويلة والفأر يراقبه وهو ساكن حتى اقتنع بموته. فقفز صارخاً فرحاً يزف البشرى للحيوانات.

- ابشرى يا وحوش أرقصى يا حيوانات. (أونى آى) الصياد قد مات..

وعلى صيحته خرجت الحيوانات من مكانها متردده ولما سألت وتأكدت رقصت وغدت وتحررت من الخوف لدرجه نسيت معها عداوتها وصراعاتها القديمة فرقص الأسد مع الغزال وحمل الفيل النمر وهدده فوق (زلومته) وحقق أرنب حلم حياته وشد شارب الثعلب، وتحسس أنيابه والثعلب لا يفكر فى إيدائه.

وعلى قدر الفرحة التى غمرت الكون لموته، عصر الحزن قلب (أونى آى). لكنه تماسك لكى يتم مهمته التى قرر أن تكون آخر مهمة

له، فما فائدة حياته وكل هذه المخلوقات تكرمه إلى هذه الدرجة وفكر
قائلا لنفسه:

- إن الموت أفضل من حياة تسبب، الخوف والرعب لكل هؤلاء
عليك يا (أونى آى) أن تبحث لنفسك عن وسيلة أخرى تكسب بها
عيشك، وسيلة تجعل الآخرين يفرحون بحياتك لا لموتك.

وجاءت الحيوانات وفودا وراء وفود لتتأكد بنفسها من موته، لتلمس
جثته الهامدة للذكرى، وهناك بعيدا بعيدا حيث يوجد الجبل الأجوف
كان آخر سلالة (ذوى المائة واثنين وخمسين ذيلا) يعيش فى رعب
منذ عرف أن (أونى آى) قد خرج للبحث عنه ليقتضى عليه، فتنقرض
سلالته إلى الأبد. ولذلك لم يصدق فى البداية قول الطائر الذى جاء
ينقل إليه الخبر العظيم مؤكدا أن (أونى آى) إنسان وكل البشر يموتون..
ولكن صاحبنا الذى يملك (مائة واثنين وخمسين ذيلا) ظل على شكة..
حتى دعاه الطائر ليتأكد بنفسه خاصة وأن حفلا سيقام حول جثة (أونى
آى) تحت رعاية ملك الغابة نفسه.

وهنا لم يجد الحيوان الخرافى آخر سلالة (ذوى المائة واثنين
وخمسين ذيلا) بدا من تصديقه بل صدقه جدا لدرجة أنه رقص
رقصته العجيبة المعروفة التى تتحرك فيها ذبوله العديدة فى وقت واحد
بطريقة عبقرية تليق بسلالته المنقرضة وبعدها قال للطائر فى عظمة:

- اذهب أيها الطائر وأخبرهم بمقدمى. أعلن لهم أنه يسعدنى تماما
أن أصبح لهم ملكا.

وفى كبرياء وعظمة هبط الملك الجديد من الجبل الأجوف ومضى
إلى حيث كان الجميع حتى (أونى آى) فى أنتظاره وارتفعت صيحات

الإعجاب تشق عنان السماء والملك الجديد يحرك ذيوله بفن وأقترار
حتى وصل إلى حيث جثه (أونى آى) فوضع فوقها بعض ذيوله ثم
أعلن أن عهدا جديدا قد بدأ بموت عدوهم اللدود وأكد أنه منذ الآن
يسهر على راحتهم جميعا ثم استند على صدر (أونى آى) وقال:
واننى فى هذه المناسبة العظيمة أقرر.. أن..

ولم يكمل الملك الجديد كلامه .. إذ انقلب الموقف فى لمح البصر،
عندما هب (أونى آى) واقفا شاهرا كل اسلحته محكما قبضته على رقبة
الملك (ذى المائة وأثنين وخمسين ذيلا) فشله الرعب ووقع على
الأرض مغشيا عليه.

بينما اضطربت جميع الحيوانات وفرت مذعورة فى كل اتجاه . لكن
(أونى آى) صرخ فى الجميع طالبا الهدوء فتسمروا فى مكانهم وطلب
منهم أن يستأنفوا احتفالهم بالعهد الجديد السعيد ورجاهم ألا يخافوا منه
بعد اليوم، إذ أنه سيكف يده عنهم، لأنه لا يريد أن يكرهه أحد إلى هذا
الحد الفظيع الذى جعلهم يفرحون كل هذا الفرح لموته .. وختم كلمته
قائلا:

- أرجوكم أن تفرحوا لحياتى ولا تسعدوا بموتى ..

ووسط ذهول الحيوانات امتطى (أونى آى) صيده الأخير ليقدمه
لعروسه وسرى الدم فى عروق الحيوانات مره أخرى وارتفعت أصواتها
تهتف لـ (أونى آى) ومضت تودعه حتى آخر الغابه .. بل إن بعضها
صحبه حتى القرية وشهد حفل عروسه ..

وعندما حصل على نصف مملكة والد عروسه قرر أن يقوم
بزراعتها.. فجاءت إليه حيوانات كثيرة تعيش معه وتساعدته على حرث
الأرض وزريها ولم يعد إلى الصيد بعد ذلك أبداً.. فقد حصل بفضل
صيده الأخير على عروس جميلة وأرض خصبة وأكثر من ذلك حصل
على حب جميع الحيوانات.

واكتفى والد العروس بذلك الحيوان الرائع (ذوى المائة واثنين
وخمسين ذيلاً) ولم يعد يفعل شيئاً سوى ركوبه والتجول فى أنحاء
المملكة متباهياً بذيول مطيته الخرافية..



ماساى وكيكوى وكامبا

كان يعيش على ضفاف أحد الأنهار رجل عجوز وغنى يملك قطيعاً من الماشية - وذات يوم بدأ يلاحظ أن عددا من الأبقار يختفى أثناء الليل - فقال يجب أن أراقب طوال الليل لأعرف من الذى يسرق ماشيتى، والويل للص عندما أضع يدي عليه ..

وطوال الليل جلس الرجل يراقب قطيعه حتى قرب الصباح وعندما كان يغالب النعاس رأى فجأة وحشا رهيبا ينشق عنه النهر.. عيوناه تلمع كجمرات النار وألسنة من اللهب تنطلق من فمه، لقد كان تنينا ضخما.

ولم يضيع الرجل وقتا بل أطلق ساقيه للريح بينما انقض التنين على القطيع والتهم عددا من الأبقار والثيران، ثم انزلق مره أخرى إلى قاع المياه .. وقال العجوز فى اليوم التالى:

- الآن عرفت اللص الذى يسرق ماشيتى إنه تنين يخرج من النهر من يستطيع أن يقتله سوف أزوجه ابنتى، وأعطيه مهرا لها نصف قطيعى من الماشية.

ولما كانت ابنته على درجه كبيره من الجمال وكان قطيعه ضخما فإن عددا كبيرا من الشبان كان يود لو يقاتل التنين مجريا حظه.. ولكن النوايا العظيمة لا تصلح وحدها إذا كان القلب مرتعدا فى النهاية.

على كل حال تقدم محارب من قبيلة (الماساي) إلى الرجل العجوز
وقال له:

- لقد جئت لكي أقتل التنين..

فقال له العجوز:

انتظر إذن بجوار النهر هذه الليلة وإذا استطعت أن تقتله فإنني
سأزوجك ابنتي وأعطيك نصف ماشيتي.

وعلى ذلك جلس (الماساي) على ضفة النهر ومعه كمية كبيرة من
الطعام والشراب لكي يستمد منها قوة على القتال.. وظل يأكل ويشرب
حتى أمثلاً، ثم جهز حريته ودرعه وثلاث هراوات وجلس ينتظر خروج
التنين من النهر.

عندما خرج التنين بعيونه التي تومض كالجمر المتقد وبألسنة اللهب
التي تنطلق من فمه ارتعد (الماساي) واختبأ في الأحراش تاركاً أسلحته
على الأرض.. تبكى صاحبها المرتعد.. واتخذ التنين كعادته طريقه
إلى القطيع والتهم على غير عادته عدداً كبيراً من الأبقار والثيران
واختفى في أعماق الماء مرة أخرى..

وفي الصباح وجد الرجل العجوز أن عدداً كبيراً من الماشية قد
اختفى، وكذلك اختفى (الماساي) تاركاً أسلحته وراءه.. وبعد ذلك جاء
إلى الرجل محارب من قبيلة (الكيكوي) وقال:

سوف أذهب لكي أقتل التنين.

ورد العجوز:

- حسناً.. انتظر في الليل على حافة النهر فإذا قتله فسوف أعطيك
ابنتي ونصف ماشيتي..

وجلس (الكيكوى) على ضفة النهر يأكل ويشرب ليقوى جسمه .. ثم
جهز أسلحته وهو يغنى وعندما انشقت صفحة الماء عن التنين ذى
العيون التى تلتهب كالجمر والفم الذى ينفث النار.. شل الخوف
(الكيكوى) فأطلق للريح ساقيه .. وكعادته انطلق التنين إلى حيث
القطيع، وعلى غير عادته إلتهم عددا من الماشيه وقتل عددا آخر ومثلما
حدث فى الليلة الماضيه ذهب العجوز ليجد خساره فى قطيعه أكبر
والفارس الهمام الذى من قبيلة (الكيكوى) قد هرب .. أما المقاتل الثالث
الذى جاء إلى الرجل العجوز عارضا أن يقتل التنين فقد كان من قبيله
(الكامبا) وقدم المقاتل نفسه فى تواضع إلى الرجل قائلا:

- لقد جئت (أحاول) قتل التنين .

وأجابه الرجل وقد امتلأ بعدم الثقه:

حسنا .. إذا أستطعت أن تقتله فلك ابنتى زوجة ونصف قطيع الماشية
هدية مهرا، وعلى كل حال فأنا أشك أنك ستستطيع ذلك فالذين جاءوا
قبلك هربوا ولا اعتقد أن هناك فرصه لتفعل أكثر مما فعلوا .

ولم يجب (الكامبا) ولكنه فى المساء تناول قليلا من العصيدة عشاء
له حتى لا يثقل معدته بالطعام . وجلس على حافة النهر ينتظر وهو يسن
حريته لتصبح أكثر حده . ولم ينتظر كثيرا قبل أن ينشق الماء ويخرج
التنين والجمرات تنقد فى عينيه والنار تنطلق من فمه ..

وأحس (الكامبا) بالخوف، ولكنه ظل يمتلك الشجاعة التى مكنته من
مواجهة الوحش .. وقطع رقبتة بضربة قوية جعلت الرأس يطير
ويتدحرج حتى باب الرجل العجوز .

وعندما شاهد أهل القرية رأس التنين أمام بيت العجوز صرخوا من
الخوف وقد ظنوا أنه ما يزال حيا ولكن (الكامبا) ضحك قائلا:
- لا تخافوا أنه ميت ثم حمل الرأس وعلقها على أحد أعمده السور
بالقرية ..

فرح الرجل العجوز لأن (الكامبا) قتل التنين، وزوجه ابنته وأهداه
نصف القطيع كما وعد من قبل.

وتملك الغيره قلب (الماساي) و (الكيكوي) بسبب انتصار (الكامبا)
وقتل التنين لذلك تربصا به وكما له ليقطعا الطريق عليه أثناء عودته
بالمكافأة العظيمة.

وكان (الماساي) هو أول من هاجمه فرفع هراوته عاليا فوق رأسه
وهوى بها فوقه ولكن (الكامبا) ابتعد عن طريقها، واشتبك الأثنان في
قتال عنيف تمزقت ملابس هذا.. وتحطم ذراع ذلك، ولكنهما ظلا
يتصارعان حتى استطاع (الكامبا) كسر حربة (الماساي) إلى قطعتين
ولكن (الماساي) ظل يقاتل بالجزء المكسور حتى وقع منه وقتله
(الكامبا).

ولما شاهد (الكيكوي) ذلك من مخبئه أطلق ساقيه للريح وهرب.
وهكذا وصل (الكامبا) إلى بيته سالما، ومعه زوجته وقطيع كبير من
الماشية.

وللآن مازالت العداوة قائمة بين (الماساي) و (الكيكوي) و(الكامبا)
لأن البعض يفضل إظهار شجاعته في قتال الآخرين، بدلا من
استخدامها في قتل التنانين.



الكلب مات وأنقذ البنات

الكذب عيبة وشين.. لكن الخيال غير الكذب.. الخيال زين وهذه الحكايه حصلت وما حصلت فأنا لو كذبت سيغفر الله وان كذب علينا الشيطان سيلعنه الله مرتين.. وصلى على الهادى يا سامعين، كان ياما كان..

تاجر اسمه «زين»، عنده سبع صبايا حلوين.. وكان هو أبوهم وكان هو أمهم منذ أن ماتت أم البنات وطال يتمهم.. وفى يوم من الأيام قال:

- سأذهب لأزور البيت الحرام ولكن حرام أترك الأيتام وحدهم. ولذلك اشترى ما يكفى قوتهم وشربهم لمدته عامين من الشراب والطعام، وأوصى عليهم كلبه. ورحل قاصدا وجه ربه..

وسمع وحش الفلاه (الغول) بالصبايا السبع وقال لنفسه:

- سبع بنات وحدهم ما أحلى طعم لحمهم..

وقصد بالليل باب بيتهم.. وقال وغنى:

سبع بنات أخوات. يكفونى سبع وجبات..

لكن الكلب الفالح.. طلع عليه وهو نابح

- صاحبي وصانى عليهم .. ومستحيل تطول شعره من تراب
رجليهم ..

وحش الفلاه جرى خايف .. فالغيلان تخاف الكلاب ولا تطيق
ريحتهم .. وكان يعوى وهو يقول:

ركبى سابت وخصلتى شابت .. من نبحة الكلب على .. لكن بطنى
ماتابت ..

ولما طلع الصباح عليه .. تنكر فى ثياب خالة للصبايا عجوز مختفية
خلف الشال والجلابية .. وقال بصوت حنين يناديهم .. ومعه عصيدة
وملابس جديدة .. ويقول:

- أنا خالتكم، خالتكم وصعب على .. كيف تعيشون وحدكم يا ضنا
عيني ..

لقد أحضرت لكم مافيه النصيب .. من العصيدة المطبوخة بالزبيب،
أمكم كانت حبيبة وأبوكم حبيب ..

فتحوا طاقة فى الباب فناولتهم مامعها ..

قالوا لها: تعالى وعيشى معنا .. لا تتركينا وحدنا .. مادمت أخت
أمنا ..

قالت: بشرط أن تتخلصوا من هذا الكلب الذى يوجع نواحه ونباحه
القلب .. فهو نجاسة ونجس . إن فعلتم وكف عن النباح، سأتى لكم
وأقضى الليل حتى الصباح ..

قالت أصغر البنات:

- لا تسمعوا لها.. نحن مالنا خالة ولم نسمع بها.
لكنهم لم يسمعوا كلامها.. وأكلوا الطعام حتى طعامها..
وبعد أن نامت.. قتلوا الكلب ورموه فى الشارع.. وانتظروا خالتهم
المزعومة وجاء وحش الفلاه الذى هو غول وسعلاه.. وهى يغنى
ويقول:

سبع بنات وحدهم
ما أحلى طعم لحمهم..
سبع بنات أخوات
يكفونى سبع وجبات..

لكن الكلب المقتول.. سمعه فانتفض وتحرك يقول:
- صاحبى وصانى عليهم.. ومستحيل أن تطول شعره من تراب
رجليهم.

وما أن سمع وحش الفلاه حتى بكى.. وارتعد.. وقال لما ابتعد:
- ركبى سابت وخصلتى شابت من نبحة الكلب على.. لكن بطنى
ماتابت.. فى الصباح عاد الوحش للصبايا وقال:
- ما يكفى أن تقتلوا الكلب لكن احرقوه..

والبنات حرقوا جثة الكلب.. من أجل خاطر عيون خالتهم لكن
الصغيرة خبأت الأذنين وحمتهم من النار.. ودفنتهم تحت عقب الدار..
وحين وقت العشية، جاء الوحش السعلاه، وصاح كمثل عادته وقال
القول وغناه.. ولكن صوت الكلب من تحت عقب الباب أتاه..

- صاحبي وصانى عليهم.. ومستحيل تطول شعره من تراب رجليهم.

وحش الفلاه اتفزع.. وجرى خائفا حين استمع.. وهو يقول:
ركبى سابت، وخصلتى شابت من نبحة الكلب على وبطنى ما
تابت.. وعاد إلى ثياب الخالة.. ثم عاد فى ثياب الخالة.. قال:
- أبيت معكم ولكن ارموا تراب الكلب فى البئر العميق لأنه غير
صديق..

ولكن حين فعلوا وعاد هو فى الميعاد وقال المعتاد.. طلع الصوت
من البئر مهولا.. متضخما كالزلزلة.. وهو يقول فى صوت مهول:
- صاحبي وصانى عليهم.. لو مديت يدك إليهم.. سأقطعها..
وتلاقى روحك مصرعها..

وارتعب وحش الفلاه.. الذى هو غول وسعلاه.. وجرى وهى يقول:
- الكلب عاند معايا.. حرّم على الصبايا.. وطرمنى بره الحكاية.
ورجع الوالد من الزيارة.. وقام الفرخ لعودته والبشارة.. بناته
وجيرانه وعزوته فرحوا جميعا لرجعته.. وبعد أن حكى لهم أخبار
رحلته.. حكوا له هم ما حدث فى غيبته قال:

- ما كان لكم خالة.. الصغيرة صدقت.. وكان يجب ألا تستمعوا
لها.. على كل حال يجب أن نجد طريقة لقتل هذا الوحش..

ثم قام بهمة وحفر سردابا عميقا أمام الباب.. وملاه بالنار والحرايب
وغطاه بالأعشاب والتراب وعندما جاء الوحش كعادته وقال قوله.. لم

ينبج الكلب طبعاً. فصاحب البيت عاد واستراح وراح القلق.. عندما
سقط الغول فى السرداب واحترق..

وانتهت الحكاية بالسعادة.. حتى الكلب الذى كالعاده.. مات. وانقذ
السبع بنات.

معكوسة فعلت بالعكس

كان (سيوم) الحبشى رجلا تعيساً.. لأن زوجته لا تفعل إلا عكس ما يقول.. وتعطيه عكس ما يطلب.. فإن قال لها:

سوف ابني لنا بيتا من الحجر..

قالت له.. لا.. لا.. لا.. ابنه من الخشب.

وإن قرر أن يكون البيت فوق التل صاحت ورفضت وأصررت على بناء البيت على ضفة النهر، وإن طلب منها أن تربي بطا.. اشترت دجاجاً.. وإن قرره أن يكون لهما حصانا وعربة.. صاحت معترضة:
لا.. لا.. الأفضل أن يكون عندنا حمار.

وباليت الأمر اقتصر على ذلك.. ولكنه كان إن عاد متعبا من العمل.. وقال لها:

- أعطني قليلا من الماء فأنا جد عطشان.. أسرعت وأحضرت له رغيفا مملحا وقالت:

الأفضل أن تسد رمقك فأنت جائع..

وإن جائها طالبا خبزاً ليتغذى..

أسرعت وأحضرت له الماء.. ليروى عطشه.. وإن قال لها في المساء هيا لنزور أبى..

اعترضت وقالت:

لا .. لا .. سنذهب لزيارة أمي ..

حتى إذا جاءهم ضيوف واقترح هو أن يرقصوا بعد العشاء .. أصرت هي على الجلوس وتبادل الأحاديث .. في هدوء .. والعكس إن اقترح هو تبادل الحكايات، والأحاديث في هدوء .. قادت هي زوينة الرقص في صخب.

ونال التعب من (سيوم) وازدادت تعاسته .. ولكنه فجأة .. أصبح سعيداً .. ضاحكاً .. فقد وافته فكرة عبقرية .. جاءته فجأة كما تجيء كل الأفكار العبقريّة للعباقرة .. إذ وجد نفسه ذات ليلة يقول لنفسه:

- إنني لا بد أن أكون مغفلاً .. لماذا أطلب ما أريد مادامت تفعل عكس ما أطلب .. لماذا لا أفعل العكس .. وأطلب منها عكس ما أريد فتنفذ هي ما أطلب حقاً .. ها .. ها ..

وظل يضحك سعيداً، حتى خشي أن تكتشف فكرته فكف الضحك لكنه ظل سعيداً في صمت .. وأصبح إذا كان عطشاناً .. قال:

- أحضري رغيفاً.

وإن جاع .. قال .. أين الماء يا زوجتي العزيزة ..

وإن أراد زيارة أمه طلب منها أن يذهباً لزيارة أبيها .. وبعد أن كان أهل القرية يتحسرون عليه ويقولون:

ما أتعس (سيوم) - صاروا يتعجبون .. لأن تعاسته زالت .. مع أن زوجته مازالت تفعل عكس ما يطلب .. ولكنه ظل محتفظاً بالسر ..

لأنهم لا يعرفون أنها تفعل بالضبط ما يريد. وإن فعلت عكس ما يقول إلى أن حدث ذات يوم.. أن ذهب هو وزوجته لزيارة بعض الأصدقاء.. عبر النهر وابتدأت الدنيا تمطر مطراً غزيراً.. وفاض النهر عند عودتهما.. حتى صار عبوره خطراً جداً. إذ كان ينحدر بشدة إلى الوادى حاملاً أشجاراً وصخوراً كثيرة.. قال (سيوم) وقد نسى فكرته العبقرية..

- لنبق هنا يا زوجتى فعبور النهر خطر جدا الآن.. ولكنها وهى التى لم تنس عادتها قالت:

- لا.. لا.. يجب أن نعبره ونذهب.. هيا إلى منزلنا..

وتقدم هو ليكتشف قاع النهر. وما عبر. صاح بها قائلاً مشيراً إلى مكان معين:

- أعبرى من (هنا) فإن (هناك) حفرة فى قاع النهر لا أمان لها..

ولكنها عبرت من (هناك).. ولم تقبل أن تعبر كما قال لها من (هنا) وطبعاً.. سقطت فى الحفرة وغطاها الماء..

وصرخ (سيوم) طالباً النجدة.. وجاء إليه كثيرون فأخبرهم بأن الماء غطى زوجته وعليهم أن يبحثوا عنها..

ولم يجدوها طبعاً.. لأنهم بحثوا عنها فى الاتجاه الذى يذهب إليه الماء أسفل الجبل. ناسين أنها دائماً تفعل عكس ما يطلب منها.. وأنها لا بد أن تكون قد انحدرت عكس اتجاه التيار صاعدة إلى القمة.



دبرها من يدبرها

يحكى أن رجلاً كان رزقه على قدر شغله، يحمل هنا حملاً، وينقل هناك نقلة، يحفر يوماً في الخلاء.. ويبني في يوم آخر بناء.. ولم يكن في كل الأحوال يكسب إلا قليلاً.. فكان إذا تعشى هو وعياله لا يفطرون، وإن أفطروا لا يتغدون..

وكان عدد عياله الذين يعيشون على ماله ثمانية.. زوجة وسبعة أولاد يطلبون الكساء والطعام ولو بدون أدام.. وذات يوم قالت له زوجته:

- أولادك يشتهون اللحم أشتري لنا اليوم (دواره) - أى أمعاء خروف لنطبخ لهم (عصبان) أى معبار.
قال لها كما يقول دائماً:

- تكرمى.. من عيني هذى وعيني هذى..

ونظفت الزوجة الأرز وحضرت النار.. وقطعت البقدونس والبصل وكل ما يلزم لتحشى (الدوارة) وتصير (عصبان).. وجلست تنتظر على أمل..

لكنه عاد في المساء بلا (دواره) أو باره.. وقال:

- دبرها الذى يدبرها.. قلت لنفسى لماذا (الدوارة) غدا اشترى لكم خروف كامل نربيّه نسمنه للعيد لنأكل لحمًا حقيقياً.. ونشرب حساء ونفت ما نشاء..

قالت الزوجة وهي تجهز ما تيسر من العشاء:

- الله يكرم تفكيرك ما أعظم تدبيره وتدبيرك.

ولما خرج الرجل إلى شغله دون إفطار حتى أسرع ففتلت حبلا وربطته في السقيفه وجهازت مكاناً لخروف وأحضرت برسما وجلست تنتظر خروف العيد الموعود.. ولكن زوجها عاد ويدها الاثنان فارغتان فقالت في خوف:

- أين الخروف..؟

فقال مبتسما في سرور:

- دبرها الذى يدبرها.. سوف اشترى غدا بئمن الخروف مصاغا لك وزينه من الذهب.. أساور وحلقانا تغيظين بها الجيران.. وتكون لنا أمانا من الزمان..

فرحت الزوجة وقبلت زوجها وقالت وهي تجهز العشاء:

- الله يكرم تفكيرك ما أعظم تدبيرك وتدبيره

وما أن خرج الرجل فى الصباح دون إفطار حتى دخلت هى إلى الحمام فاستحمت وتزينت وتعطرت.. تكحلت وأخرجت أحسن ملابسها التى تحتفظ بها منذ عرسها فلبست وجلست تنتظر المصاغ لتكمل زينتها..

ولكن الزوج عاد ويدها فارغتان.. وقبل أن تسأله قال:

- دبرها الذى يدبرها ثمن المصاغ نشترى به غدا بيتنا لنا ولعيالنا على الأقل ترتاحين من الخناق والشقاق مع صاحبة البيت وأهل الزقاق.

فرحت الزوجة ورقصت..

وفى الصباح.. خرج رجلها إلى السوق من هنا وأسرعت هي من هنا فجمعت أثاث البيت وملابس الأولاد وأواني الطعام ودبرت الجميع فى صره وربطته فى ربطة. وتشاجرت مع صاحبة البيت، وأقتلت مع الجيران وتصارع الأولاد مع الأولاد وسبت البنات البنات.. ثم وجلست متعبة وهم حولها أمام الباب ينتظرون الرجل المهاب.

ولما رآته ألقت بالمفاتيح لصاحبة البيت بينما كان زوجها يحلق دون كلمة، فقالت له بصوت عال:

- هيا إلى دارنا الجديده مالنا عيش وسط جيران كهؤلاء.. هيا.

وتهياً الرجل ومضى يقودهم إلى حيث تذكر أن دارا يسكنها (الجن والعماريت) معروضة للإيجار أو البيع ولا يريدوا أحد فذهب إلى شيخ الحاره، وأخذ منه المفاتيح فى هدوء ولم يسمع لنصح الشيخ أو تحذيراته. إذ أن أحدا ممن باتوا فى تلك الدار لم يطلع عليه النهار.. إذ كان الجن يقتلون كل من يزاحمهم فيها، هكذا قال الشيخ. ولكن الرجل قال:

- حال خير من حال، سأستريح أنا ويستريح العيال وليلة فى هذا البيت المسكون تنهى عمر الفقر. فنكون أولا نكون.

وما أن دخلت الزوجة إلى البيت حتى مضت ترتب حاجياتها وهى سعيدة ببيتها الذى كان واسعا جميلا.. رغم التراب والعنكبوت ولكنها أخذت تجعله أجمل البيوت. وبينما هى تشتغل هى وأولادها قال زوجها:

- رجعت أم لم أرجع بسرعة لا تنتظرونى فأنا عندى شغل طول الليل وسأنهى إجراءات الشراء.

ولما جاء المساء.. ونام الأولاد سارت الزوجة تتفقد الأبواب وفجأة
انشق الحائط وخرج منه جنى مهول على صورة ثعبان وأخذ يفح وينفخ
ويقول:

- مرينى تقبرينى أمرك ماشى على عينى.. ماذا تطلبين منى.
عليك طول الليل أن تشغلينى.

ففرحت به وقالت:

- ما أجمل ما تقول تريد أن تشتغل هيا.. لقد قطع نفسى ولم أنظف
الدار.. هيا ألا تراها خربه متربه.. والسقف مخلوع والبواب منزوع
والجدران كالحه والأرض غير صالحة هيا لو عندك نظر، وإعدها كما
كانت..

وظل الثعبان الذى أذهلته المفاجأة.. ينفخ هنا وهناك فكنس الأرض
ودهن الجدران وأصلح السقف والأبواب فصارت الدار قصرا يسر
العين..

ولما انتهى أخذ يفح ويقول:

- مرينى تقبرينى أمرك ماشى على عينى ماذا تطلبين منى. عليك
طوال الليل أن تشغلينى.

فقالته وهى منسرحة:

- مرحبا بك - هيا يا فالح ألا ترى أن النوافذ والأبواب عارية.. أين
الستائر والطنافس أين الرياش والأثاث.. انتظر.. وأين ملابس الأولاد
ونحن على أبواب الأعياد.. انتظر.. المطبخ ألا تراه خالى الوفاض..
ألا يحتاج إلى أدوات وخزين.. انتظر وزين الحظيرة.. أملأها بالخرفان
هيا.. فأولادى كانوا يريدون أكل (العصبان).

وظل الثعبان الجنى يروح ويجى وهو ينفخ ويقعد ويقوم ويصعد
وينزل ويذهب ويجى وفى كل خطوه كان القصر يعمر ومع كل نفخة
كان المخفى يظهر.. حتى انتهى لاهثا ولكنه قال:

- مازال الفجر بعيدا.. ولا بد أن تعرفى أن عليك أن تشغلينى حتى
يظهر نور الصباح فقد حكم على الزمان أن أظل على صورة ثعبان
حتى تغلبنى امرأة من بنات حواء تظل تشغلنى حتى يظهر الصباح
والآن أرى كل شىء قد تم.. لقد ظننت ستفحين لأنك دون كل الخلق
لم تخافى منى.. كانوا جميعا يموتون من الرعب عندما يرونى..
فاعلمى معروف.. مرينى تقبرينى شغلينى شغلينى.

واحتارت المرأة قليلا.. فكل شىء قد تم عمله فى البيت.. وهنا
فتحت (فمها) على آخره وقالت له:

هيا إن استطعت أغلق هذا (الشق) وسده وظل الثعبان الجنى. (ينفخ
محاو لا غلق فمها) فلم يستطيع حتى سمع المؤذن يقول (الله أكبر)
مؤذنا بطلوع الفجر.. فأسرع واختفى مودعا الأرض إلى الأبد..

فى الصباح عاد الزوج ومعه ثمانية أكفان ليدفنها هى وأولادها..
ولكنه ذهل عندما رآها فى ثياب جديدة تلاقية ضاحكة الأسارير.
تتمطى فى السرير. وهى تقول:

- دبرها الذى يدبرها..

دبرها من ليس لنا غيره.. والذى لا يعلم أحد أسرار تدبيره.

عنيزة المعيزة

يحكون هذه الحكاية فى تونس لكنها موجودة فى أماكن كثيرة من العالم العربى.. ويوجد لها شبيهه عند شعوب أخرى كثيرة.. فى مصر مثلا تسمى العنزات الصغيرة بأسماء أخرى ويرويها أهل الدقهلية غير أهل الشرقية.. فهى عند أهل الدقهلية حكاية (شراية الدخان) وعند الشراقوه (حكاية قرن الغزالين) وهى فى كل مكان لها طعم مختلف. ولله فى خلقه شئون.

كانت العنيزة المعيزة تخرج للحقول فى الصباح وتعود فى العشية وتصبح على عنيزاتها الثلاث:

- يا عنيزاتى يا معيزاتى افتحو لى بواباتى.. اللبن فى حلماتى طالب تحلبونى.. والعشب الأخضر طالب الأكال.. على قرونى.

وتفتح العنيزات الباب ويأكل الجميع حتى يشبعوا ويرضعون حتى يرتووا.. وما أن يكتفوا حتى يشطحوا وينطحوا ويرقصوا.. ويرتفع الغناء المأمة..

وحين يتعبون يطلبون من أمهم أن تحكى حكاية لهم لكى يناموا، كل منهم يذهب مع أحلامه وسمع الذئب الغناء فقال:

- هلت أيام الرخاء.. وداعاً للبطن الخواء.. الآن بدون عناء سنجد
الغداء والفقير والعشاء..

ثم ذهب مسرعاً لأحد الفخارين الذين يصنعون الفخار من الطين..
وطلب منه قرنين وضعهما فوق رأسه من الناحيتين.. وذهب إلى بيت
العنيزة المعيزة وصاح مقلداً صوتها قائلاً:

- يا عنيزاتي يا معيزاتي.. افتحوا لي بواباتي.. اللين في حلماتي
طالب تحلبوني.. العشب الأخضر طالب الأكال على قروني..

وفتحت العنيزات الباب من هنا.. وهجم الذئب وخطفهم ومضى إلى
هناك.

ولما رجعت العنيزة المعيزة في العشية كعادتها.. نادى كعادتها..
ولكن لا عنيزة ولا معيزة جاوبتها.. وسألت الجيرة عن السيرة.. ولما
عرفت ما فعله الذئب.. فكرت تفكيره.. لكنها كبيرة.. راحت
للحدادين، وبالنار والحديد سنت وجلت قرونها.. وجرت إلى حيث
الذئب بعد أن مسحت الدموع من عينيها.. وصاحت فيه:

- خطفت ولداتي وجرحتنى.. وكنت تظن نفسك غلبتني وقهرتني..
لكن لا.. لو شاطر وفالج.. كنت ناطحتني.. هيا..

وغضب الذئب وضربها بقرنه الفخار فتكسر وطار كأى قرن من
فخار وصار شقافاً وعفار. وردت العنيزة الضريبة بقرونها المسنونة..
بأيدي الحدادين فما لحق الذئب يتلفت للشمال ولا لليمين..

وأخذت العنيزة المعيزة، عنزاتها معيزاتها ورجعت للدار فشرين
الحليب وأكلن البرسيم، ولما شبعوا وأكتفوا، وبشجاعة أمهم احتفلوا،
فزاطوا وصفقوا ورقصوا ومأمأوا، وطلبوا منها أن تحكى لهم كيف غلبت
الذئب الذى خطفهم، فحكيت لهم.. وغفرت ذنبهم فناموا ليروح كل
منهن مع أحلامه.. لتستقبل وهى سعيدة.. الأتى من أيامها الجديدة.



أغلى من الذهب

من الأرض تثبت الأشجار الزهور.. وعلى الأرض يعيش البشر..
الأرض ليست تراباً وحجر، فى الأرض يختلط عرق الفلاحين
الذين يزرعون الأرض بالتراب وفى التراب تذوب عظام الأجداد..
ومن نفس الأرض يخرج الغذاء فى صورة نباتات وثمار وحبوب يعيش
عليها الأحفاد.. الناس أبناء للأرض، والأرض أم للناس.
ولذا يحب الناس أرض بلادهم.. لأنهم من خيرها يأكلون من أجل
خيراتها يعملون وعلى خيراتها يعيشون.. ولذلك فهم فى سبيلها يمكن
أن يموتوا....

وفى زمان بعيد.. بعيد.. نزل رجلان من أوروبا إلى إحدى البلاد
الأفريقية. ذهباً شمالاً وذهباً جنوباً صعدا الجبال والتلال ونزلا الوديان
والسهول.. دخلا الكهوف، ركبا الأنهار حتى المنابع.. دارامع
الشواطىء وأوغلا فى الغابات.. وللمدن وللجبال وللأنهار للمحاصيل
وللنباتات البرية.. للحقول للأحراش.. للشواطىء للبحيرات.. للموانى
ولمصبات الأنهار ثم حملا الخرائط إلى ملك تلك البلاد.. قال الملك:
- أشكر لكما جهدكما، لقد صنعتما شيئاً جيداً، ومفيداً.. إنها خرائط
جميلة وسيستفيد منها شعبى.

ثم أن الملك أعطاهما ذهباً وجواهر أشياء جميلة وشكرهما ثانية وهو يودعهما وأمر اثنين من خدمه بمرافقتهم حتى السفينه .

وعندما وصل الجميع إلى الشاطئ حيث السفينه .. طلب التابعان المرفقان من الرجلين الأبيضين خلع حذائيهما .. قبل الصعود إلى السفينه ..

وأثار الطلب دهشة الغريبين، ولكن هذا كان أمرا لا بد من تنفيذه قبل الصعود .. ففعلا وأمسك كل رجل بحذاء وأحضر قطعة من القماش ونفض التراب عنه تماما، ثم أعاده لصاحبه وقال:

- الآن يمكنكما الصعود الى السفينه ..

وفي دهشة بالغة سأل الغريبان:

- ولكن لماذا فعلتما ذلك .. لماذا نفضتم التراب عن أحذيتنا قبل الصعود .. لم تكن هناك حاجة لذلك فقد أكرمتونا بما فيه الكفاية .

ضحك الأفريقيان وقال:

نحن لم نفعل ذلك من أجلكما، ولكننا فعلناه لحكمة عليكم ألا تنسيها أبدا .. لقد رأيتما بلادنا وكم هي جميلة .. ولا بد أنكما سألتما أنفسكما لماذا هي جميلة ؟ نحن نقول لكما أنها جميلة لأننا اشتغلنا بجد وخدمنا تربتها الغالية .. زرعنا فيها الأشجار والزهور وجعلناها تنبت لنا الغذاء والكساء وكل الأشياء الطيبة من الأرض .. حتى الذهب والجواهر التي اهديناها لكما جاءت من الأرض .. ولذلك فأرضنا أغلى كثيرا من الذهب ومن الجواهر ولا نستطيع أن نعطيكمما ولو ذرة واحدة من ترابها .. مع السلامة .

حلم سیتی تیتی لانی

كان (سیتی تیتی لانی) رجلاً فقيراً، إلى درجة أنه لم يكن يجرو
على القول بأنه يملك شيئاً فوق ظهر الدنيا إلا الكوخ الصغير الذي بناه
لنفسه كي يسكن فيه ..

وكان سیتی تیتی لانی يقضى نهاره في صيد فئران الحقول، كي
يقضى ليلة في صنع ملابس يرتديها من جلودها ..

وكان .. لا لم يكن - سیتی تیتی لانی متزوجاً لأنه ليس في هذه
الدنيا امرأة، تقبل الزواج من رجل فقير إلى هذه الدرجة يصنع ملابسه
من جلد فئران الحقول ..

وذات يوم بينما كان (سیتی .. إلى آخره) يصيد فئران الحقول ..
وجد بيضة نعامة كبيرة وبيضاء .. ففرح وقال:

- يا سلام .. سوف أصنع منها طبقاً شهياً لذيذاً، لم يذق العمدة مثله
في حياته ..

ولكنه تردد قليلاً وقال:

- سأنتظر حتى تغير الريح اتجاهها، حتى لا يشم أحد رائحة طبقى
اللذيذ فيخطفه منى ..

وجلس ينتظر .. ولكن الريح ظلت على ما هي عليه حتى هبط
المساء فأخذ البيضة وعاد إلى الكوخ .. وهناك خاف أن يوقد النار فيظن
أحد من أهل القرية شيئاً .. إذا رأوا في كوخه ناراً ..

وفى الصباح.. كان قد نسى كل شيء عن بيضة النعامة وقام
كعادته وخرج لصيد الفئران..

وقد يسأل أحدكم كيف ينسى بيضة النعامة. وهى أهم شيء حدث
له فى حياته.. وفى الحقيقة أنا لا أعرف كيف.. وإن كنت أظن أنه
ظن، أن الأمر كان مجرد حلم زاره فى الليل.. وما أكثر ما يحلم الفقراء
والجائعون..

على كل حال..

لقد عقدت الدهشة لسانه، عندما عاد الى كوخه فى المساء فوجده
نظيفا مرتبا.. وأكثر من ذلك وجد رغيفا ساخنا شهيا من الخبز فوق
الحصيرة.. وأكثر كثيرا من ذلك، وجد جرة مليئة بالجة فى أحد
الأركان.. وما كان عليه أن يفعل سوى أن يشرب وأن يأكل؟

ويعد ذلك جلس فى حيرة يحك قفاه، كعادته عندما يعجز عن فهم
أمر من الأمور. وأخذ يسأل نفسه:

- أنا غير متزوج.. أى أننى، ليس لى زوجة.. ولكن هناك من
خبزت الخبز وخبزت الجعة، ورتبت المكان يا ترى تكون هى؟..

لم يكن (سيتى.. إلى آخره) متأكدا هل كان يحدث نفسه أم كان
يتحدث بصوت عال، ومع ذلك فقد دهش كثيرا عندما سمع من ترد
عليه وتقول:

- أنا التى نظفت المكان.. وخبزت الخبز وصنعت الجعة يا سيتى
تيتى لانى..

ونطقت الاسم كاملاً..

وجحظت عيناه، وهو يرى فتاة جميلة كما يكون الجمال في
الحواديت، تخرج عليه من داخل بيضة النعامة، وعض على شفته وهو
يسمعها تقول:

- إن لم تمنع فسوف أبقى عندك لكي أعتني بك.. وأعطيك شيئاً
كثيراً من كل شيء.. ولكن بشرط واحد
فقال كالمسحور: وما هو؟

قالت:

- ألا تناديني أبداً.. ولا تدعوني.. البنت فقس النعامة.. وكان شرطاً
سهلاً طبعاً، مادام سيحصل على كل شيء يريد ويشتهيه، فوعدها
مؤكداً أنه سيقطع لسانه قبل أن يناديها بالبنت فقس النعامة. وكان
مسرور الفؤاد، وكانت البنت عند وعدها فأبقاها عنده. وبذلت هي كل
ما تستطيع من جهد في العناية به وإسعاده، ومضت الأيام سلسلة
وجميلة حتى كان صباح سأله الفتاة..

- هل تريد أن تصبح زعيماً ورئيساً عظيماً وغنياً يا (سيتى تيتى
لانى)؟..

ونظقت الاسم كاملاً.. فضحك في سعادة وقال:

- ومن في الدنيا لا يريد يا.. حبيبتي.

ولم تنطق الفتاه ولكنها تناولت المدق وخرجت. وأخذت تدق
وتضرب الأرض في المكان الذي تعودت أن تلقى منه بالنفايات..
وظلت تدق طول الليل، بينما نام (سيتى لانى) هانئاً هادئاً..

واستيقظ في الصباح التالي على هتاف أهل القرية والقبائل
المجاورة، الذين تجمعوا حول بيته الكبير يهتفون بحياته . ولم يصدق
(سيتى .. إلى آخره) ما تراه عيناه أو ما تسمعه أذناه لولا أن تأكد عدة
مرات أنه مستيقظ . وأن ما حوله حقيقى وأنهم يهتفون باسمه كاملا
(سيتى تيتى لانى) . فأخذ سمت الزعيم وخرج إليهم رافعا يديه بالتحية
وابتسامة عريضة رائعة تملأ وجهه . وصاح الناس عندما رأوه ..

نحن نحب زعيمنا .. عاش رئيسنا المحبوب منا .. بالروح .. بالدم!
ورمى الزعيم بعينه بعيدا، فشهد حظائر البقر والماشية فتمتم قائلا:
- الحمد لله أنها قرية غنية وأنا نفسى غاية فى الثراء ..

وطبعاً .. لم يعد (سيتى تيتى لانى) أو (سيتى .. إلى آخره) يلبس
ملابساً من جلد الفئران، يصنعها بنفسه لكنه كان يضع على ظهره
عباءة من جلد الفهد نفسه .. ولم يعد ينام على الحصيرة وإنما أصبح
ينام على حشايا من ريش النعام والطواويس .. ولم يعد كذلك يأكل الخبز
والجعة أن وجدا .. ولكنه أصبح يأكل من كل شىء ما يزيد عن حاجته،
وكأنه يريد أن يعوض أيام الحرمان الماضية .. ولكنه كان يشرب من
الجعة كفايته فقط ..

وسارت الأمور كما تعودت أن تسير بعمدة ثرى، وزعيم كبير لقرية
غنية وقبائل نشطة وشجاعه .. حتى أنسته عيشة الرؤساء حياته القديمة،
وأسدلت ستائر بيته الكبير الفاخر ستارا كثيفا بينه وبين أيام جلد الفئران
الحقير ..

وذات يوم .. بعد أن أكل شيخ القبيلة العظيم طعاما أكثر من كفايته،
وشرب من الجعة كفايته .. فقد السيطرة على نفسه فأنحلت عقدة لسانه،

وجد نفسه يطلب مزيدا من الجعه على غير عادته صارخا:

- أنت.. يا بنت تعالي هنا.. أيتها البنت فقس النعامه لم لا تردين؟..
أيتها البنت، يا فقس النعامه.. أين أنت؟

وحضرت الفتاة غاضبة وقالت:

هكذا. أتناديني بفقس النعامه؟ وتنسى وعدك لى.

ولكنه ضحك فى مرح وقال:

- وماذا فى هذا؟.. ألسنت فعلا فقس نعامه؟

ولكن الفتاة لم تستجيب لمرحه وخرجت دون كلمة. لم يهتم
(سيتى.. إلى آخره) بما حدث.. ونام.. ولكنه عندما أستيقظ أحس بالآلام
الأرض الصلبة تدق عظامه، فتحسس الأرض فزعا فلم يجد حشايا من
ريش أو قش وإنما حصيرة حقيرة.

ونظر إلى نفسه فلم يجد على جسده جلد فهد أو نمر وإنما جلد فئران
برية.. فقام مذعورا يستطلع الأمر.. فلم يجد حول كوخه الفقير قبائل أو
حظائر.. ولكنه وجد فى أحد الأركان بيضة النعامه التى خرجت منها
ذات ليل تلك الفتاة الجميله.. التى لن تكون أبدا..

يوم تكلمت البطاطا!

ذات صباح ذهب الفلاح إلى حقله ليحضر بعض جذور البطاطا، وكانت البطاطا قد نضجت دون أى مساعدة منه، فهو لم يذهب إلى الحقل منذ زرعها ووضعها فى الطين، لم يتعب نفسه فى ريها، ترك الأمطار تتكفل بذلك، ولم ينتزع الحشائش التى كانت تنافسها فى الغذاء تركها تقاوم وحدها الحشرات والآفات.. وذلك ما جعل البطاطا فى غاية الغضب.. ولذلك صاحت به - عندما انتزع جذراً سميناً ناضجاً وأخذ يتأمله فى نهم، قائلة:

- أيها الفلاح الكسول، وليس من حقك أن تأكل شيئاً منى، فأنت لم تشتغل لتستحق أن تذوق طعم البطاطا...

وللهولة الأولى خيل إليه أنه يخرف، وللوهلة الثانية ظنه صوت الريح. ولكن الصوت الغاضب عاد مرة أخرى يؤنبه قائلاً:

- يجب أن تخجل من نفسك، فأنت لم تكلف خاطرِك منذ زرعت الحقل، أن تزوره مرة واحدة، والآن تظن أن من حقك أن تلتهم ما تشاء، وكأنك تستحق ذلك..؟

كان الصوت واضحاً تماماً..

وكان الكلام شديد الوضوح.. وبدأ الرجل يتلفت حوله فى زعر حقيقى . ليعرف مصدر الصوت.. فلم ير سوى حمامته العجوز تلوك بعض الحشائش وهى تنظر نحوه فى بلاهة.. وهنا طمأن نفسه وقال:
هل تبلغ بك الجرأة أيتها الحمامة الحمقاء أن تحدثينى بهذه اللهجة..

وأسرع إلى الشجرة المجاورة، ولوى غصناً منها فكسره ليضرب الحمامة الجريئة، فسمع من يتأوه غاضباً..
- أيها الرجل القاسى القلب، إنك تؤلمنى.. لماذا تقطع أغصانى بهذه القسوة..

وسقط قلبه بين قدميه وزام مرتعباً، وهو يلقي بالغصن من يده، ليقع على صخرة كانت هناك.. ولكن صوتاً ثالثاً أتاه صارخاً:

- ابعد هذا الغصن عنى أيها الكسول، ماذا فعلت لك لتضربنى هكذا..
ألا تخجل من نفسك.. جئت لتأكل وتكسر وتضرب.. وكأنك فلاح يتعب فى سبيل حقله..

ولم يكن هناك مفر سوى الهرب.. فانطلق يعدو كالمجنون صارخاً..
مولولاً وكأن الجن تطارده بعصى من الخيزران..

وظل يجرى ويجرى دون أن يجرؤ على الالتفات إلى الخلف..
قابله فى الطريق صياد.. يحمل شبكة من خيوط الكتان فى طريقه إلى النهر ليصطاد السمك.. فسأله مستفسراً:
- لماذا أنت خائف إلى هذه الدرجة.. من الذى يطاردك؟.

وبعد غمغمة وتمتمة، تماسك وتمالك نفسه وقال:

- لقد أنبتني البطاطا على كسلي، قائلة أننى لا أستحق أكلها،
ولامتني الحمار، وصرخت بى الشجرة لأننى كسرت غصنا..
وغضبت منى الصخرة..

وضحك الصياد طبعاً إذ ظنه مجنوناً، ولكنه لم يكمل ضحكته، بل
اتسعت عيناه رعباً، ورمى بالشبكة صارخاً وأسرع يجرى خلفه عندما
سمع الشبكة تقول:

- لا تستمع إليه، إن وراءنا عمل كثير.. هل هناك من يصدق أن
البطاطا يمكنها أن تتكلم..

ظل الفلاح والصياد يجريان كأرنبيين، وهما فى حالة من الذعر
الشديد. حتى التقيا بأحد التجار يحمل جرة من العسل فى طريقه لسوق
القرية القريبة.. فاطمأنا قليلاً، والتقطا أنفاسهما، ووفقاً يخبرانه عن
سبب رعبهما الشديد - قال الصياد:

- لقد أنبته البطاطا على كسله وكذلك الحمار، والشجرة تألمت لأنه
قطع غصنا، ورماه على الصخرة فغضبت منه، وحذرتنى الشبكة من
تصديقه وقالت ساخرة: إن أحدا لا يصدق أن البطاطا يمكن أن تتكلم!..

وهنا سمع الرجال الثلاثة بكل وضوح صوتاً أجش يقول:

- طبعاً، لا يصدق أن البطاطا يمكن أن تتكلم إلا أحمق أو مجنون..

ألقي التاجر بجرة العسل عندما سمعها تقول هذا.. وانطلق يجرى
خلف الفلاح والصياد حتى سبقهما وهو يولول صارخاً.. حتى وصلوا
إلى بيت شيخ القرية العجوز.. الذى كان يجلس فى هدوء، وحوله

حراسة، أمام بيته، يتأمل أحوال الدنيا. ويدخن أرجيلته في دعة
واطمنان ..

ارتدى الرجال الثلاثة على الأرض، يطلبون الحماية من الشيخ،
الذي طلب غاضبا أن يشرحوا له سبب تعكيرهم صفو جلسته الهادئة ..
تكلم الرجال الثلاثة في صوت واحد فلم يفهم شيئا. فحذروهم أن
صبره كاد أن ينفد، وأنه سوف يلقي بهم جميعا إلى السجن إن لم
يوضحوا له الأمر على الفور. قال الفلاح:

- لقد أنبتني البطاطا لإهمالي الحقل فترة طويلة... وسخرت مني
الحمارة العجوز، أما الشجرة فقد تألمت وسبتني لأنى كسرت غصنا،
ولما رميته غضبت الصخرة وصرخت فى وجهى..
وقاطعه الصياد..

- والشبكة لم تصدق أن البطاطا يمكن أن تتكلم.
وقال التاجر:

- هذا صحيح، لأن جرة العسل أكدت ذلك أيضا...

إعتدل الشيخ فى جلسته، وهم أن يأمر رئيس حراسه بأخذهم جميعا
إلى السجن لازعاجهم السلطات، بخرافة البطاطا هذه.. ولكنه قفز
صارخا عندما سمع الأرجيلة تقول مؤكدة:

- الشبكة والجرة معهما كل الحق... فالذى يصدق أن البطاطا يمكن
أن تتكلم لابد أن يكون أحمق.. أو مجنوناً..



أكلنا وما أكلنا

قالوا في تونس: أن رجلا فقيرا جدا رزقه الله (بسحتوت) فاشترى به رطلا من التين. وراح ليأكله عند حافة بئر مهجور، وبعد أن غسله جيدا، فرزه جيدا واختار أكبر وأحلى التينات ووضعها بجواره على الحافة ليأكلها في النهاية - وهو يقول لنفسه في فرح: أمسح بها فمي ليبقى الطعم على لساني مدة طويلة...

ولما انتهى من أكل التين، مد يده في فرح ليأخذ أحلى التينات، فطاشت يده وأطاحت بالتينة اليتيمة إلى البئر.. (بلم بللم) ثم اختفت في الماء..

اتسعت عيناه ذعرا وامتلاً قلبه غما.. واحمرت وجناته غيظا وحسرة.. وانطلق يصيح ويلطم خديه:

- أكلنا وما أكلنا.. ضياع التينة قتلنا.. يا بئر رد لنا مالنا.. تينتنا زادت جوعنا.. لو أكلناها كنا شعبنا!!

ولما زاد عياطه وزياطه....

خرج إليه (جنى) يسكن البئر وصاح فيه:

- كل هذا النواح من أجل تينة واحدة... لقد اشتتها زوجتي الحامل فأكلتها.

إزداد صراخ الرجل عندما علم أن (الجنية) أكلت التينة الأخيرة
فأسكته الجنى قائلاً:

- كفى.. خذ.. هاك (مترد) مسحور اطلب منه أن يعبئ نفسه بما
تحب وسيفعل واصمت!

جرى الرجل للبيت، وغلق الأبواب.. وقال:

- يا مترد يا مسحور اتعبي (كسكسى) باللوز المقشور...

امتلاً (المترد) كسكسى..

ثم قال: يا مترد اتعبي تفاح..

ولما أكل التفاح.. قال: يا مترد اتعبي جوز وامتلاً المترد جوزا...

وقال وطلب... وأكل ثم طلب وقال..

وكان المترد يمتلئ في كل حال...

وجرى الدم في عروق الرجل.. واغتنى بعد فقر.. وصار بيته بيت
نعمة وشبع.. واكتسى أولاده وبناته شحماً ولحماً.. صار الحال
غير الحال.. إذ تعدلت الأحوال.. بنته السمراء الصفراء أحمرت
خدودها.. وزوجته العجفاء ترعرعت وتنعت...

وكانت بنته تذهب إلى دار (معلمة) الخياطة والتطريز متعبة
مجهدة.. فأصبحت تذهب ضاحكة حاملة كل لذيذ. فقالت المعلمة لها:

- من أين هذا كله.. بستانك زهر ياسمين، وفله.. وخجالت البنت
وياحت لها بالسر... فقالت لها:

- لا تأتي غداً بدونه، لأراه فقط حتى أصدق أنك لا تكذبين على..
والا...

البنيت خافت وجابت لها بالمترد!

الست شافت وتحققت وابدلته بمترد آخر. لا يتعبي بالجوز ولا
يمتلى باللوز.

وأراد الرجل يومها أن يتعشى، فلم يجد لقمة وظل المترد أخرس
صامتاً.. فظن أن الجنى ضحك عليه وأسرع إليه.. وأطل من حافة
البئر. وابتدأ الرجل الصياح.. كأن عدوا ائخنه بالجراح..

- أكلنا وما أكلنا.. ضياح التينة قتلنا.. يا بئر رد لنا مالنا.. تينتنا
زادت جوعنا.. لو أكلناها كنا شعبنا...

وصعد الجنى مذعوراً يفرك عينيه وهو يقول:

- إنا أعطيناك المترد.. فاحمد الله وابتعد من هنا.

لكن الرجل زاد من نواحه وصياحه. وقال:

- ما عاد المترد يتعباً.. ولا بطلباتى يعبأ والعيش صعب.. لو عندك
قلب..

وأعطاه (الجنى) بهيماً صغيراً حين يقال له: (زر) يا بهيم قمحاً..
(يزر) قمحاً. (زر) لوزاً يا بهيم (يزر) البهيم لوزاً... (زر) بلحاً يزر
بلحاً..

وجرى الرجل إلى بيته.. وعاد الحال كما كان.. شراب وكساء
وطعام...

ومثلما فعلت المعلمة في المرة الأولى فعلت في الثانية.. وكما بدلت
المترد.. أبدلت البهيم.. وكان الله بالسر عليهم ومثلما أصبح المترد.. لا

يتعبا. لم يعد البهيم (يزر) .. ولأن الرجل لم يفهم السر. فقد عاد إلى البئر.. وزاد النواح والصياح والجعير.. فأعطاه الجنى هذه المرة (دبوسا) وقال له ..

- قل له اشطح اردح يا دبوس .. يعمل لك وليمه تأكل وتشبع .. وتفرح حين ترى وتسمع ..

وعاد الرجل فرحانا إلى البيت .. وعندما طلب من الدبوس أن يشطح ويردح .. شطح الدبوس وردح وسهر يدق الطبل ويغنى وسهر الرجل وعائلة حتى الصباح في سرور وأفراح

وذهبت البنت الصغيرة لمعلمتها وهي تتشاءب وعيناها حمروان من قلة النوم.

فأنبتها المعلمة حتى عرفت السر. وكانت الثالثة (تابته) ... فسرقت البنت لها الدبوس وعندما احضرته .. حدثته المعلمة وقالت:

- اشطح وارده يا دبوس ...

وهنا .. خرج الجنى نفسه لها وصاح بها ..

- أنت إذن التي تسرقين الرجل، وسرقتني ونهبت المترد والبهيم ونهبتني .. ومن نومي اقلقتني ... إذن. خذي حتى تهتمى بشئونك وتعتنى ...

ثم إنزال عليها ضربا، حتى اضطرت لاعادة (المترد) و(البهيم) و (الدبوس) جميعا للرجل صاحب التينة .. التي إشتهتها الجنية فأكلتها!



١٢ رجلاً وشجاع واحد

فى الحبشة قرية صغيرة اسمها قرية (آدى نيناس) . وسر شهرة هذه القرية أن لها قصة، قصة فيها شجاعة وذكاء.. تستحق أن تروى... خاصة والقرية تحتفل كل عام بذكرى هذه القصة.. التى جلبت الشهرة للقرية ولأهلها الشجعان!!

والقصة بدأت يوم توجه اثنا عشر رجلاً من أهل القرية إلى المدينة، لاحتضار الدقيق.. وعاد الاثنا عشر رجلاً وكل منهم يحمل كيساً كبيراً مليئاً بالدقيق فوق ظهره...

وكان هناك سبع مفترس يقطع الطريق إلى القرية.. ولهذا كان ذهاب الرجال إلى المدينة وعودتهم، حادثاً يستحق أن يروى.. ولكن ما حدث هذه المرة كان يستحق الاحتفال....

عندما وصل الرجال إلى قرب القرية، توقف أحدهم وصاح:

- هل نحن جميعاً سالمون؟.. هل نحن جميعاً هنا؟

ونظر إلى الطابور فى اهتمام ثم غمغم:

- واحد.. اثنان.. ثلاثة... أربعة.. خمسة.. ستة.. سبعة.. ثمانية..

تسعة.. عشرة.. أحد عشر.. يا للهول.. لقد فقدنا واحداً منا.

سأل رجل آخر منهم:

- من الذى فقد؟ ... من الذى ضاع؟ .. قف أنت وسأعد أنا. (ويكل اهتمام غمغم بصوت أعلى)

.. واحد.. اثنان.. ثلاثة.. أربعة.. عشرة.. أحد عشر.. فعلا.. ليس هنا سوى أحد عشر.. آه.. لقد التهم الوحش واحدا منا.. قتل الوحش رجلا منا يا رجال!

وبدأ كل واحد منهم يعد الحاضرين ليتأكد... ووجد الجميع أن هناك أحد عشر رجلا فقط.. وأن الثانى عشر مفقود.. مفقود.. قال أحدهم:
- كنا نسير طابور.. والسبع أكل الأخير..
فرد الثانى:

- لقد اختطفه الأسد دون أن ندرى.. ولم يتكلم ولم يتألم حتى لا يربعنا...

وبكى الثالث وهو يصيح:

- تصوروا.. ترك الاسد يأكله فى هدوء.. حتى يحمينا ولا يلفت نظر السبع لنا..

ونهنه رابع وناح.. صارخا:

- كان وحيدا.. نعم يالتعاسته.. ونحن تركناه.. تركناه يموت وحيدا...

فناح الجميع مثله:

- صديقنا الغالى.. قتله السبع.. وراح فداء لنا.. رفض حتى أن يصيح.. لو صاح متألما كنا انقذناه.. ولكنه لم يصرخ ولم يتأوه... ياله من شجاع نادر....

وعندما وصلوا إلى ساحة القرية.. وضعوا أكياس الدقيق وتجمع أهل القرية لاستقبالهم.. وتشجع واحد منهم وزف الخبر إليهم في نبذة حزينة:

- إنه لأمر محزن.. رجل منا قتل السبع الذي يقطع الطريق وكان سيقتل منا آخرين.. لولا شجاعة صديقنا الراحل... صديقنا.. مات في صمت... لينقذنا.. لأنه لو استنجد بنا لجرينا إليه لننقذه.. وكان السبع سيلتهم منا ضحايا كثيرين.. رأيتم مثل هذه شجاعة؟...

وصاح جميع أهل القرية:

- لا طبعاً.. لم نر شجاعة كهذه... أليس هو رجلاً من أهل (أدينيناس)...

وبكى من بكى... وتنهَّد من تنهَّد.. وتأوه من تأوه.. حزنا على الشجاع الراحل...

ولكن طفلة صغيرة تقدمت من الأكياس وأخذت تعدها لاهية لآعبة وهي تحجل وتقول:

- واحد... اثنان... ثلاثة.. أربعة.. خمسة.. ستة.. سبعة.. ثمانية... تسعة.. عشرة.. أحد عشر... اثنا عشر.

ثم صاحت بوالدها الذي كان عمدة القرية

- يا أبى.. هنا اثنا عشر كيساً من الدقيق... فلا بد أن هناك اثنا عشر رجلاً...

قطب العمدة حاجبيه وتقدم من الرجال.. وسط الصمت وغمغم في جديه:

- واحد... اثنان.. تسعة.. عشرة.. أحد عشر.. اثنا عشر.. هه..
نعم.. اثنا عشر... لقد عاد الرجل الشجاع.. لم يقتله السبع. تغلب عليه
وعاد بكيس الدقيق... ياله من شجاع.. هرب من السبع بل قتله وعاد
بالدقيق... دون أن يفصح عن اسمه....

وهلل الجميع صائحين....

- حقا يا له من شجاع.. منكر لذاته.. وابتدأ أهل (آدى نيناس)
يرقصون احتفالا برجلهم الشجاع الذى انقذ كيس الدقيق وقتل السبع
وعاد صامتا.. دون أن يذكر من هو، منقذ رفاقه الأحد عشر!! ومن
يومها والقرية تحتفل بذكرى هذا الشجاع المجهول.. الذى اكتشفت
شجاعته واشتهرت قصته، وكانت - لأن كل واحد من الاثنى عشر
رجلا العائدين بالدقيق كان ينسى أن يعد نفسه وهويعد الآخرين!!

حكمة الأغبياء

كان لرجل عجوز ثلاثة أبناء... وكان العجوز الذى يشتغل فى جمع الثمار والأعشاب وقطع الأخشاب فخوراً بأبنائه الثلاثة... وكان هذا شيئاً عادياً فكل أب عنده ثلاثة أبناء لابد أن يفخر بأبنائه الثلاثة... ولكن ما بالك وهؤلاء الأبناء كانوا غير جميع الأبناء.. نعم.. كانوا غير عاديين بدرجة ممتازة... أقصد بدرجة غريبة..

فالأول.. كان يسمع دبيب النمل على صخور الجبل الشرقى.. قد تظن أنه يضع أذنيه فوق صخور الجبل فيسمع دبيب النمل.. لا... فهذا شيء قد يكون عادياً.. ونحن هنا نحكى عن العجائب..

لقد كان يسمع دبيب النمل فوق صخور الجبل الشرقى.. الذى لم يصل إليه أحد، إذ أنه كان على بعد أميال من القرية... ويعيش فى المسافة الطويلة هذه عدة آلاف من الأفيال.... وما أدراك بما تفعله الأفيال إذ كانت حرة فى الغابة كالأفيال...

ولذا كان اسم هذا الولد العجيب - كما سماه أهل قريته بعد أن عرفوه بميزته (سمعان). أما الولد الثانى.. فعجيبه كانت عيونه تلك التى ترى ما لا يرونه.. كان يستطيع أن يرى العصفور الثرثار.. وسط السحاب والغبار وهو فى طريقه إليهم قبل عبور البحار ولذلك كانوا يسمونه (أبا العيون). أما الولد الثالث.. وكان أصغر الأبناء فكانت له

معجزة وهبها الله للأنبياء والأولياء - كان يستطيع شفاء كل مريض بلمسة من أصابعه، ويصلح كل مكسور بمجرد أن يجمعه . واحتار الناس ماذا يطلقون على هذا الولد ذى الكف الساحرة .. وأخيراً سموه (جابر) . وكان الثلاثة موضع إعجاب أهل القرية، كما هم موضع إعجاب والدهم وأكثر.

فى يوم من الأيام... ذهب والدهم إلى الغابة كعادته ليجمع الثمار وليقطع الأشجار. وفجأة وكان الأولاد الثلاثة على بعد أميال كثيرة يجلسون فى هدوء يتحدثون فى أمور الدنيا، ويفكرون وهم يتأملون الشروق!.

فجأة قال (سمعان):

- لقد سقط رجل من فوق شجر هناك عبر النهر فى الجانب الشرقى من الغابة... انظر يا (أبا العيون) من يكون.. ونظر (أبو العيون)..
- فعلا.. ولكنه أبانا هو الذى سقط! ياللهول.. لقد كسرت رجله.. وهو يتألم... هيا بنا بسرعة، اتبعانى لأدلكما عليه..
وأسرع الأولاد فى لهفة كأولاد سقط والدهم من فوق شجرة.. وكسرت رجله.. ويتألم.. ولحقوا بالمكسور، الذى عندما رآهم نسي آلامه وصار مسرورا.

وقام (جابر) بجبر الكسور.. وكانت الحال خطيرة ولكن الوالد بسبب مهارة ابنه ولمسته السحرية... قام على رجليه مرة أخرى، وكان شيئاً لم يحدث!

أليس لهذا الوالد الحق أن يكون فخورا.. بحكمة وقدرة أبنائه وقد صار سليماً بعد أن كان مكسوراً؟.

وفى المساء.. جلس الأبناء كالعادة.. مثل أى جماعة.. يثرثرون
ويتأملون أمور الدنيا ويتأملون الغروب..
قال سمعان فى أدب...

- ياسلام.. لولا أننى أسمع دبيب النملة لما سمعنا صوت سقوط
والدنا العزيز... ولتعذب كثيرا.. فمن كان سيلتفت إلى آلامه.. والمكان
ملئ بالوحوش المفترسة، إننى أشكر أذننى جدا.. لأنها أنقذت والدى
الذى أحبه..

التفت إليه (أبو العيون) فى غضب.

- ما هذا التخريف أنت سمعت رجلا يسقط... أى رجل؟.. هل
كانت أذنك ستعرفان أنه والدنا العزيز.. لم هذا الغرور؟ وعيناي هما
اللتان عرفناه واكتشفنا خطورة إصابته ولولاهما لما أنقذناه.. ولتركناه
فى الغابة يتعذب حتى يموت! الفضل لعينى وإليهما فقط يجب علينا
جميعا أن نقدم الشكر... بل والقرايين أيضا!!

وهنا لم يتحمل الابن الأصغر كل هذا الجحود.. فهب غاضبا وقال:

- أنت سمعت، شكرا لأذنك الغاليتين.. وأنت رأيت، مرحبا أيتها
العينين.. ولكن ما الفائدة... هذه الأنامل المعجزة، هى التى يجب أن
تكون مكرمة معززة... هى صاحبة الفضل كل الفضل.. ولها الاحترام
والتبجيل يا ناكرى الجميل...

وارتفعت الأصوات ولم تهدأ!..

واشتد الصياح والصراخ واستمرت المعركة وكأنها لم تبدأ..

وتخاصم الأخوة.. فالصوت يتعب.. من الزعيق.. وتباعدوا فالعين
تمل التحديق.

ولم يعودوا للجلوس معا يثرثرون ويتأملون أحوال الدنيا أو يبحثون
فى الغروب أو الشروق...

ولكن الوالد استمر كعادته يخرج لجمع الثمار وقطع الأشجار كل
صباح... والحدوته تقول أنه سقط مرة أخرى من فوق شجرة أعلى..
قد يكون ذلك بسبب إهماله ربط نفسه جيداً.. مطمئناً أن له من الأذان
والعيون والأدوية ما يحميه، من أى شىء يؤذيه..

وسمع (سمعان!) ولكنه تجاهل الأمر ولم يخبر إخوانه..

وبالصدفة رأى (أبو العيون) ولكنه أغمض عينيه ولم يخبر أخويه.
وطبعاً.. ظل الوالد يعانى ويتألم..

كان (جابر) يجلس فى هدوء البحر وهو لا يعلم... (وأبو العيون)
و(سمعان)... يعرفان ولكن أحدهما، لا يريد بسبب غضبه من أخيه،
أن يتكلم.. ولم يجد الوالد الذى كان لا يزال هناك وسط الغابة يتألم،
سوى أحد القروود بالقرب منه.. فصرخ فيه قائلاً:

- أرجوك أن تذهب بسرعة أيها الصديق وقل لأبنائى الحكماء.. أن
الحكيم الذى يظن أن حكمته وحدها ستغير الدنيا وتصلح الأشياء، تضيع
حكمته هباء لأنها تصبح العن من الغباء!

(٣)
حكايات وحواديت
شرقية ومغربية

(تلك الأيام المسحورة..)

الضفدعة الخضراء

الوجه الآخر للحكمة:

كان أحد الفلاحين حزينا، وكانت زوجته أشد حزنا منه، لأنهما لم يرزقا بأطفال.. دعت الفلاحة السماء أن ترزقها بابنة ولو ضفدعة.. فعلاً رزقت الفلاحة بعد فترة بضفدعة كبيرة خضراء.. ولم يتعجب الأب، ولم تستغرب الأم، بل كانا سعيدين جدا بالطفلة الضفدعة..

وفى يوم من الأيام.. مر على الحقل أمير جميل.. عادل.. فسمع غناء الضفدعة، ولم يستطع أن يعرف مصدر الصوت فاختبأ ليرى.. ولكن الضفدعة أحست به فكفت عن الغناء.. ولما طال وقوفه دون الوصول إلى شيء.. اقترب من الفلاح وقال له:

أعرف أنك تعرف صاحبة الصوت.. وأنا أقسم أن أتزوجها مهما كانت ومهما تكون!؟..

وخاف الفلاح طبعاً، فلم يخبر الأمير بأنها ابنته وأنها مجرد ضفدعة خضراء، واضطر أن يقول له أنه لا يسمع سوى صوت الريح.

ولكن الأمير صاح غاضباً:

- أيها الرجل.. أعرف أنك تخفى شيئاً، ولكنى أؤكد لك أنني سأتزوج صاحبة هذا الصوت حتى لو كانت مجرد ضفدعة صغيرة خضراء.

وانفجر الفلاح ضاحكاً:

- ولكنها بالفعل ضفدعة صغيرة خضراء..

وهنا نزلت الضفدعة من فوق الشجرة وفي أدب شديد، سلمت على الأمير، وفوجيء الفلاح عندما رآه ينحني أمامها في أدب ثم يطلب منها أن تتزوجه، وأن تذهب لتعيش معه، ودهش الفلاح أكثر وهو يسمع الأمير يضيف قائلاً:

- ولكن يجب أن تحضري معك أجمل زهرة في العالم، لكي تنالني رضا وحب والديّ.

وظن الفلاح أن الأمير مجنون .. وأن ابنته أكثر منه جنونا لأنها وافقت على الزواج منه وقالت:

- اسبقني إلى القصر.. وانتظرنى عند أبواب المدينة الشرقية قبل أن تشرق الشمس بقليل!..

وطلبت البنات من والدها أن يسرج لها ديك المزرعة الأبيض وأن يناولها سنبله قمح ناضجة.. ثم انطلقت ممتطية ظهر الديك تسابق الريح إلى المدينة. وعند البوابة الشرقية كان الأمير ووالداه وسط أهل المدينة ينتظرون عروس الأمير وكان بعضهم قد عرف أنها مجرد ضفدعة خضراء..

عندما لاحت الضفدعة تمتطى ظهر الديك علا صوت ضحكاتهم وسخرياتهم.. ولكن الشمس أشرقت فغمرت الضفدعة بأشعتها الدافئة الذهبية.. وصمت الجميع وهي تغنى بصوتها العذب الساحر:

أيتها الشمس القدسية..

إكسيني ثيابا ذهبية..

ودعيني أكمل أغنيتي..

فالحب طريق الحرية!

وفجأة.. رأى الناس الديك الأبيض ينتفض أمامهم ليصبح جوادا
أبيض رائعا.. والضفدعة تنقلب عروسا مشرقة في ثياب من أشعة
ذهبية.. وهتف الناس فرحين..

وأمر الملك بأن تتقدم بزهرتها، حتى يتحقق وعده بأن يزوج ابنه
بمن تحضر أجمل زهرة في العالم. فتقدمت الفتاة الضفدعة ملوحة
بسنبلة القمح.. فهلل أهل المدينة هاتفين بحياة الفتاة صاحبة السنبل
التي كانت بالفعل - أجمل وأروع من كل الأزهار.. أليس كذلك!؟

أجراس الإمبراطور

كان ياما كان.. فى بلاد الصين القديمة البعيدة، حيث المكان الذى تشرق منه الشمس وتلتقى السماء الزرقاء الصافية بالمحيط الواسع، الذى لا شط له. كان يعيش إمبراطور جبار له ذقن طولها يقاس بالأشبار، وله حواجب ثقيلة طويلة كأنها جناحان، وأنف يشبه ثمرة البطاطا العمياء..

وكان ذلك الإمبراطور كغيره من أباطرة الصين، ظالما، ومثل كل سلاطين الزمان القديم لا يفكر فى شىء سوى نفسه. كان يريد أن يجعل اسمه على كل لسان من الغرب حتى اليابان، خوفا من النسيان، وذات صباح جاءت فكرته، فاستدعى وزيره الحكيم وهو يرقص لأنه يبتكر مثل هذه الأفكار، وجاء الوزير الذى كان يشبه عنزة وقعت فى بئر - قال له:

- اسمع يا وزيرى يا وزير، لقد فكرت كثيرا، ودبرت تدبيرا خطيرا، لذيذا له طعم الفطير.. أريد أن تصنع لى أجراسا ضخمة لها رنين وأنين، عندما أضربها وأدقها، يأتى الناس إلى مسرعين هاتفين. أريد صوتها أعلى من صوت الرعد، وأحلى من أنغام الموسيقى، والأهم الأهم، أريدها أن تهتف باسمى فقط عندما تدق، فتقول: (بنج وانج هوو.. بنج وانج هوو..) أى أنا، نعم اسمى أنا، (بنج وانج هوو)، وليس غيرى وأمامك شهر من الآن. إما أن تصنع (التن ترن) بنج وانج هوو أو (تك تك) طار رأسك الكبير يا وزير..

وجمع الوزير الصناع من حدادين ونحاسين، يصهرون ويخلطون المعدن، ويصنعون القوالب والسبائك، والأمبراطور لا يرضى بشيء، فهذا صغير وهذا الصوت غليظ وهذا ضعيف وأحيانا يصرخ غاضبا:

- أريدها أجراساً كبيرة ليعبر صوتها السور العظيم..

وچار الوزير واحتار، فكلما زاد حجم الأجراس امتنعت المعادن عن الامتزاج وفسدت القوالب، فسألوا كاهنا عجوزا كان خبيرا في التعدين، فقال لهم لن تمتزج المعادن إلا إذا اختلطت بدماء فتاة صغيرة جميلة.

وحزن الوزير الذى كان يشبه العنزة التى وقعت فى بئر، لكنه صاحب قلب رحيم، ولا يريد أن يلوث يده به بالدماء، ولكن الأمبراطور أعطاه مهلة أخيرة مدتها ثلاثة أيام فقط وإلا طار رأسه.

ومرت الأيام الثلاثة، والوزير يحاول أن يمزج السبائك دون أن ينفذ وصية الكاهن لكن الفشل كان تاما تماما.. ولما علمت ابنته الصغيرة بالأمر، طلبت أن يأخذها لتتفرج على الصناع المهرة وهم يصهرون المعدن، فأذن لها والدها الذى لم يكن يريد أن يفارقها أو يغضبها فى يومه الأخير.

لكن الفتاة عندما وصلت فوق الحوامل التى تحيط بالبوتقة الكبيرة انتهزت فرصة انشغال الجميع عنها للحظة، فألقت بنفسها فى المعدن المصهور وهى تقول:

- لا تحزن يا أبى لا بد أن تنجح وتنجو.

العجيب كما تقول القصة أن المعادن امتزجت بعضها ببعض وصنعت الأجراس جميلة رائعة كبيرة.

فرح الإمبراطور وظنها تنطق اسمه (بنج وانج هوو) لكن الحقيقة التي سمعها كل الناس، في الأسواق والشوارع والحقول والتي أكدتها رواياتهم جيلا بعد جيل.. أن الأجراس كانت تقول: (تنج تنج سوو).. وهو اسم تلك الفتاة النبيلة التي ضحت بنفسها لتنقذ والدها الشيخ من غضب الإمبراطور، ولتنقذ طفلة أخرى، كان يمكن أن تروح ضحية بلا سبب..

والغريب، أن أهل الصين يذكرون اسم هذه الفتاة حتى الآن، بينما ضاع اسم الإمبراطور وطواه النسيان.

أذنى الأرنب

يقولون: إن لله في خلقه شئون..

وفي هذا يحكى السابقون، أن ملكا من الملوك القدماء - ولا أعرف إن كان هذا في بلاد اليونان أو الألمان أو التركمان - لكنه كان ملكا كغيره من الملوك في ذلك الزمان فيما عدا شيئا واحداً خاصاً جداً به. هو أن له أذنين طويلتين غريبتين تشبهان أذنى الأرنب أو أذنى الحمار، ولا تتعجب.. فله في خلقه شئون، كما يقولون.. ومنذ كان صبيا صغيرا ظهرت عنده هذه الحالة شديدة الغرابة.. قيل أن سببها هو رفضه تعلم القراءة والكتابة، أو هى بسبب لعنة أصابته بها ساحرة شريرة قابلها فى الغابة. على كل حال: لا يهمنا السبب فى قليل أو كثير، فالقدماء كانوا يفسرون الأشياء الغريبة بأكثر من تفسير وكلها تفسيرات لها من الخيال نصيب كبير.. ولكننا يمكن أن نقول (لله فى خلقه شئون) كما يقولون..

ومنذ حدث له هذا الشيء الغريب العجيب، والأمير - عندما كان أميرا أو الملك - لما أصبح ملكا، حريص على أن يخفى هذا العيب عن كل الناس، ولذلك كان يرتدى تاجا عاليا من الذهب اشتهر به بين الملوك فى ذلك العصر القديم.. ولم يكن يخلع ذلك التاج إلا عندما ينام أو يدخل الحمام وطبعاً عندما كان الحلاق الملكى يأتى إليه.. ليقص شعر رأسه أو ليهدب شاربيه.

وهنا كانت المشكلة التي كانت السبب في انتشار هذه الحكاية!
وبقائها عبر العصور لتقول:

أن ذلك الملك كان يقتل الحلاق الذي يعرف سره، خشية أن يذيع السر بين الناس، وبإلها من كارثة.. فلو أنه حلق مرة واحدة كل عام.. لراح ضحية لذلك، عدد من الحلاقين أكبر من عدد المحكوم عليهم بالإعدام.. ولو حلق مرة كل شهر لضاع في العام دسنة من الحلاقين بالكمال وبالتمام، فما بالك لو حلق ذلك الملك كل بضعة أيام؟!..

وطبعاً كان لا بد أن يكره الناس مهنة الحلاقة.. لأن الحلاق الذي كان يدخل القصر لا يعود.. فأصبح تعلم هذه الصنعة ضرباً من الحماقه. فقل عدد الحلاقين سنة بعد أخرى.. فمن الذي يريد أن يدفع حياته ثمناً لضريبة مقص أو لمسة موس؟ وجاء اليوم الذي لم يبق فيه إلا حلاق واحد بالمدينة.. وحتى هذا جاء الحراس فأخذوه بالقوة، ذات يوم ليحلق للملك حلقة أخيرة..

وكان الحلاق لا يعرف في البداية سبباً لخوفه من الذهاب، إلا لأن الذين يذهبون لا يظهرون ولا يعودون.. ولكن لما كشف له الملك التاج عنه رأسه في خجل وشاهد الحلاق طول أذنيه.. انتابت الرعدة ساقيه وأخذ يقص الشعر على عجل.. وهو يكاد يموت من الخوف والوجل.. وتأكد من سبب اختفاء الحلاقين وعرف أنه قد جان الحين، وجاء يوم الأجل، فأخذ يبكي حزناً على حاله وأسفاً على أطفاله.

وما أن رأى الملك بكاء الرجل على نفسه، بكى هو الآخر مثله وأكثر، فمذ قالوا له أن هذا هو آخر حلاق في المملكة وهو يفكر كيف سيحلق بعد ذلك، وكيف تكون هذه حلقتة الأخيرة.. وماذا سيكون منظره لو ترك شعره يطول ويهيش ويصبح كالديك المنفوش الريش؟..

وطبب الحلاق على ظهره يواسيه .. مقدر ما يعانيه .. وهنا سأله
الملك:

- هل تحفظ السر وتعيش؟! ..

وركع الحلاق على الأرض شاكرا.. وأقسم أنه سيقطع لسانه تماما،
وسينقطع عن الحديث مع البشر.. وهنا أمر الملك بتركه يعيش داخل
البلاط الملكي. وألا يختلط بأحد من السكان وألا يغادر المكان إلا في
حراسة مشددة شديدة ولمسافات محددة غير بعيدة.

ومرت الأيام وراء الأيام..

ولكن الحلاق الذي لم يقدر في البداية هموم من يحمل سرا غريبا
مثل هذا.. بدأ يحس عذابا شديدا.. ورغبة كبيرة في أن يقوله لأحد..
ولكن كيف؟ وحياته معلقة بذلك.. ولكن الأمر ازداد يوما بعد يوم، من
ناحية هو يخاف أن يتحدث فيلحق به اللوم.. أو يصمت فيهرب منه
النوم.. وهكذا قضى أيامه: في الليل يعذبه الأرق.. وفي النهار يقتله
القلق..

وذات صباح مشرق جميل، بينما كان واقفا في شرفة القصر يحاول
أن يهدئ صدره بالنسيم العليل، وأن يزيح همه بالنظر إلى الأفق
البعيد.. رأى النهر يلمع تحت أشعة الشمس، والحياة تتماوج فوق السطح
(ككلمات) من الفضة.. ولمح شجرة صفصاف كبيرة تميل على سطح
النهر كأنها تهمس للمياه بأسرارها..

ماذا؟.. تهمس للمياه بأسرارها؟!.. ما هذا؟.. هل هذا صحيح.. وهل
إذا صح، يستطيع أن يستريح: إن همس للشجرة بأسراره.. فليجرب..
هذا حل جميل، ولا حل غيره ولا سبيل..

سيقول للشجرة كل شيء.. وسيريح صدره من الهم الذى يخفيه،
ويأمن فى نفس الوقت أن السر لن يذاع، فالناس لا يعرفون لغة الشجر،
والشجرة ستعطف عليه وتحفظ سره وتداريه.

وارتدى ملابسه بسرعة ثم تسلل من القصر فى خفة وخوف،
ومضى يجرى حتى وصل إلى ضفة النهر وتحت شجرة الصفصاف
الكبيرة بالضبط، أخذ يحفر فى الطين وهو يتلفت ذات الشمال وذات
اليمين، حتى صنع حفرة كبيرة وصل بها إلى الجذور الصغيرة، فقرب
رأسه منها وهمس لها فى نشوة عظيمة.

- أيتها الشجرة الوحيدة البعيدة. فلتكونى موضع سرى ولا تنطقى به
لأحد. ولتكونى لى صديقة، فأنا وأنت نعرف الآن سرا واحدا.. أن
للملك أذنين تشبهان آذان الأرانب (وضحك وأكمل) .. بل وآذان الحمير
أيضا.. ها. ها. ها. ها. ها. ها.

تمايلت الشجرة مع النسيم شاكرة له أنه عرض عليها صداقته..
ومالت غصونها تربت على ظهره وهو يعيد التراب لحفرته.. وأحس هو
براحة كبيرة. فقد انزاح عن صدره هم ثقيل.. كأنه كان يحمل فوق
كتفيه أنثى فيل..

ورأته عصفورة وهو يرقص فرحا فابتسمت ساخرة

وخافت من رقصه وقفزة يمامة.. فطارت مسافرة..

وعاد هو إلى القلعة.. وهو فى سعادة غامرة..

ومرت أيام أخرى وراء أيام..

واختفى القمر مرات كثيرة وعاد مشرقا كالبدر فى التمام أياما وراء

أيام.. حتى مر عام وأكثر من عام..

وجاء يوم عيد الميلاد التالي للملك، ذى التاج العالى..

وعلى عادة تلك البلاد البعيدة.. فى تلك الأيام القديمة.. كان الملك يقيم لكل الناس احتفالا فيه يشربون ويأكلون.. ويجتمعون حول القصر وهم يهتفون ويرقصون.. وكانت الفرق الفنية تأتي من كل مكان لتشارك أهل ذلك الزمان أفراحهم بيوم ميلاد الملك.. وكالعادة جاءت فرقة المنشدين العازفين عبر النهر، ونزلت من قاربها عند الصفصافة، فأعجبتهم فروعها وأغصانها التى كانت تكاد تنطق وتتكلم، كلما داعبها النسيم. فقطعوا بعض القطع الصالحة ليصنعوا منها صفافير ونايات جديدة.. تصلح للمناسبة السعيدة..

وفى الساحة الكبيرة الواسعة، تجمع أهل المدينة كلهم معا.. وخرج إليهم ملكهم يرتدى تاجه الذهبى العالى ساطعا لامعا.. وبدأ الاحتفال وكان على فرقة العازفين والمنشدين أن تبدأ الحفل بعزف أنشودة جديدة باسم جميع المهنتين.. وما أن نفخوا فى النايات والصفافير الجديدة حتى حدثت المفاجأة العجيبة الغريبة.. إذ خرجت الألحان فرحة سعيدة لا تتوقف جعلت الجميع يرددون الأغنية، وكأنهم بها مسحورون مأمورون.. ينشدون وهم يرقصون:

يكون هذا أولا يكون .. لله فى خلقه شئون..

إن كان هذا أو كان هذا .. قلب الشجاع يسأل لماذا..

الكون ملآن بالغرائب .. لكن من أعجب العجائب..

تاج يدارى أذن الأرانب .. وكافة الخلق يعرفون..

لله فى خلقه شئون..

وكان اللحن ساحراً راقصاً، لدرجة جعلت الملك نفسه ينزل وسط
الساحة راقصاً قافزاً سعيداً، ولدرجة أنه رفع التاج عالياً.. لا مبالياً..
وهو يردد مع من يغنون (لله في خلقه شئون)..

وفرح الناس به فرحاً شديداً رغم أذنيه، فقد كان ظريفاً طريفاً، وكان
الأمر كله لطيفاً مطمئناً.. ولم يعد هناك سر، بل عرف الملك أنه لم يكن
هناك سر، فالكل كانوا يعرفون عنه ما يعرفه عن نفسه من مدة
طويلة.. وأخذ يضحك ويضحك ثم فجأة أخذ يبكي ويبكى قائلاً:

- ما أتعبني، لقد قتلت عدداً كبيراً من الحلاقين دون فائدة وما كان
يجب أن أخفي هاتين الأذنين اللطيفتين عن الناس، فله في خلقه
شئون!!

ومن يومها وتلك البلاد القديمة البعيدة تقيم حفلاً سنوياً مرحاً لطيفاً،
تحية وتخليداً لذكرى أولئك الحلاقين الأبرياء التعساء، منشدة على تلك
النايات الساحرة الغناء!

صانع العرائس

كان يا ما كان، فى بلاد الشمال البعيدة حيث الغابات والجبال والثلوج. وفى قرية مشهورة بصناعة اللعب الخشبية والعرائس، كان يعيش فنان قدير اسمه (فرتيز) يخرج كل يوم إلى الغابة ليختار بنفسه قطع الخشب الصالحة، ثم يعود إلى دكانه الصغير ليصنع منها لعباً وعرائس خشبية، يحملها إلى المدينة فيما بعد، حيث يبيعهام هناك للكبار وللصغار.

كان (فرتيز) مثل كل صناع العرائس يؤمنون أن هناك (جنية) طيبة ترعى صناع اللعب الخشبية للأطفال، وتدلهم على أنسب الأخشاب. وتوحى لهم بأجمل الصور والأشكال، ولذلك كان (فرتيز) دائماً يغنى لها، وهو يعمل فى دكانه:

ياست العرائس يا أم الخيال .. ياروحا يغنى فى دنيا الجمال..

سوف يأتى يوم أستطيع فيه .. أن تصوير حسك فى أحلى تمثال..

وكان (فرتيز) يعمل بجد دائم ليكسب قوته الضرورى. وجاء يوم طلب منه أحد التجار الكبار، أن يبيعه كمية كبيرة من اللعب، وكانت هذه فرصة لا تعوض فى حياة (فرتيز) فمضى يعمل ويغنى مرحاً فأغاظ غناؤه صانع عرائس آخر كان لا يحبه. فلما عرف سر سروره

الكبير اشتد حقه عليه وانتظر حتى اقترب العمل من نهايته، فتسلل إلى الدكان وانهاه بالمطرقة يحطم ويشوه كل ما صنعه (فرتيز) دون رحمة وخرج دون أن يراه أحد.

ولما عاد (فرتيز) وكان التاجر معه لم يحتمل المنظر إذ كانت حيواناته الجميلة ولعبه الخشبية كلها محطمة، فانهار باكيا خاصة وأن التاجر انصرف غاضبا، لأنه لم يستلم (بضاعته) وبينما كان (فرتيز) يجلس وسط لعبه المحطمة إذ دخلت عليه امرأة عجوز وقالت له في صوت غريب عميق:

- (فرتيز) يا بني العزيز، أريد منك أن تتجز وعذك الآن، فقد انتظرت طويلا لتصنع لي التمثال الذي تحبه.

ومع أن صوت المرأة ووجهها كانا مخيفان إلا أن (فرتيز) الحزين قال وهو يبكي:

- يا سيدتي إنني أصنع لعبا فقط، وقد تحطمت كلها فحطمت قلبي، فكيف أستطيع أن أنحت وجوها، ولم أفلها من قبل؟

وقبل أن يفيق (فرتيز) كانت السيدة العجوز تقف أمامه وقد انتصبت قامتها ليراها أمامه كما تخيلها تماما، (ست العرائس أم الخيال) بنفسها.

وذهل (فرتيز) وقبل أن يتمالك نفسه اختفت وهي تقول:

- لا تنس وعذك، لقد وعدتني كثيرا.. ونسى (فرتيز) كل شيء إلا لحن تلك الأغنية، ووجه تلك السيدة. فشر عن ساعديه واختار أجود قطعة خشب، ومضى في حماسة يعمل ويغنى بل كان حين يسير في الشوارع يطير كطائر مغرد. مما أثار غيظ جاره الذي حطم لعبه،

وتصور أنه قد حصل على صفقة أخرى أكبر.. فانتهاز فرصة غياب (فرتيز) عن دكانه، ومضى إلى هناك حيث ذهل من جمال ذلك التمثال الرائع فازداد حقداً وغيظاً، وتناول المطرقة ليهوى بها على الوجه الجميل.. لكن التمثال رفع ذراعه فجأة وأمسك اليد الشريرة بقوة.. ثم عاد متخسباً كما كان.. صرخ الرجل رعباً وفزعاً.. وجاء الناس من كل مكان على صراخه ليروه والمطرقة مرفوعة في يده في هذا الوضع العجيب.

وعرف الجميع من الذي حطم أعمال (فرتيز) ولكن صراخ الرجل جعلهم يحاولون إفلاته ولو لينال عقابه. ولم يكن هناك مفر من قطع ذراع التمثال، وما أن أحضر (فرتيز) المنشار حتى رفت هالة من نور وملاً المكان عبير الغابة العذراء، وسمع (فرتيز) صوت ست الغابات يناديه:

لا داعي للمنشار، سيترك التمثال يده..

وأمام الجميع ترك التمثال ذراع الرجل فانهار على الأرض ذليلاً يخفى وجهه بكفيه من الخجل والعار. وطردوه من البلدة فلن يعيش في قرية صانعي العرائس رجل يجرؤ على تحطيم عروسه.

المدينة الحزينة

المدينة التي أحكى لكم عنها هذه المرة.. كانت مدينة سعيدة!
حقولها خصبة وغاباتها غنية، والنهر الذي يروى حدائقها. من أعذب
الأنهار. ولذلك كان في كل مكان أزهار وثمار.. وفي كل ركن وعلى
كل غصن بلابل وأطيّار.

ولكن أسوأ ما يصيب المدن هو ما يصيب أهل المدن أنفسهم فحين
يصاب الناس بالكسل وعدم الرغبة في العمل.. فلا الأرض تنبت
زراعة.. ولا الحوانيت تمتلئ بالبضاعة، لأن الورش لن تخرج
صناعة.. وهذا ما حدث وكان من أمر تلك المدينة التي وجدت في
سالف الأزمان في ذلك المكان.

تدهورت أحوال المدينة.. فالأشجار لم تعد تجد من يهذب أغصانها
فتكاثفت وتدلّت، والأزهار لم تعد تجد من يروى عطشها فذبلت
واصفرت.. والشوارع لم تعد تجد من ينظفها فتراكمت في أنحائها
الأقذار والنفايات. ومع النفايات جاءت الفئران وآه.. من الفئران لو
غزت أى مكان، وخاصة إذا كان على هذه الصورة، إنها تتكاثر وتنمو
وتصبح على كل الأشكال والألوان.. فئران كالأرانب.. وأخرى
كالعصافير. فئران رمادية وأخرى بنية وثالثة ترابية، لم تجد من
يقاومها أو يقف في طريقها فأخذت تخرج من جحورها إلى البساتين،

وتلعب فى المخازن.. ثم تجرأت وبدأت تلاعب وتطارد بعضها البعض فى الطرقات، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فأصبحت تظهر فى أحواش المنازل وفوق أسطح البيوت.. ولما لم تجد من ينهرها، أو يصرخ فى وجهها أو يطردها.. بدأت تظهر فى حجرات الطعام.. تطلب نصيبها من الغذاء ثم تجرأت على الظهور فى حجرات النوم طلباً للراحة والدفء.

وهكذا وجد الكسالى من السكان، شركاء لهم فى غاية النشاط يشاركونهم كل مكان.. وباليات الأمر ظل على هذه الحال.. ولكن ذلك كان من المحال.. فالفئران زاد خطرهما واستفحل أمرها، فلم تعد تهرب من بنى الإنسان، بل بدأت تهاجمهم - هم أنفسهم - وتثير الخوف والرعب فى قلوبهم.. وكان لابد من عمل شىء.. ومهما كان الإنسان كسولاً يكره العمل بنفسه، فإنه لابد أن يدافع عن حياته عندما يتهدده الخطر. إلا فإنه يموت أو يصبح زلطة أو حجراً.

وبدأ أهل المدينة يفكرون فى طريقة للتخلص من الفئران.. أخذ كل واحد منهم يفكر فى الأمر وحده فى البداية.. ثم تشجع بعضهم وفتح بعضهم الآخر فى الأمر.. ثم بدأوا يجتمعون فى جماعات ولجان لدراسة الموضوع، وزادت الجماعات شيئاً فشيئاً وأخذت تكبر شيئاً فشيئاً.. ولكنهم رغم طول اجتماعاتهم كانوا يتكلمون فقط.. يتكلمون ويتكلمون.. ولا يخرج كلامهم عن الشكوى من الفئران، وبيان خطرهما، ووصف أشكالها المختلفة وأنواعها.. وإظهار الأشمزاز والقشعريرة منها.. وقص الروايات والقصص الطريفة عن شراستها ووقاحتها، وعندما كان يطرح عليهم السؤال المهم - ماذا نفعل للتخلص منها؟..

كانوا جميعاً يكفون عن التفكير بل وعن الكلام.. حتى قال أحدهم ذات مرة.. لنا عمدة.. فلنذهب للعمدة لأنه يستطيع بوصفه عمدة أن يصدر الأوامر بالتخلص من الفئران.

وهللو فرحا لذلك وقالوا:

كيف نسينا ذلك.. لقد تعبنا من التفكير ولم نصل لشيء، لأن الأمر ليس من اختصاصنا، والعمدة كفيل بأن يجد حلاً.

وأسرعوا في موكب كبير.. إلى دار العمدة.. حتى قبل التفكير في مدى صواب هذه الفكرة أو خطئها.. فقد أزاحوا عن كاهلهم الأمر كله وارتاحوا.. لأن على العمدة أن يفعل ما يراه نيابة عنهم.

وكان العمدة ساعتها مشغولاً بالحديث إلى فأر كبير، يصر على مشاركته عشاءه. فاضطر أن يخرج لهم عندما جاءوا ينادون عليه.. فترك العشاء كله للفأر المحظوظ.

عرض أهل المدينة المشكلة من كل جوانبها، وطلبوا منه أن يكون عند حسن ظن من اختاروه عمدة، وأن يجد طريقة لتخليص المدينة من الخطر الداهم.

ولم يكن العمدة وهو من أهل المدينة. يستطيع أن يفعل شيئاً.. فقد فكر طويلاً كما فكروا بلا فائدة لكن لأنه العمدة كان لابد أن يفكر مرة أخرى إرضاء لـرغبتهم. فظل حتى الصباح يقول لنفسه.

- نعم يجب أن أبقى ساهراً.. هكذا يكون العمدة الساهر على مصالح مدينته ليستحق منصبه.

ومر أسبوع والعمدة يفكر ويفكر دون أن يصل طبعاً لشيء.. حتى دق الباب عليه أحد الغرباء.. لا يعرف أحد من أي مكان جاء. وعرض

عليه أن يخلصه ويخلص المدينة من الفئران جميعها فى ليلة واحدة .
فرح العمدة طبعا فرحا كبيرا ورقص كثيرا .. فها هو يجد الحل ..
سيخلص المدينة وحده من الفئران وفى ليلة واحدة وسيبقى عمدة إلى
الأبد .. ولذلك فقد أخفى أمر الرجل الغريب ووافق على الأجر الذى
طلبه . وهو مبلغ كبير لا يملكه . ولكن ماذا يهـم سيدفع له .. نعم لماذا لا
يدفع له العمدة يجب أن يدفع .

وقال الغريب :

- غدا فى الصباح ستستيقظ المدينة مع شروق الشمس . لن يكون
هناك فأر واحد . ولكنى سأتى لأخذ أجرى وأرجو أن يكون جاهزا ..
عندما أحضر .

ومضى الغريب .. وذهب العمدة إلى فراشة لينام هانئا وهو يبتسم
ابتسامة انتصار .. ويضحك ضحكة سخرية من ذلك الغريب ومن
سذاجته .. فهو لا يملك كل تلك القطع الذهبية التى طلبها . وهو لم يفكر
فى كيفية دفعها .

وأثناء الليل سمع أهل المدينة وهم نائمون .. صوتا يشبه صوت الناي
وكأنه آت من عالم الأحلام .. لكنهم تقلبوا فى فراشهم وابتسموا لصوت
الموسيقى الساحر الذى داعب أحلامهم وهم نائمون .. ولو أن أحدهم
استطاع أن يستيقظ ليطل من نافذة بيته لشاهد منظرا غريبا كالسحر .

كان الغريب يدور فى شوارع المدينة وهو يعزف على نايه المسحور
ألحانا سحرية غريبة .. تأتى على أنغامها الفئران من كل مكان
كالمسحورة المبهورة .. حتى لم يبق هناك فى أى شق ، فأر كبير أو

رضيع لم يخرج من جحره مسلوب الإرادة كالمسحور، بصوت الناي..
وبعد أن دار الغريب في كل الشوارع، مضى وخلفه ذلك الجيش الكبير
من الفئران، متجها ناحية النهر ليركب قاربا يمضى به إلى وسط
النهر.. والفئران تمضى وراءه مباشرة لا توقفها المياه.. لتغرق كلها
وتموت، ويحملها التيار إلى البحر الكبير بلا عودة.

وبعد أن أنهى مهمته.. توجه عائدا إلى العمدة طالبا أجره.

ولكن العمدة الماكر كان في انتظاره وسط جماعة من جنوده..
وعندما طلب الرجل أجره.. ضحك العمدة ساخرا منه، وضحك الجنود
مشاركة للعمدة. وضحكت المدينة كلها التي جاءت جماعة وراء
جماعة لتزف بشرى ذهاب الفئران.

ولتشكر العمدة على عظيم همته.. ضحكت المدينة ساخرة من
الرجل الذى يدعى أنه هو الذى قام بالعمل دون عمدتهم.. وسخر
الجميع منه ومن موسيقاه ومزماره وتعجبوا لأن العمدة سمح له
بالانصراف بعد أن ارتكب هذه الإهانة.. وادعى هذا الادعاء.

وفي الليلة التالية خيل لأهل المدينة النائمين.. مثلما خيل لهم في
الليلة السابقة، أن ألحانا أخرى تأتي إليهم من عالم الأحلام، ألحانا تشبه
تلك التى سمعوها فى الليلة الماضية بعض الشبه، ولكنها تختلف عنها
أيضا بعض الاختلاف.. لكنهم ظلوا نائمين يحلمون فى بلاد.

نعم كانت تشبه ألحان الأمس لأنها تصدر من نفس الناي.. ولكنها
تختلف عنها لأنها لم تكن تنادى الفئران بل كانت تنادى الأطفال..
نعم.. كان الأطفال كلهم على اختلاف أعمارهم يتسللون كالمسحورين

خلف صاحب الناي وأنغامه العجيبة . ويمضون خلفه ويختفون معه وراء الجبل إلى الأبد.. كان هذا انتقام الغريب من تلك المدينة .. التي قال عنها لنفسه (إنها لاتستحق أن يعيش فيها أطفال لأنها مدينة كاذبة كسولة لا تفي بالوعد ولا تعرف الحقيقة ..).

وفي الصباح لم يجد أهل المدينة أطفالا في أى بيت، وأخذوا يبحثون هنا وهناك دون جدوى .. لقد كان انتقام الغريب شديدا قاسيا .. جعل العمدة يعترف بما حدث .. ويكفر عن ذنبه .. مثلما كفر الجميع عن ذنبهم وكسلهم .. بأن تعلموا أن يفكروا فى أمورهم بأنفسهم وأن يحلوها بأنفسهم أيضا .. وألا يتركوا أحدا يفكر أو يفعل لهم ما يجب أن يفعلوه هم بأنفسهم .. نعم لقد تعلموا ..

ولكن الحادث ترك فى عيون أهل المدينة .. إلى الأبد .. دموعاً حزينة لا تجفها السنون !!

العقل والجواهر

يحكى أنه كان يوجد فلاح فقير..

وذات يوم كان فى طريقه إلى الحقل يسحب وراءه بقرة الوحيدة..
وفى طريقه مر على غابة مليئة بالأشجار والأعشاب ولكنه سمع
همهمة و (خرفشة) و (كركبة).. وأصواتاً غريبة. فذهب ليعرف سبب
هذه الأصوات.. فرأى منظرًا عجيبيًا.. لم ير مثله فى حياته..

لقد رأى أسدًا.. نعم أسدًا حقيقيًا.. يصارع أرنبًا صغيرًا خفيف
الحركة.. والغريب أن الأرنب.. أنهك قوة الأسد وجعله يتصبب عرقًا..
مما جعل الرجل ينفجر ضاحكًا.. ويقول...

- يا حلاوه.. لم أر فى حياتى ولا فى السيرك شيئًا ظريفًا مثل
هذا.. ها.. ها.. تعالوا انظروا...

والتفت إليه الأسد غاضبًا مزمرًا.. مما جعله يكف عن الضحك
ويتسمر فى مكانه وهو يكاد يموت من الرعب...
وصاح به الأسد..

- وماذا فى هذا أيها الرجل المتطفل.. هل تسخر منى.. أنتظر
وسوف ألقنك درسًا لن تنساه.. سوف أرسل بك وبقرتك إلى القبر..

وندم الرجل الفقير أشد الندم.. وحاول الاعتذار للأسد إلا أن الأسد رفض بشدة أن يسامحه.. وبعد جهد كبير أمهله حتى المساء ليتم حرث أرضه وزراعتها.. عطفاً من الأسد على صغار الرجل الذين لا بد أنهم يحتاجون للخبز ولا ذنب لهم فيما فعله والدهم..

وأمر الأسد الرجل بالانصراف ليتم عمله.. قائلاً...

- وانتظرنى فى المساء أيها المتطفل.. ولا تحاول الهرب أو الخداع.. ومضى الرجل فى طريقه حزينا غاضباً من نفسه، لأنه يعرف أن الأسد لا بد سينفذ وعيده وسيرسل به ويبقرته الوحيدة إلى القبر.. جزاء له..



وعند الظهر.. مر على الرجل ثعلبٌ أحمر اللون.. ولاحظ نظرة الحزن التى تملأ وجهه، فعرض عليه أن يساعده لقاء تسع دجاجات سمينه، وديك أحمر اللون.. وعندما حكى له الرجل قصته مع الأسد.. ضاعف الأجر إلى ثمانى عشرة دجاجة سمينه، وديكين أحمرين.. لكى يخلصه من هذا المأزق.. ولم يكن الرجل يملك شيئاً غير بققرته الوحيدة.. ولكن ماذا كان يستطيع أمام إصرار الثعلب على هذا الأجر سوى أن يوافق.. وأخذ الثعلب يشرح للرجل ما سيفعله للتخلص من الأسد.. قائلاً...

- عندما يأتى الأسد سأختفى أنا هناك خلف هذه الشجيرات فإذا ما هجم عليك، فسوف أقلد أصوات الصيادين هكذا.. تك بوم.. طاخ.. سيخاف الأسد، ويطلب منك أن تخفيه.. وعليك أن تخفيه داخل هذا

الكيس .. بعد ذلك، سأخرج أنا من مخبئى وأسألك غاضباً عما فى هذا الكيس فتترد أنت «هذه بطاطس، ولكننى لن أصدقك لأنها ليست بطاطس فعلاً. وسأطلب منك أن تضربها بالفأس لتأكد وعليك أنت الباقى ... هه .. رأيت .. وأظن أنك لا تحتاج لمن يعلمك كيف تستعمل الفأس ..

وأعجب الفلاح بذكاء الثعلب .. وتمنى لو كان يملك هذا القدر الذى طلبه من الدجاج .. فيكافئه به .. وخاصة عندما حدث ما توقعه الثعلب بالضبط .. بلا أى خطأ مما جعل الفلاح سعيداً بهذا الثعلب جداً .. لولا أن الثعلب قال له ..

- ما رأيك ..؟ رأيت أن العقل يا سيدى يساوى ما فى العالم من جواهر؟ .. استعمل عقلك . تتغلب على أشد المواقف حرجاً . أنا مثلاً لم يستطع أحد أبداً أن يخدعنى .. فلا تفكر فى ذلك .. أمامك مهلة حتى الصباح .. وسأحضر إلى بيتك قبل أن تخرج إلى الحقل .. لكى أتقاضى أجرى .. لا تنسى .. أنا لا أحب الخداع .. كما أننى سريع الغضب جداً! ..



مضى الرجل إلى بيته .. يفكر فى حديث الثعلب .. ويقدر ما كان سعيداً لنجاته .. كان حزيناً لا يدرى كيف سيدبر للثعلب هذا الأجر الكبير، الذى لا يملك منه ولا ريشة من جناح دجاجة .. وظلت كلمات الثعلب تدور فى رأسه طوال الليل ..

وفى الصباح .. كان مستعداً . وعندما سمع طرقات الثعلب .. صاح ..
- من هناك؟ ..

- إنه أنا..

- ومن هو (أنا) هذا؟..

- هه.. نسيتهنى بسرعة؟.. أنا صاحب الدجاجات والديكين.. أوه..
(هو هو هو) ومضى يقلد أصوات الكلاب..

- أوه.. لا أستطيع يا صديقى.. أخشى عليك من هذه الكلاب اللعينة
(هو.. هوووو) انتظر حتى أربطها.. (هو هو) .. لا بد أنها شممت
رائحتك...

- لكن.. لم يكن هناك كلاب فى اتفاقنا؟!...

ورفع الفلاح صوته بالنباح أكثر.. حتى ظن الثعلب أن الدار مليئة
بكلاب من كل نوع.. فأخذ يرتجف وهو يقول..
- وما العمل؟!..

- لا أستطيع فتح الباب وإلا مزقتك.. إنها تفلت منى..
فصاح الثعلب مذعوراً..

- لا.. أرجوك يا صديقى.. امسكها جيداً.. يا لحظى الأسود..
ضاعت دجاجاتى.. أرجوك.. انتظر حتى أبتعد.. ...
واستمر الفلاح فى النباح.. بينما كان الثعلب يسابق الريح مبتعداً..
وهو يتلفت وراءه مذعوراً..

وفتح الفلاح الباب بعد أن اطمأن أنه أصبح بعيداً جداً.. وأخذ
يضحك.. لأنه اقتنع.. فعلاً أن العقل يعادل ما فى الدنيا من جواهر..
نفس كلمات الثعلب.. الذى كان لا يزال يعدو مارقاً كالسهم عبر البرارى
والحقول.. سعيداً بنجاته من الكلاب!.



الملك والبطيخ!

كان أحد ملوك الصين سريع الغضب، عالي الصوت، بسبب وبدون سبب. إذا وجد حارساً في طريقه واقفاً، نهره بشدة قائلاً:

- لماذا أنت واقف أيها الحارس؟.

فإن فعل الحارس العكس، إريد واحتد وصاح:

- لماذا أنت جالس؟! أيها الحارس!!

وإذا لعب الشطرنج مع وزيره، تكون الطامة الكبرى إذا غلبه الوزير.. فكيف يجرؤ الوزير على الانتصار عليه؟ وتكون كارثة أشد وأعم، لو أن الوزير في اللعبة انهزم، فكيف يأتمنه على قيادة الجيوش، وهو في اللعب خائف مرعوش؟.

وكان شيئاً عادياً في المساء، وفي الصباح، أن يسمع المارة بالقرب من القصر، زمجرة الغضب، ودمدمة الصياح... ولذا كان من الطبيعي أن يسميه الناس، كل الناس.. حتى الحاشية والحراس... الملك الغضوب الذي لا يعرف الابتسام، لا في الصحو ولا في الأحلام!!

وفي يوم من الأيام..

خرج الملك الغضوب للصيد، فتاه ولم يعرف الطريق لكي يعود، وفقده الحراس والجنود..

وكان اليوم حاراً والشمس تصب على الأرض اللهب، فاشتد به العطش والغضب. خاصة عندما لم يجد بجيبه مليماً واحداً، من الفضة أو من الذهب.. ما العمل؟... وعلى يمينه كان الجبل، كالحا، صخورياً لاخضرة فيه ولا مياه.. وعلى يساره كان حقل بطيخ ناضج لذيذ، لكن صاحبه الفلاح كان يشتغل فيه ويرعاه.. وليست هناك فرصة لاقتناص بطيخة دون أن يراه.. فقال الملك الغضوب لنفسه:

- سأخذ ما أريد، وإن اعترض ذلك الشريد سأضربه فوق أم رأسه بقبضة من حديد، وأفر.. فهو لن يعرفنى وأنا فى هذه الثياب..
لكنه عندما اقترب من الحقل وصاحبه، وجدته عجوزاً جداً وضعيفاً جداً لا يخشى شىء من جانبه.. ولأنه لم يتعود الابتسام، تقدم إلى الأمام وصاح:

- أيها العجوز، هل عندك بطيخ يصلح للأكل؟..

ابتسم العجوز، فقد عرف الملك من صوته ومن لهجته، بالرغم من اختلاف ملابسه وهيئته - لكنه أخفى ذلك وقال:

- نعم ياسيدى، فقد نضج البطيخ وصار صالحاً لإرواء العطاشى..
انتظر وسأقطف لك ما تريد..

قال الملك غاضباً كعادته:

- لا أريد سوى واحدة.

فرد العجوز مبتسماً:

- لا فرق عندى إن أكلت واحدة أو خمسة.. فالمحصول وفير والخير

كثير..

قال الملك الغضوب فى سره :

- هذا الطماع يريد أن آكل كثيراً، لأنه يريد أن يبيعنى كل المحصول دون أن يتعب فى نقله إلى السوق.. ولكنه لا يعرف أن جيبى خال من النقود، فلأصبر حتى أروى عطشى!!..

وجاء العجوز للملك بعدة بطيخات ناضجات، فأخرج الملك سكيناً وجلس يروى عطشه، دون كلمة أو بسملة شكر. والعجوز يتأمله، ويتعجب من كآبته، حتى بعد أن زال عطشه وأنقذه البطيخ من محتته. وبعد أن أكل الملك البطيخ وهو غاضب، صرخ فى العجوز غاضباً!!..
- كم ثمن هذا البطيخ الذى أكلت؟..

ابتسم الفلاح فى طيبة وقال:

- يا سيدى، أنت ضيفى وجلت لى فى حقلى عطشاناً ومن حقلك على أن أكرمك...

فاشدد غضب الملك وقال:

- هل هناك فلاح فى الدنيا يعطى بطيخة مجاناً لعابرى السبيل، أم أنك تريد أن تكبلنى بجميل لا أريده، أنا لست شحاذاً، فكم تريد ثمناً لبطيخك!؟

ولم يستطع العجوز أن يقنع الملك أن من الطبيعى ألا يطلب من ضيفه أية نقود، فالبطيخ إن لم يأكله عابرو السبيل سيأكله الجنود..!
وظل الملك على غضبه، يطالب العجوز بتحديد ثمن البطيخ.. واضطر العجوز لذلك. فقال بعد تفكير.

- إذا كنت مصرّاً على دفع ثمن البطيخ يا سيدي فأعطني مليماً واحداً.. إنه يكفيني..

وطبعاً كان هذا أصعب.. فمن أين يأتي الملك بمليم والجيب خال والمزاج سقيم؟ تنحنح الملك غاضباً وقال:

- ليست معي نقوداً، كيف تطلب مني ما ليس معي.. لقد نسيت كيس نقودي فكلفني بعمل أقوم به لقاء البطيخ الذي أكلته..

ضحك العجوز وقال:

- ولكن يا سيدي، البطيخ نضج، وليس عندي عمل أقوم به أنا نفسي، فبماذا أكلفك..؟

صرخ الملك:

- أنا مصر على ذلك.. اطلب مني أن أفعل أي شيء.. لأسدد لك ديني.. أي شيء، فليست معي نقود ولكني أملك عضلاتي.. وأستطيع أن أدفع عن طريقها ديني، هيا.. فلا أريد أن أمضي من هنا وأنا مدين لك.. وسوف أفعل أي شيء تطلبه.. هيا.. كان يتكلم في كبرياء وغضب، جعل العجوز يفكر في إعطائه درساً لا ينساه.. فقال في حزن مفتعل:

- مادمت مصرّاً يا سيدي، فإنني هنا وحيد متعب، وقد أرهقني العمل في الحقل حتى نضج البطيخ، ولا أجد شيئاً أفعله، سوى الجلوس هكذا، بلا عمل، حتى قتلتني الملل، وقد ساقتك الظروف إلى لتسليني، فإن أردت أن تفعل شيئاً لتسد به دينك، فليكن شيئاً مضحكاً يخفف عني..

ارتفع حاجبا الملك من الدهشة، واحمرت وجنتاه.. وارتعش شاربه..
فزرق فيمن يخاطبه:
- شيئاً مضحكاً؟..

قال العجوز في هدوء أشد:

- نعم.. شيئاً بسيطاً.. مادمت مصراً، (تشقلب) أمامي في الهواء،
مرة أو مرتين لعل ذلك يسليني، ويسدد لي ديني!

اشتد الغضب بالملك وكاد يفتك بالعجوز، ولكنه لم ينطق بكلمة،
وظل عاجزاً عن الكلام.. وفجأة انفجر ضاحكاً، لتكون المرة الأولى
التي رآها فيه أحد وهو يضحك!

لكنه سرعان ما كف عن الضحك فجأة مثلما ضحك، وقال لنفسه:

- على كل حال هو لا يعرفني.. فلأفعل ما طلب حتى لا أكون
مديناً له بشيء، إنها تسلية لي أنا أيضاً، ولن يؤثر ذلك على هيبتى فهو
يجهل من أنا!!

وكتم العجوز أنفاسه، وانكمش منتظراً لا يجرؤ على النطق وندم على
ما طلب، وقال لنفسه هو الآخر:

- على كل حال سأدعى أنني لم أعرفه، وليس ذنباً أن يطلب عجوز
مثلي طلباً كهذا من عابر سبيل يجهل من هو!

لكنه لدهشته الشديدة، وجد الملك يختار مكاناً خالياً.. ثم يبدأ بوقار،
ووجه عابس غاضب، في القفز والدوران في الهواء كبهلوان قدير...

فانفجر ضاحكاً، إذ ليس هناك ما يبعث على الضحك أشد من بهلوان
عابس..! وأخذ الملك نفسه يجاربه في الضحك، فنسى العجوز نفسه
وقال:

- أحسنت يا مولاي... إنك أكثر مهارة من أى بهلوان عرفته طوال
حياتي... لم أكن أعرف أن مثلك يمكن أن يضحك أمثالي بمثل هذه
المهارة.. ها. ها..

وظل العجوز يضحك حتى دمعت عيناه، ولذلك لم يتنبه إلى أن
الملك كان قد كف عن الضحك والشقلبة وتقدم منه في صمت حتى
وقف أمامه تماماً وهو مكفهر الوجه. وأخرس الخوف ضحكة الفلاح
العجوز.. ولم ينطق بكلمة عندما سأله الملك في هدوء:

- إذن فقد كنت تعرف أنني الملك!؟

هز العجوز رأسه في رعب وهلع موافقاً... فأكمل الملك:

- ومع ذلك جعلتني أتشقلب في الهواء كبهلوان!؟!!

دمعت عينا العجوز من الرعب وقال: آه..

ومضت لحظة رهيبية، تعلقت فيها عينا العجوز بشفتي الملك.. بعدها
انفجر الملك ضاحكاً، فاطمأن العجوز. وضحك هو الآخر.. ثم أخذ
الاثنان يقفزان معاً في الهواء كبهلوانين سعيدين ضاحكين في حقل
بطيخ...!

ابن البلوطة

كان ياما كان... قرية في بلاد بعيدة، تعيش في أمان فيها
فلاحون ونجارون وخطابون ورعيان...

وفي يوم من أيام الخريف، ذهب خطاب إلى الغابة ليحضر الحطب
والخشب الصالح للنار.. استعدادا لفصل الشتاء، وبين الأشجار وجد
الخطاب شجرة بلوط ميتة، فقرر قطعها. وبعد أن قطع الجذع ببساطته
الحادة، أخرج منشاره وأخذ يقطع فروعها إلى قطع صغيرة، وبينما كان
ينشر آخر الفروع سمع صوتا يشبه البكاء، فأخذ يتلفت حوله باحثا هنا
وهناك عن ذلك الذي يبكي... وكم كانت دهشته كبيرة عندما وجد
مصدر البكاء، الذي لم يكن سوى قطعة عجيبة من خشب البلوط، لها
شكل طفل عجيب.

ولما حمل الطفل الخشبي إلى زوجته، فرحت به لأنها كانت تعيش
بلا أطفال، وكان الطفل الخشبي يبكي ويضحك، ويأكل ويشرب، ولأنه
يشبه الأطفال، ولكونه من خشب البلوط، أطلق عليه أهل القرية اسم
(ابن البلوطة)...

حينما كبر قليلاً، لعب (ابن البلوطة) مع أطفال القرية، وكان يجرى
أسرع منهم، عندما يطلق ساقيه الخشبيتين للريح، وكان يصرخ ويزعق
أعلى منهم، عندما يرفع صوته الخشبي كالطبل... وعندما كانوا

يذهبون للسباحة في النهر، كان (ابن البلوطة) يطفو على الماء ويسبقهم جميعاً!

في البداية، كان الأطفال يحبونه، لكنهم أصبحوا فيما بعد يخافون منه، فقد كان يضربهم إذا غضب، ويخطف طعامهم إذا جاع، وكان يكبر ويتضخم يوماً بعد يوم بشكل أثار دهشتهم... حتى وصل إلى حجم كبير جداً!

وكان الحطاب قادراً أول الأمر على توفير ما يكفي لابن البلوطة من الطعام، ولكنه كان مضطراً للعمل أكثر فأكثر ليشبع نهمه الذي كان يزداد يوماً بعد يوم، إلى أن جاء يوم أصبح فيه عاجزاً عن توفير الطعام لابن البلوطة.

ولما بدأ ابن البلوطة يصرخ طالباً مزيداً من الطعام، كان الجيران يسرعون فيقدمون له طعامهم خوفاً منه وعطفاً على الحطاب.. إلى أن عجزوا هم أيضاً عن توفير ما يكفيهم، فهاجم بيوتهم بحثاً عن ما يخزنونه من طعام لمواجهة فصل الشتاء...

وكبر ابن البلوطة وتضخم حتى صار أعلى من أشجار القرية وأضخم من بيوتها وأثار رعب أهلها، فانشغلوا جميعاً في توفير الطعام له.

في الصباح، كان الرعاة جميعاً يحلبون أبقارهم وأغنامهم ليفطر بلبنها، وكان الفلاحون يخرجون جميعاً لجمع الثمار، والصيادون لصيد السمك، لتجهز النساء له غداءه وفي المساء، كان الجميع يحضرون له البيض والطيور لعشائه... وهو يكبر شيئاً فشيئاً.. مثيراً الرعب والخوف في كل مكان..

ثم حل الجوع..

لم تعد هناك أبقار أو أغنام للحصول على اللبن.

وأجدبت الحقول والبساتين فلم تعد تثمر..

واضطر أهل القرية للفرار من وجه (ابن البلوطة) إلى السهول

والجبال وتركوا له القرية خاوية..

وحل الشتاء...

وأهل القرية بعيدون عن قريتهم، يعانون البرد والعواصف، بينما

كان صوت (ابن البلوطة) يأتيهم مع الريح صارخا يثير الرعب، في

قلوب الأطفال.



ومرت شهور الشتاء قاسية، باردة، صعبة، وأهل القرية، بلا بيوت
ثم جاء الربيع، وكانت عادة أهل القرية أن يحتفلوا بعودة الحياة،
للسهول والحقول، فيقيمون عيداً كبيراً كل عام... لكن موعد العيد أتى،
والقلوب حزينة، فصوت (ابن البلوطة) مازال يأتي إليهم من بعيد مثيراً
الخوف والفرح، ويذكرهم بالمجاعة!

لكن الأطفال الذين فرحوا بالشمس وفرحت بهم الزهور، قرروا
الاحتفال بالربيع، فاتفقوا معا ذات ليلة على النزول عند شروق الشمس
إلى الوادي ليجمعوا من زهور البساتين وبراعمها الوليدة ما يكفي
للاحتفال بالربيع.

وفي الصباح، جهزت الأمهات طعام الإفطار فلم يجدن أحدا من الأطفال، فخافت الأمهات كثيرا، وخرجن للبحث عن الأطفال.
دفعهم الخوف للبحث بالقرب من الوادي، فلما أطلوا عليه شاهدوا دخانا عاليا يتصاعد إلى السماء، فأسرعوا إلى هناك وقلوبهم تدق من الخوف.. لكنهم عندما اقتربوا، سمعوا صوت غناء وضحكا مرحاً.
وفي البداية، لم يفهم الكبار ما حدث... لكن طفلة رقيقة مرحة... لمحتهم فأسرعت إليهم وهي تقول في فرح:
- رأيتم؟... لقد كان ابن البلوطة مجرد تمثال كئيب من الخشب ..
عندما لمستته نيراننا أصبح دخانا وتراباً..

الفلاح وبنت ملك القمر

كان لملك القمر بنات بعدد النجوم، وكان لكل واحدة من بناته نجم يرتبط حظها به.. لأنها ولدت يوم ظهوره.. وكانت الابنة الصغرى (بدر) هي أجمل بناته.. بل كانت أجمل بنت تعيش في ممالك النجوم جميعها. كان الجميع يحبونها.. ويدللونها.. ومع ذلك كانت تحس دائما بالحزن أكثر مما تحس بالسعادة.

كان والدها تأسياً على الجميع.. ولكنه كان أشد قسوة عليها، فلقد ولدت في ليلة لم يظهر فيها نجم واحد.. سوى ذلك الكوكب الغريب الذي لا يحبه.. الأرض..

من يومها، وهو يحس أن حياتها قد ارتبطت بطين الأرض، وأنها سوف تكون سبباً في تطاع أهل الأرض إلى مملكته العلوية..

في الليالي الصافية.. كانت (بدر) تخرج من القصر.. إلى شاطئ بحر السماء، تنظر إلى الأرض مسحورة بذلك الصوت العذب الذي يحمله الفضاء من هناك.. فتسيل دموعها حنيناً وشوقاً إلى صاحب هذا الناي وإلى ذلك العالم الذي يعيش فيه..

ذات ليلة.. سمعت أختها الكبرى صوت نحيبها فخرجت إليها لتجدها غارقة في البكاء.. ولما سألتها عن السبب أخبرتها بدر بقصة

حبيبها صاحب الناي، الذى أصبح يقاسى الآن آلام الوحدة والحزن، بعد أن ماتت أمه فترك الغناء واضطر لبيع نفسه للاقطاعى لكى، يجد مكانا فى الأرض يدفن فيه أمه .. كانت «بدر» تحكى لأختها وهى تبكى ودموعها تتناثر فى السماء نجيمات صغيرة، فرق لها قلب أختها وصممت على مساعدتها مهما حدث ..

واستطاعت الأخت الكبرى أن تحصل على المروحة السحرية، وعلى لؤلؤة الأمان دون علم والدها وأعطتها لأختها الحزينة وأوصتها خيرا بنفسها .. ثم أخذتها حتى قنطرة قوس قزح التى تعبر نهر السماء ثم قبلتها .. وهى تبكى لفراقها ..

كان الفلاح «صابر» عائدا إلى كوخه عندما اعترضت «بدر» طريقه وهى تبتسم له .. فخاف ومال عن طريقها ... ولكنها ظهرت له فى الناحية الأخرى .. فنظر إلى الأرض .. فى أدب وخوف .. وقال لها .. (ماذا تريد منى؟)

فقال له ضاحكة: ... (إننى زوجتك) ... ولكنه رد عليها بأنه لم يتزوج فى حياته أبدا ..

فقال له «بدر» وهى تقترب منه .. (لكنك سرف تتزوجنى.)

فرد قائلا .. (لكنى لا أملك مالا للزواج ..)

فقال له فى حب. (لايهم ذلك). وتزوجا فعلا .. وشهد زواجهما زملاء «صابر» العائدون من الحقول وكذلك الشجرة التى التقت بصابر عندما ... والجدول الذى طال بهما أن يشهد كذلك على الزواج ..

وهكذا عاشت «بدر» مع «صابر» فى سعادة.. وعندما كان يعود من الحقل متعبا كانت تستقبله بابتسامة مرحة تزيل عنه شقاء يومه كله.. فى لحظة...

وكانت «بدر» تعرف أن عليها أن تساعد صابر لكي يتحرر من قبضة الاقطاعى.. فكانت تقوم فى الليل بغزل الحرير، وتعطيه له فى الصباح.. لكي يبيعه ليحصل بثمنه على حريره.. ولكن الاقطاعى كان كلما أحضر له «صابر» ثمن الحرير... يماطله ويؤجل الموعد يوما بعد يوم... طمعا فى المزيد.. و«بدر» تبذل كل جهدها لتسعد زوجها ولتؤكد له أن لعذابه نهاية، وأنه لابد سيحصل على حريره..

وبعد فترة أخبرته «بدر» أنه سوف يصبح أباً... وسوف يولد لهما طفل جميل.. وكان لابد إذن من البحث عن طريقة لكي يحصل على حريره، حتى لا يكون ابنه عبدا للاقطاعى مثل والده.. وحتى لا يستطيع أحد حتى - أبوها - أن يفرق بينهما.. ولكن الاقطاعى ظل يماطل ويماطل.. والأيام تمضى.. على الأرض ومثلها على القمر وكان قد مر وقت طويل.. قبل أن يتنبه ملك القمر. لغياب ابنته.. حين سمع صوت ضحكاتهما يوما تحمله الرياح إليه.. ولما سأل عنها لم يجرؤ أحد على أن يخبره بأمرها.. فأخذ يبحث بنفسه وقد أحس أن فى الأمر شيئا.. حتى تمكن من معرفة مكانها فاشتعل رأسه بغضب مدمر قاتل...

وذات يوم كانت «بدر» فى طريقها إلى الحقل.. كانت تسبق زوجها بالبقرة.. وهى تنسج ثوبا حريريا لابنها المنتظر عندما هبت عليها ريح شديدة عاتية بعثت بها عصا والدها السحرية.. فانترعتها من فوق

الأرض .. أمام عيون زوجها الذي فوجئ بزوجته ترتفع في الفضاء ..
فأخذ يجرى خلفها بلا جدوى .. إذ ظلت ترتفع، عبر الجبال والحقول
والوديان .. حتى اختفت في السماء .. تاركة في يده ثوب ابنها الذي لم
يكتمل .. وارتمى «صابر» على الأرض يبكي سعادته المفقودة . وعندما
أفاق لنفسه تناول ثوب طفلة الصغير الذي لم يره .. وعاد إلى كوخه
حزيناً باكياً، وهو يلوح بقبضته مهددا السماء ..

تقول الأسطورة إن «صابر» عندما عاد إلى الكوخ وجد منقوشاً على
الثوب الصغير الحريري .. (سوف تراني يوماً ما، وسوف ترى ابنك
الذي يشبهك تماماً .. إذا ما حصلت على حريتك وجئت إلى ... لقد
حاولت أن أحصل لك على حريتك ولم أستطع ولكنك الآن تستطيع ..
سأنتظرك .. ويومها سنعود معا ... ومعنا طفلنا الذي لم تره ..)
وتنتهي الأسطورة عند ذلك ..



ولكن الإنسان منذ ذلك الحين .. وهو يحاول أن يحصل على حريته ..
لكي ينطلق إلى القمر .. ليعود بسعادته التي حرمه منها ملك القمر
القاسي !! والاقطاعى الشرير ... !



زيارة إلى بيت الشمس

من قديم الزمان .. كان الإنسان يفكر فى كل شىء يراه .. ويحاول أن يعرف أسباب ما يحدث أمامه .. ماسر الرعد . وما سبب المطر . ولماذا ترتفع الشمس والقمر فى السماء .. وكان طبعاً لا يعرف علوم الفضاء الحديثة .. أو الفلك . ولذلك فكان يفسر الأشياء بخياله لا بعقله وفى أفريقيا يحكون هذه الحكاية .

كانت الشمس صديقة للبحر .. وكانت تزور البحر كل يوم .. وهو لا يزورها . وطلبت منه يوماً أن يأتى إلى بيتها كما تأتى إليه .. لأنها تريد أن تكرمه .

لكن البحر قال لها . إن بيتك لا يمكن أن يتسع لى ولا لأبنائى . إن فى جوفى أسماكاً وحيواناتاً وسلاحف بالآلاف .. هذا غير الأمواج والمرجان ، ولكن الشمس أصرت على أن يزورها البحر .. وقالت .
- سوف أبنى لك بيتاً كبيراً لتزورنى فيه أنت وأبنائك جميعاً ..

روافق البحر .. وذهبت الشمس إلى القمر تدعوه لى يساعدها فى بناء بيت كبير يتسع للبحر وأبنائه .. وبعد أن فرغاً من بناء البيت دعت الشمس صديقها البحر للزيارة .

وجاء البحر هادرا.. دخل بعضه إلى البيت.. فجلست الشمس والقمر
فوق المنضدة..

قالت الشمس..

- هل جاء جميع أبنائك..

رد البحر..

- طبعا لا.. إن كثيرين فى الخارج ينتظرون.. وأصرت الشمس
على دعوة الجميع وأخذت المياه بما فيها من أسماك وحيوانات تدخل
إلى البيت.. حتى لم يعد هناك مكان للشمس أو للقمر فجلسا فوق
السطح..

وكان كثير من أبناء البحر، وأمواجه مازالوا فى الخارج..

وأصرت الشمس على دعوتهم هم الآخرين.. وهى ترتفع فى
الفضاء شيئا فشيئا.. شيئا فشيئا.. والبحر يملأ البيت.. ويعلو ماؤه شيئا
فشيئا.. ومن يومها.. ظلت الشمس ومعها القمر معلقين فى الفضاء
هناك عاليا.. حتى يومنا هذا.

وهكذا فكر الإنسان قديما وتخيل.. أما أنت فهل تعرف السر الحقيقى
يارائد الفضاء الصغير..

الذئب والحداد

كان يعيش فى إحدى الغابات رجل طيب جداً، كانت الحيوانات فى الغابة تحبه جداً، وفى يوم من الأيام، ذهب الذئب إليه، وكان حزينا جداً. سأله الرجل الطيب:

- لماذا أنت حزين جداً؟

قال الذئب:

- أنا لست حزينا جداً، أنا حزين جداً جداً. فأنا أكلت كل أنواع اللحوم.. أرانب وخبول وأغنام. ولكننى حتى الآن، لم أجرب لحم الإنسان، مع إننى سمعت حيوانات ووحوشا كثيرة تقول إنه لحم لذيذ جداً.

خاف الرجل الطيب، لأن الذئب لو جرب وذاق لحم الإنسان مرة، لما توقف عن أكل لحمه دائماً. فكر الرجل الطيب ثم قال للذئب:

- إن لحم الإنسان مر يا صديقى، ولكن ما دمت مصرا فإننى سوف أنصحك أن تذوق لحم الحداد، لأن لحمه أقل مرارة من غيره، فابحث عن الحداد وافترسه. وفرح الذئب ومضى يبحث عن الحداد.

فى الطرىق قابل طفلاً صغيراً، ولكنه تركه يذهب، ثم قابل شيخاً
عجوزاً فهجم عليه ولما أقسم الشيخ أنه لم يشتغل حداداً، تركه ومضى،
بعد قليل سمع صفيراً مرحاً، فجرى نحوه بسرعة، ليجد رجلاً قريباً جداً
جداً، قادماً من بعيد، فقال لنفسه لابد أن هذا الرجل هو الحداد، فالفحم
يغطى ملابسه.. ولما عرف الرجل الحداد ما يريد الذئب ضحك وقال:
- أهلاً تفضل، إن لحمى لذيق جداً، ولكن اسمح لى أن أمسح يدي
ووجهى فى ذيلك أيها الذئب المحترم، لأن طعم الفحم مر جداً جداً..
وأنا لا أريد أن أضايقك.

وسمح له الذئب وهو يشكره لإخلاصه. ولكن الذئب فوجيء بأن
الحداد أمسك بذيله ورفع بيديه القويتين، وأخذ يطوحه فى الهواء، ثم
ضربه فى شجرة قريبة ضربة قوية جداً.. جداً.. جداً..
هرب الذئب من الحداد، وعاد إلى الرجل الطيب فى الغابة يشكر له
الحداد فقال:

- صدقت يا سيدى، إن لحم الحداد به قليل من المرارة.
سأله الرجل الطيب: إذا كان قليل المرارة، فلماذا تعرج وتثأوه.
فبكى الذئب وقال:

- فى الحقيقة إن لحم الإنسان مر جداً جداً، جداً.

الملك والملح!

يحكى أن أحد ملوك الزمان كان أحمق. وهذه صفة كثير ما تؤكدتها الحوادث، فكثيرا ما كانت تطرأ له فكرة غبية يظن أنها من علامات العبقرية. فيسرع لتنفيذها بهمة ملكية. ولأنهم، أقصد ملوك الزمان في سالف العصر والأوان، كثيرا ما كانوا يقضون أيامهم في ملل بلا عمل، لذلك كانت تأتيهم أفكار كثيرة من هذه الأفكار.. نعود ونقول: - يحكى أن ملكا من هؤلاء طلب من أبنائه الثلاثة - أن يصفوا له مقدار حبهم له!. هكذا جاءت الفكرة وهكذا أجابه الأبناء:

- أنا أحبك يا والدى العظيم مثلما أحب الجواهر والآلىء والقصور:
- وأنا يا أعظم العظماء أحبك مثلما أحب الخيول المطهمة والملابس
المزينة والعطور..

أما الابن الأصغر فقال:

- يا أبى أنا أحبك مثلما أحب الملح..

وضحك رجال القصر وغضب الملك، وما أخطر غضب الملوك وخاصة ذوى الأفكار العبقرية - وأمر على الفور بطرد ابنه الصغير لا من القصر فقط ولكن من المملكة كلها..

ولأن كلام الملوك لا يرد فقد خرج الابن من البلاد وقال (بلاد الله يا خلق الله).

ولما وصل الابن إلى واد يسكنه بعض الفلاحين الطيبين رأوه غريبا وحيدا شريدا فأخذوه، وعلموه الزراعة فأصلح لنفسه قطعة أرض، وبني كوخا بسيطا وعاش سعيداً، لأنه صار يأكل من زرع يديه.

ومرت الأيام والسنون يوماً بعد يوم وسنة وراء سنة.. وخرج الملك ذات يوم في رحلة صيد كعادة كل الملوك عندما يشعرون بالملل، ولا تأتيهم أفكار عبقرية.. وأثناء رحلة الصيد تاه الملك وأتباعه، لأن عبقرية الملوك لا تمنع من أن يضلوا الطريق فيعطشون ويجوعون مثلما يعطش ويجوع البشر، ولولا أن الملك وأتباعه وصلوا إلى كوخ فلاح شاب أكرمهم وسقاهم، وبالصدفة كان هذا.. كوخ الابن الأصغر للملك، ذلك الابن الذي صار فلاحاً وجلس الملك الذي لم يعرف ابنه، لأن الملك لا يمكن أن يتصور أن أميراً يمكن أن يصبح فلاحاً، جلس الملك ينتظر الطعام..

وتعمد الابن أن يتأخر في إعداد وتقديم الطعام حتى اشتد بضيقه الجوع، ثم قدمه لهم فأنقضوا عليه انقضاض الجوعى والمحرومين.. لكنهم ما أن وضعوا أول لقمة في أفواههم حتى بصقوها في قرف، وهم يلعنون.. كان الطعام يبدو شهياً فما الأمر!؟

سأل الملك في غضب:

- ألا تعرفون في بلادكم الملح؟.. هل يمكن أن يذوق إنسان طعاماً دون ملح؟

وضحك الابن وقال:

- نحن نعرف الملح يا مولاي.. لكننى أعرف أنك لا تحب الملح
ولذلك فلم أجرؤ على وضعه فى طعامك..

صرخ الملك وقد زاد غضبه:

- من أين عرفت ذلك؟ إنها كذبة يا بنى؟ كيف يمكن أن يعيش
إنسان دون ملح، إننى أعتقد أن الملح هو أعز شىء فى الوجود، فالحقنا
ببعض منه..

تظاهر الابن بالدهشة وقال:

- ولكنك طردت ذات يوم ابنك الصغير، عندما قال لك إنه يحبك
مثلما يحب الملح!..

وفغر الملك فمه كالأبله، وأحس أن الذى يحدثه ليس غريباً عنه
رغم أنه فلاح له حكمة فلاح لا عبقرية ملك لم يكن يعرف قيمة الملح
إلا عندما كاد يموت من الجوع.

أول مرآة فى التاريخ

كل يوم يعرف الإنسان شيئا جديداً..

هنا.. يعرف رجل شيئا.. وهناك.. تكتشف امرأة سرا.. وهنا أو هناك يتعلم طفل أو طفلة أمرا.. وكلما عرف رجل شيئا جديداً.. عرفه كل الرجال والنساء والأطفال.. سواء فى ذلك من يسكنون قريبا، أو من يسكنون بعيدا.. وهذه ميزة الإنسان عن بنى الحيوان.. كل جيل يعلم من يأتى بعده.. فالمعرفة ملك كل الأجيال.. ولأن الإنسان لا يمكن أن يعيش وحده، سواء فى ذلك من يسكن الجبال.. أو من يعيش فى الوديان.. لذلك صار ما يعرفه إنسان يصبح ملكا لكل إنسان.. فى كل زمان وفى كل مكان.. فهل تعرف يا صاحبي من اخترع المرآة.. طبعا لا.. فأنت كبرت فوجدتها فى بيتكم.. وفى البيت المجاور لبيتكم ولم يسأل أحدكم عن جعلكم تنظرون فى شيء ما - فترون وجوهكم على حقيقتها!

والحقيقة أننى لم أكتب هذا لأقول لكم.. من هو؟.. فأنا أيضا لا أعرفه، ولكنى أعرف حكاية عنه - وعنه.. أى عن الرجل - وعن اختراعه.. ولأننى لا أعرف جنسيته أو هويته فلا أعرف فى أى أرض

كان يعيش.. ولا بأى لغة كان يتحدث وإن كنت متأكدًا أن ذلك حدث
فى زمان قديم.. قديم.. قديم.. يا ولدى..

وفى تلك الأيام القديمة.. كانت كل الأشياء التى لها قيمة تقدم أول
ما تقدم للحكام أى للملك أو للإمبراطور أو للمهراجا أو للخان.. أو
للقصر أو للسلطان.. حسب قانون الزمان والمكان..

ولذلك عندما ابتكر ذلك الرجل الفنان.. تلك الفكرة.. واخترع ذلك
الأمر.. توجه به فوراً إلى القصر.. وهو فرحان يأمل فى جزاء وفير أو
عطاء كبير.. لكن الوزير عندما شاهد الاختراع الخطير.. طمع فيه..
وطرد الرجل وقدم المرأة لمولاه.. وانتظر أن يكافئه ويجازيه.. على ما
صنعه يداه.

ولكن مولاه.. عندما نظر فى المرأة.. صاح غاضباً وكأنما لسعته
نملة.. وأمر بقتل من عمل هذه العملة شرقتة..

كان مولاه عجوزاً أكل عليه الدهر وشرب..

فتعضنت جبهته وتهدلت سحنته.. ونبتت له شعيرات خضراء فوق
أنفه.. وأعوج فمه وانطفأت عيناه.. ولكنه لم يكن يعرف، لأنه لم ير
وجهه فى مرآة.. ولذلك عندما رآه.. انزعج لمرآه.. وتصور أن الوزير
يريد أن يشوه صورته، وأن يبدل سحنته.. فأتاه بمرآة مسحورة، تبدل
وتغير وتشوه الصورة..

وأسقط فى يد الوزير.. لأن المرأة ليست من صنع يده.. والرجل
الفنان راح وضاع فى المدينة، ولا أمل فى أن ينكر علاقته بتلك المرأة
اللعيثة..

كان السلطان يصيح:

- هذه مرآة شياطين وليست مرآة سلاطين..

وكان الوزير يحاول التفكير ليخرج من هذا المأزق الخطير.. حتى هداه فكره إلى فكرة مأكرة.. وحيلة ماهرة. فصاح:

- لقد أخطأت يا مولاي.. وأحضرت المرآة الأخرى.. بالعقلى الخرف.. إن غضبك على، هو أفدح جزاء لما ارتكبته يدي.. فامهلنى يا مولاي وسوف أعود لك بمرآة السلاطين..

وهذا الغضب.. وبدأ العجب!!

إذ ذهب الوزير إلى بيته يفكر فى وسيلة لموته، ولكن الحياة جميلة. ومن كان مثله لن يعدم حيلة ليخرج من المأزق بأى وسيلة. وكان فى المدينة فنان إنسان،.. يرسم صور البشر..

وكان هذا أمرا شريرا فى ذلك الزمان.. ولذلك كان هذا الرسام مغضوبا عليه منبوذا.. وكأنه من أتباع بوذا.. فأرسل إليه الوزير المكير.. وطلب منه أن يرسم صورة سلطان أمير.. له وجه مليح صبوح.. وأن يخفى السر فى بير.. وأمر الوزير فصنع للصورة إطارا يشبه إطار المرآة.. وانطلق باختراعه المزيف إلى السلطان ليراه.. وقال السلطان:

- الله.. الله.. شىء جميل.. هكذا تكون مرآة السلاطين.. وجه مليح وعزم لا يلين!!

وأخذ يتأمل الصورة وكأنها صورته.. والبسمة المرتسمة على وجهها وكأنها بسمة.. وتجاهل أنها لا تتحرك.. عندما يتحرك.. ولا تلتفت عندما يلتفت..

وأخذ يظهر إعجابها بها.. ورضاه عنها.. وواقفه الوزراء والكبراء
على رأيه.. وانتقادات المرأة من يد ليد.. وكان كل من ينظر للصورة
يصيح..

- آى نعم.. هى مرآة تليق بالسلطين!!

وأخذ كل واحد منهم يغير فى ميئته، ويبدل طريقة لف عمامته..
ولون جيبته ويحلق شاربه كشارب المرأة.. وذقنه حسب مارآه.. لتقترب
صورته من صورة مولاه.. التى تعكسها المرأة..!

ولا أحد يدرى كيف كانت الأمور ستسير.. إنا ظل البشر لا يعرفون
إلا تلك المرأة السلطانية.. ويبدلون صورتهم حسب صورتها.. إلا أن
الأمور سارت على غير هذه الصورة، كعادتها.

إذ راح صانع المرأة الأولى.. يصنع غيرها بالملايين للنساء
وللأطفال وللحلاقين.. ينظرون فيها لصورتهم الحقيقية.. التى هى
ضاحكة حيناً وحزينة أحياناً.. ولكنها تظهر الشيطان شيطاناً.. والإنسان
إنساناً.. وتظهر الطفل طفلاً.. والسلطان سلطاناً..!

حكايات بركات الحكيم

- عمود من الخشب
- الأبرة واللصوص
- نصائح صغيرة
- بقرته آه.. بقرته أووه
- الحفيد المنتظر
- رحلة إلى منابع الحكمة

عمود من الخشب

انتهى بركات الحكيم من تجهيز طعام الغداء، فى الموعد نفسه الذى ينتهى فيه كل يوم من تجهيز طعام الغداء، وكان ابنه (بركات الصغير) ينتظر جائعا كعادته كل يوم. وكعادته، غرف بركات الحكيم نصيب ابنه من الطعام الساخن فى إناء من الفخار، وأسرع بركات الصغير وأمسك الإناء بكلتا يديه ورفع ملهوفاً إلى فمه كعادته كل يوم.

لكن بركات الكبير سمع ولده يبكى ويصرخ على غير عادته، عندما ينقض على طعامه فسأله فى لهفة:

- لماذا تبكى يا ولدى؟ .. ألم تأخذ نصيبك من الطعام؟

ازداد بكاء الولد وصراخه فعاد يسأله:

- هل الطعام ساخن أم إنه لم يعجبك؟

ازداد صراخ الولد أكثر، لأن ثقته فى حكمة والده كانت عظيمة، ولذلك أحزنه ألا يكتشف والده سر بكائه من أول نظرة.

لكن بركات الحكيم أخذ يدور حول ابنه دون أن يفهم وعاد يسأله مستفهما:

- هل أنت مريض يا ولدى؟ لماذا لا تأكل؟ لقد كنت ملهوفاً على الطعام من ثوان؟

صرخ الولد معلنا أن العمود الخشبي الذي يسند سقف البيت يحول بينه وبين الطعام، فنظر بركات الحكيم في دهشة، واكتشف أن ولده كان يجلس محتضنا العمود الخشبي، فلما أمسك الإناء بكلتا يديه كانت كل يد في ناحية من العمود، فلما أراد رفع الإناء إلى فمه حال العمود طبعا بين الإناء وبينه.

وهنا ضحك بركات الحكيم سعيدا لأنه اكتشف السبب في حزن ولده فربت على ظهره في حنان وقال:

لا تحزن هكذا يا ولدي، فالأمر بسيط وسوف نجد حلا للمشكلة.

ثم جلس يفكر ويعصر دماغه بحثاً عن حل لها. وأخذ يقلب الأمر على مختلف وجوهه، ويتأمل ولده وهو يجلس محتضنا العمود ممسكاً الإناء والعمود مرتفع بين ذراعيه، يحول بينه وبين الإناء، ويرفض أن يتحرك من مكانه.

بعد فترة طويلة قال بركات الحكيم لنفسه:

- فعلا، ليس هناك حل سوى هذا، فمثل هذه المشاكل يجب أن تجتث من جذورها.

قام على الفور فأحضر (البلطة) وانقض بقوة على العمود فأسقطه بضريبتين، ولكن بركات الحكيم لم يفرح بنتائج حكمته ولم يستطع ابنه تناول طعامه، إذ أن الأعمدة الخشبية لا تفهم في الحكمة، ولذلك فقد سقط وأسقط معه سقف الكوخ فوق رأس بركات الحكيم وولده الجائع الباكي..

ووسط الأنقاض، جلس بركات الحكيم يفكر بحثاً عن إجابة سؤال
حيره كثيراً ، فأخذ يههم:

- كانت المشكلة بينى وبين ذلك العمود الأحمق الذى يحول بين
ولدى وبين طعامه، فما دخل هذا السقف الغيبى فى الأمر؟



الإبرة واللصوص

ذات مرة نصح (بركات الكبير) ابنه (بركات الصغير) نصيحة رائعة ظلت الأجيال تتذكرها على مر العصور عندما قال له:

- لا تتجول وحدك بعيدا عن العمران دون سلاح.

وكانت بالفعل نصيحة لا يستطيع أحد أن ينكر حكمتها. ولكنه أكمل نصيحته قائلا:

- نعم يجب أن تتسلح بشيء، ولو كان هذا السلاح مجرد إبرة.
عندها ضحك (بركات الصغير) قائلا في سخرية: .. إبرة؟
لكن (بركات الكبير) قال مؤكدا:
- نعم إبرة، وإلا ستندم حيث لا ينفع الندم.

ولم يهتم (بركات الصغير) كعادته بنصيحة والده فمضى يتجول في البراري وفي الأعراس دون سلاح، إلى أن جاء يوم خرج فيه (بركات الصغير) يطارد الأرانب البرية فحاصره بعض اللصوص. ولما لم يجدوا معه شيئا يستاهل السرقة أخذوه أسيرا ليبيعوه في سوق العبيد، وصحيح إن الفتى كان سيقع أسيراً في أيديهم حتى لو كان مسلحاً حتى أذنيه

بالحراب والبنادق والدروع، لكنه سكب كثيرا من الدموع، لأنه سخر من حكمة والده ولم يهتم بتسليح نفسه ولو بإبرة، يدافع بها عن نفسه وقال لحارسه وهو يبكي:

- أنا لا أبكي من الأسر ولكنني أبكي لأنني لم أستمع لنصيحة والدي الحكيم، فلو كان معي إبرة لما استطعتم جميعا أن تمسكوا بي أبدا..

وضحك الحارس ساخرا وقرر أن يتحداه فأحضر إليه إبرة وقال له:

- خذ أيها الحكيم الصغير، خذ وحقق نصيحة والدك ودعني أرى ماذا ستفعل بها يا أشجع الحكماء.

أمسك بركات الصغير بالإبرة ثم قريبا من عينه قائلا:

- ولكن لماذا هي معوجة هكذا؟

جلس الحارس أمامه، ومد رأسه يتأمل الإبرة عن قرب وهو يؤكد له أنها سليمة. وما أن اقترب وجهه منها حتى شكه (بركات الصغير) بين، عينيه، فصاح من الألم وألقى بالبندقية لكي يغطي وجهه بيديه، وهنا أسرع (بركات الصغير) وتناول البندقية وأطلق الرصاص وهو يصرخ من الفزع والفرح.

وما أن شاهد بقية اللصوص ما جرى حتى انطلقوا هاربين بينما أخذ (بركات الصغير) يطلق خلفهم الرصاص، وهو لا يصدق أن ما حدث قد حدث، ولا يفهم كيف حدث، لكنه لما انتبه لنفسه، واكتشف أنه ما يزال ممسكا بالبندقية يطلق منها النار، فزع وصرخ وألقى بها. وانطلق

يسابق الريح فى الاتجاه المضاد وهو ينادى والده ليستجد به، وليؤكد له، أن إحدى نصائحه قد أفلحت ونجحت أخيرا.

إن إبرة يتسلح بها الإنسان، يمكن أن تنقذه، ذات مرة، من اللصوص.

نصائح صغيرة

ذات يوم، ذهب بركات الحكيم إلى السوق، فاشترى صندوقاً مليئاً بالأواني الزجاجية الرخيصة، وهو يتوقع ارتفاع سعرها ذات يوم، فيكسب من ورائها بعض المال، واستأجر حمالاً ليحمل الصندوق إلى المنزل. وكان من الحكمة برأيه ألا يدفع للحمال أجره، لثقل تكاليف البضاعة، وليزيد مكسبه منها، فلما سأله الحمال عما بالصندوق قال دون اهتمام:

- أشياء لا قيمة لها، مجرد شظايا زجاج مكسور.

لم يصدق الحمال طبعاً، أن يذهب حكيم مثله إلى السوق ليشتري زجاجاً مكسوراً يمكن جمعه من القمامة، لكنه لم يقل شيئاً وسأله:

- وكم تنوى أن تدفع لي أجراً لنقلها؟

قال بركات في ابتسامة حكيمة:

- لك أن تختار هل تأخذ عشرة قروش كاملة، أم تحصل مني على ثلاث نصائح صغيرة كبيرة القيمة.

كان الحمال يسمع كثيراً عن حكمة بركات الحكيم، وإن كان لم يره من قبل فقال:

- النقود تذهب وتجي يا مولاي، ولذلك فأنا أختار النصائح الثلاث، فقد تنفع فقيراً مثلي.

وفرّح بركات الحكيم طبعاً، لأنه يفرز الحكمة كما يفرز جلده العرق، ولكنه يحب النقود أكثر.. واشترط على الحمال أن يقول له النصائح الثلاث، أثناء رحلة العودة، وقبل الحمال شرط بركات الحكيم.. بعد فترة جلس الحمال ليستريح فطلب النصيحة الأولى فألف له بركات نصيحة تقول:

- لا تصدق من يقول لك أن العبودية أفضل من الحرية.

وغضب الحمال وقال:

إنها حكمة جيدة ولكنى أعرفها أكثر منك يا سيدى.

ولم يهتم بركات لغضبه لأن حكمته علمته أن يحتفظ دائماً بهدوء أعصابه.

وبعد أن سارا فترة أخرى طلب الحمال النصيحة الثانية فقال بركات بعد تفكير عميق.

- لا تصدق من يقول أن الفقر يجلب السعادة وأن المال هو سبب التعاسة..

رفع الحمال الصندوق غاضباً وهو يقول:

أتقول هذه النصيحة لرجل مثلى يعانى من الفقر يا سيدى؟

وابتسم بركات الحكيم ولم يرد.

وعندما وصلا إلى البيت طلب الحمال النصيحة الثالثة قبل أن يضع الصندوق على الأرض فقال له بركات فى حكمة وهدوء:

- لا تصدق من يخبرك أن الجوع لا يسبب الألم.

وهنا كان غضب الحمال قد بلغ درجة لا يمكن احتمالها فصاح في

وجهه:

- هل رجل ميسور مثلك ينصح رجلا فقيرا بهذه النصائح اسمع، لقد
آن الأوان لكي تسمع مني نصيحة تساوي نصائحك الثلاث، ولا تغضب
يا سيدى لأن الحياة علمتني الكثير من الحكمة، فخذها مني نصيحة
قاضية وهي تقول: تصدق من يقول لك إن هذا الصندوق لا يحتوى إلا
على شظايا زجاج مكسور..

وقبل أن ينتبه بركات الحكيم، بل وقبل أن يرفع حاجبيه من
الدهشة، طوح الحمال الصندوق بكل قوته على الأرض، وحيا بركات
ومضى دون كلمة.. وظل بركات الحكيم واقفا يتأمل بقايا أنيته المهشمة
دون أن ينطق ودون أن يجد القدرة على فهم الحكمة وراء تصرف ذلك
الحمال...

بقرش أه . . . بقرش أووه

كان (بركات الحكيم) حكيما كما رأينا، وكان بخيلا كما عرفنا، ولكننا اليوم سنعرف عنه أنه كان مخادعا، ذلك أنه كان كلما استأجر خادما، وعد أن يعطيه مائتى ليرة فى الشهر، أجرا له على خدماته، لكن بشرط واحد هو ألا يفشل فى مهمة يكلفه بها أبدا، وإلا حرمه من الأجر.

وكان الخدم يوافقون على الشرط لأن الأعمال قليلة، والأجر كان معقولا، والشرط كان على ما يبدو مقبولا.

لكن (بركات الحكيم)، كان يستدعى خادمه عندما يحين آخر الشهر، ويحل موعد دفع الأجر، ويطلب منه فى جدية رجل حكيم قائلا.

- عليك أن تذهب إلى السوق لتشتري لى كمية من (الآه) ومثلها من (الأووه)، وتعود على الفور لتجهز منها الغذاء.

وطبعا كان الخادم منهم بعد أن يدوخ فى السوق، ولا يجد المطلوب، يفضل عدم العودة إلى البيت تاركا عوضه على الله.

وهكذا استطاع (بركات الحكيم) أن يتهرب لشهور طويلة من دفع أجور خدم كثيرين، دفعهم الفقر وسوء الحظ للعمل عنده، وحسده كثير

من المخادعين الآخرين على نجاحه فى (أكل) أجور الخدم بسبب
(حكمته النادرة) التى لا يملكونها.

وحدث مرة أن اشتغل عنده شاب من الفلاحين، لا يبدو عليه شىء
من الفهم أو الذكاء، ولكنه صار صاحب حكاية يجب أن يعرفها كل
إنسان ليعرف الجميع أن الحكمة المخادعة لا تفلح إلى الأبد.

عندما جاء يوم الدفع وطلب (بركات الحكيم) من الفتى أن يذهب
ليحضر (الآه) و(الأوه)، قال الفتى لنفسه غاضباً:

- هذا الرجل يظن نفسه ماکراً، ولكنى لن أسمح له أن يرهقنى فى
العمل طوال الشهر، ثم يلقى بى إلى عرض الطريق.
لكنه أخفى ما بنفسه وانحنى له فى أدب وقال:

- سمعا وطاعة يا سيدى، ولكن ألا تعرف أن أسعار (الآه والأوه) قد
ارتفعت، ارتفاعاً فاحشاً بسبب التهريب والسوق السوداء، ولذلك أعطنى
مائة ليرة أخرى حتى أستطيع أن أجد صنفاً جيداً.

وظن (بركات) أن الفتى لا بد أن يكون ساذجاً، لأنه ظن أن هناك
شئاً يباع ويشتري اسمه (الآه والأوه)، فأسرع يجاربه وأعطاه المبلغ،
وطلب منه، ألا يتأخر طويلاً فى السوق.

وغاب الفتى وقتاً كافياً ثم عاد وهو يحمل جرتين كبيرتين مغلقتين.
ودهش (بركات الحكيم) طبعاً وأخذ يحملق فى الفتى، وفيما يحمله. وهو
لا يصدق نفسه ثم صرخ فيه سائلاً:

- ما هذا الذى أحضرته أيها الأبله؟

قال الفتى فى هدوء:

- هل نسيت يا سيدى هذه جرة مليئة (بالآه) وهذه الأخرى مليئة بالأووه).

لكن (بركات الحكيم) استجمع كل حكمته وصرخ فى وجهه:

- هل تريد أن تخذعنى يا ولد؟

لكن الفتى قال فى هدوء:

- حاشا لله يا سيدى تأكد بنفسك. وما أن وضع (بركات الحكيم) يده فى الجرة حتى جذبها بشدة وهو يصرخ: آآآآآه!

فلقد لدغته حشرة وضعا الفتى داخل الجرة، ووسط صراخ (بركات الحكيم) قال الفتى فى هدوء وبراعة:

- أرايت يا سيدى، أنها مليئة حتى حافظها بالآه، وقد تأكدت بنفسك وها هى جرة (الأووه) عامرة حتى حافظها هى الأخرى.

ولم يجرؤ (بركات الحكيم) على التأكد، وكانت هذه حكمة منه وإن كان قد اضطر إلى أن يعطى الفتى أجره كاملا. وهو يعرض إصبعه من الألم، ويعرض شفته السفلى من الغيظ والندم.

الحفيد المنتظر

زوّج بركات الحكيم ابنه بركات الصغير إحدى الفتيات، لأن الحكماء يتزوجون هم أيضاً. وطبعاً يجب أن تكون زوجة الحكيم الصغير حكيمة هي الأخرى، وإلا كيف تصلح زوجة لابن بركات الحكيم شخصياً!؟

ذات يوم حضر والداها، لزيارتها بعد الزواج، وأمر الحكيم الكبير أن تقام وليمة، تليق بمقام أهل زوجة ابنه التي صارت كابنته.

وبعد تناول الطعام، صعدت العروس إلى المخزن لتحضر بعض الشراب، وكانت سعيدة وهي تقفز السلالم لأنها ستدخل ذلك المكان الذي لا يدخله أحد، إلا في المناسبات وحسب ما يسمح به بركات الحكيم .

مضت فترة طويلة ولم تخرج الفتاة وابتدأ القلق على غيابها من الجميع من أبواها ولكن قلق بركات الحكيم كان أكثر على طعامه وشرابه المقدس في المخزن. وبدأ يفكر في طمع البشر، إذ لا بد أنها وجدت في القبو ما يلهيها عن الخروج.. وملأت الحسرة قلبه لأنه سمح لها بالدخول، فقد تخرب بيته إكراماً لأهلها، ولما أراد البحث عنها، عبر عن قلقه لغيابها في أدب.

فانفجرت أمها صارخة خائفة . ثم دقت صدرها واندفعت لتلحق بها .

بلغ بركات الحكيم ريقه وقال متحسرا:

- ساعديني يا حكمتي الهاربة، كنت أخشى طمع واحدة، ماذا أفعل

في مواجهة جشع اثنتين!؟

ولكن حكمته ظلت باردة .

في المخزن، رأت الأم أمامها، ما جعلها تقلق على ابنتها أكثر .

كانت البنت العروس جالسة أمام صنبور مفتوح يصب على الأرض

شراباً غالياً فصارت هناك بركة كانت الأبنة وسطها وقد وضعت خدها

فوق يدها وهي تبكي ولأن الأم تحب ابنتها، فقد نسيت أن تغلق

الصنبور . واندفعت تسأل ابنتها في حنان عما بها . فأجابت العروس في

حكمة حزينة وهي تنشج وتتأوه في حرقة:

- كل شيء ضاع يا أماه .. تصوري أنني عندما أنجب طفلاً، وأسميه

(بركات) تيمنا باسم جده العظيم (بركات)، فإنه سوف يحب، ثم

يمشي، ويجري، ويكبر حتى يشيخ ويموت، وأموت أنا من الحزن عليه!

وانفجرت الفتاة الحكيمة في البكاء أكثر فأكثر، مما جعل الأم

تحتضنها صارخة دون أن تلتفت لحظة إلى الصنبور الذي كان ما يزال

يمد البركة بمزيد من الشراب الغالي وهي تقول:

- وأنا أيضاً لا بد أن أموت حزناً على ولدك طبعاً إن شاخ ثم مات . يا

حسرتي على حفيدي الغالي ...

وسمع والد العروس صراخ والدة العروس فاندفع إلى القبو مذعورا،
ووراءه بركات الحكيم أكثر ذعرا، فالقبو المملوء بالخيرات مهدد بغزو لا
يرحم...

ولما وصلا وعرفا سر الصراخ والحزن على (الفقيد) المزعوم، قال
الرجل صارخا:

- الحمد لله أن اسم ابنك القادم لن يسمى على اسمي وإلا كنت
حزنت عليه أكثر...

في الوقت نفسه مضى بركات الحكيم يدافع عن ماله المراق على
الأرض ودقيقه المتطاير في الهواء..

وهو يلعن اليوم الذي تزوج فيه ابنه وهو يقول باكيا:

- يا للمصيبة لقد كنت أريد لولدي الحكيم زوجة حكيمة ولكني لم
أكن أتصور أن تكون العائلة كلها على هذه الدرجة من الحكمة، لتفترق
أموالي بدموع الحزن على طفل حكيم مات وهو لم يولد بعد..!

رحلة إلى منابع الحكمة

ذات يوم خرج بركات الحكيم في رحلة للبحث عن الحكمة، وكانت هذه عادة حكيمة، فعلى كل حكيم أن يلتقى بغيره من الحكماء من حين لآخر، لتظل شرارة الحكمة مشتعلة في رأسه وإلا انطفأت وخبث وخاب هو وانطفأ ذكره .

وكان حظ بركات الحكيم في هذه الرحلة عظيماً، فقد التقى خلالها بحكيم قروي وآخر من المدينة، ثم اختتمها في مدينة كاملة من الحكماء، لدرجة أنه فكر في أن يترك الاشتغال بالحكمة مادامت منتشرة إلى هذه الدرجة، وما دام العالم قد امتلأ بالحكماء إلى هذه الدرجة .

وجد بركات الحكيم زميله القروي واقفاً إلى جوار أحد الآبار العميقة، التي كانت تنتشر أيامها على طول الطريق ليشرب المسافرون... وكان الرجل يحاول دون جدوى ملء حوض المياه المجاور للبئر ليسقى ماشيته، إذ كانت البئر عميقة جداً، وكان عليه أن يهبط سلم البئر عشرات المرات حاملاً الماء في سلة من البوص!! لكنه لسبب لم يفهمه كان يصل دائماً إلى الحوض، والسلة فارغة تماماً! وأجهدته البحث عن سبب خلوها من الماء أكثر مما أجهدته الصعود والهبوط بين قاع البئر والحوض .

وضحك بركات الحكيم ساخراً ثم نصحه وقد وضع كل هيبة الحكماء على وجهه وقال:

- لن يمتلئ الحوض بهذه الطريقة أيها المغفل، لماذا تجهد نفسك؟
اربط السلة في حبل وأجذبها به بدلا من عناء الهبوط والصعود، وإلا
فلن يمتلئ الحوض إلا بعد أن تموت تعباً...
ومضى في طريقه مودعاً بنظرة إكبار لحكمته التي ابدعت هذا
الحل البسيط لهذه المشكلة الصعبة، وما إن اختفى حتى اندفع الحكيم
القروى يبحث عن حبل.. فوجده.. فربط به السلة...



أما (الحكيم) الحضري فقد التقاه بركات واقفاً مع زوجته يحاولان
إجبار جسده السمين على الدخول في بنطاله الضيق، دون جدوى، إذ
كان البنطال يأبى الخضوع واحتواء كرش الرجل الكبير.

وكان لا بد لبركات ألا يبخل على الرجل بحكمته، فما فائدة الحكمة
إن لم تحل مثل هذه المشاكل المعقدة؟! فتقدم متطوعاً من الرجل
وهمس له بكلام، فتهال وجه الرجل فرحاً، وودع بركات بكل احترام،
لأنه أخبره بما يحب، ليخضع ذلك البنطال المشاغب!

ثم أسرع بعد أن طلب من زوجته أن تفتح البنطال على آخره بين
ذراعيها وتقف به تحت الحائط أسرع إلى السطح في نشاط لكي يقفز
داخل البنطال فاتحاً ساقيه كالقذيفة حتى لا يجد البنطال فرصة
للاعتراض أو الرفض!!

ولست أدري هل نجح الرجل في الانزلاق بكرشه داخل بنطاله أم لا،
ولكنني متأكد من أنه رقد لأيام طويلة دون بنطال على الإطلاق منتظراً
أن تشفى كسوره ليكرر المحاولة مرة أخرى!

ثم وصل بركات الحكيم في نهاية رحلته إلى مدينة لم يستطع دخولها بسبب الزحام الشديد والضجة الهائلة للموكب الكبير المحتشد أمام بابها الرئيسي.. ولما سأل قالوا له:

إنها مشكلة في غاية البساطة، ولكننا متأكدون أن رجال حكومتنا ومجلس بلاط أميرنا سيجدون حلاً عبقرياً لها في الوقت المناسب تماماً.

فباب المدينة منخفض إلى الدرجة التي لا يمكن لأميرهم الطويل المرور من خلاله ولذا فالموكب متوقف منذ أيام ثلاثة إلى أن يجد مجلس الحكماء حلاً للمشكلة. ولما عرض بركات الحكيم عليهم خدماته سخروا منه وقال له أحدهم:

- هل تستطيع أنت أن تجعل هذا الباب المنخفض يرتفع قليلاً ليسمح للأمير وللأميرة بالمرور.. إنك مغرور يا رجل، فأميرنا طويل جداً.. لدرجة لا يستطيع العبور فوق حصانه من البوابة... أنظر إليه إنه يغالب النعاس في انتظار قرار حكماء مدينتنا وأنا أعتقد بما لي من حكمة أنهم سيصدرون أحد قرارين: إما أن نقصر أرجل الحصان قليلاً أو نقطع رأس الأمير حتى يمكن للموكب أن يمر! رأيت؟ إنها مشكلة لا حل لها.. وأنت تريد أن تحلها.. ها ها...

ضحك الرجل ساخراً، وضحك المحيطون ببركات وضحك بركات أيضاً... وجد أنها فرصة عمره ليثبت لهم أنهم مجرد حمقى وليسوا حكماء... فتقدم من الأمير ثم صفعه خلسة على قفاه صفة قوية جعلته ينحني فزعاً من المفاجأة... وفي الوقت نفسه لكز الحصان البليد لكزة فاندفع خلال الباب وسط هتاف أهل المدينة الحكيمة بحياة بركات أحكم الحكماء!

الراعى والأميرة فيروزة

فى الحلم بعض من حقيقة

كان ياما كان ..

يحكون أنه قد حدث فى مكان ليس له مكان، وزمان لا ينكر فى
تواريخ الأيام .. أن أحد الفتيان الرعيان، كان عازفا ماهرا على الناي ..
أى ناي .. فقد كانت أى قسبة من قصبات البوص تتحول بين يديه إلى
آلة ساحرة باهرة عندما ينفخ فيها ليلا، تظل النجوم ساهرة . وعند ما
كان يعزف عليها نهارا، كانت الشمس تبقى حائرة .. هل تغيب وتبتعد
عن هذه الألحان الجميلة ؟ أم تتلأأ وتعتذر عن المشى بأى حجة أو
وسيلة لكى تسمع وتتمتع ؟

لكن الفتى الراعى الذى يشتغل طول النهار، كان لابد أن يستريح
عندما يأتى المساء، ولذلك كانت الشمس تودعه وتغرب وتتركه وتذهب
ولكن إلى لقاء .. ويذهب هو إلى كوخه هناك فى العراء . ذلك الكوخ
الذى بناه بنفسه من فروع الأشجار، على حافة الغابة المظلمة .. على
مرمى البصر من قصر الملك الدائم الضياء .

لقد كان هذا الفتى يرعى قطع أغنام الملك .. وكان لهذا الملك فتاة
جميلة طيبة القلب: اسمها (فيروزة) .

وكانت (فيروزة) تعيش وعبيدة في القصر، وعندما كان يحل المساء، كانت تقضى الليالى القمرية فى شرفة القصر المطلة على المراعى .. تسمع فى شوق صوت الناي الذى يعزفه الراعى .

كانت فى أحيان كثيرة عندما تخرج لتتفرج على السهول أو على الغابة .. تمر عليه فى كوخه تحببه .. أو تسمع له .

وكانت تأتى له ببعض الهدايا .. لكنه كان يقبلها وهو حزين يتمنى لو استطع تقديم هدية لها، هى التى توده دون الناس أجمعين .

حتى كان يوم، ذات يوم حدث فيه حادث غريب .. من تلك الحوادث التى لاتحدث إلا فى الحوادث الشعبية، أو الحكايات الخيالية، والتى كانت تحدث فى ذلك الزمن القديم العجيب كل يوم . حيث كانت تعيش - كما يقولون - حيوانات أسطورية ومردة، عظام الأجسام، ضخام الرءوس والأقدام .. أو طيور خرافية وتنانين نارية أو أقزام .. صورها الإنسان بالخيال، ورآها فى الأحلام .



على كل حال .. نعود لحكايتنا ولراعيينا لنكمل الحديث والمقال . فقد عرفنا أنه كان يتمنى أن يهدى لفيروزة هدية .. أى هدية .. وقد حدث له حادث ذات ليلة جعله يستطيع أن يفعل ذلك .. فكيف كان ذلك .

ذات ليلة كان عائدا فى الليل إلى كوخه .. فسمع بالقرب منه، داخل الغابة، صوت بكاء ونحيب . كأنه صوت طفل صغير تائه غريب! ولما كان الراعى طيب القلب رقيق المشاعر، كأنه فنان أو شاعر، اندفع بسرعة داخل الغابة المظلمة بحثا عن ذلك الطفل الذى يبكى وينوح،

حتى وصل إلى مكان فسيح خلف شجرة ضخمة من أشجار (الشوح)، لكنه بدلاً من أن يرى طفلاً باكياً يحزن من أجله.. إذا بمنظر مهول يسمر قدميه ويملاً بالدهشة عينيه، ويجعله يضحك ويضحك والمرح يغلب عليه.. فهناك بجوار الشجرة يجلس (مارد) ضخم الجثة، مهول الخلق، عظيم الهيئة.. يحاول دون جدوى الإمساك بأصابع قدمه اليمنى.. التي كان يسيل منها الدم وهو يبكي بحرقة، وكأنه طفل أخذوا منه لعبته، ويولول كفتاة صغيرة دون أن يحافظ على وقاره وهيئته.

لقد كان يتأوه ويتألم ويتلوى بطريقة جعلت الأرناب نفسها تموت من الضحك عليه.. نعم كانت هناك بالفعل مجموعة من الأرناب والفئران الجبلية والطيور من حوله تتفرج وتتأمل ما يجري وهي تضحك، وهي التي كانت تموت رعباً إن شمّت رائحة أمثاله من العمالقة، وضايق هذا المنظر المارد أكثر وأكثر، فكان يزعمق فيها صارخاً، فكانت هي تجرى خائفة.. لكنها لم تكن تملك سوى أن تعود لتضحك عليه كما فعل الراعي.. الذي تقدم منه قائلاً في صوت حنون وعطف بالغ:

- ما الذي تشكو منه أيها الصغير الكبير.

واضطر المارد أن ينحن كثيراً.. كثيراً ليصل إليه صوت الفتى.. كما أنه لم يستطع أن يرد على الفور، لأن الدموع كانت تخنق صوته والآهات تملأ صدره.. فقال وهو يضرب بأصابعه وذراعه الضخم في الهواء:

- شوكة.. شوكة.. دخلت في إصبع قدمي الكبير شوكة وبسببها سأموت.. الحقنى.

وتقدم الراعى منه حتى أصبح رأسه فى موازاة قدمه الكبيرة فرأى
قطعة حادة كبيرة من خشب السنديان الصلب، تكاد تغيب فى لحم
إصبع المارد.. فأخذ يعالجها بخفة، والمارد يتلوى ويتألم حتى استطاع
إخراجها. ثم خلع قميصه وقطع قماشه إلى شرائط.. وقام بصعوبة بالغة
بربط الجرح ومنع النزيف.

وارتاح المارد وتبسم ضاحكا.. بل وارتفع صوت ضحكته يزلزل
أرض الغابة، ويعصف بالأشجار ويثير خوف الأرانب والفئران، ولولا
أنه أمسك بالراعى لطار مع ما طار من أغصان وخشب وأحجار.

وبعد أن هدأ عادت الأرانب تتفرج وجاءت الطيور التى كانت نائمة،
وصحا من كان من الوحوش نعسانا، ليشهد هذه الصداقة التى بدأت
بين المارد الخيالى، وواحد من بنى الإنسان وكان المارد يفكر ويفكر
فى طريقة يكافىء بها ذلك الراعى الضاحك الذى أنقذ حياته. وضحك
الراعى وقال:

- وهل حياتك فى صباع رجلك..؟

فرد المارد وقال: طبعا فنحن غيركم يا بنى آدم.. على كل حال هذه
أسرار والمهم الآن أن تأتى معى.. فعندنا حفل ميلاد مارد جديد،
وستكون ليلة مرحلة عظيمة، وستسر كثيرا ولكنى سوف أخفيك عن
أنظار أقاربي وأخوتي، فهم لا يحبون أن يراهم أحد وستكون أنت أول
إنسان يرى حفلة لهم.. صدفة..

قال الراعى: ولكن كيف ستخفينى عنهم.. أخشى أن تضعننى فى
جيبك.. فأختنق أو تنسانى هناك وأموت صدفة..

ضحك المارد وقال: لا تخف.. خذ هذه الطاقية (القلنسوة)، والبسها فوق رأسك وسوف تخفيك عن الأنظار تماماً.. ولكن كن قريباً منى دائماً وعندما تريدنى، إلمسنى حتى أعرف مكانك لكن احذر فالرقص سيكون عنيفاً.. لا تترك أحدا يدوسك.. صدفة.

وحمله المارد على كتفه ومضى به وسط دهشة الأرناب والفئران والماعز الجبلى وبقية سكان الغابة، الذين أسرعوا جميعاً خلفهما وهم يتعجبون لشجاعة وجرأة الراعى الذى وافق على الذهاب إلى حفل العمالقة الذى لم يره أحد ولا يصدقه عقل..!

وما أن وصل المارد حاملاً الراعى إلى ذلك المكان الفسيح وسط الغابة.. قال له المارد:

.. هيا.. إلبس القلنسوة حتى لا يراك أحد.. وامسك جيداً بخصلة شعري حتى لا تسقط أثناء الرقص.. فالأفضل أن تشاهد من هنا حتى لا يراك أحد أو يدوسك.

وفعل الراعى كما طلب المارد فاخفى عن الأنظار ورأى من هناك عشرات من المردة، عجيبية الشكل والخلقة.. منها الطويل والقصير والرفيع والسمين والعجوز والشاب والكبير والطفل.

وكان هناك صياح شديد وهرج، الكل يتكلم، والحقيقة أنهم كانوا مردة وضخام الأجسام، لكنهم كانوا فى غاية الفوضى والهرجلة وعدم النظام.

جاء أحد المردة يسأل صديقنا المارد عما حدث لإصبعه المربوط ولما عرف السبب ضحك ضحكة عنيفة كادت تلقى بالراعى من فوق كتف المارد. قال:

- هذا جزاء إصرارك على المشى حافياً.

وعاد يضحك ويربت على كتفه دون أن يدري أن فوقه إنسان ولذلك تعجب عندما سمع صوتاً بشرياً وصرخة احتجاج تصدر من فوق كتف صديقه.. فأخذ يتحسس ويتأمل ويتشم حتى أمسك بجسد الراعى الصغير، ولما حمله طارت القلنسوة فوجد بين أصابعه مخلوقاً آدمياً يرفس بيديه ورجليه احتجاجاً.. وكاد يلقى به ولولا أن أخذه منه صديقه المجروح وسط دهشة الجميع، ووقف الراعى فوق كف صديقه.. بينما تجمعت وجوه المردة حوله تتأمله في دهشة وتعجب وغضب.. فكيف تجرأ هذا المخلوق على اقتحام حفلهم.. وحاول صديقه الاعتذار عنه قائلاً: أنا الذى أحضرتة.. لقد أنقذ حياتى.. وأردت أن أرد له الجميل.

وقبل أن يتعاطف أحد معه صرخ مارذ قزم: هذا لا يغفر له ذنبه.. يجب محاكمته على الفور.. فقد يكون جاسوساً علينا.. نعم لا بد أن يحاكم..

لم يكن هناك مفر من المحاكمة التى قد تكون محاكمة عادلة أوظالمة، لا بد سنعرف ونرى، فقد ينجو صديقنا.. ربما..!

وجد الفتى الراعى نفسه فى مأزق.. ولم يستطع صديقه المارد أن يمنع عقد المحكمة لمحاكمته، لأنه حينما اعترض شارحاً لأهله المردة العمالقة أن الفتى الراعى قد أنقذه من الموت لم يستمع له أحد. فالمحاكمة تعنى مزيداً من المرح.. والفكاهة.. وفى ليلة كهذه يحلو المرح والفكاهة..

همس المارد الصديق للفتى الراعى: إلبس «الطاقية، واهرب..

لكن الفتى الراعى قال له:

لا تخف على.. أحب أن أشاركهم مرحهم لأننى أحببتهم جميعاً.

تعجب المارد من ذلك الإنسان الذى لا يعرف أن فى تهوره هذا موته، وأراد أن يشرح له أنهم قد يقتلونه وهم يمرحون ويضحكون! لكن المكان كان قد جهز للمحكمة... وجلس على جذع شجرة ضخمة ثلاثة من المردة أحدهم سمين كالفيل والآخر طويل كالنخلة العملاقة له رقبة كالزرافة.. أما الآخر فقد كان المارد القزم الذى اقترح المحاكمة فى البداية وكانت فى عينيه نظرة شريرة.. ونادى القزم على الفتى الراعى.. فتقدم منهم وهم يرمقونه بنظرات تحاول أن تكون غاضبة..

وسأله المارد القزم عن سبب حضوره إلى هنا.. فقال الفتى الراعى فى ثقة:

- جئت أشارككم فرحتكم بالمولود الجديد..

فضحك المارد القزم ساخراً وقال:

- كيف أيها الثرثار؟.. أنت تكذب فقد جئت لتعرف أسرارنا. ولكن الفتى الراعى تناول الناي الذى كان معلقاً فى وسطه.. ورفعته إلى فمه وسط نظرات العيون الضخمة المتسائلة.. كان فى تلك العيون المرححة حب استطلاع غريب انقلب إلى دهشة طفولية عندما خرجت الأنغام من الناي.. ناعمة.. ساحرة.. ثم مرحلة راقصة.. فلم يتمالك أحدهم نفسه واندفع يرقص وسط ساحة المحكمة.. واندفع خلفه آخرون.. وكلما ازداد مرحهم زاد الفتى من إيقاع العزف.. لدرجة أن المارد القزم نفسه انطلق يرقص حول الفتى الراعى.. فى مرح..

ونسى الجميع المحاكمة ..

وارتفعت صيحات المرح وضحكات السرور واشتدت ضربات
الأيدي .. ودقات الأرجل فوق الأرض .. واهتزت معها الأشجار ..
وهربت الحيوانات والطيور إلى أقصى الأرض .. ولم يكف الفتى
الراعى عن العزف .. إلا بعد أن تساقط المردة العمالقة واحدا بعد واحد
من التعب والسعادة .. وغلبهم النوم فارتفع شخيرهم فى إيقاع منتظم!

وقال الفتى الراعى لنفسه:

- إنها ليلة لا تنسى .. ولن تعود .. وغدا أعود إلى المرعى .. لن آكل
طعاما مثل الذى أكلته فى هذه الليلة .. فلأخذ ذلك الرغيف الضخم
معى سيكفينى الجوع لأسبوع قادم ..

تناول الرغيف الضخم ولكنه بعد أن حملة وسار به خطوتين أحس
بالرغبة فى النوم فنام مستندا إلى جذع شجرة هناك . وساد سكون
وهدوء لاحد لهما ..



أشرقت الشمس سعيدة دافئة .. فانطلقت ترسل أشعتها خلال الأشجار
والأوراق فى مرح تلمس كل شىء .. وتدعوه للنهار، واستيقظ الفتى
الراعى وهو يشعر أن حلما غريبا قد مر بخاطره، حلما شاركه فيه مردة
ضاحكون وعمالقة مرحون .. فابتسم واستعد للرحيل وهو يتعجب من
وجوده فى هذا المكان البعيد عن كوخه وأغنامه .. ولكنه فوجئ بوجود
الرغيف الكبير فوق صدره فأخذ يتحسسه غير مصدق .. الأمر حقيقى
إذن؟! .. نعم كان ما حلم به حقيقة .. المارد الجريح والمارد القزم

والمحاكمة والرقص.. نعم.. فما دام الرغبة حقيقة.. فكل ما حدث في تلك الليلة لابد أن يكون حقيقة كالحلم.. أو حلما كالحقيقة..

والحقيقة أن الفتى الراعى لم يجد سببا لبقائه فحمل الرغبة ومضى عائدا. ثم تذكر شيئا فمد يده إلى جيبه وأخرج (الطاقية) .. نعم كانت الطاقية في جيبه هي الأخرى إذن الأمر كله كان حقيقيا.. فمضى يقفز سعيدا يصفر بنايه.. وعشرات العيون الصغيرة تراقبه وتتبعه.. عيون أرانب وفلران وطيور صديقة..

وأسرع إلى الكوخ فوضع الرغبة هناك.. ولأنه لم يكن يحس بالجوع فقد أسرع يخرج الأغنام من حظيرتها إلى المرعى، مؤجلا تناول إفطاره إلى حين.. وعند القيلولة جمعت الأغنام جماعات جماعات في ظلال الأشجار المتناثرة حول الكوخ. بينما راح هو يعزف على الناي لحنا هادئا كنسيم الصيف..

ومن بعيد خيل إليه أن الأميرة فيروزة تنزل من فوق حصانها وتتقدم نحوه.. فتوقف عن العزف.. لكنه لمحها تتوقف فعاد إلى عزفه. فأخذت تتقدم نحوه منصته في سعادة.. وما كان أقل الوقت الذي تشعر فيه الأميرة بالسعادة.. فقد عرف عنها وانتشر بين الناس أنها دائما حزينة.. بسبب وحدتها منذ وفاة أمها.. ولأن والدهما الجبار لم يكن يحب في الدنيا شيئا سوى الذهب والمال والجواهر.. حتى قالوا عنه في كتب الحكايات وفي الروايات أنه كان من أغنى ملوك الحواديث.. بسبب ما جمعه من جواهر وكنوز. ولم يكن يتذكر ابنته إلا عندما كان يأتي أحد الملوك أو الأمراء من إحدى المعالك المجاورة لخطبتها.. ولما كان يكتشف أن الخاطب أقل منه مالا كان يرده خائبا.. ولم تكن

الأميرة تعلم بما يجرى وعندما كان يصلها خبر عنه .. كانت تبتسم فى حزن وهى تداعب شعر طفل من أصدقائها أو طفلة من صاحباتها وتقول:

- عجب .. عجب .. لا تسألوا عن السبب . مال الملوك والكنوز لا تهمنى .. فضحكة طفل عندى أغلى من الذهب !!.

ولذا كانت الأميرة تحب عزف الراعى الفتى .. وكانت كما قلنا تحب أن تزوره لتسمع له ولتهديه بعض الهدايا التى كان يأخذها حزينا لأنه لم يكن قادرا على رد مثلها إليها لكنها كانت تقول:

- إن هديتك إلى هى عزفك الساحر هذا الذى يملأ قلبى سعادة .. ويجعل طيور السماء تغرد .. والأطفال يغنون إعزف .. واستمر فى العزف .. فإنه خير هدية تقدمها لى ..

ولما عادت الأميرة فيروزة إلى القصر، رأت والدها غاضبا أشد الغضب إذ أخبره أحدهم بحديثها مع الراعى .. ولما حاولت أن تشرح له .. رفض الاستماع لها .. وأمر بالألا تغادر القصر أبدا .. إلا بإذنه وتحت حراسة مشددة .

وفى ذلك الوقت كان الراعى يجمع الأغنام ويسوقها إلى الحظيرة .. ثم يعود إلى كوخه وفجأة انفجر ضاحكا .. إذ تذكر أنه لم يتناول طعاما منذ حفلة أمس .. وتعجب لأنه لم يشعر بالجوع .. مع أنه أحضر الرغيف الكبير العجيب خوفا من الجوع .. على أية حال لقد جاع عندما تذكر الجوع .. فأسرع وأحضر قليلا من اللبن .. وقام إلى الرغيف ليكسر منه قطعة تكفيه .. لكن الرغيف رفض أن ينكسر ..

كان جافاً كالحديد.. صلباً كالصخر.. وتعجب الفتى الراعى..
فبالأمس كان الرغبة طرياً.. وأكل من رغبة مثله كفايته.. وعاد
يحاول كسر طرف الرغبة دون جدوى.. فقرر أن يستعمل أسنانه..
لقضم اللقمة بعد أخرى، ولكنه عندما عض بأسنانه على
الرغبة.. حدث ما جعله يتسمر من الدهشة.. لقد سقطت من موضع
العضة (ماسة) كبيرة كأنها جوهرة تاج الملك نفسه.. فأعاد القضم
والعض، فتساقطت الماسات واحدة أثر أخرى.. وسط دهشة الفتى
وعجبه.. وظل الرغبة سليماً صلباً كما هو.. بينما جمع هو لء كيس
كبير من الجواهر والماسات.. ورقص قلبه في سعادة.. لا حبا في
الماس ولكن لأن لديه الآن ما يمكن أن يقدمه هدية للأميرة، عندما
تأتي لزيارته..

ولكن الأميرة لم تأت..

ومر يوم وآخر والأميرة لم تظهر.

والناى حزنا يغنى.. والخوف بالقلب أكبر..!

مر يوم.. ومر يوم ثان..

وفى اليوم الثالث ازداد قلق الفتى الراعى.. لم تأت الأميرة؟ لا بد أن
شيئاً قد حدث؟.. باللحظ السبىء.. أعندما يكون عنده ما يهديه لها
مقابل ما أهدت إليه من هدايا وما أحاطته من عطف وحنان.. لا
تأتى.. لا لا بد من فعل شيء.. لا بد أن أوصل إليها الهدية.. ولكن
كيف السبيل والحراس يحيطون بالقصر.. ليلاً ونهاراً..

وتذكر الراعى طاقة المارد.. تلك التى أخفته عن عيون المردة..
إنها لا بد قادرة على إخفائه عن عيون الحراس كذلك.. وفرح بالفكرة..

وأسرع إلى الطاقيّة فارتداها ونظر في جدول الماء فلم ير شيئا.. فعرف أن الطاقيّة لم تتغير صفاتها.. فحمل كيس الجواهر والماس الذي تجمع لديه من قضم الرغيف العجيب وأسرع إلى القصر..



وكادت ضحكاته أن تكشف عن مكانه، عندما مر بجوار الحارس الضخم.. دون أن يراه... وأغراه ذلك بجذب طرف عمامته.. وبينما كان الحارس الضخم يحاول إخفاء فزعه لأنه لم ير بجواره أحدا.. كان هو يحاول إخفاء ضحكة مرحة زاد صوتها من فزع الحارس.. وظل الراعى يتقدم داخل القصر دون أن يراه أحد.. حتى وصل إلى شرفة الأميرة. هناك كان ضوء القمر يتسلل خلال الستائر ويغمر وجهها بنور حالم وهي نائمة في سريرها.. وتقدم الراعى في حذر ثم وضع الكيس إلى جوار السرير.. ومضى عائدا من حيث جاء.. وهو يعبث مع الحراس في مرح فيثير فزعهم..

وفي الصباح.. أخفى الرغيف والطاقيّة.. فقد علا الصباح في القصر.. الأميرة تسأل عن سر الجواهر.. والملك يقول أنه ملاك من السماء أتى له بثروة فلماذا يسأل، والحراس يقولون أنه شبح غامض.. لا يمكن أن يكون ملاكا.. فالملاك لا يسخر من خلق الله. مثلما فعل زائر الليل هذا..

وعندما حل الليل.. أخذ يستعد للرحلة الثانية لكي يرى الأميرة.. فأخذ يعض الرغيف بأسنانه وأخذت الجواهر والماسات تتساقط منه، حتى ملأ كيسا أكبر من الكيس السابق. بعدما ارتدى الطاقيّة.. فاخفى عن الأنظار.. ومضى إلى القصر خفيًا كرائحة الأزهار..

وكان الملك قد أمر بمضاعفة الحراسة والمراقبة، لمعرفة سر زائر الليل هذا.. ولكن الأميرة لم تهتم وراحت فى النوم هادئة تحلم بلحظة فى المراعى تسمع فيها للراعى ونايه المسحور الألحان.. واختفى الملك خلف إحدى الستائر.. فى حجرة نوم الأميرة يحاول أن يحل اللغز بنفسه.. إن استطاع..

ولكن الأمر بقى بلا تفسير.. ففى الصباح وجدوا كيسا أكبر من كيس الأمس.. وجواهر أكثر من جواهر الأمس.. وحكى الحراس حكايات أكثر عن مداعبات الشبح الغامض... أكثر مرحا من حكايات الأمس.. ومع ذلك ظل الأمر بلا تفسير..

وصحيح أن الملك أخذ كيس الجواهر.. وأضافه إلى خزائنه لكنه ظل يفكر ويتمنى أن يتكرر هذا.. سواء كان الزائر شبعا أو ملاكا طيبا. فالمهم أن يأتى كل ليلة بكيس أكبر من الكيس السابق.. وليس هذا بالأمر العسير..

وحقق الشبح الخفى أمنية الملك عاشق الجواهر.. ظل ليلة بعد ليلة يتسلل إلى حجرة نوم الأميرة، لترك كيسا مليئا بالجواهر يأخذه الملك المختفى خلف الستائر..

وفى الوقت الذى كانت فيه سعادة الملك تزداد يوما بعد يوم بزيادة ثروته.. كانت نظرة الحزن تزداد فى عينى الأميرة إذ أنها لم تعد تسمع عزف الناي.. ولم تعد ترى الراعى ولم يكن يهتمها ذلك الزائر الليلي الذى يترك لها الجواهر.. بل كانت تزداد حزنا وألما.

وكان الراعى يشاهد وجهها النائم وقد لفه الحزن العميق.. فيملأ قلبه الألم.. لأن أكياسه لم تجلب لها السعادة.. فماذا يفعل.. قرر فى الليلة

التالية .. ألا يذهب وظل بالقرب من القصر يعزف على الناي عزفا
ساحرا لم يعزف مثله طوال حياته... مما جعل الأميرة تظل ساهرة في
شرفتها تسمع له .. حتى الصباح ..

وطبعاً .. ضايق هذا الملك أشد الضيق إذ أن الزائر الليلي لم يأت ..
لأن الأميرة ساهرة .. وذلك الصوت (المزعج) يملأ الجو .. ولا بد أن
هذا هو السبب في عدم حصوله على كيس جواهر آخر فأمر بطرد
الراعى بعيدا وهدده بالموت إن هو عاد إلى العزف في المساء ..
ومضت ليلة .. وبعدها مضت ليلة أخرى ..

ثم قرر الراعى أن يعود لزيارة الأميرة .. ولم يأخذ معه جواهر هذه
المرة .. بل تناول الناي ومضى نحو القصر. ولم يكن يعرف أن الملك
قد أمر حراسه بالاختفاء وعدم التعرض لأي إنسان أو شبح يدخل أو
يخرج من القصر .. ولكن الأميرة كانت قد أغلقت حجرتها من
الداخل .. وهي تعلن أنها لن تسمح لأحد بالدخول شبحا كان أم غير
شبح .

ورغم توسلات والدها ألا تفسد عليه خطته للحصول على مزيد من
الأكياس، ظلت معتصمة بالحجرة .. ترفض أن تفتح باب الشرفة أبواب
الداخل .. وعند انتصاف الليل سمعت طرقا على باب الشرفة .. فقامت
غاضبة وقالت:

- إذهب بعيداً فلن أترك أحدا يدخل إلى هنا .. حتى ولو جاء بكل
جواهر الأرض .. ابتعدوا عني .. واتركوني وحدي ..

سمع الراعى هذه الكلمات وتعجب .. هل أغضبها بهداياه .. إنه لم
يقصد ذلك .. لقد ظن أن الأميرة لابد أن تسعد بحبات الماس . هو

شخصيا لا يهتم كـ يراً بذلك .. إنه لا يحب شيئا سوى عزف الناي فقط .. وهنا كان قد وصل إلى سور الشرفة عائدا وقلبه حزين عندما طرأت له فكرة .. فجلس هناك وأخذ يعزف على الناي معبرا عن حزنه وأسفه ..

وهنا .. خرجت الأميرة .. إلى الشرفة باحثة عن مصدر الصوت وقد اكتسى وجهها بابتسامة سعادة كبيرة .. ولكنها لم تر أحدا .. فظنت أن الوهم يصور لها خيالات .. ولكن الفتى أسرع فرفع الطاقيّة عن رأسه .. فرأته .. وأسرعت نحوه .. ولكن ما أن اقتربت منه .. حتى اندفع نحوها والدها غاضبا صارخا .. ومعه حراس مدججون بالسلاح .

إذن أنت الذى كنت تسرق أكياس الجواهر طوال الأيام السابقة أيها اللص .. صاحب المزمارة .. وقفت الأميرة حائلا بين أبيها وبين الفتى الراعى معلنة براءته .. ولكن والدها كان على درجة من الغضب لا يسمع معها شيئا فدفعها بعيدا .. وأمر الحراس بالقاء القبض على الراعى .. قبل أن يتمكن من الهرب .. ولم يستطع الفتى أن يلبس الطاقيّة لأنها وقعت منه على الأرض فقبضوا عليه وألقوا به فى السجن ..

وجدت الأميرة بعد انصرافهم طاقيّة الراعى .. فتناولتها .. وأرادت أن ترى كيف تبدو وهى ترتديها .. ولكنها أمام المرآة اكتشفت حقيقة أمرها .. وعرفت أنها تخفى من يلبسها .. وهنا .. أسرعت بارتدائها وتسللت إلى السجن لكى تحاول انقاذ صديقها الراعى وإطلاق سراحه .. ودون أن يحس أحد دخلت إلى حيث ألقوا به .. وهناك .. دون أن يراها أحد .. حدثت الراعى وطلبت منه أن يرتدى الطاقيّة ويهرب .. وأن

يتركها هناك .. فهي تستطيع أن تخرج في أى وقت .. ولكن الراعى رفض بشدة أن يهرب ويتركها هناك .. وطلب منها أن ترتدى الطاقية وتذهب إلى الكوخ لتحضر له الرغيف العجيب الكبير من هناك .. وساعتها سيكشف السر كله وستظهر براءته أمام والدها ..

وفعلت الأميرة مثلما طلب .. وعادت إليه بالرغيف العجيب .. وأسرعت مرتدية الطاقية إلى والدها .. تدعوه لزيارة السجين المظلوم . ولم ير الملك شيئا ، ولكنه سمع من يأمره بالذهاب إلى السجن .. فذهب . وهناك .. وجد الزنزانة مليئة بالجواهر بينما جلس الراعى وسطها يعزف على الناي ..

ولم يفهم الملك شيئا .. وإن أسرع يغرق نفسه فى بحر الجواهر . وهو يأمر أن تحقق للراعى كل أمنياته وطلباته .. ولم يفعل الراعى .. شيئا .. ولم يطلب شيئا ولم يتكلم لكنه تناول الرغيف وتناول يد الأميرة .. ومضيا سويا .. إلى الخارج .. إلى المراعى إلى الدنيا الواسعة .. ليعيشا فى سعادة وهناء ..

ولدهشتها الشديدة .. حدث أنهما عندما جلسا لتناول الطعام استطاعا أن يأكلا الرغيف الذى عاد طريا طازجا شهيا كأى رغيف عادى ، لذىذ شهى .. فضحكا من القلب .. ضحكة سعيدة .



عذراء الربيع

أرسل «هليوس» إله الشمس حزمة من أشعته الذهبية تطرق باب «ديميتر» ربة الأرض فاستيقظت من نومها المليء بالأحلام والرؤى..

وعندما تقوم «ديميتر» من نومها يستيقظ كل شيء.. وتغسل أزهار النرجس وجوهها في الماء ويفرد عباد الشمس أجنحته ناحية الأفق الشرقى.. وترقص النحللات رقصتها الأولى أمام عشها، لتنتطلق بعدها إلى عملها الخالد، كي تهب الحياة استمرارها..

كانت «ديميتر» تعيش في وادي «آنا» الذي تحيطه من كل جانب جبال قبرص الشاهقة.. فتدرد عنه غضب عواصف البحر الأبيض.. إلا نسائم رقيقة دافئة محملة بعطر الجنوب السحري.. وتصد بصخورها ضربات الأمواج المصطخبة تاركة رذاذ الماء يرطب أيامها الحارة..

كان الوادي يزخر بالحياة.. فلا غصن ميت وإنما الخضرة والنماء لكل نبت.. ولا عين جافة وإنما الجداول تنساب باردة وحارة.. تتمايل على شطآنها أزهار النرجس ويلمع في قاعها الحصى من الجواهر واللآلئ.. هذا بيت «ديميتر» ربة الخصب والنماء وآلهة الأرض التي لا تعرف الموت.. وأينما سارت سرت أنفاس الحياة في البذور الملقاة.. والدفينة.. يدها هنا تزيل التراب عن نبات صغير يتشوق للشمس.. وأنفاسها تدفئ برعما غضا يود لو يتفتح.. وصوتها يدعو شاردًا للحب والتزاوج.. وعيونها تلهم العشاق ألحان الهيام الخالدة..

ووقع «زيوس» رب الأرباب يوماً في غرامها.. وكم من الآلهة وقعوا
في غرامها.. ولكن رب الأرباب فقط استطاع أن يجعلها تبادله حبا
بحب.. وهياما بهيام..

وجاءت «برسيفونية» ثمرة لهذا الغرام الذي لم يدم طويلاً.. ولكنها
كانت أغنية دائمة من أغانيه.. تتردد بين جنبات الوادي كلما نقلت
النسائم الرطبة صوتها.. فتردها العصفير والبلابل.. وتدق بها قلوب
العداري على بعد أميال.. وتندفع إلى حدودهن دماء الخجل أو الحب
فتتورد أزهار التفاح.. وتتملى سنابل القمح..

وكانت «ديميتر» سعيدة بابنتها غاية السعادة.. فوهبتها كل شيء
وكرست أيامها لإسعادها.. وعلمتها أسرار الحياة.. وخضرت الدنيا من
أجلها.. وأجرت الجداول عبر الصحاري تحمل الخصب لكي لا ترى
«برسيفونية» أينما سارت أرضاً جرداء.. وأمرت عرائس البحار وفرسان
الجبال أن يحملوا بذور الحياة إلى أركان الدنيا.. كي يكون الكون..
حديقة «برسيفونية» الجميلة اليانعة المزهرة أبداً والتي لا تعرف الموت أو
البوار.

وكل صباح.. تخرج «برسيفونية» مع صاحباتها من العداري
وعرائس ليقضين اليوم.. يداعبن الموج على الشاطئ ويلعبن في مرج
تحت أصابع هليوس، الدافئة.. فإذا ما تعبن عدن إلى المرج الأخضر..
يقطن الأزهار ويصغن منها عقوداً حول أعناقهن.. أو يتراشقن بها..
ضاحكات.. فإذا ما تعبن.. ملن إلى ظل كرمة ناضجة.. وتنطلق
«برسيفونية» تغنى لهن أغنية حب عذراء.. في صوت ساحر حزين..

وكل يوم أيضاً.. كان «بلوتو» إله العالم السفلى يوقف عربته غير المرئية بعيداً.. ويتقدم حذراً.. خشية أن يراه أحد.. حتى إذا ما أصبح قريباً من العذارى.. وقف كالمسحور الذى لا يعى.. وكله آذان صاغية لذلك الصوت العذب الملائكى.. الذى يجعل عينى الإله الشديد الرهبة.. تذرّفان الدموع.. وكله عيون ترمق ذلك الوجه العذب الساحر.. الذى ملك عليه فؤاده وحوله إلى ذلك العاشق الرقيق العاطفة.. الشديد الحساسية.. الساهر أبا يحلم بالعينين الرائقتين.. والغمازتين الساحرتين.. والعود الريان.. والسعادة تغمره عندما يذهب كل يوم.. ليسمع نفس الأغنية.. وهو واقف فى نفس موضعه متخفياً.. والدموع تسيل على خده وكأنه طفل صغير.. هو رب الجحيم وإله طبقات العذاب السبع.. الذى لا تحرك صرخات المعذبين شعرة من جسمه ولا يحرك بكاء القاطنين داره عاطفة فى قلبه..

فإذا ما انتهت «برسيفونية» من الغناء وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب وانطلقت بها عربة (هليوس) تعبر بها شاطئ البحر الغربى.. مضى «بلوتو» إلى عربته وهو لا يكاد يعى من شدة انفعاله.. وألهب جياده الشرسة بسياطه.. وانطلق يخترق طبقات الأرض المظلمة حيث مملكته الرهيبة وحياته الجافة الموحشة.. وسط أنات العذاب وصراخ البشر الذين أرسلت بهم الآلهة إلى جحيمه الذى لا يطاق..

كانت حياة «بلوتو» تمضى هنا بلا ابتسامة تنغص عليه طبيعته القاسية أشد ما تكون القسوة.. أو لحظة سعادة تزعج أيامه الشقية غاية الشقاء.. لم يكن له هم سوى التفنن فى اختراع وسائل عذاب جديدة يضيفها إلى وسائله المرعبة.. أو فى صناعة أدوات إرهاب جديدة للخارجين عن طاعة أهله من آلهة الأولمب.. أو للتأثرين على أقدارهم

التي لا ترحم.. واكتسب «بلوتو» ثقة كافة الآلهة وأصبح خادمهم الوفي المطيع وشبّحهم المرعب الذي يلقون باسمه في وجه البشر الصامدين فيخرون ساجدين تحت أقدام الأولمب الذي لا يرى..

ولكن حياة «بلوتو» لم تلبث أن تكدرت بشيء جديد ففي إحدى جولاته عندما كان يخرج لاصطياد ضحاياه وقعت عيناه على «برسيفونية» وأحس طعنة من يد غير مرئية تخترق قلبه الصلد.. وسمع ضحكات (كيوبيد) الصغير اللعين وهو ينطلق بعد أن أعاد سهمه إلى جرابه.. ويختفي في غلالة من دخان سحري.. أدار رأس «بلوتو» حتى جعله يترنح.. فاستند إلى شجرة جوز مزهرة.. وعيناه معلقتان بالهورية الحسنة التي كانت تنطلق كغزال برى بين أزهار السوسن وعقود البنفسج.. وجد نفسه يتمتم بصوت حاول أن يرققه قدر استطاعته.. حتى لا يزعجها.. «بريسيفو.. نية..!!»، ولكن الصبية ذعرت عند سماعها ذلك الصوت المفعم بالحزن والألم.. والذي يأتي من أعماق سحيقة كأنه أغنية الموتى.. فبدأ نابيا عن سمعها الذي لم يعتد سوى أغنيات العصافير.. وهمسات الأم الحنون «ديميتر» وضحكات صاحباتها من عرائس البحر!..

ولكن «بلوتو» لم ينقطع عن المجيء كل يوم إلى الوادي.. فيقف بعيدا يسمع ويرى.. ولا يحاول أن ينادى أو يظهر لأنه يعلم أن صوته سيكون نشازاً وسط كل هذا الصفاء.. وأن منظره المرعب ولباسه الجهنمي سوف يقتل الابتسامة الكبيرة التي تضم الوادي ومن فيه.. ويخرس الضحكة الصافية التي تردها الغصون والأزهار والطير وأمواج البحر البعيدة..

ومضت الأيام.. «بلوتو» يقضى نهاره قرب (برسيفونية) .. وليله
سأهرا قلقا لا ينام.. وزاد السهر من نحوه، واكتسب وجهه المخيف
طابعا حزينا نبيلاً.. ورقت مشاعره حتى لقد أصبح يضيق بتلك
الصرخات التي لا تنقطع من أنهار الجحيم.. وأصبح لا يطيق هذه
الدمدمة التي تنبعث من أتون النار التي لا تكف عن التهام الأجساد
والأرواح.. فانزوى في قصره شارداً.. ولم يعد يهتم كثيراً بعمله ولا
بدياه المقفرة الجذباء.. فإذا ما استيقظ «هليوس»، وامتنى عربته في
رحلته الأبدية عبر السماء انطلق هو يخترق طبقات الأرض إلى وادي
«أنا» وانتهاز انشغال «ديميتر»، بعملها الدائب.. ليتسلل إلى موقعه من
«برسيفونية»، صامتاً متأملاً.. وباكياً في معظم الأحيان..

وما كان الصبر من طباع «بلوتو»، ولكنه قاوم رغبته العنيفة في
اختطاف الحورية الجميلة.. إنه الآن يحب.. ولذا فإنه لا يستطيع أن
يبنى سعادته على شقاء الآخرين.. لو أنه اشتهاها فقط لما عبأ بما يمكن
أن يحدث.. ولو أن رغبته قادت لأية فتاة أخرى لما تردد هكذا.. بل
لكان الآن في بيته وعلى عرشه يمارس عمله كما كان دائماً بهمة
ونشاط..

أما وقد فعلها ذلك الإله الصغير المدلل «كيوبيد»، فما عاد «بلوتو»،
بقادر على الفكاك من أسر التردد.. والتفكير.. فاحتمل كل عذابات
الوحدة.. حتى نحل جسمه وانتابته العلل.. وسقط فريسة المرض
والصراع!..

واستيقظت الدنيا ذات صباح «بلوتو»، منطلق إلى الوادي لا يلوى
على شيء فقد قرر أن ينتهي كل ذلك.. وأن يضع حداً لعذاباته..

وليحدث ما يمكن أن يحدث.. «برسيفونية» حبيبته التي لم يحب مثلها.. وهى قدره الذى لا مفر منه.. ولتنطبق السماء على الأرض... وليغضب حتى «زيوس» أخوه كبير الآلهة... فهو «بلوتو» بكل جبروته.. قرر أن يحصل على قدر ضئيل من السعادة التي ينعم بها إخوته الآلهة... والبشر على السواء.. كل ساعة وكل يوم.. بينما قدر عليه أن يظل أسير هذا العالم السفلى الخالى من كل نبض.. قرر «بلوتو» وانطلق كى ينفذ قراره.. فسوف يضم «برسيفونية» ملكة لعالمه ومالكة لحياته!..

صرخت «برسيفونية» عندما رأت الجياد الجهنمية وهى تنفث النار فتحرق الأزهار المتفتحة، وتدوس الشجيرات الغضة الصغيرة.. ولكنها لم تدر إلا وهى بجوار الإله المحب الحزين. والعربة تخترق بهما صخور الأرض إلى مملكة «بلوتو» الخالدة..

رددت الصخور صرخة «برسيفونية»، وحملتها النسائم الرطبة حتى شاطيء البحر وانطلقت الرياح الأربع تصرخ بها.. حتى وصلت إلى مسامع «ديميتر» فارتعبت.. وتركت حبات القمح تفلت مية من بين أصابعها.. وانطلقت إلى الوادى.. بلا مجيب.. غير «ايخو» إله الصدى العابث اللاهى.. فوق صخور الجبال الصلدة.

مضت «ديميتر» تبحث فى جنبات الوادى صارخة منادية على ابنتها الغالية.. ولكن صوتها ارتد إليها دون مجيب.. كانت تجرى على غير هدى.. لم تبال بالأزهار الغضة تتكسر تحت أقدامها.. ولا بذراعيها تلوى أعناق الأشجار.. وهى التى طالما رعتها وأعطتها من دمايتها وأنفاسها..

وانقضى النهار والصمت يقتل الوادى .. ولم يظهر القمر .. وظل كل
شء ساكنا ساكنا .. غير دموع الأم ونداءاتها المتكررة بلا طائل ...
كأنما العالم كله تحول إلى حجر لا يعى ... لا صوت له غير رنة دموع
لا تجف على صدره الأملس غير الإنسانى ..

وأشعلت .. «ديميتر» النار فوق الجبل عسى أن تكون «برسيفونية» قد
تاهت فى أحد شعابه .. ومضت تسأل صاحباتها .. ولكن لم يكن أحد قد
رأى ما حدث .. إلا إحدى حوريات الماء .. جاءتھا وحكت لها كيف
اختطف «بلوتو» ابنتها الجميلة .. لتعيش معه فى أرضه السفلية
المظلمة .. وتشاركه حياته القاسية التعسة ... فصرخت الأم جزعاً ..
وأطبقت قبضتها فى عنف على عنق زهرة السوسن الرقيقة فسحقها ...
وارتمت على الصخر معولة نائحة ... وسرت الأنفاس الحرى التى
طالما وهبت لحياة الأزهار .. فاختنقت بها البراعم .. وجفت أطراف
الغصون وماتت ... وهبت رياح البحر تقتلع الأشجار من جذورها وتلقى
بها إلى الموج المصطخب .. الذى مضى يضرب بها وجه الصخور فى
غضب .. ونفقت الحملان الصغيرة .. وجفت أذنء الماعز فى سهول
«ايتاكا» .. وزلزلت الأرض حول أسوار «طيبة» .. ولم تعد النساء يطقن
أن تلتقى عيونهن بعيون الرجال .. ولا عاد رجل يرغب فى الحديث
مع امرأة .. وجفت عيون الماء والجداول .. وسكنت البلابل .. بينما
انطلق البوم والغراب ينشر الشؤم فى أركان الدنيا ..

وانزوت «ديميتر» فى كهف أجرد مظلم .. لا تفعل شيئاً سوى البكاء
والصراخ كل صباح «بزيوس» ذلك الغادر الذى هجرها .. والذى يعجز
الآن بكل ما أوتى من قوة وجبروت أن يرد لها سعادتها المغتصبة ..

لكن صرخاتها لم تكن تصل إلى رب الأرباب (زيوس) العظيم..
فقد كان غارقاً في لذاته... لا يجد وقتاً لسمع تأوهات حبيبة سابقة
له.. ولو كانت تنعى له ابنته الغالية..

لكن الصراخ لم يعد الآن صوتاً واحداً... إن آلاف وملايين
الصرخات تنبعث من الأرض.. فحبات القمح لم تعد تنبت.. والبيوت
خلت من الدقيق.. والحشائش أصبحت هشياً وماتت الحملان
الصغيرة.. وجفت أوراق الزيتون.. ولم تعد هناك قرابين تقدم لكبير
الآلهة فلم يعد عند أحد من البشر شيء يقدمه..

وهنا.. أيقن زيوس أن أمراً خطيراً قد حل.. وأرسل «أيريس» لتمطى
قنطرتها السحرية الألوان عبر السماء كي ترى ماذا يزعم «ديميتر»
وماذا جعلها هكذا تهمل عملها.. فتنشر الخراب والدمار..

وحتى «أيريس» بكت لحالها.. وهى منزوية فى ركن الكهف المظلم
متدثرة بأغطية زرقاء قاتمة لا يكاد يظهر منها سوى عينيها
الباكيتين... وأخذت «أيريس» ترجوها أن تلفت إلى ما حل بالدنيا من
خراب. ولكن «ديميتر» صرخت بها.. أن تذهب لمن أرسلها.. ولتطلب
منه فى قسوة.. أن يلتفت هو إلى ما حل بقلبها من أسى ولوعة..

وانطلقت الرسل بين الأرض والسماء.. برجاءات «زيوس» ولكنهم ما
كانوا يعودون سوى بلعنات «ديميتر»..

ولم يجد زيوس أمامه من سبيل سوى أن يرسل رسولا إلى «بلوتو»
كى يعيد «برسيفونية» إلى أمها الغاضبة..

على ألا تكون قد أكلت طعاماً من مملكة أخيه السفلى.. أو شربت من
مائها المقدس..

أما «برسيفونية»، فقد أسرتها عينا (بلوتو) الحزینتان .. وملاً قلبها العطف على حياته المجذبة المليئة بصرخات العذاب .. وعندما كانت تسترجع صورة حياتها الرحبة السعيدة هناك فى وادى «آنا» .. وتتلقت حولها .. لتتعرف على ما قاساه هذا الفتى الحزين فى حياته الجرداء، هذه والتي لا يوجد بها نبض حياة سوى صوتها هى .. ولا تخطر بها أطياف سعادة إلا حينما يراها أمامه .

ووصل رسول «زيوس»، ليخبر «بلوتو» بقرار عودة «برسيفونية»، إلى أمها .. وانسابت دموع الإله الحزين على خديه .. وتمثلت له حياته القديمة .. وأحس أن السعادة التى كادت أن تطبق عليها أصابعه توشك أن تفلت من بين يديه .. ولكن ماذا كانت تجدى دموعه وأمر الإله الأكبر لا يرد .. فالحياة على الأرض تموت .. وفى صمت تناولت «برسيفونية» ست حبات من الرمان وأكلتها ثم قبلت حبيبها الحزين .. ومضت مع الرسول .. إلى أمها ..

عادت الأغنيات إلى وادى «آنا» .. وانطلقت عرائس البحار يحملن أسرار الحياة عبر الجهات الأربع للدنيا .. وعادت السعادة إلى «ديميتر»، الخالدة .. ومضت تعلم الناس أسرار الزرع .. وتستنبت لهم البذور .. وتدفى بأنفاسها البراعم .. وتهمس للعصافير بالأغنيات ..

وعادت الحورية الصغيرة تلعب مع أترابها .. وتغنى .. ونصف قلبها هناك يواسى الملك الحزين .. إلى أن تعود إليه ..

وهكذا أمر «زيوس»، .. وهكذا كان! .. فإذا ما حلت الشهور الستة التى على «برسيفونية»، أن تعود فيها إلى العالم السفلى بعدد حبات الرمان

الست التى تناولتها .. انزوت «ديميتر» فى كهفها حزينة لفراق فتاتها ..
تاركة العالم لمصيره .. والنباتات والخضرة لقسوة وفوضى لا ترحم .
وعندما تنقضى شهور الشتاء الستة .. يدق «هليوس» رب الشمس باب
«ديميتر» فى رقة ليخبرها أن اليوم ستعود إليها «برسيفونية» فتمضى
الأم تجرى فى رحاب الأرض كى تعيد الحياة لحديقة ابنتها الصغيرة ..
لتعود لتسمع الدنيا أغانياتها وضحكاتها التى حرمت منها طوال شهور
الشتاء القاسية .. ولتعيد الحياة للبذور النائمة فى حضن الأرض ..
ولتفتح بأنفاسها البراعم الملتفة على الغصون .. ويسرى بعرقها ماء
الحياة فى كل شىء ...

القصر المسحور

أنا الملك رضوان ملك بلاد الصين وما وراء السور العظيم .. كنت فى شبابى .. شابا قويا وفارسا لا يشق له غبار .. أحببى الناس وأحببتهم .. ومنذ توليت الملك بعد أبى .. لا أذكر أننى ظلمت أحدا أو اعتديت على أحد .. وكان حب شعبى لى، حماية من كل الأعداء ومنجاة لبلدى من كافة الأخطار .. وكان وجود وزيرى المخلص «مؤذن» معى ومشورته الخالصة لى فيما يجد من أمور .. عاصما لى من الوقوع من حبائل قائد جيشى الذى لم أكن أستطيع التخلص منه .. رغم أننى أعرف عدم إخلاصه لى .. لنفوذ الكبير بين حكام الولايات .. والأغنياء والتجار ..

كان «شهوآن» وهذا اسم قائد جيشى .. سيء النية .. خبيث الطوية .. يريد أن نعلن كل يوم حربا .. وأن نغزو كل صباح بلدا من الجيران فإن لم يجد منى استجابة .. استدار على الناس يريد أن يصب عليهم ما تحدثه به نفسه الشريرة من آثام .. ولكننى ووزيرى «مؤذن» كنا له بالمرصاد لما أتمتع به أنا من حب الشعب .. وما يملكه «مؤذن» من دهاء وحيلة ..

راحت أيام وجاءت أيام.. وذات صباح جميل .. خرجنا أنا
ووزيرى للصيد كالعادة.. وتوغلنا فى الجبال والتلال.. وعبرنا الكثير
من الأنهار والجداول.. والطبيعة تشدنا بجمالها الفتان .. ونحن نسير
من خميلة إلى خميلة.. ونطلع جبلا لنهبط واديا.. وتنتقل بنا الأحاديث
ما بين طرائف الأخبار ونوادير الشطار حتى كدنا ننسى أنفسنا وما
خرجنا من أجله .. وفجأة .. لاحت لنا غزالة لم أر فى حياتى أجمل
ولا أبهى منها.. عيونها هى السحر بعينه.. كأنها على بعد ذراع منك..
وهى بعيدة كل البعد . وقوامها أكثر رشاقة مما تتمتع به الغزلان. ولم
تجفل الغزالة حتى عندما صرنا منها على مرمى السهام وكأنها تغرينا
بصيدها ونوالها .. ثم جرت وأخذت تظهر لنا وتختفى عن عيوننا بين
الخمائل وكأنها تلاعبنا.. فصممت على صيدها مهما كلفنا الأمر من
عناء.. وكنت أظن الأمر سهلا.. ولكنها أتعبتنا واجهدتنا وظلت تحاورنا
بين التلال وتدور بنا فى الوديان وتتوه منا فى الآجام لتعود وتظهر لنا..
حتى ابتعدت وكان التعب قد نال منى.. وأتعبتنى المطاردة العنيفة
فارتميت مجهدا تحت جذع شجرة إلى جوار النبع ولكننى بعد فترة..
افقت على صوت وزيرى وهو يهزنى بعنف وينادىنى كى استيقظ وكان
صوته مليئا بالدهشة والتعجب.. ووجدته يشير إلى ناحية فنظرت..
وباللعجب .. كان هناك قصر عجيب الشكل.. لم أر فى حياتى أكثر
جمالا ولا روعة منه.. على كثرة ما عندى من القصور والقلاع..
وقفت مبهوتا حائرا.. فهذا القصر لم يكن موجودا حينما وصلنا. فمن
الذى بناه فى غفلة عين قصيرة.. ووجدتنى مشدودا إلى القصر بقوة
ساحرة وتبعث نداء قلبى الذى كان يحدثنى بالذهاب والدخول إليه..
ولكن صوت العقل ارتفع على لسان وزيرى يحذرنى من دخوله أو

ولوج عتبتة فلا بد أن من استدرجنا إلى هنا عبر هذه المسافات الطويلة .. بعيداً عن بلادنا وحرسنا .. لا بد أنه بنى هذا القصر ليغرينا بدخوله كي ينال منا شراً .. وأخذ يستحلفني بشعبي ورحمة والدي ألا أطاوع هواي ورغبتى .. وأخذ يذكرني أنه لو حدث لي مكروه .. فسوف يتمكن «شهوآن» من تحقيق مطامعه .. ويعيث في البلاد ظلاماً وفساداً .. وفي العالم تميراً وتخريباً .. ولكنني أصميت أذني عن كلامه .. ولما وجدني «مؤذن» مصمماً على أن أفعل ما قررته .. ركع أمامي وأخذ يبكي في حرقة .. ولكنني كنت قد صممت على أن أعفر الحكاية ولو كلفني ذلك عمري وحياتي .. إن الإنسان .. هو الإنسان دائماً وبكل راحة .. يدفع حياته ثمناً لمعرفة كلمة .. أو لاكتشاف مكان مجهول أو سر خفي .. تراءى له صدفة .. فما بالك .. وهذا سر يصر على أن أعرفه ويغريني بل ويستدرجني .. في سلسلة من الحوادث الغريبة .. ولم يجد «مؤذن» بداً من أن يتبعني على مضض وهو يكاد يموت خوفاً عليّ .. وما كدنا نقرب من باب البستان الذي يحيط بالقصر حتى فتح وحده وجدنا أنفسنا في حديقة كبيرة .. آية في الجمال وحسن التنسيق والترتيب .. فرشت طرقاتها بحصى غريب الأشكال عجيب الألوان . كالدرر والياقوت .. بها أحواض من الفضة .. حولها تماثيل لجنيات وحوريات من المرمر الشفاف الملون .. ينبثق الماء من بين أصابعها .. بطريقة راقصة منقطعة .. تجعل صوت سقوط الماء في الأحواض كأنه موسيقى إلهية مسحورة ..

وصلنا إلى سلم لست أدري مما صنعت درجاته .. أهي من الرخام النقي الملون أم هي من الزبرجد أم أنها مصنوعة من شعاب

البحر المرجانية الزاهية الألوان . دخلنا قاعة كبيرة شديدة الاتساع ..
شاهقة الارتفاع .. لا يستطيع إنسان أن يصفها مهما أوتى من قدرة على
الملاحظة وتدبيج الكلام .. وكان الجو معطرا برائحة ذكية غريبة ..
خليط من الياسمين والقرنفل .. والقرفة .. ترددت فى أسماعنا موسيقى
علوية .. لا نعرف مصدرها .. وقادنا السحر إلى قاعة أجمل وإن كانت
أصغر .. شاهدنا فى وسطها بحيرة لامعة من الزئبق الرجراج على
سطحها يعوم عرش من الذهب المرصع باللؤلؤ والماس . كلما سقط عليه
النور من المشاعل المنتشرة فى الأركان .. انعكست منه آلاف الأشعة
الملونة تأخذ الأبصار .. وعلى العرش .. رأيت أمامى حورية كالبدر ..
ليست بذات الجمال العادى الذى أفته عيوننا البشرية .. أحسست أن
قلبي ينخلع من مكانه ليطير ويسجد تحت أقدامها . وتاهت عيونى فى
أعماق عيونها البعيدة .. لم أشعر بالخمسين عادة اللاتى التفنن حولها
يغنين لها ويرقصن على أنغام السحر الإلهية .. التى لم تسمعها الأرض
ولم يعرفها البشر .. ووجدت نفسى أركع أمام سحرها وجمالها .. الذى لم
يخطر لى يوما أننى سأراه ولو فى حلم .

ووجدتني أقول لها فى تبثل وكأننى أصلى : يا ربة الحسن
والجمال .. يا من تجلسين على عرشك الذهبى وتأسرين ببهاء طلعتك
القلوب والأفئدة .. رحماك .. إن ملك الصين وما وراء السور العظيم .
ليسجد طائعا خاشعا أمام هذا الجمال الباهر .. لا تتركينى شارد اللب .
بعد أن أصابتنى سهام لحظك الفتاكة .. قولى لى .. من أنت يا حورية
الجنة .. يا ربة السحر .. يا أنشودة الجمال ! ..

وبصعوبة شديدة استطعت أن أميز صوتها من بين الأنغام العلوية
الساحرة التى كانت تتردد من حيث لا أتبين .. وسمعتها تقول :

- أنا التي تبتعتها بسهامك تريد قتلها.. أنا الغزالة التي جعلتك
تتبعها كل هذه المسافة.. وجاءت بك إلى حيث تستطيع أن تراك
مدفوعة بما أصابها من هوى وما ملأ قلبها المجنون من عشق صاخب
عنيف لك..

فأجبتها وأنا لا أكاد أصدق أذنى أصحح ما تقولينه.. أصحح ما
أسمعه.. يا للسماء. لبت النجوم تقف في أفلاكها كي تسمع وتشهد..
ولبت الشمس تكف عن دورانها لكي تظل هذه اللحظة باقية إلى الأبد..
فأنا في خشية ألا تدوم لي هذه السعادة التي تعمر قلبي الآن.. أخاف أن
يكون كل هذا نزوة من نزواتك.. كي تلهين بي لحظات قصار.. لا
ألبث بعدها أن يلقي بي بعيدا في أتون من نار الحرمان ولظى الشوق..
ولم أصدق عيني عندما رأيتها تقترب مني وتقول لي.. وهي تكاد
تأخذني بين ذراعيها..

- لاتخف.. قلبي أيها الملك العظيم لا يعرف السحر ولا الغدر وإنما
التحول من صورة إلى صورة ومن خلقة إلى خلقة. آية وهبتها السماء
لي منذ جلئت إلى الدنيا..

وسرت في بدنى رعشة وخدر حينما امسكت بيدي ونهضت. ولم
أشعر بنفسى وهي تقودنى خلال حجرات القصر ترينى إياها.. والوزير
يتبعنا، وهو خائف مشفق على بعد أن رأى واقعا تحت تأثير سحرها
وجمالها.. حتى وصلنا إلى قاعة تتوسطها مائدة حافلة بأطيب الطعام
مما لا عين رأت ولا ذاق لسان، وأحاطت بنا الغيد والفتيات يقمن على
خدمتنا.. ويغنين لنا ويعزفن على آلات سحرية لا تشبه آلاتنا
الأرضية.. وظللنا نأكل حتى شبعنا وشربنا حتى ارتوينا.. وهي تطعمنى
وتسقينى بيدها.. وتقول.. فى صوت ساحر :

- ما أبهى صوتك يا حبيبتي وما أجملك .. إننى أنا التى تبتك
الهوى رغم مولدى القدسى وأصلك الأرضى . أنا التى خلقت من نار .
عندما رأيتك اشتعلت بقلبي نيران الهوى لك يا ابن الأرض .. أيها
المخلوق من طين وماء .. لقد نسيت برويتك عشيرتى وأهلى .. أنا «شهر
ستانى» ابنة ملك الجن العظيم «مينو نشير» الحاكم بأمره على جزائر
(شهرستان) العظيمة .. لا أجد نفسى قادرة على التخلص من هواك ..
فقد صرت أسيرة حبك أنت الأنسى الذى لا يمت إلى بصلة أو نسب ..

إننى هنا الآن حيث لا يجب أن أكون . إذ كان على أن أكون الآن
بين أهلى وفى ديارى .. غيبتى الطويلة .. التى خرجت فيها أضرب فى
الأرض وأشاهد ممالك الأنس التى لا تدانى مملكة أبى .. لقد كنت فى
طريق عودتى .. حينما وضعتك الأقدار فى طريقى .. وعندما رأيتك ..
لم أستطع أن أمنع قلبى أن يقع فى هواك أنا الجنية وقعت أسيرة هوى
أنسى من طين وماء .. لقد سحرتنى عيناك فى مكانى وقررت
الاستسلام .

.. فإن عناد الهوى شاق وصعب .. وأخذت أغريك أن تتبعنى ..
وتحايلت حتى جعلتك تطاردنى إلى النبع وأنا أعرف أن فضولك
سيجعلك تنتظر لترى من تكون هذه الجنية التى أتعبتك . ولقد رقص
قلبي فرحا وأنا أراك تتحسس النبع برمحك تبحث عنى .. وأسمعك من
أعماق الماء تصر على البقاء حتى تعرف حكايتى وتكشف أمرى ..
فعرفت أننى نجحت فى إثارة الرغبة فى قلبك ..

وقد غافلت وزيرك وأمرت بتشديد هذا القصر .. كي يكون عش
هوانا وموطن حبنا .. نقضى فيه أجمل أيام العمر ونتعاطى فيه كئوس
الهوى .. فهل أنت راض عما فعلت أم تفضل العودة لأهلك ووطنك! ..

ظللت لفترة لا أستطيع الرد.. أبحث عن الكلمات فلا أجد .. فقد كنت في عالم آخر نقلتني إليه بسحرها وعذب حديثها وتصريحها لي بهواها. فقلت وكأنما قلبي تسمع دقاته على بعد أميال .. فلا أستطيع معها تمييز ما ينطق به لسان:

- يا حبيبتي وهوريتي الطاهرة.. كم يساوي عرشي وأهلي أمام نظرة من عينيك الفاتنتين.. .. هنا سأعيش إلى جوارك. سأنسى كل ما على الأرض.. إلا ما يذكرني بهذا اليوم السعيد الذي وقعت عيناي فيه عليك.. وهذه اللحظات التي سافتك إلى فيها ربة الحب الخالدة. وهذا الليل الذي سمع معي أنغام الهوى العذبة من شفتيك.

وقبل أن يحاول الوزير أن يذكرني بخطورة ما قررته .. وقبل أن يحاول فتح شفتيه ليتكلم. فتح الباب.. ودخلت وصيفة من وصيفات شهر ستاني، ترتدي ثيابا سوداء وشعرها منكوش ومشعث وعيونها باكية دامية.. وعلى وجهها أثر إجهاد سفر طويل بلا راحة.. وألقت بنفسها على أقدام حوريتي وهي تصرخ وتقول..

- المجد لك يا ملكة الجن.. لقد انتقل أبوك من الحياة الفانية إلى دار البقاء والخلود.. والشعب في بلادك ينتظر عودتك قبل أن يغتال العرش عمك.. لا تتواني ولا تتأخري يا مولاتي.. فما عاد هناك وقت نضيعه..

واهتز القصر وزلزلت جدرانها عندما صرخت حوريتي الجميلة صرخة طويلة رددتها الوديان.. وارتمت على صدري باكية منتحبة، ودموعها تسيل وأنا أحاول أن أخفف عنها، وأمسح دموعها وأهون عليها دون جدوى. وسمعتها تقول لي في حزن وألم والكلمات تخرج من بين شفتيها وهي ذاهلة غرقى في دموعها الغزار!..

- لن أنساك يا حبيبي .. لن أنساك .. ولكن هذا حكم القدر .. ولا بد لي من الذهاب .. لأنقذ شعبي وعرش أبي من شر عمي .. ولكني سأعود يوما يا حبيبي . أن بقيت على حبي .. مخلصا لعهودك معي .. حتما سأعود .. ولن أتخذ زوجاً لي سواك .. مهما طالت بي الأيام .. ما دمت ستظل وفياً لي .. مبقياً على حبي .. سوف أعود .. يوماً سوف أعود ..

وأحسست كأن صوتها يأتي إلى من أعماق بعيدة سحيقة .. وشعرت أني أقوى من الوجود .. وتنبهت إلى الرياح وهي تدوى عند التلال المحيطة بالسهل المنبسط الواسع الذي وجدت نفسي أقف فيه مرة أخرى .. لا القصر هناك .. ولا الأنوار .. لا شيء سوى الظلام الرهيب الذي حط على الأرض .. وعصر الحزن قلبي بشدة حتى كاد يكف عن الخفقان وكدت أختنق .. ولم أحس بشيء لمدة طويلة .. وأفقت على وزيرى وهو ينبهني ، أن وقت عودتنا إلى بلادنا قد حان ! .. مضت الأيام بي وأنا ذاهل عن العالم .. لا أعى شيئاً ولا أجد رغبة في عمل شيء .. وتركت كل شيء لوزيرى .. ولم تعد بي رغبة في الظهور للناس أو مقابلة أحد .. ولم أكن أجد راحة لنفسي إلا في البقاء إلى جوار ذلك النبع الذي شهد بداية حبي المفقود . أتطلع إلى مياهه الصافية لعلها تنشق يوماً عن وجه الحبيبة ..

ومضى عام .. ومضى جزء من عام آخر .. وذات يوم .. وبينما أنا جالس بجوار النبع تائها عن الوجود أناجى حبيبتي ،، أحسست بشيء ما يحملني من على الأرض ويطير بي في أجواز الفضاء .. وأغمى على ولم أشعر بشيء .. وافقت على عطر أليف حبيب لي .. ويد حانية

تلمس جبيني عرفت فيها يد معبودتي «شهر ستانى» التي غبت معها
فى عناق حار طويل ..

لقد خطفنى جنى من جنودها وحملنى إليها .. بعد أن تأكدت من
أخلاصى .. لقد سبب هذا اضطرابا عظيما فى مملكتى بالطبع .. ولكن
اختفائى المفاجئ جعلهم يلتفون حول وزيرى يؤيدونه .. كى يحكم
باسمى حتى أعود. ولم يستطع «شهبان» أن يفعل شيئا ولكنه بقى يتحين
الفرص كى يحقق مطامعه!!! ..

وعشت مع حبيبتي أياماً ليست من العمر .. كانت هى قد جمعت شعبها
ذات يوم فى ساحة القصر الكبير، وخاطبتهم قائلة:

- يا شعبى العظيم .. لقد أقسمتم على حماية عرش أبى .. فبحق هذا
القسم أناشدكم أن توافقوا على زواجى من الإنسى رضوان الذى لن
تحلولى حياة إلا معه لقد هجر عرشه وأهله من أجلى .. وإذا كنتم لا
توافقون .. فبحق هذا القسم أناشدكم أن تتركونى أذهب لأعيش معه
بين أهله وعشيرته .

وكاد يغشى على وأنا أسمع أصوات الجن الهادرة وهى تقول أنها
بحق ذلك القسم تبارك زواجها منى وتؤكد الولاء والإخلاص لى بنفس
قوة ولائهم وإخلاصهم لأبيها ولها ..

وتلألت الأضواء فى مملكة الجن فى انتظار الفرحة الكبرى بعقد
قران ملكتهم «شهر ستانى» وحضرت إلى الملكة ترفل فى ثياب زاهية
الألوان من نسيج لم تعرفه الأرض ولم يره البشر .. لحفيفه رنة
الموسيقى .. وجلست بجانبى تقول فى نبرة جدية:

- يا حبيب عمرى.. أريد أن أخبرك بشيء قبل أن ترتبط بى نهائياً.. فإنه يتحتم عليك الآن أن تتعهد أمامى عهداً وأن تقطع لى وعداً.. لا تنكته.. ولا تنساه.. وإلا فالأولى أن نفترق الآن.. فهذا العهد سيكون قاسياً عليك.. لأنه صعب التنفيذ..

ووجدت نفسى أرد عليها... لن يكون هناك شيء أعجز عنه أو عن الوفاء به مادام هذا الوفاء يبقيك بجانبى.. وبيقيني دائماً بجوارك.. وسكنت شهرستانى فترة.. وعيناي معلقتان بشفتيها المطبقتين فى شك وخوف.. ثم قالت..

- لا تتدخل فى أمر آتية، مهما كان صغيراً وتافهاً أو عظيماً وكبيراً.. فنحن حوريات الجن لنا طبائع تختلف عن البشر وتبدو من تصرفاتنا وأعمالنا ما لا تستسيغه عقولكم.. ولكنى أحذرك من الاعتراض على شيء آتية.. أو أمر أدعه، حذار أن تغضب لتصرف أفعله.. أو تبدى تدمراً لفعل ما يصدر منى.. فإن ذلك يقطع ما بيننا وكأنه لم يكن على الإطلاق.. فإن كنت قادراً على الوفاء بمثل هذا العهد فعاهدنى.. وإذا رأيت أنك لن تستطيع ذلك فالأجدربنا أن نفترق قبل أن يحدث ما يسبب لنا عذاباً وشقاء لا نتحملة..

وعندما انتهت شهرستانى من كلامها، وجدتنى أضحك.. فلم أكن أتصور أن طلبها على هذه السهولة.. ومضيت أداعبها وأنا أقول لها:
- وهل هذا ما تطلبينه.. لقد ظننت الأمر خطيراً.. لكثرة ما أبديت من تخوف وتحذير.. لا يا حبيبتى.. فلتكونى على ثقة تامة بقدرتى على الوفاء بالعهد.. فما أسهل ذلك على الكرام من بنى البشر!

ومرت سحابة حزن عقدت جبينها وغامت عيونها . وكأنها كانت
تطالع الغيب وتقرأ صحف المستقبل .. فلما انتهيت عادت تقول:
- هل أنت واثق؟! أنك لن تسأل أو تعترض على ما أفعله .. حتى
ولو بدا غريبا شاذا بعيدا عن الصواب .. إن كثيرا من الأمور ستفرض
على شريعتي وعقائدي أن أفعلها . ولا يكون باستطاعتي أن أفسرها لا
لجنى ولا لإنسى حتى لك يا حبيب قلبي .. و ..
وأسكتها بقبلة وأنا أقول لها :

- كفى عن هذه المحاورة ،سوف أكون عند حسن ظنك وسأكون
طوع أمرك ،، ولن أعترض على شيء ولن أسأل عن شيء .. مهما
حدث . يا أعز من في الوجود . هه! .

وابتسمت شهرستاني في سعادة .. فأضاء الكون .. وعشنا معا أنا
وهي .. نحكم مملكة الجن .. ونشرب كئوس الهنا مترعة .. بلا كدر! ..
ومر عام ونحن في سعادة لاتوصف .. وذات يوم . اختفت زوجتي في
غرفتها .. ولم تدعني أدخل وظلت على هذه الحال طيلة اليوم . وأنا في
غاية الاستغراب أمنع نفسي من السؤال بصعوبة .. واشتد بي القلق
عليها . ولكنها خرجت آخر الأمر وبين يديها طفل كأنه القمر ليلة
تمامه .. فكدت أطير من الفرحة . وأنا أتناوله بين يدي وألاعبه
وأناجيه .. وظللت ساعة وأنا أضاحكه وهو يبتسم إلي في براءة وكأنه
يعرفني وفجأة ..

اشتعلت نار كبيرة في ركن القاعة التي كنا نجلس فيها ورأيت في
عيون شهرستاني نظرة غريبة افزعنتني . ووجدتها تأخذ الطفل مني
وتلقى به في النار المشتعلة . وإذا النار تلتهمه وتختفي في لمح البصر
وكانها لم تكن! ..

وكدت أصرخ من شدة الهول والفرع. ولكنى تذكرت عهدى
فكتمت صرختى التى كادت تتفجر بها ضلوعى .. وحاولت الابتسام ..
وقمت أتحمّل على نفسى فما كنت قادراً على النظر إليها أو التطلع فى
عيونها بعد ما فعلته الآن ..

أغلقت حجرتى على نفسى .. وبكيت ما شاء لى البكاء .. وأنا فى
ذهول فقد التهمت النار ابنى ومر عام آخر .. حاولت فيه قدر أمكانى أن
أكون طبيعياً أمام شهرستانى حتى لا أتعرض لسؤالها عما بى .
وذات يوم .

أغلقت «شهرستانى» باب غرفتها ومنعتنى من الدخول .. ومثلما
حدث فى المرة الأولى .. خرجت وبين ذراعيها طفلة أجمل من
زوجتى نفسها فأسرعت أحضنها وألاعبها . وقلبى يأكلنى خشية أن
يحدث لها مثل ما حدث لابنى الأول ولكن النهار مضى دون أن يحدث
شئ .. فسررت سرورا عظيما .. وزادت محبتي لزوجتى .. وزادت
سعادتى بها وبطفلتى الجميلة .. وأيقنت أنها قررت ألا تتخلص منها
مثلما فعلت بابنى .. ومضى أسبوع ونحن فى سعادة .. وابتسامه طفلتنا
تملأ الدنيا حولى ومداعبتها شغلى الشاغل ليل نهار .

وفى اليوم السابع . دخلت من باب القصر كلبة مهولة شديدة القبح
بشعة الخلقه .. وسارت حتى وقفت أمام زوجتى .. فاغرة فمها الكبير ..
وإذا بزوجتى تأخذ منى الطفلة وتلقى بها بين فكى الكلبة التى ابتلعته
ومضت .. وأنا أكاد اتفجر .. ورفعت يدي لأقضى عليها وعلى زوجتى
.. ولكنى تذكرت عهدى الذى قطعته على نفسى .. فانزلت ذراعى
والغيظ والغضب يخنقانى .. وأغلقت باب حجرتى على نفسى .. وبكيت

ماشاء لى البكاء.. وندمت على عهدى الذى قطعته.. ولمت نفسى على خضوعى الأعمى لهذه التقاليد الوحشية التى تجعل هذه الأم تلقى بأبنائها فى النار وإلى الكلاب. لأنها لا تريد أن يكون لها ابن من أنسى مثلى. وقررت أن أضع حدا لذلك . فان لصبرى حدوداً. وشعرت بحقد هائل على «شهرستانى»، . ووجدتني أفكر فى أهلى ووطنى الذى تركته نهبا للأطماع والفوضى. من أجل هذه الزوجة السفاحة التى لا تحمل بين جنبيها قلبا يحس بالأمومة.. وقررت العودة إلى بلادى.

وما أن جاء الصباح. حتى رسمت على وجهى ابتسامة مصطنعة، وطلبت منها أن تأذن لى بالذهاب إلى بلدى الذى لا أعرف ماذا حدث له فى غيابى وشرحت لها أطماع الأعداء، ومؤامرات قائد جيشى «شهران». وفوجئت بها على غير ما توقعت تجيبنى إلى طلبى وتقول:

- لقد كنت على وشك أن أطلب منك ذلك يا حبيبى .. فقد بلغتني أخبار عن هجوم شنه أعداء بلدك عليها.. وهم يتقدمون إلى عاصمة ملكك ولولا ثبات وزيرك.. والتفاف شعبك حوله لأنه يحكم باسمك، ما استطاعت بلادك المقاومة لحظة. واحدة.. اذهب تباركك الأقدار.. وسوف أكون هنا رهن إشارتك.. ولن أتوانى عن مساعدتك إذا حدث شىء.. ولن يطمئن لى قلب حتى تحصل على النصر.. وتهزم الغاصبين!!..

وصفقت بيديها فجأة مارد من الجن أمرته أن يحملنى إلى بلادى.

وفى غمضة عين كنت جالسا على عرشى فى عاصمة الصين.. وذهل وزيرى وهو يرانى أمامه على العرش.. وكاد يغمى عليه من

الفرحة واحتضنتني وهو لا يكاد يصدق.. وانستني فرحة لقائي بوزيرى
المخلص بعض أحزاني.. لفقدى طفلى الغاليين!..

وبينما نحن نتحدث ونتذكر أحداث الماضى.. اذ دخل رسول يعلن
أن جيوش المغول.. قد اخترقت السور العظيم.. وهى تتقدم فى سرعة
نحو العاصمة.. فتركنا أحاديث الماضى.. كى نواجه ما تفرضه علينا
أحداث الحاضر.

وكانت فرحة شعبى عظيمة حين علم بعودتى.. وعندما طلبت
من الناس التطوع لحماية أرض الوطن.. جاءت الألوف من كل
صوب.. تهب أرواحها فداء للبلاد.. فكونت جيشا بعدد رمال الشاطئ
وأمواج البحر وقدمته بنفسى أنا ووزيرى.. وتركنا القائد «شهبان» فى
العاصمة كى يجهز لنا المؤن والعتاد.. ويمدنا بها.. ومضينا لملاقاة
المغول ونسيت وسط أغانى الحماس التى كان يغنيها شعبى وجنودى
وهم يتقدمون نحو العدو، ما بقى من أحزاني الماضى.. ومسحت مشاعر
الحب والوفاء التى وجدتها أحاسيس المرارة التى خلفتها الأيام
الماضية وأعمال زوجتى التى لم تراع عواطفى كأب وألقت بابنى إلى
النار وبابنتى للكلبة المفترسة.

وبدأت أشعر بالندم لأننى تركت هؤلاء من أجل من لم تراع
مشاعر الأبوة.. ومن لا تملك عواطف الأم.. ولكننى فى الحقيقة كنت
أحبها وكلما كنت أخلو لنفسى كانت صورتها دائما أمامى.. فأحس
بحسرة ما بعدها حسرة لبعدها عنى.. وأحس شوقا زائدا لرؤيتها
وللحديث معها ولمس يدها.. وأظل أعاتبها على ما فعلت وأنا أبكى..

وجاءت إلينا الأخبار متلاحقة بالغة السوء . لقد قلت المؤمن وما يرسله الوزير من مؤن وعتاد ينهب فى الطريق .. فقد كانت القوافل تهاجم دائما وتفسد الأغذية وتراق الخمور والأشربة على الأرض .. ولم يستطع أحد أن يتبين من يفعل ذلك .. وكأنما الجن والشياطين هى التى تفعله . حتى اشتد الكرب وساء الحال ..

وذات يوم دخل على القائد «شهران» على غير انتظار ووجدته يقول فى لهجة غريبة غاضبة:

- يا مولاي . لقد طفح الكيل .. أن زوجتك «شهرستاني» وجنودها هم الذين يفعلون ذلك .. يفسدون الأطعمة ويريقون الأشربة فى التراب ونحن لا نستطيع أن نفعل لهم شيئا فما نحن بقادرين عليهم .. ولقد طلبت هى منى أن آتى وأخبرك بذلك .. لكى تفعل ما ترى .

واشتعلت نيران الغضب فى رأسى .. وكدت أجن .. وأنا لا أدرى ماذا أفعل . وصرخت بقوة وغضب فيها . حينما رأيتها تظهر أمامى فجأة ..

- أننى لم أعد أطيق هذا الذى تفعلينه .. فليس بالمستطاع أمام هذا الذى ارتكبته صيانة عهد أو وفاء بوعد .. لقد أحرقت ولدى أمام عينى .. والقيت بابنتى للكلاب تحت بصرى . ولم تكتفى بهذا فأنت تريدان قتل جيشى وقتلى جوعا وعطشا .. أنا الذى ظننت أنك تحببى ، تخذلىنى أمام أعدائى بعد أن قتلت أبنائى أمام عينى . هل هذا جزاء وفائى وتضحيتى أنا الذى تركت شعبى . ووطنى من أجل خائنة جحود . لا تراعى حرمة ولا ترعى عهود ..

وذهلت «شهرستاني» أمام بركان غضبي الذي انفجر في وجهها..
كانت واقفة أمامي ترتجف وعيناها جاحظتان من الدهشة وعلى وجهها
صفرة كصفرة الموتى .. ولم أكد أنتهي من حديثي الغاضب، حتى
سمعت صوتها رهيبا حزينا مفزوعا... كأنما يأتي من اعماق سحيفة..

- .. واحسرتى.. يا حسرتنا معا.. كان يجب أن تفي بعهدي إليها
الأنسى المسكين. لقد وقع المحذور.. ونفذ المقدور.. ولم يعد
باستطاعتنا أن نفعل شيئا لمنع ما سيكون. ولم يعد لنا حيلة في منع ما
سيحدث بعد ما حدث. إنني لم ألق بابني في النار يا سيدي.. ولكنها
كانت تلك التي ظننتها نارا. كانت (سمدير) ربة الشتاء الحاذقة اللبقة.
عهدت إليها بابنك كي تربيته وتثقفه.. ولم أعط ابنتي وضناي للكلاب
يا سيدي فإن تلك الكلبة التي رأيتها. لم تكن وحشا مفترسا كما ظننت
أنت أنني أعطيتها كبدى. بل إنها حورية المملكة.. التي تتولى تلقين
الأميرات أصول وقواعد الفنون والآداب.. وقد تم ما كنت أطمع فيه
وأريده وعادت «سمدير» بابني وحورية الملكة بابنتي. كخير ما يكون
الأبناء..

وكدت أقع مغشياً على حينما سمعت كلامها هذا .. ولم أستطع أن
أفعل شيئا وارتميت في مقعدى عاجزا عن الحركة والكلام..

وصفقت «شهرستاني» فإذا وصيفتان من الحور يدخلان وبين
أيديهما الأمير والأميرة والنور يشع من جبينهما يضيء الخيمة.
واحتضنتهما وأنا أبكي ودموعي على صدري لا تكف كأنما تفجرت في
عيونى ينابيع أحزان لا تجف..

وعادت شهرستاني تقول بصوتها الرهيب . لقد ظننت أنني أريد
قتلك أنت وجيشك . لا يا سيدي . لقد كانت المؤن مسمومة .. وكانت
كفيلة بالقضاء عليكم في لحظة . لقد اتفق «شهبان» مع المغول على
خيانتك لكي يجلسوه مكانك على العرش .. وقد علمت أنا بذلك في آخر
لحظة . وإن لم تكن تصدقني فهذا هو «شهبان» دعه يتناول أو يشرب
شيئا من هذه المؤن .

وطبعا رفض الخائن أن يقترب منها بإصرار :-

فتحقتت من كلامها .. واستالت سيفي .. وكأنما كل غيظي قد
تجمع في قبضة يدي وأطرت رأسه بضربة واحدة ..

وعادت «شهرستاني» تقول في صوت حزين آسف ..

- لعلك اقتنعت الآن يا سيدي إنني لم أفعل شيئا يوجب غضبك! ..

وركعت أمامها أعتذر لها، ولكنها ابتعدت عني .. وقالت:

- لقد سبق السيف العذل .. ولكن لا تخشى شيئا . فلن تؤثر قلة

المؤن على جيشك .. لقد وعدتك بالنصر .. وستنتصر وتعود سالما ..

لأنني أحبك ،، أحبك كما لم يحب بشر أو جن من قبل .. تذكر هذا! ..

واختفت . وتركنتي مغشيا على في أرض الخيمة!! ..

وها هي أعوام عشرة قد مضت منذ حدث هذا . وقد مزقت

جيوشنا بمساعدة جيوش «شهرستاني» جيش المغول .. وعدنا وكل

القلوب سعيدة فرحة بالنصر .. وأنا قلبي وحيد حزين ينفطر .. الزينات

في كل مكان .. وأنا أرى الدنيا من خلال دموعي سوداء . الأغاني تملأ

الشوارع والميادين، وأنا فى أذنى صوت «شهرستانى، الرهيب الحزين.
وهى تشرح لى كل شىء..

ومضت الأيام. والحزن يقتلنى.. والندم يلتهم شبابى وقوتى..
سنوات عشر وأنا على هذا الحال.. قلبى شاخ.. وجسمى دب فيه
الوهن.

أصبحت رؤية الناس تعذبنى.. والتحدث إلى البشر يكدرنى
بآثامى حيال حبيبة عمرى.. وكنت أود لو استطعت ترك العرش
لوزيرى المخلص.. ولكنه كان يرفض دائماً.. وظل يسير الأمور فى
المملكة باسمى.. أنا الذى لم أعد أصلح لشىء سوى البكاء والندم!..



مضى من الليل معظمه.. وكان القمر يتسلل من زجاج النافذة
الملون يرسم نفسه على أرض الغرفة فى روعة.. ولكن الملك النائم
على سريريه لم يكن يحس بذلك ولا يراه.. ولا يجد صدى فى أذنه
لغناء العندليب الذى كان يملأ الكون على غير عادة بالتغريد الساحر..

كان الملك فى شبه غيبوبة يتمتم باسم «شهرستانى، ويستغفرها
ويعد الأيام.. عشر سنوات كاملة..

وفجأة رآها.. هى.. هى لم تكن حلماً. ولا طيفاً عابراً. فطيفها لم
يكن يبتسم.. بل كانت على وجهه نظرة الحزن والعتاب التى ارتسمت
على وجهها يوم حدث الفراق..

وفرك الملك عينيه. وهب قائماً على قدميه.. ؛ كأنه عاد إلى
شبابه فجأة. كانت هى تتقدم إليه فاتحة ذراعيها.. والفرحة على

وجهها الجميل .. وأسرع إليها .. واحتضنته وهي تقول في صوت
متهدج بالفرحة .

- لينته عهد الآلام والحزن يا حبيبي .. لقد مضت الأعوام العشرة
التي تقضى شريعتنا أن نبتعد خلالها عن الحانث بعهدہ .. فلا نراه إلا
بعدها .. إن ظل وفيًا مخلصا .. لقد انهيت أنت عهد الألم .. ولم يكن أحد
يتصور أن إنسانا سيحفظ العهد ويظل مخلصا طوال هذه السنين . يا
حبيبي .. لم تتعذب وحدك .. لقد كنت أموت وأنا أراك على البعد تقاسي
الألم والعذاب .. ولقد تحملت آلام الشوق .. الذي كان يقتلني لمجرد
الحديث إليك والتخفيف عنك .. وكم كدت أفقد صبري لولا أنك ضربت
لي المثل في التحمل والجلد .. فأصبر نفسي وأقول أني لن أكون أقل
منك في القدرة على التحمل . ومضيت أناشد الأيام أن تسرع بيوم
اللقاء . انظر يا أعز من في الوجود ها هو ابنك .. ها هي ابنتك ، قبلهما .
فإنهما مشوقان إليك مثلي .. بل وأكثر مني ..

وركع الملك رضوان . وأخذ ابنه بين ذراعيه وهو لا يكاد يصدق ،
وسالت دموع الفرح وهو يقبلهما في سعادة غامرة . وظل الأربعة في
عناق طويل حتى انقضى اليوم وهم في غيبة عن الوجود ..

وأقيمت الأفراح والليالي الملاح ، في جميع ربوع الصين ..
وخرج الملك إلى شعبه المتعطش لرؤيته .. يزف لهم البشرى .. وجلس
على العرش وإلى جواره «شهر ستاني» وكبرت الأميرة .. وزادت حسنا
على حسن وجمالا على جمال فقد كانت الأقدار تعدها .. كي يقع في
حبها .. «سليمان الحكيم» ويتخذ منها زوجة له . لقد كانت ابنتهما
الجميلة تسمى «بلقيس» ..



تموز وأشتار

لم يكن أحد في بابل لا يدرك ماتعنيه نظرة عين الآلهة اللعوب
«أشتار» ..

ياويله من تختاره ليكون ضحية حبها.. لقد ملأت الأرض حكاياتها..
ومغامراتها.. وغلفت مآسى حبها أرجاء الدنيا برائحة الموت ، الذى
ينتظر كل من يقع فى حبها.. ومع هذا فكل واحد كان يعنى نفسه بيوم
يلقاها..

وفى كل مكان كانت الصلوات تقام لها.. وتقدم لها القرابين.. فهى
واهبة الحياة.. لأشعة الشمس وطين الأرض ومياه الندى والمطر..
وهى موشية الوديان بالأزهار والحب والشجر وباعثة الدفء فى البيوت
النائية الوحيدة.. وخالقة الرغبة فى الأيدى والعيون.. والأجساد..
أحبها كل من رآها.. وقضى بحبه كل من أصابه هذا الحب القدسى
بسهامه القاتلة..

لكن أشتار ما أحبت أحداً يوماً ما.. أو دامت فى قلبها لوعة شوق
لأحد..

لكن اشتار وقعت فى الحب!



لقد ظلت تطارد ذلك الراعى الأسمر.. تموز،.. مسحورة بصوته
الإلهى ووجهه الجميل.. طيلة عام كامل.. بعد أن أفلت من نظرتها
الأولى القاتلة.. فلم تعد تغويه فتنتها التى أحاطته بها.. إذا ما مال
ليستريح فى الظهيرة تحت شجرة «أريد».. أو على شاطئ الفرات كلما
ذهب ليسقى أغنامه!

لكن تموز لم يستسلم لها.. كانت تحميه عنها وتشغله عن التفكير فيها
حملانه الصغيرة.. وحشائشه التى كادت أن تنبت.. وأزهاره التى
نضجت بذورها، وأغنياته التى يغنيها «نايه» الشجى الذى يبعث الأمل
فى قلوب أهل بابل الفقراء.. فلاحى البساتين ورعاة السهول.. وصانعى
الأشياء البسيطة الضرورية.

لقد خلقت «أشتار» من جديد..



أشتار آلهة كل العشاق.. ومطمع كل إله..
تنثر دقات القلب ودمع العينين.. زهوراً..
فوق القدمين المرهقتين بطين الأرض..
المتعبتين بآثار الحسك المهمل.. وحصى الوديان..
وكان مآكان..

تفتح قلب تموز لحب أشتار.. بعد أن خلفت وراءها كل ما يغرى به
الانطلاق اللعوب.. وعاشت معه فى كوخه المتفرد تحت شجرة أريد
امرأة كالنساء البابليات.. تشاركه حياته وترعى منه الحملان
الصغيرة..



الحب على أبوابك يا تموز، .. يغنى .. «أشتار، آلهة كل العشاق ..
تسوق الأغنام إلى الوادي .. وتسد حوائط كوخك بالصلصال الرطب ..
وأمام عيون الآلهة الشمعة تسوى الخبز الأسود ..



ارتفعت في أرجاء الأرض الصلوات .. «أشتار اليوم .. يعبدها كل
الفتيان وكل الفتيات .. وتقدم في مذبحةا القدسي قرابين الحب .. وبشائر
أعواد القمح وأغصان الزيتون!



لكن الأيام تخبئ تحت الشمال الوردى .. وشاحا أسود ..
خنزير وحشى أخرق .. صادف تموز على شاطئ دجلة .. أوداه قتيلا
في لحظة ..

أقصر من طرفة عين تبرق!

أول من أشتار أحببت مات!

آخر من أشتار الحلوة سوف تحب، اغتالته على غفلة كف الأقدار
السوداء!

هللى يا أيام الحزن .. وعلى قلب الدنيا ضمى كفيك الغبراوين ..

عادت أشتار إلى الكوخ بلا تموز .. داست في عودتها المحزونة
حملان الأمس المولودة!



فلتحرق دمعائك أزهار الوديان .. ولتفتك كفاك الغاضبتان بأصغر
أشجارك ..

وليبيك جميع الناس . ولتحرق هذا العالم نيران اليأس .. وأشباح
الخوف من الغد يأتى دون طعام ..



صرخت «أشتار» بدنيا الآلهة العلوية .. والناس .. لن ينبت حب .. لن
يبنى طير عشا للبيض ..

لن يصنع نحل الوديان البرى العسل الأبيض
.. لن يتمسح فى أنثاه أليف، أو وحشى ..
لن يعرف قلب الإنسان الحب .. بعد اليوم ..
بعذك ياتموز .. لن ترغب فى رجل أى امرأة
حتى جاريته .. لن يشتااق الليل ضياء الفجر!



ومضت الأيام .. «أشتار» غاضبة على الكون
والناس يعيشون بلا حياة .. لا حب ولا زرع .. ولا خضرة ..
وتسيل دموعها .. فتسقط الأمطار الباردة على قمم جبال الشمال
وتتبعث آهات اللوعة

من صدرها فتهب رياح الصحارى المقترية القاسية .
تعصف وتقتل الحياة فى سهوب الجنوب . وتجفف ماء الفرات .. ودجلة ..
كانت الآلهة تسخر فى البداية من ذلك الذى حدث لها ..
كانت أشتار أيامها حديث البلاط الإلهى الساخر .. أما الآن فقد
أفسحت السخرية مكاناً فسيحاً للخوف فى قلوب كل الآلهة ..



فلقد أصبحت المأساة تهدد مكانتهم فى دنيا
البشر وبين الناس ..

القرابين التى تقدم لتسقط المطر.. لاتفلح.
الصلوات التى تقام فى كل مكان لرفع البلاء. لاتؤتى ثمارها..
وأخذ البشر يغطون ويهمسون..
فالآلهة التى لاتسمع.. ليست آلهة..
والصلوات التى لاتجاب ماهى بصلاة.. والقرابين
أولى بها الأطفال الجوعى..
وما كانت الآلهة بمستطاعة شينا دون مساعدة
أشتار، وأنفاسها السحرية..
يا أشتار.. آلهة العالم أجمع تستنجد بك..



لم يعد الخوف يسوق الناس إلى المذبح!
وغدا لن يعبدك بشر أشتار.. نحن جميعا طوع بنانك.. ارمى ثوب
الأحزان..

واختارى من ترصيه من الشبان، من الأموال.. من القدرة..



قالت أشتار..
والدمع بعينيها ينبوع قدسى خالد..
والحزن بأضلعها.. يوقظ أحلام الأمس..
هذا العالم..
لا يعدل عندى نظرة عينيه المشرقتين.. أو

لمسة كفيه الحانيتين على .. أو نفحة عطر الجسم
الدافىء .. بعد اليوم الشاق ..



اجتمعت الآلهة فى بيت الإله الأكبر .. وكان
قراراً لتهبط أشتار مادامت تريد إلى أرض الموتى
.. لتهبط إلى «أرالو» حيث الأرواح هناك تعذب لتنزل «أشتار» لتتري تموز ..
وضحكت «أرشكجال» ربة الجحيم القبيحة ..
فلطالما عذبتها طوال أيامها الماضية قصص
حبها الملتهبة وأحاديث الرجال عنها ..
وهى التى لم تذوق طعم حديث الحب . ولم تعرف لوعة الفراق
أوتعذيبها الأشواق ..

ووافقت فى خبث على قرار الآلهة ..
وابتسم قلب القبيحة وطارت كلمح البصر إلى
أرضها السوداء لكى تكون فى انتظار العاشقة ..
أنت يا حارس باب الموتى .. لاتفتح إلا بعد أن
تدمى كفيها الطرقات .

وأنتم يا حراس الأبواب .. لن تنزل أشتار إلى
ممكنتى إلا عارية مثل خطاة الناس ..



إن الطريق إلى الجحيم أشد هولاً من الجحيم
نفسه .. حتى على الآلهة !!
لكنه على المحب مثل درب وشحه النرجس
فبعد فراق سيلتقى الأحباب .. وسينام كفها
الرقيق في كفه القوي ..



وصلت أشتار إلى باب الأرض السوداء .. لكنه
كان مغلقاً .. دقته فلم يجب أحد ..
صرخت بالحارس .. افتح يا وجه النحاس واليا
أهلكتك .. وأخيراً . انفتح الباب . كان الحارس بعده يسد الدرب بكلتا
ذراعيه .. وقرأ عليها أمر الآلهة (أرشكجال ..) ربة دار الموت .
«... لست هنا آلهة ..
ما أنت إلا خاطئة كالأشقياء .. ستدخلين للجحيم عارية . كالخاطئات
من بنات بابل !!» .



تبسمت أشتار ضاحكة !!
لأنهم لا يعرفون ..
ففي سبيل حبها يهون كل شيء ..
لا شيء يعدل ابتسامة الأمان من فم الحبيب ..

العمر والأيام والجمال والشباب ..
لو أنني دفعتها أمام كل باب ..
لأرجاع اللقاء كل شيء ..
فإنكم لاتعرفون .. أنكم لاتعرفون !!
لا يعرف الهوى سوى الذى أحب ..
يا أيها الحراس .. إنكم لاتعرفون ..
وإنكم لن تفهموا ..
كيف أبذل الذى بقدرتى أن أمنعه !

○
نزع الحارس وشاحها الأخضر .. وأمام الباب الثانى نزعوا
قميصها .. ثم زناها .. وبعدها نزعوا منطقتها . وحليها .. وكل شيء !!
ودخلت إلى أرض «أرالو» .. عارية كما يدخل البشر ..
وكانت فرصة العمر لآلهة أرض الموت .. فأمرت كبير زيانيته أن
يلقى بأشتار فى أعماق جب الأمراض وأن يسلط عليها أشنع أمراض
الجسد البشرى ..
ولم تر أشتار تموز .. فلقد وقعت بعد كل ما قدمته من تضحية
ضحية خدعة دنيلة ..

○
لكن الأرض تموت ..

لاشيء بببيت الفلاح يقدمه قربانا لإله..
لم يترك جوع الناس لأحد وقتا ليقيم صلاة..
الناس تموت بلاميعاد..
الأوراق الخضراء تجف..
والخبز تلاشى..

حتى من مخزن قمح كبير الرهبان ١.



انزعجت الآلهة انزعاجا شديدا..
الامر لم يعد أمر قصة حب لاهية.. لقد أصبح
الأمر يهدد سلامة الكون ونظام الآلهة..
وأرسلت الرسل على جناح البرق إلى أرض
الجحيم.. لتكف (أرشكجال) عن عبثها المدمر..
وإلا فلن يبقى شيء حتى الجحيم التي هي آلهته..
وربة أسراره ١١
وقبلت (أرشكجال) بعد تهديد ووعيد أن تطلق
سراح أشتار.. وأن ترفع عنها سيف عذابها وأن تعيدها للأرض..
رفضت أشتار بشدة.. فتحت أبواب الجب
ولكن أشتار مازالت في ركنها ترفض أن تخرج
فالدنيا ليست دنياها.. والأرض الخضراء..

لاتعدل حبة خردل.. دون حبيب القلب..
رفضت أرشكجال بقوة.. لن أوافق حتى لو كان موتى وموت
عالمى.. فكيف نطيق أن يعود عذابها.. حينما تنطلق همسات الحب
على الأرض وهى المحرومة منه.

لكن كيف لها أن تقف أمام جميع الآلهة المذعورة.. أو أن تتحمل
غضب الرب الأكبر. الذى هبط بنفسه كى ينقذ نظام الكون وهيبة
آلهته.. ويرش الماء من ينبوع القدسى على جسد المعشوق الملقى..
ليعيد إليه الأنفاس.

ولتأخذه المحبوبة «أشتار» إلى أرضه..



اخضرى يا شجرة «إريد»... وانثرى يا يوم العودة أزهار الحب على
الوديان. !تموز يعود.. الغائب عاد. بالخضرة يوقظ أرضك يا بابل..
بالدفء وبالقمح الذهبى.. بالحب ليحيى نبض الحب بقلب الفتيان..
بالأمن إلى الأكواخ المظلمة الرطبة.. وبأنفاس القوة تلهب صدر
الشبان.. الفقراء وبمجد الإنسان يعود!!

«أشتار» بتموز تعود إلى بابل... بالخير وبالأحلام..

بالأمل المشرق فوق جبين الشمس...!!..



شجرة الكريز

فلتنشدين يا بنات بابل هذه الأغنية الحزينة .. هناك .. على شاطئ
الفرات الأخضر .. أنشدتها يا بنات للمياه وللسماء وللأرض .. لكي
يعرف الجميع هذه القصة .. امضين غرباً حتى شاطئ البحر الكبير ..
واعزفنها لعرائس البحر الذاهبات مع الموج إلى الغرب وعندما تهب
رياح الشمال .. أقصصن عليها القصة .. ممزوجة بالدموع .. لتتغنى بها
عذارى الصحارى الجنوبية ..



واسهرن يا بنات مع القمر .. اغزلن له من دموعكن رقعة بيضاء
مضيئة .. في لون نوره الإلهي .. واكتبن له عليها قصة «تسيبا
وبيرام» .. تنشدنها فوق السهول المنبسطة المترامية نحو الشمال .. في
ليالي الصيف الصامتة .. وفي أمسيات الشتاء الملبدة بالغيوم عديمة
المطر .. وليحكها للرعاة عند الفجر .. ليرددوا صداها الحزين .. بين
الجبال والتلال ... لانتبهين يا بنات بابل من البكاء .. فما زالت في
العيون بقية من دموع تود أن تسيل .. حزنا على «تسيبا وبيرام» .. اروين
يا بنات بابل بهذه الدموع ... شجرة الكريز الخالدة .. كي يظل ثمرها
الأحمر القاني .. جيلا بعد جيل .. يروي قصة الحب الحزين .. تعهدن
هذه الشجرة يا بنات حتى تزهر وتثمر كل صيف .. إجمعن ثمارها

المقدسة... احملن بذورها إلى كل أركان الدنيا.. ابذرنها في الشمال والجنوب.. وفي مطلع الشمس وحيث تغرب.. كى تظل تحكى عبر السنين والأجيال.. بصمتها المقدس الحزين.. الذى هو أروع وأبلغ من كل حديث وكلام.. قصة «تسيبا وبيرام»!



كانت «تسيبا» طفلة رائعة الجمال.. خلقتها ربة الحسن على مثالها كى يتذكر كل من تقع عليها عيناه فى أرض بابل.. جمال الألهة الذى لا يدوى..! كانت عيون «تسيبا» هى السحر.. وجبينها كان الضياء نفسه.. وشعورها الذهبية تتدلى على كتفها كسنايل القمح الناضجة.. وكانت تعيش مع أهلها فى بيت على شاطئ الفرات الأخضر.. بجوار بيت «بيرام» أجمل صبيان بابل على الإطلاق.. كان البيتان متلاصقين.. وكان الأهل أصدقاء كأحسن ما يكون الأصدقاء.. زادت صداقتهما وأغنتها وشائج قرى بعيدة.. ودعمها الجوار الطويل ورقة الحال.. والعمل المشترك على كسب القوت.. وحتى حجرة «تسيبا» لم يكن يفصلها عن حجرة «بيرام» سوى جدار رقيق.. ومنذ وعت «تسيبا» الأشياء وميزت الناس وعرفت أقدامها ملمس الأرض.. وهى تجد «بيرام» إلى جانبها كانا يقضيان الساعات الطوال معا.. يلعبان ويلهوان فى الشارع.. وفى الحوش.. لعبا بريئاً ولهواً ساذجاً ويملآن الحارة بهجة بضحكاتهما السعيدة..

وكم شهد سور بابل العظيم بيوتا صغيرة من الرمال والطين.. بنتها الأيدى الأربعة.. وكم ارتاح رأس «تسيبا» فى حجر بيرام إذا ماهدها التعب أو ملت اللعب فى ظل السور العظيم.. فإذا ماراحت فى النوم

جلس بيزام ساكنا لا يتحرك.. ويكاد لا يتنفس حتى لا يوقظ ملاكه
الجميل.. وكم كانا يكرهان ساعات النوم لأنها الساعات الوحيدة التي
كان عليهما فيها أن يفترقا!.



و مضت السنون وربة الجمال تودع جسم «تسيبا» ووجهها أسرار
جمالها.. وتصيب فيهما من حسنهما المسحور.. فكبرت الفتاة تشع حولها
السحر وتشيع الفتنة والبهاء.. وكبر «بيرام» وأصبح شابا قويا جميلا..
تتابعه العذارى بعيون ولهى..! إلا أنه كان مشغولا عنهن جميعا..
لا يلتفت لواحدة لفتة ميل.. أو ينظر لأى منهن نظرة حب أو اشتها..
فقد كانت «تسيبا» تملأ عليه حياته.. وحل محل الود الطفولى وصداقة
الصبا.. حب جارف عنيف.. أخذ بمجامع القلبين الشابين.. وشغلها
عن العالم والناس.. لم يكن «بيرام» يحس أحدا أو يشعر بوجود شىء إذا
ما فارقت «تسيبا».. وكانت «تسيبا» تكره الساعات التي يتحتم عليها فيها
أن تفارق «بيرام».. لولا طيف من أحلام اليقظة وشطحات المنام.. تصل
بهما فرحة اللقاء وبهجة الحقيقة، بجمال الخيال وغموض الرؤى
الساحرة!! ولم يكن الاثنان يفترقان لحظة من لحظات النهار إلا فيما
ندر.. فإذا ما حل الليل وخيم على الوجود ولف بابل بردائه الأسمر
الغامض.. رفت عليهما ربة الحب تساقيهما القبلات الحنون والعناق
البرىء.. ثم ينطلق كل منهما إلى فراشه على مضض وحزن، يخفف
منه طيف الحبيب الباسم الذى لا يفارقه.. ولكن ما تبنيه ربة الحب
وآلهة الجمال.. تتريص به ربة النميمة بحقدما الشيطانى الذى لا يترك
البشر فى هنائهم وسعادتهم.. كانت ربة النميمة ترتجف حقدًا وغيظًا

كلما شاهدت الحبيبين معا.. وتحس تعاسة لا تحتمل كلما أحست
السعادة تجمع بينهما وتملاً حياتهما..

ماذا تفعل؟! أوحى إليها عقلها الشيطاني أن تجسد في ثوب فتاة
دميمة الخلق مشوهة الوجه دنيئة الطباع اسمها «أورينا» تطل دارها
على الفناء الذي طالما جمع الحبيبين في ساعات اللقاء الهنية..

كانت تتابعهما في حقد مرير وهما يتساران ويتهامسان ويضحكان
لكلمات الحب وهمساته العذبة البريئة.. كانت ترتجف في غيظ كلما
رأتها متعانقين يتبادلان القبل..

فراحت تحكى في كل مكان... وتزيد وتخترع.. وتهول وتعظم
الأمر لكل من تراه.. حتى غدا الحب خيالاً بشعاً وشيحاً رهيباً
للخطيئة!! ولتضحكى يارية النميعة ولتهنئى.. فالكلمات السامة تولد
كلمات سامة.. ومن الأفواه إلى الأذان.. تنتقل الكلمات السامة.. مسخاً
بشعاً.. مملوء إثمًا وخطيئة.. واجتمعن يا أقبح الصبايا. وانهشن تسيبا
وبيرام.. فالحب الطاهر في قلب المرضى.. وعيون الحساد يصير
قذى.. ابذرن الكلمات الشوهاء.. عند الأبواب الحجرية.. في كل
الأركان ابذرن الكلمات الشوهاء.. ولتنبت البشاعة.. وتفرخ الغضب..
والعار والشنار في عقول الأقربين.. حولن البسمة والأمن بقلب الأهل..
أنفاس شقاء وشك.. ونظرات غضب.. ولتحل القطيعة محل الوثام
والصداقة.. وليكن الخصام والنزاع بديلاً للسلام..

وأنت يا «أورينا» يا ربيبة ربة النميعة زیدی النار اشتعالا في رءوس
الوالدين.. بحديثك الممزوج بالكذب..

من هوى محرم اكتشفته ورأيتَه رأى العين.. يا ذات العينين
الآثمتين.. أصرخى فى الآذان.. أن الحبيبين دنسا قدسية التقاليد
وحرمة الشرائع.. ومزقا قوانين بابل الخالدة.. التى لا تسمح بالاجتماع
قبل أن يتطهر جسد الفتاة.. فى ساحة الزواج العام فى المعبد الكبير..
اهنئى يا ربة النميمة لقد أفلحت.. ونجح مسعاك.. وأفسدت أقدام؛
الكريهة الحاقدة أزهار بستان لم تزل صغيرة.. ومرغتها فى طين
الغضب. وحماً الكراهية..!



لقد رأى الوالدان تسبوا وبيرام.. متعانقين فى المكان الذى أرشدت
عنه أورينا..

ولكنهما لم يتبيننا براءة عناقهما وطهر حبهما.. بل تملكهما الخوف
والرعب وجنون العار والكفر بآلهة الآباء والأجداد..

وجرت تسبوا على الأرض من شعرها الذهبى الطويل الذى لم
يعرف سوى لمسات الحب الحانية من يد بيرام الحبيب..

وضرب بيرام من أبيه القاس القلب الشديد البطش.. الذى لم يراع
بنوته وظل يركله بقسوة حتى أدماه.

وأقيم سور من الغضب والخصام بين الحبيبين . ومنعا فى قسوة
ووحشية من اللقاء!!..

ابكى يا ربة الحب.. ولولى يا ربات الجمال واحزنى.. أجمعوا
العشاق من أقصى المدينة.. واملأوا قلوبهم بالعطف والأسى.. وليتوسل
من يعشق وليرجو كل حبيب.. وليذهب كل من كانت له ذكرى حلوة..

إلى الوالدين القاسيين .. ذكرى أباهما يا أم تسيبا بحبه القديم لك وابكى
تحت أقدام والده يا أم بيرام .. لعل قلبه يلين .. ويرضى بالزواج تكفيراً
عن إثم لم يرتكب لكن توسلات الجميع وآهاتهم .. تلاشت كصدى
الثغاء عبر التلال البعيدة .. فربة النميمة كانت بالمرصاد . فلم ير والد
تسيبا صفرة الموت تلوح على وجه ابنته المسجاة . ولم يلن قلب والد
بيرام لآهات ابنه وتوسلات الأم الحزينة .. وظل الغضب يحكم
الوالدين .. ويغل عيونهما ويطمس على قلبيهما ويسد الآذان .. إلا عن
همسات ربة النميمة التي كانت فى غاية السعادة وهى تلمح الشتاء
يزحف ويخيم على البيتين المتجاورين . لكن الحب لا يعرف المستحيل
والشوق يدل العشاق أبداً .. ويذكرهم بما ينساه الزمن وتطمسه الأيام ..



تذكر الحبيبان أن ما يفصل بين حجرتيهما ليس سوى حائط رقيق ..
فتحايلا ليحدثا به ثقبا صغيراً .. فكان لهما بعد طول فراق موضع سر ..
يهمسان إليه بأشواقهما وملاذا يتناجيان خلاله بأعذب آيات الحب
وأغنيات الهوى .. ويظلان ساهرين إلى جواره حتى يقترب الصباح
يتبادلان عبر أحجاره الباردة أنفاس الحب الحارة ..

حتى إذا ما حل الصباح واستيقظ الأهل، قبل كل منهما الثقب فى
حنان وأخفاء من ناحيته عن العيون وراح فى النوم .. سعيداً .

وعادت الحياة تدب فى الجسدين المصننين، وتسرى الدماء فى
الخدود .. فيظن الأهل أن تلك تباشير السلوى وعلامات النسيان .
ومضت الأيام ..

وصبر القلوب الظلمات إلى الهوى .. له حدود !

لقد اشتعل الهوى أشد مما كان .. وبلغ الشوق للقاء حدا لم يعد
بالإمكان مغالبتة ..

لا بد من لقاء يطفئ لواعج الهوى .. لا بد من لمسة يد تبتدر بها
الحواس المشتعلة .. لا بد من همسة الشفاء للشفاه . كي تغسل أسى الأيام
الماضية !!



لا شيء يا حبيبتي سوى اللقاء بعيدا .. هناك عند قبر نينوس الملك ..
- لكنه خارج المدينة يا أعز مخلوق عندي ..
- نستطيع خداع حراس الأسوار . أو نرشوهم ونغافل الأهل ..
حبيبتي .. لا تترددى .. هناك أنتظرك الليلة القادمة ..
- لو دعوتنى للذهاب إليك فى آخر الدنيا .. لو أنك أمرتني أن أتبعك
إلى مملكة الغرب البعيدة أو إلى كهوف الشمال الثلجية .. لما أستطعت
أن أفكر فى كلمة لا . لحظة واحدة يا حبيبى .. إلى الغد يا حبة القلب ..
ونور العين !



ارقصى يا ربة الحب .. واستعدى للقاء .. أنشرى على الأهل غلائل
النوم الثقيلة .. وأثقلى عيون حراس الأسوار بالنوم الذى لا يقاوم ..
وقودى فتاتك خلال الدروب وعبر السهل الواسع الممتد .. واعبرى بها
النهر إلى حيث يرقد الملك «نينوس» .. فى ظل شجرة الكريز الكبيرة
ذات الثمار البيضاء اللامعة كمصابيح سحرية تضىء الليل .. أو كنجوم
نزلت ترتاح على الأغصان الخضراء .. بعد أن تعبت من التهويم فى

الفضاء الواسع العريض . ها هي تسببا يا ربة الحب تعبر بوابة بابل ..
طمئنيها يا ربة الحب .. فالحبيب لا بد هناك .. وإن لم يكن .. فبين
لحظة وأخرى سيصل . ليذهب الخوف إلى الجحيم .. وليدفع الأمان
القلب العاشق الصغير .. اجعلى الطريق سهلا . واطردى الأشباح منه ..
واخرسى همس نليل الملى بالمخاوف .. فـ « تسببا » تشتاق لقاء
الحبيب ..



وعند قبر الملك نينوس وصلت «تسببا» مجهدة من الطريق . فمالت
إلى النبع .. وغسلت وجهها وروت ظمأها .. وبينما هي تجفف وجهها
بمنديلها الحريري فى ظل شجرة الكريز ذات الثمار الفضية .. إذ سمعت
زئيرا مخيفا :ثير الرعب أتيا من بعيد ويزداد قريبا بسرعه . فاضطربت
وارتجفت من الخوف والوحدة .. ومضت تجرى مهرولة .. لا تلوى
على شىء كى تختبئ فى غابة قريبة ..

ولم تنتبه لمنديلها الحريري الذى سقط على الأرض بالقرب من
النبع .

كان الزئير الذى أخاف «تسببا» زئير لبؤة افترست ثورا والتهمته ..
وانطلقت تجرى باحثة عن ماء تروى به ظمأها . فوردت النبع وشربت
حتى ارتوت . ومضت لتعود من حيث أتت .. فوق بصرها على منديل
«تسببا» ملقى على الأرض تلاعبه الريح .. فخيل إليها أنه عدو يتربص
بها .. فزارت بشدة زئيرا ارتجت له الجبال وارتجفت من هوله أغصان
شجرة الكريز .. ذات الثمار البيضاء .

وأخذت اللبوة تمزق المنديل بأنيابها وأظافرهما تاركة آثار دماء
الفريسة عليه تثير الرعب وتشد خيوط المأساة.. بينما كانت تسيبا
جالسة ترتعد في الغابة لا تدري شيئا. ولا تجرؤ على العودة لمكان
اللقاء..

بعد قليل وصل بيرام بحث الخطي. وعيناه تبحثان هنا وهناك عن
حبيبته. والشوق والفرحة ولهفة الحب وانتظار اللقاء تتراقص على
وجهه في بسمة عريضة.. لم تلبث أن ترددت ثم ارتجفت وماتت على
شفتيه وحل محلها.. رعب قاتل حزين.. حين وقع بصره على المنديل
الملوث بالدماء.. وتجمع ذلك في صرخة هائلة مزقت هدوء الليل..

حين اكتمل في ذهنه تصويره الرهيب. لقد افترس وحش قاتل حبيبته
. ولم يترك له سوى منديلها المخضب بالدماء..

وارتمى بيرام على جذع الشجرة عندما أحس الدنيا تدور به..
وقدماه لا تستطيعان حمله.. يئن وينشج ويصرخ بالوجود وبالكائنات
بصوت غاضب حزين ملء بالعجز والرعب.



اخسئ أيتها النجوم كيف تجرئين على أن تطلعي على العالم.
ياالبشاعتك وأنت تشهدين مصرع حبيبتي.. إن كان لم يكفك أن
تشهدى مصرعها..

فسوف أشبع رغبتك الشريرة وشهوتك المجرمة المتعطشة للدماء..
وسترينني أنا أيضا.. الآن.. هنا.. تحت أقدامك السوداء ممزق القلب
بهذا النصل البراق.. تحت أقدامك . وأنا ألعنك. أنت يا من جرؤت على

رؤيتها تموت.. ولم تصنع شيئاً.. وأنتم أيتها الوحوش التي لا ترحم. يا
قساة القلوب يا من لا تراعون حرمة ولا تشفقون على أبرياء.. ولكن .
ولكنى أنا نفسى مثلكم. أنا الذى دفعت بك يا حبيبتى إلى مصيرك
هذا.. أنا الذى قتلتك.. لماذا تأخرت عليك..؟ لم لم آت قبلك لأصبح
فداء لك.. .. أيتها البشر.. .. أيتها الوحوش. أيتها الأفاعى الليلية
الشنيعه.. تعالوا إلى جميعا لأمزقكم بأظافرى. أو لتمزقونى أنا.. تعالوا
وافترسوا ببيرام الحزين.. ذلك التعس الذى قتل محبوبته. أيتها الموت.
اعصر قلبى بقبضتك الحديدية.. مزق صدرى بأظافرك الرهيبة أيتها
الخنجر.. فما لى مكان فى هذه الحياة.. بعدك يا حبيبتى الطاهرة..
تسيبا.. آه. يا تسيبا،... يا آه..



واستل ببيرام خنجره وأخذ يمزق صدره به.. وهو يصرخ باسم
حبيبته. وانبتق الدم أحمر قانيا يسيل على جذع شجرة الكريز.. ذات
الثمار البيضاء..

وتنبهت تسيبا على شبه حلم سمعت فيه حبيبها يناديها فانطلقت من
مكمنها فى الغابة.. تسابق الخطى إلى مكان اللقاء عند شجرة الكريز..
حيث ينساب النبع فى هدوء لا يدرى شيئا عما حدث بجانبه.

ووصلت تسيبا.. تتلفت.. ما هذا الجسد الملقى على جذع الشجرة
مخضب بالدماء.. من؟

يا آلهة السماء.! إنه ببيرام.. إنها جثة الحبيب يا تسيبا ممزقة
الأوصال..

وصرخت تسببا صرخة عظيمة رددت صداها التلال البعيدة ..
وارتجفت النجوم .. وحين رأته المنديل المخضب بالدم في قبضة يده
فهتت كل شيء ..

ولم يسمع الحبيب نداءها الملهوف .. ولم تعد لمساتها الحياة إليه ولا
استطاعت دموعها الساخنة التي انبثقت كالينابيع .. أن تبعث الدفء
في الجسد البارد . فأخذت تبكي وتصرخ ..

- يا حبيب قلبي ..! أجبنى إن كان في هذا الوجود من حياة بعد
موتك فلتجبنى .. أيتها النجوم التي تنظر في صمت وبلاهة .. أيها
المنديل القاتل يا من قتلت حبيبي .. أنا وأنت قاتلاه . لا .. بل أنا وحدي
التي قتلته . تعال أيها الخنجر الذي اسقل الحياة من جسده الطاهر .
فالتحقني به .. انتظرنى يا بيرام .. أنا آتية إليك .. أنا آتية إليك يا حبيب
القلب ..

واحتضنت تسببا جسد بيرام .. وقبلته في فمه .. وأغمدت الخنجر في
قلبها الصغير العاشق . ا



إبك يا نسيم الليل ما شاء لك البكاء .. ولتحمل صرخات تسببا
المحزونة حية في همساتك . أحملها معك وامض إلى آفاق الأرض ..
كى تشهد العالم على قسوة ما حدث . وأنت يا ربة الحب .. لقد كنت
حانية على العاشقين فى حياتهما وكم كنت تتمنين أن تحققى رغباتهما
المشروعة . فلتعملى على تحقيق رغبتهما الأخيرة .. لا تجعلى أحداً
يفرق بينهما بعد الآن . وليدفنا معاً .. وارعيهما فى دنياك الخالدة .. بع

أن أبت تقاليد بابل القاسية أن ترعاهما في دنيانا الفانية .. وانتن يا عذارى
بابل .. انشدن قصة تسيبا وبيرام واحملن بذور شجرة الكريز التي احمرت
ثمارها. بعد أن روتها وسرت في عروقها دماء الحبيبين الطاهرين.
احملنها إلى كل أرجاء الدنيا .. كي تبقى شاهدا. وراوية لا يمل إنشاد
هذه الأغنية الحزينة .. ولا يكف عن ترديد هذه المأساة التي صنعتها
التقاليد البالية .. وقسوة العرف الذي لا يرحم لتكون إدانة للقسوة على
مدى الزمن!

من ألف ليلة وليلة

- ملكة الحيات
- نعمة ونعم
- أبو محمد الكسلا

ملكة الحيات

كان يوجد فى سالف العصر والأوان .. مدينة كل سكانها من اليهود .
وعندما نقول سكانها فإننا نصف الأعيان والتجار والعساكر .. ففى القديم
لم يكن لباقى طبقات أهل المدن ذكر أو اعتبار .

فالصناع من غزالين وحدادين والفلاحين من غارسى الكروم
وزارعى البساتين .. كانوا جميعا فى حكم العبيد والأرقاء ..

ويقال إن اليهود لم يكونوا من أهل هذه المدينة الأصليين ولكن
جماعة منهم كانت تسير على غير هدى فى الصحارى والوديان ،
استولت على هذه المدينة وما يتبعها من أرض ومراع . لأن النزاع كان
قد دب بين أهلها فضعفت .. وظل اليهود يحكمونها مئات السنين ،
ويسومون أهلها سوء العذاب .. ولما كانوا أهل مكر وغدر فإنهم استولوا
على كل ما يكون الثروة فى أيديهم .. فبنوا القصور والقلاع ، وجلبوا
الجند الأقوياء من مختلف بقاع الأرض ليحكموا قبضتهم عليها .

ومرت الأعوام والسنون وفقراء المدينة يعانون الاضطهاد والظلم ..
والسياط على ظهورهم .. بينما الذهب يتدفق فى خزائن التجار والسادة
من بنى إسرائيل ..

وتوالى الملوك منهم .. كل ملك أسوأ ممن حكم قبله .. إلى أن تولى
الحكم فيها ملك شاب اسمه «بلوقيا» كان أبوه قد أرسله ليتعلم فى بلاد

الأرض المختلفة. فقرأ كثيراً من الكتب وتعلم الكثير من العلوم..
وتفتحت أمامه سبل المعرفة، وقرأ سير الأقدمين.. وكتب المؤرخين..
وعرف الكثير من أخبار الأمم والأبطال وتنبؤات المنجمين عن الأجيال
القادمة...

لما تولى «بلوقيا» الملك بعد وفاة أبيه. حاول أن يجعل من علمه
سلاحاً في يده، ليبنى في المدينة ما صور له خياله من نظم، وليقيم
في جنباتها العدل.

رأى «بلوقيا» أن ما يحكم به كهان بني إسرائيل من تشريعات ظالمة
- باسم الدين - خاطئة كل الخطأ.. وأن الدين برىء من هذا الظلم..
وكان يؤمن أن الدين يعنى بالنسبة لهؤلاء الكهان استمرار تدفق الذهب
والذبايح إلى معابدهم.. وبالنسبة للأعيان والتجار هو استمرار تسلطهم
على الشعب..

كان «بلوقيا» يؤمن أن الدين - أى دين - لا يمكن إلا أن يكون رحمة
وعدلاً.. وأن الناس جميعاً أمام الله متساوون، لا فضل لواحد منهم على
الآخر سوى عمله وتقواه وحب الله..

وكان قد قرأ فيما قرأ من سير وأخبار، أنه سيأتى يوم سيكون فيه
للدين شأن آخر وأنه سيكون فى نصرة هؤلاء المساكين والمضطهدين.
وإن الله لا يترك قوماً ظالمين، وأنه لا بد منزل بهم عقابه فهو يمهل
ولا يهمل.

وفكر «بلوقيا» كثيراً فيما يجب عمله.. فأخذ يبحث بين الذين حوله
عن يشاركه أفكاره ويعينه على إعادة العدل وإشاعة الخير والرحمة..

فلم يجد سوى صدود من الجميع بل أن كبار رجال المدينة بدءوا يشعرون بخطرهم وبعاقبة ما يقوله .. إذ بدأ الناس في أنحاء المدينة والقرى المحيطة على أطراف المدينة .. ينتظرون منه الخلاص .. ويدعون له في صلواتهم أن يمكنه من تحقيق أحلامه ..

ولكن كيف يستطيع وحده أن يفعل .. إن ما يصدره من أوامر لم تكن تتعدى بوابات القصر الغليظة المسلحة .. وما يأمر به من تشريعات وقوانين .. كأنما كانت تسمعها آذان من طين .

إلى أن جاء يوم عرف فيه أنه محاصر من الجميع .. مطالب بأن يتراجع عما في قلبه .. وإلا فلا خيار أمامه إلا إحدى اثنتين .. إما أن يعامل كمجنون .. أو يرحل بعيداً .. ليجد أرضاً أخرى قد يكون لكلامه فيها صدق ..

واشتدت الأزمة ولم يعد الناس يسمعون عنه أو يرونه حتى في المعبد أيام السبت ..

وانتشرت الإشاعة همساً، ثم أخذت تعلق شيئاً فشيئاً حتى أصبحت يقيناً بأن «بلوقيا» قد قتل .

وسرعان ما استطاع أخوه بالسيف والسياط أن يخرس كل كلمة اعتراض على توليه السلطة . وسكت الناس والنار تكوى قلوبهم .. وعادت الأمور إلى ما كانت عليه .. والعشرات يموتون كل يوم .. في المزارع .. وفي الملاحات وتحت الأرض في أنفاق المحاجر .. بينما ترتفع صلصلة الذهب ورنينه في خزائن التجار اليهود وعلى نحور نساء الأعيان وأذرعة الغواني ..



أما ما كان من أمر بلوقيا، فإنه فوجيء ذات ليلة بعشرة من قواده
ووزرائه يدخلون عليه خلوة عبادته.. ويأمرونه أن يتناول كأساً بها
شراب أزرق تحت تهديد خناجرهم.. وغاب عن الوعي.. فترة طويلة
ولما أفاق.. وجد نفسه في واد بين جبال عالية جرداء.. لا خضرة فيها
ولا خفق جناح.. ووجد في جرابه بعض الزاد وقليلاً من الماء.. فعرف
أنهم حكموا عليه بالموت بعيداً عن أرضه.

استقبل بلوقيا، مشرق الشمس ومضى وفي قلبه غصة وأمل في
الوصول إلى تلك الأرض التي قرأ أن ذلك النبي الذي دينه العدالة
والمساواة بين البشر سيظهر فيها.. وتشابهت عليه المسالك والدروب..
فمضى لأقربها شبيها بما قرأه في الكتب عن وصف تلك الأرض.

ووصل وهو في طريقه إلى واد أخضر فسيح تجرى به عين لم يذق
مثيلاً لمائها لما فيها من الحلاوة..

وكان المساء قد حط بجناحيه على الوادي، وأخذ الدنيا في أحضانه
الشاحبة.. فقرر أن ينام هناك ليبدأ المسير مع الصباح..

وما لبث أن راح في النوم.. وهو يحلم بقرب تحقيق أمله وانتهاء
متاعبه. وحلول فجر أمانيه بالوصول إلى أرض الخير واللاحق بالنبي
المنتظر..

وفي الهزيع الأخير من الليل. صحا بلوقيا، على شبه صلوات
وترانيم كأنها آتية من السماء.. فتطلع حوله.. فلم ير شيئاً ثم ما لبث أن
تبين بالقرب من جدول الماء.. أنواراً غريبة تتلألأ وتضيء ظلام
الليل.. فأخذ يزحف خائفاً مؤملاً.. حتى اقترب من هذه الأضواء.. فما

لبث أن صرخ من الرعب .. عندما تحقق مما أمامه .. كانت أمامه حية ضخمة في حجم الفيل الكبير وطولها لا يحده البصر .. نائمة . بينما حية أخرى لها وجه إنسانى جالسة على صدرها وعلى رأس هذه الحية الأخيرة تاج من الجواهر النادرة هو الذى يضىء الليل حولها .. صرخ «بلوقيا، لما تحقق من المنظر الغريب ووقع مغشياً عليه ولما أفاق .. وجد الحية ذات الوجه الإنسانى قائمة على رأسه وتقول لا تخف يا «بلوقيا، .. فأنا أعرف وجهك .. وأعرف الأمل الذى تعيش عليه .. أنا (ملكة الحيات) أعرف كل شىء يا «بلوقيا، ولكنى لا أستطيع إلا أن أقول لك .. سر إلى أملك .. فإنه قد كتب عليكم يا معشر البشر أن تحلموا وأن تموتوا فى سبيل تحقيق أحلامكم، حتى لو لم تكن تتحقق . ولكننى وأنا (ملكة الحيات) أعجب فى الحقيقة من أنكم غالباً ما تحققون هذه الأحلام .. رغم أنها مستحيلة .. سر فى طريقك وبلغ الذى تريد الوصول إليه تحياتى .. قم يا «بلوقيا، .. فمازال أمامك الكثير .

وأخذ صوتها يتلاشى وخيالها يبعد من أمامه .



مضى «بلوقيا، فى طرق سهلة .. وصعد جبلاً ثم عبر نهرين ووادياً لا خضرة فيه .. ولاحت له على البعد مدينة عظيمة رابضة على الأفق ذات قباب بيضاء وسور ضخمة .. فجعلها مقصده بعد أن نفذ ما معه من غذاء، وما كان فى قرينه من ماء قليل .. وما أن اقترب من المدينة حتى أحس أنها غاية فى القوة والثراء . فالحقول زاهية خضراء والكروم مثقلة بالعناقيد والأشجار مثمرة .. وسمع من يقول .. أيها الغريب كل ما تشاء وأمضى إلى المدينة فالأبواب على وشك أن تغلق فقد أذنت الشمس بالرحيل .

فأكل حتى شبع . ثم غسل قدميه اللتين هدهما طول المسير ثم مضى
مستبشراً خيراً إلى المدينة ..



كانت تلك المدينة هي «بيت المقدس» فمضى يتفرج عليها وعرفها
جيداً فقد قرأ عنها كثيراً في كتبه .. وأخذ يتجول في طرقاتها ويشاهد
الأسواق والناس ورأى كثيراً من الألعاب والفنون واستمع إلى كثير من
اللهجات .. فقد كانت بيت المقدس مركزاً للتجارة والقوافل من جميع
الدنيا .

وكاد ينسى نفسه والمحلات تغلق أبوابها .. ولم يجد بعد مكاناً ينزل
فيه . فأخذ يعمل فكره ويستثير ذاكرته .. حتى تذكر أن هناك خلف
المعبد الكبير يسكن رجل اسمه «عفان» .. كان قد قرأ له الكثير من
المخطوطات في علوم الفلك والكيمياء والسحر .. وعرف عنه أنه دارس
لمختلف العلوم وتواريخ الأمم .. فقرر التوجه للسؤال عنه فقد يساعده
على الوصول إلى غايته .. وإن لم يكن فإنه بالتأكيد سيستفيد كثيراً من
صحبته ويأخذ عنه ويتعلم منه الكثير .



مضى «بلوقيا» وقد بدأت المدينة تروح في النوم ولا أصوات سوى
دقات أرجل القسس على الأرض الحجرية .. وأصوات غناء من بعض
القصور . وضحكات مخمورين .. ومواء قطط .. ونباح كلاب عبر السور
الكبير الممتد حول المدينة .

ووصل إلى خلف المعبد .. فرأى بيتاً قديماً ينبئ عن أصالة وعراقة
تنبعث من شباك في أعلاه أنوار خافتة .. فخمن أنه لابد أن يكون بيت

«عفان، فهامى حلقة النحاس تتدلى من أعلى الباب، وصورة السبع
الممسوخ منقوشة على يساره بالضبط كما كان قد قرأ.. فاقترب بثقة
ودق الباب ثلاث دقائق متتالية، ثم انتظر ودقه مرتين وسكت فترة، ثم
دقه دقة واحدة عالية.. فأطل عليه من فتحة الباب وجه عجوز تتدلى
منه لحية بيضاء كالحليب، وتبرق من تحت حاجبيه الكثيفين عيانان
تضيئان الطريق.

- من.. الطارق؟..

- إنه أنا يا معلمى.. الملك «بلوقيا»، كما كانوا ينادوننى والغريب كما
أصبحت أدعى!..

- تفضل يا غريب.. تفضل أيها الباحث عن أمل الإنسان فى الخير..
ودخل «بلوقيا»، وهو فى دهشة وعجب.. ما لبث أن أزالتهما الألفة
التي جرت بها الأحاديث بينهما حول التاريخ والكيمياء.. ومصير البشر
وآمال الحكماء وأحلام العدالة والخير..



حكى «بلوقيا» لـ «عفان» حكايته وأحلامه.. وكيف ألقى به الظالمون
من أهله إلى الهلاك، لأنه انتصر للمظلومين ولأنه أراد لهم أن يرجعوا
إلى ربهم وألا يجعلوا الدين ستاراً لمظالمهم.. وكيف قرر هو أن يذهب
فى طريقه حتى وإن هلك فى سبيل البحث عن أرض ذلك النبى الذى
سيعيد لدين الله معناه الحقيقى.. والذى من تعاليمه العدل والخير
والمساواة بين البشر، والذى قرأ عنه فى الكتب حتى فى كتب اليهود
نفسها..

ضحك «عفان» عندما سمع كلام «بلوقيا».. الذى تعجب من ضحكه، ولم يخطر له أن مثل هذا الشيخ الجليل يمكن أن يسخر منه أو يخدعه. فانتظر حتى انتهى «عفان» من ضحكه.. وظل ساكناً ينظر إليه كأنما يطالبه بسبب معقول لضحكه هذا..

فأجابه «عفان» ومازالت عينه تدمع من كثرة الضحك:

- يا بنى.. لست أضحك عليك.. ولكنى أضحك لما حدث لك.. فلو كنت تعرف أن بيننا وبين زمان هذا النبى الكريم الذى نتحدث عنه آلاف السنين.. لما جشمت نفسك عناء هذا السفر الطويل غير المجدى.. إن أمما ستولد وأمما ستنتهى.. وسيتغير وجه العالم حتى لو رآه أحد منا فلن يصدق أن هذا هو العالمنا..

كان «بلوقيا» عندما سمع حديث «عفان» قد انخرط فى بكاء مرير، وراح ينشج والدموع تسيل على خديه كطفل يتيم وجد نفسه فجأة فى مهب رياح عاتية لا ترحم.. وما له من معين أو نصير..

أحس «بلوقيا» وكأنه قد ألقى به من جبل إلى هاوية سحيقة لا قرار لها. ولا منجاة منها.. أهكذا تنتهى أحلامه وأمانيه؟ أتموت فجأة كل المعانى الخيرة التى حلم بها والتى علق بها حياته كلها.. أتظل البشرية تتعذب آلافاً أخرى من السنين وكل يوم يموت العشرات من بلده فى الحقول والملاحات والمهاجر.. وكل يوم يساق العشرات للذبح قرابين لآلهة ممسوخة؟ وهذا الظلم هل يظل هكذا مسلطاً على رقاب البشر..

ألوف أخرى من السنين.. سيظل الظلام يلف العالم. لقد ظننت يا أبى المبجل أنه قد آن الأوان للتخلص من كل هذا وأن دعوة الخير

والعدالة قد قامت.. فان على ملكى والظلم الذى حاق بى، فى سبيل
أن أنعم برؤية هذا الفجر..

فقال «عفان، وقد تأثر كثيراً لما حدث: ما كان يجب لك أن تفعل..
فقد كنت تستطيع أن تلجأ لشعبك لينصرك ولكنك سلمت أمرك
لأعدائك.

فعاد «بلوقيا، يقول: ولكن يا أبى أن (ملكة الحيات) قالت لى إننى
سأنجح فى تحقيق حلمى.

فقاطعه «عفان، صائحاً: «ملكة الحيات».. أين.. وماذا قالت وهل
رأيتها.. هل تعرف طريقها؟..

ومضى يهز كتفيه وقد جرت دماء الشباب فى عروقه وكأنه ولد من
جديد مما أثار عجب «بلوقيا، وحيرته.. فحكى له كيف قابل (ملكة
الحيات) وكيف ذعر منها وأخبره أنها عطفت عليه وبشرته بتحقيق
حلمه.. ثم مضت.

قام «عفان، على قدميه وأخذ يروح ويجىء كأنه يرقص طرباً..
- أخبرنى يا بنى عن مكانها.. لقد فتحت لنا أبواب السماء..
وسيتحقق حلمك يا بنى.. أقسم لك.. هل تعرف أن ما ستقوله الآن
سوف يغير أشياء كثيرة فى هذا العالم..

- قل يا بنى.. ومن الصباح سنذهب معاً لنحضرها..

فقال «بلوقيا،: «أنا لا أفهم شيئاً يا أبى، فقال له «عفان،: «إن ملكة
الحيات يا بنى تعرف كل أنواع الأعشاب السحرية.. إذا مرت عليها
نطق كل عشب بفائدته».

فقال «بلوقيا»: وما دخل هذا بآمالى التى حدثتك عنها؟.

قال «عفان»: «لا تتعجل يا بنى واسمعنى للنهاية.. لا بد أنك تعرف أن الملك «سليمان» قد دفن فوق عرشه فى جزيرة خلف البحار السبعة القائمة خلف جبل قاف على حدود الدنيا.. وأن فى يده خاتمه الذى يحقق لحامله كل شىء.. هل فهمت الآن!.

قال «بلوقيا»: أنا لم أرحل فى طلب مثل هذا.. فلو كان الملك والمال والجاه عندى مغنٍ لما قدر لى أن أترك قصرى.. أنت تعرف ما أسعى إليه.

نظر «عفان» إلى «بلوقيا» نظرة طويلة غريبة.. ثم قال له بعد أن تردد: يا بنى.. إن هذا الخاتم يمكن أن يحقق لك أملاك فأذا نحن حصلنا عليه.. وأمكنا أن نشرب بواسطته من ماء الحياة.. فسنبقى حتى آخر الزمان ونلحق بصاحبك ونشاركه جهاده من أجل الخير والعدل..

أحس «بلوقيا» من كلام «عفان» بشىء غير حقيقى.. ولكن ماذا كان أمامه أن يفعل.. وكل أمر آخر قد سدت أمامه السبل وما من أمل سوى أن يظل يحاول.. عسى أن تكون هناك فائدة.. ونام الاثنان تلك الليلة وقد اتفقا على الذهاب مع الصباح إلى حيث (ملكة الحيات) تقيم..

ونام «عفان».. وأحلام المجد تخايله.. وخاتم «سليمان» فى إصبعه يضع الدنيا بين يديه.. أما «بلوقيا».. فقد ارتسمت على وجهه ابتسامة حزينة.. ونام وأمل غامض يداعب أحلامه فى ذلك العالم الذى يحلم به.. والذى مازال بينه وبين زمانه آلاف وآلاف السنين..

وفى الصباح.. انطلق الاثنان كل يحمل على ظهره جراباً به بعض الزاد والماء.. لم يأخذا بغالا حتى لا يثيرا شبهة أحد فى وجهتهما وسأل «بلوقيا» صاحبه: وماذا سنفعل الآن؟.

قال «عفان»: لقد جهزت فخاً وشراباً مسكراً.. فإذا شربت ملكة الحيات منه أغلقت عليها القفص.. وذهبنا إلى جبل الشفاء.. وهناك سيتحدث كل عشب عن فائدته.. مادامت هي معنا.. وعندئذ سنأخذ العشب الذى إذا دهنا به أقدامنا.. سرنا على الماء لا نبتل ولا نغرق.. وعن طريق ذلك نقطع رحلتنا عبر البحار السبعة ونحصل على بغيقتنا ونعود!.

فصرخ «بلوقيا، فى وجهه: أنا لا أريد أن أصل إلى غايتى بخداع أحد. الأفضل أن أموت هنا، لقد أكرمتنى الحية ولن أخدعها..

فبلغ «عفان، غضبه، ورسم ابتسامة صفراء على وجهه فلم يكن يريد أن تذهب أحلامه مع الريح.. فقال: يا بنى الصغير.. ليس هناك خداع ولا مكر فإننا ما أن نحصل على العشب.. حتى نعيدها مرة أخرى إلى مكانها.. وستجد أنها نفسها لن تغضب..

فقال «بلوقيا»: إذا كانت لن تغضب لماذا لا نسألها أن تأتى من نفسها.. دون خداع؟..

فأخذ «عفان، نفساً عميقاً ليسكت غضبه.. وقال: يا بنى.. هل لدينا وقت نضيعه.. إن هناك احتمال أن ترفض.. فتنهار كل آمالنا.. تشجع يا بنى.. لا تدع مثل هذه الأمور الصغيرة تشغل بالك!.



عندما أفاقت ملكة الحيات ووجدت نفسها داخل القفص و «بلوقيا، يسير بجانب من يحملها نظرت إليه نظرة جعلته يبكى.. فقد كانت كمئات من كلمات التأنيب وصيحات اللوم تطرق أذنيه ومضوا إلى جبل

العشب .. وأحضروا من العشب المطلوب الكمية التي أراها .. ثم أعادوا ملكة الحيات إلى حيث كانت .. ولكنها ما أن ابتعدت حتى صاحت بهم:

- لو أنكم تدبرتم قليلاً يا «عفان» .. لما وقعتم في هذا الخطأ .. كانت هناك أعشاب أخرى تساعدكم وتحميكم ولكنه الطمع يا «عفان» .. جعلك تنسى حكمتك .. إلى اللقاء يا «بلوقيا» .. عساه يوم يأتي بعد هذا اليوم الذي خدعتني فيه يا صديق .. تفهم فيه حقيقة الطريق .



وصل الاثنان لمنزل «عفان»، وهناك أوقد الموقد وحضر أجهزته، ثم أخذ يعالج العشب بطرق مختلفة، حتى حصل منه على دهان أصفر اللون .. وجربه في «الفسقية»، القائمة في بستان المنزل فمشى على الماء دون أن تبتل قدماه .. وضحك الاثنان للمنظر وأخذا يستعدان لرحلتهما الطويلة عبر البحار السبعة .. حيث عرش «الملك سليمان» ..

وذات صباح انطلق الاثنان ناحية مغرب الشمس .. وعبرا البحار السبعة .. واحداً بعد الآخر .. حتى وصلا إلى جزيرة لا تشبه أرضنا في شيء .. حجارتها من الزمرد والياقوت وأشجارها تغنى وطيورها تتكلم لهجات كالبشر .. ونسيمها معطر بالياسمين .. كان «عفان» يتلفت حوله وهو في ذهول .. فبعد قليل سيصبح كل هذا ملك يمينه .. وسيكون له ملك «سليمان» ومجده وقدرته، لتسخير الريح والبحر والعاصفة .. وستكون له الجند من البشر والجن والملائكة .. وسيصبح سيد الدنيا وملك الزمان .. وكان يفكر في رفيق سفره صاحب الأحلام الوردية عن عالم العدل .. ويفكر في كيفية التخلص منه .. بهدوء بعد أن يحصل

على الخاتم.. فقد كان لا يجرؤ على ذلك وهو العجوز الهرم.. أخذاً
يتجولان فى الجزيرة مسحورين بجمالها مفتونين بما بها من
أعاجيب.. كانت الموسيقى تنساب ناعمة هادئة.. كأنها السحر
وأصوات ملائكية تملأ الفضاء..

وفجأة لاح لهما إيوان ضخم من الذهب مرصع بمختلف أنواع
الجواهر الثمينة تنعكس عليه أشعة الشمس وتتلألأ بألاف الألوان
المتناغمة المتناسقة تسلب الأبصار.. وداخل الإيوان كان عرش الملك
«سليمان، قائماً.. على أربعة قوائم منحوتة من أحجار الياقوت الموشاة
بخيوط من نور.. وهو جالس كأنه لم يمت على العرش فى مهابة
وجلال تجعل القلب يرتجف خوفاً وهلعاً.

ولكن «عفان، تقدم وعيناه معلقتان بالخاتم فى إصبع الملك اليمنى..
وأحلام الثراء والملك تغمض عينيه عن الخطر الذى بدأ يحدق به..
وتقهقر «بلوقيا، إلى الخلف وقد عقدت لسانه صيحة رعب حين
انطلقت، لم تصل إلى أذنى «عفان، الذى كان فى حالة يرثى لها وهو
يتقدم فى حذر وخوف وانبهار.

من خلف العرش خرجت حية عظيمة تنفث ناراً من منخريها..
وأخذت تهتز من الغضب مع كل خطوة يخطوها «عفان،.. حتى إذا ما
لمست يدها الخاتم نفخت عليه نفخة أحواله إلى كومة من الرماد.. بينما
انطلق «بلوقيا،.. لا يلوى على شىء.. حتى ارتمى إعياء وخوفاً.. تحت
أحدى الأشجار ولم يعد يعى شيئاً بعد..



استيقظ «بلوقيا» وقد هذه الرعب والفرع.. وكان عمره قد تقدم
عشرات السنين في لحظة واحدة.. ومضى إلى شاطئ الجزيرة.. حيث
دهن من الدهان وسار يتعثر في الأمواج وقد نسي حتى أن يتزود بماء
أو طعام.. وأخذ يسير حتى انتصف النهار وأصبح في حالة يرثى لها..
فأخذ يتخبط في الأسماك ويأكلها نيئة حتى وصل إلى جزيرة.. أصاب
شيئاً من ثمار أشجارها ونام.. وهو يتذكر كيف أسلم قياده لذلك الرجل
الذي خدعه، وجعله يكذب ويخدع ملكة الحيات وعاد بذاكرته إلى
بلاده.. وأحس أنه كان ضعيفاً جباناً.. حين تركهم يفعلون به ما
فعلوه.. ولكن أحلام الإنسان تتحقق رغم أنه يموت في سبيلها.. وعندما
مرت بخاطره هذه الكلمات ابتسم ابتسامة واهنة.. ولكنه أحس براحة
عميقة في نفس الوقت.. وشعر وكأن شيئاً افتقده كثيراً قد عاد إليه..
وسمع صوتاً ملائكياً يناديه من فوق الشجرة فالتفت فإذا طائر صغير لا
يكاد يرى يكلمه وكأنه يغنى:

- لا تحزن يا «بلوقيا».. فالذين يموتون في بلدك ظلماً يولد مكانهم..
ولا تظن أنهم ينسونك.. وستمر السنون والأعوام.. وسيأتى الزمان الذى
يظهر فيه صاحبك ويقيم العدالة مكان الظلم ويعيد الإيمان إلى القلوب
التي كفرها اليأس.. وإن كنت يا «بلوقيا» لن تلحق به.. فإن الناس أيامها
سيذكرونك بالخير.. ويومها.. سترتاح في قبرك.. وستعود.. ستعود..



ولكن «بلوقيا».. لم يعد يسمع.. فقد أسلم الروح وعلى وجهه ابتسامة
مشرقة.



نعمة ونعم

أنا نعمة الله بن الربيع، أبا هو الربيع بن حاتم من كبار تجار الكوفة.. ستسألوننى ما الذى جاء بك إلى دمشق؟ وما هذا العمل الذى تمارسه، وليست بينه وبين التجارة التى يعرف أسرارها أبوك أدنى صلة؟ وأى سر تخفيه وراء تلك اللغة العجيبة التى تتحدث بها مع ذلك الشيخ الفارسى العجوز الذى تقيم معه؟ وكيف تصبر على شظف العيش هنا وتترك النعيم المقيم بقصور أبيك بالكوفة.. وترضى أن تسير طوال اليوم فى الشوارع بهذه الثياب الرخيصة حاملا تلك المخلاه المليئة بالأدوية والعقاقير؟! لا بد أن وراءك يا صاحبنا سرا غريبا.. وأمرنا خطيرا!!

- نعم يا عشاق دمشق.. ورائى سر غريب وأمر خطير.. وهل هناك أخطر من الحب أمر.. أو أغرب من أسرار سر.. أنا أحب يا عشاق.. وحبى هو الذى دفعنى إلى ركوب هذا المركب الصعب.. وإن ما أفعله لهين إذا قسناه بما يدفع إليه الحب أصحابه!! ولكن يا عشاق دمشق... هل أنتم بكاتمى سرى ومحافظين على، إن أنا أفشيت لكم أمرى.. فغريمى يا عشاق دمشق هو الخليفة.. عبدالملك بن مروان نفسه.. نعم!! إنكم لا تصدقون.. وأنتم تعرفون عنه كل خير... لكنه يا أصدقائى انتزع منى حبيبة قلبى.. ونور عينى.. حينما اغتصب جارىتى اغتصابا..

وانتزعها من بين أحضانى انتزاعا.. وباليته اتبع فى ذلك طريقا شريفا أو سلك سلوك الرجال.. بل إنه يا أصدقائى لم ير سوى الخيانة والغدر سبيلا إلى ذلك.. وما كان له أن يفلح فى نقلها إلى قصره إلا عنوة وفى الظلام.. فهو يعرف مدى حب «نعم» لى.. وإيثارها لهوى دون جميع الخلائق! تقولون وهل سافر عبد الملك إلى الكوفة... لا لا يا أصدقاء.. وأنتم أهل هوى وتعرفون أن الأذن تعشق قبل العين أحيانا، لقد سمع الخليفة بما تنعم به (نعم) من جمال لم تهبه السماء لواحدة أخرى من بنات العرب والعجم.. وعرف ما تحفظه من سير وشعر ونوادير.. وقيل له عن مدى اتقانها لفنون الغناء والعزف.. وآه.. إنكم لا تصدقوننى ولكنى سأحكى لكم حكايتى من البداية.. فأنا لا أكذب.. هل بإمكان عاشق متيم ان يرد الكذب على لسانه أو أن يعرف التزييف.. لا يا أصحاب إنكم أهل هوى.. وأهل الهوى هم أهل الصدقة والنقاء..

لقد أخبرتكم أن أبى من أكبر تجار الكوفة، له فى البحر خمسين مركبا.. تجوب البحار بين الهند والصين وجزر الأفاويه.. وتعود محملة بالخير والمال..

لم يكن لأبى سوى.. وقد أصيبت أمى بمرض منعها من الإنجاب.. وبذلك تستطيعون تقدير مدى تعلق أبى بى وإيثاره إياى..

ولم يفكر أبى لحظة واحدة فى الزواج من أخرى تشارك أمى فى حبه.. أو تشغل ولو جزء ضئيلا من مركزها عنده..

وكم ألحت عليه أمى أن يتزوج.. كى ينجب آخرين يؤنسونه وحدتى.. ويلعبون معى.. إلا أن أبى رفض رفضا باتا وقاطعا، حتى أن تفتاحه مرة أخرى فى ذلك الأمر..

ومرت الأيام.. فاذا بأبى يعود بجارية حسناء تحمل على ذراعها طفلة كأنها البدر فى تمامه... وكنت أنا فى الرابعة من عمري.. ويومها لم أكن أميز الأمور كثيراً.. ولقد ظننت أُمى أن أبى قد تزوج فعلا. ولكنه دخل عليها وسألها عن رأيها فى تلك الطفلة ذات السننتين من عمرها فأجابت أُمى وجة.. وهى تنظر إلى الجارية التى تحملها وتلاحظ الشبه الكبير بينهما.. (يا ربيع إنها أجمل طفلة وقعت عيناي عليها!!! ولكن أخبرنى من هى)؟.

فأجابها والدى بابتسامة عذبة فيها شىء من المكر «إنها ابنتى، فشهقت أُمى لأنها رغم طلبها منه كثيرا أن يتزوج إلا أن حقيقة شعورها لم تكن كذلك.

وأسرع أبى يقول.. (إنها ابنتى. وابنتك أيضا.. لقد اشتريتها وأمها.. وأنا أتوى أن أتبناها.. وهذا أفضل كى يجد نعمة الله أنيسا يؤنس وحدته.. ويلاعبه!!

وبالطبع أنا لم أعرف هذه الأمور إلا بعد أن كبرت، وبعد أن ماتت أم «نعم، بوقت طويل.. أما أيامها.. فلقد صارت لى أخت جميلة تلعب معى.. وتشاركنى أيامى وليالى وتنام معى فى فراشى..

أصبحت أختى الجديدة هى كل عالمى وأصبحت أنا بالنسبة لها كل شىء فى الوجود..

وكبرنا يربطنا رباط المشاعر القوية لا يجعلنا نفترق لحظة.. ما تعلمته أنا تعلمته هى. وما يشتريه لى أبى من هدايا لم يكن يختلف أو يفترق عن هداياها... هلت الليالى وودعتنا معاً.. وأشرقَت الصباحات

آلاف المرات ونحن معا . ولعبنا فى الرمال وزرعنا الزهور ونمنا تحت
الأشجار وكسرنا أشياء كثيرة معا .. وبكىنا سويا .. وضحكنا من القلب ..
وكبرت وأنا ألاحظ أن أبى كثيراً ما كان يمتعض لأننى أنادىها
بأختى .. وذات يوم كنا نلهو سوياً

فى بركة ماء فى البستان . فإذا أبى يرانا ويقبل مسرعاً .. والغضب
بخذ بخناقه ويصيح بى .. «ألا تعرف أن هذه جاريتك لقد اشتريتها
لك .. إنها ليست أختك حتى تتبسط معها هكذا .. وتعاملها معاملة
الأسياء»

وبكى «نعم» .. وجرت الى حجرتها .. وبكى أنا لبكائها .. ولكنى
كنت أطير من السعادة .. كنت قد وصلت إلى السن التى يعرف فيها
القلب معنى أن يسرع خفقانه .. وأن تحتقن الدماء فى الوجه وتلهب
الأذنين .. وكنت لا أستطيع أن أطلق على ما أحسه ناحية «نعم» . اسمه
الحقيقى .. أما الآن فإن غضبة أبى المعذبة كانت باباً جديداً للسعادة
التي لا تموت .. لقد أيقنت أن مشاعرى من ناحية «نعم» . لم تكن أبداً
مجرد مشاعر أخوة .. إنها كانت أكبر من ذلك بكثير .. لقد عرفت أننى
أحبها ..

وانطلقت بكل ما فى قدمى من قوة، وصحت بقدر ما يسعنى به
غلظ صوتى الجديد .. أبحث وأنادى .. «نعم» ومسحت دموعها وانقلب
حزناً إلى فرح طاغ لا يهدأ ..

إيه يا أصحاب .. لقد تزوجت حبيبة عمري وعشنا فى سعادة
متصلة .. وأنتم يا عشاق أدري بتلك السعادة ... وأعرف .. فمهما كانت
كلماتى فإنها عاجزة عن التعبير عن مداها .. وكل من كان يحب منكم .

يعرف ويقدر مشاعر المحبين .. ومن تزوج منكم بمن أحبه لا بد يعرف
ويتذوق هذا الرحيق .. ومن لم تسعده أيامه بوصول حبيبته .. يعرف
أيضا مبلغ هذه السعادة . لأن ما يعانيه من شقاء خير مترجم لها ..

وظلت الأيام تحمل لنا أجمل البسمات .. حتى دخلت، عجوز النحس
داري .. متخفية في ثياب التقوى والصلاح .. أية عجوز! تلك العجوز
الحيزيون التي أرسلها الخليفة بالاتفاق مع واليه الظالم «الحجاج بن
يوسف، كي تختطف مني حبيبتي . لقد ظلت تتردد على بيتنا ونحن
نرحب بها طمعا في دعواتها .. وهي مقيمة تارة عندنا .. تصلى وتبتل
وتارة أخرى ترحل بحجة زيارة قبور الأولياء والشهداء .. وبلغ إيماننا
بتقواها أنها كانت تدخل وتخرج لا يمنعها حراس أو حجاب .. ولكنها
كانت تدبر تدبيرها الأسود الخبيث ...

بدون علمي احتالت على حبيبة قلبي، حتى أخرجتها بحجة زيارة
قبر ولى من أولياء الله الصالحين ... هكذا أخبرتني أمي عندما عدت
ولم أجدها . ومن يومها وأنا لا يهنأ لى طعام أو شراب حتى مرضت ..
وأشرفت على الهلاك ..

وعندما شكأ أبى للحجاج وطلب منه البحث عن تلك العجوز ..
عرض عليه الحجاج عشر جوار مقابلها .. ولا بد يا عشاق أنكم تقدررون
مبلغ سخف هذا العرض .. وتفاهة هذا الثمن لدى المحبين الحقيقيين .
ولا بد أن قلوبكم يا من تعشقون تلعن الآن الحجاج، وتدرك مبلغ سفالته
وجهله بقيمة مشاعر الحب والهوى ..

وظللت على هذه الحال حتى جاء ذلك الحكيم الفارسي . وأخبر
والدى أنه يستطيع الاستدلال على مكانها .. وأخذنى معه نجوب

البلاد.. حتى حططنا رحالنا فى بلدكم.. وعشنا على هذه الصورة..
واشتهر أمرنا بين الناس كخير من يحمل الشفاء للمرضى.. وأحسن من
يفهم فى أمور الطب والتنجيم..

أما كيف عرفت مكان حبيبتي.. وكيف تأكدت أن الخليفة هو
خاطفها.. إليكم ما حدث. فإننى أريد منكم أن تساعدونى.. فأنتم أدرى
بهذه المدينة وخليفتها منى!

منذ عشرة أيام.. جاءت إلى دكاننا عجوز يبدو عليها أنها جارية
قوم أكابر.. ووقفت بالباب غير بعيد عن عيوننا.. حتى انصرف معظم
الزبائن.. فأقبلت على شيخى الفارسى تهمس فى أذنه فبدا الاهتمام
على الشيخ وأشار لى أن أقترب وكلمنى بالفارسية حتى لا تفهم
العجوز، وطلب منى أن استمع لما يدور بينها وبينه من حديث على
شرط أن أتماسك.. ولا أبين شيئاً..

وقال لها فى اهتمام: ولكن هذه الجارية المريضة لابد أن تأتى هنا
حتى أستطيع أن أشفيها.. فقالت العجوز أن هذا مستحيل فالخليفة لا
يمكن أن يسمح بمغادرتها للقصر! ولقد جئت إليك دون علمه. إنها
مريضة منذ أن جاء بها فرسان الحجاج من الكوفة.. لا تأكل ولا
تشرب. يا سيدى والخليفة متيم بها فكم حكى له عنها الرواة.. فما بالك
وقد رأها بنفسه!

قال لها الحكيم الفارسى: «إذن فلا بد أن أعرف اسمها! وبلدها؟ وأين
عاشت؟ حتى أستطيع حساب نجمها..» وأخذ يجاريتها ويسحبها فى
الحديث حتى عرفت أنا كل شىء.. إنها حبيبة قلبى ورفيقة عمرى هنا
فى بلدكم يا عشاق دمشق.. عند خليفتم القاسى الذى يأبى إلا أن

يحطم قلبي وعرفت من كلام العجوز مع الحكيم الفارسي .. إنها منذ
جاءت هنا .. وهي مريضة فتأكدت أن هواي مازال يملأ قلبها ..

ونظر إلى الحكيم وقال يا بني جهز لفتاة القصر المريضة دواءها ...
استحضر شيئاً من جوز الطيب وأمزجه بزيت القرنفل .. وسخنه قليلاً ثم
صبه في هذه القدر التي يغلي بها مزيج الأفاويه وخليط الزنجبيل
والنعناع .. وأنت تعرف الباقي ..، ثم نظر إلى نظرة ذات معنى،
وعرفت أن حديثه الطويل كان لإلهاء العجوز عن رؤية ما يجب على
عمله . وحضرت الدواء ووضعتة في علبة ثم طويت به ورقة كتبت بها
هذين البيتين من الشعر ..

إذا أنعمت نِعَمَ عليَ بنظرة

فلا أسعدت سعدى ولا أجملت جمل

وقالوا اسل عنها تعط عشرين مثلها

وليس لها مثل ولست لها أسلو

ثم كتبت اسمي بطريقة لا يفهمها أحد غير نعم وسلمتها للعجوز ..
وجلست على أحر من الجمر أنتظر ..

ولا تسألوني بعد ذلك عما حدث .. فإن ما حدث أنتم تعرفونه جيداً
يا عشاق دمشق لقد استنجدت بكم .. لتنجدوا أخا لكم طالت عليه الغربة
ويرح به الشوق .. وكاد يؤدي به الفراق ..

لقد أخبرتني حبيبتي بما حدث .. وكيف تأمر الحجاج مع العجوز
الحيزيون لا ختطافها .. وكيف جىء بها إلى قصر الخليفة .. حكى لى
هذا فى رقعة أرسلتها مع العجوز التى أخذت الدواء .. ولقد شككت فى

البداية فى هذه العجوز خوفا من أن تكون مثل زميلتها فى السن، تلك الحيزيون صاحبة الحجاج.. ولكن هذه أعادت لى الأمان عندما حكّت لى عن حبيبتي، وكيف أنها لا تحب أحدا مثلما تحبها لأدبها وحسنها وجمالها.. وأنها رقت لقصتها وأقسمت أن تساعدنا على اللقاء.. مرة أخرى.. وهأنذا يا أصدقائي أنتظر عودتها.. ولست أدري هل ستصدق أم أن خبرى سينكشف للخليفة ويكون فى ذلك هلاكى.. فماذا ترون يا أصحاب.



انعقد مجلس الخليفة عبدالملك بن مروان للحكم والقضاء.. كان اليوم يوم سوق دمشق.. وفى مثل هذا اليوم لا تهدأ الحركة فى المدينة.. والتجار يقصدونها من جميع أنحاء الدنيا.. وهى تفتح أبوابها للجميع.. هندية وصينية.. وفارسية... وفى ميدان واسع كان سوق الرقيق يغص بالحركة.. وأمام قصر الخليفة كان المارة يهتفون بالدعاء..

دخل رجلان تبدو عليهما سمات الغرية لو أنك دقت فى ملامحهما فربما عرفت أنهما من أصحاب نعمة الله الذين كانوا فى مجلسه بالأمس يحكى لهم حكايته..

أخذ الرجلان يتصايحان حتى بلغت أصواتهما الخليفة فأمر بإحضارهما عنده وسمع ما عندهما.

قال الأصغر.. يا أمير المؤمنين، كانت عندى فرس بيضاء.. لا يضاهاها فى فروسيتها وأصالتها فرس أخرى.. حتى لقد طمع فيها

الفرسان الأبطال . ولكنى ما كنت أبيعها لو وزنت بالذهب والزمرد . ولقد حاول الكثيرون شراءها إلا أنها كانت عندي بمثابة الروح ، لو أنها فارقتنى لما شعرت بلذة للحياة .. لا فى السلم ولا فى الحرب .

وذات يوم كنت أتنزّه عليها فقابلنى رجل يجبر نفسه على الطريق .. وطلب منى المساعدة . فلما ترجلت عن فرسى .. قفز هو إليها وانطلق به تركنى أكاد أموت من الحزن والغیظ .. ولكننى عرفته .. وها هو الرجل أمامكم لا ينكر فعلته .. فلما سأل الخليفة الرجل أجابه بالإيجاب ..

وحينئذ قرر الخليفة أن يحكم عليه .. فصاح به الرجل الأول .. «يا مولاي تمهل فى الحكم فأنت لابد أن يطبق عليه حكمك الرادع .. وهذا ما أخشى ألا يحدث!!»

فابتسم الخليفة وقال: «ماذا تعنى» .. قال الرجل!! «.. هل تعطينى الأمان يا مولاي» قال الخليفة «لك هذا .. تكلم!!»

وفجأة تعالى صياح آت من ناحية القصر .. ودخل الجند يجرون شابا صغيرا عليه عباءة كوفية .. وأخبروا الخليفة إنهم قبضوا عليه فى بستان قصر الحریم ..

حينئذ صاح الرجل صاحب الفرس .. «آه .. إنه لم ينتظر حكم القضاء . فذهب ليسترد فرسه بنفسه»!!

فتعجب الخليفة من كلامه وصاح به .. «أن يوضح ما غمض منه .. أن يظهر ما يخفيه ..»

قال الرجل .. «تذكر يا مولاي .. أنك قد أعطيتنى الأمان»

فصاح الخليفة «تكلم يا رجل .. لقد نفذ صبرى»

فحكى الرجل حكاية نعمة الله بن الربيع مع «نعم» . من البداية

للنهاية ..

وكيف أن الخليفة فعل ما فعله صاحبه بالفرس إذ احتال بواليه الظالم
ويعجوز حيزيون كى تنتزع حبيبته من بين أحضان من خلقت له
وتريت معه .. متوسلا لذلك بالخداع . ولم يأبه هو وواليه لتوسلات قلب
الفتى . ولم يلتفت لما يمكن أن يحدثه ذلك من دمار وخراب بحياة
قلبين شابين .. خلقا ليعشقا أحدهما الآخر .

ولم يكثرث هو ولا واليه .. لما يمكن أن يسببه ذلك لآلاف المحبين
من يأس .. ثم اختتم حديثه قائلا ..

- يا مولاي .. لم تكن هناك فرس .. ولكن قضية هذا الفتى هي
قضيتنا . وحكايته هي حكايتنا .. وما جئنا هنا إلا لنقاضيك .. نحن
عشاق دمشق وأبناءها الذين عرفوا الهوى وقاسوا نار الغرام ..

يا مولاي .. لقد استنجد بنا هذا الفتى لكى نستعيد له حبيبته الغالية ..
من مصير لا تريده ولا تبغيه . هذه حكايتنا يا مولاي وهذا هو سر
قضيتنا .. ولقد أعطيتنى الأمان .. ولكنى الآن لا يهمنى حتى لو أمرت
بقطع رقبتى .. فإن الموت من الحب والعشق شهادة .. والموت فى سبيل
الحب ومن أجل المحبين .. استشهاده ..

وسكت الرجل .. وهو يبكى .. مما جعل الحاضرين جميعا يبكون
عظفا عليه .. وحزنا على ما أصاب نعم ونعمة ..

وأطرق الخليفة يفكر فى هذا الأمر الذى لم يكن يدري منه شيئا ..

لقد أرسل له الحجاج بن يوسف يخبره بأنباء نعم .. وأنه قد اشتراها
للخليفة بعشرة آلاف دينار ذهباً .. ولم يكن يدري أنها مخطوفة ولو علم
بذلك لما بقيت عنده يوماً واحداً ..

وسكت الجميع كأن على رءوسهم الطير.. ينتظرون كلمة تخرج من
بين شفتى الخليفة . قد تكون فيها حياة الشبان الثلاثة.. أو موتهم.
والتفت الخليفة إلى نعمة الله قال: يا ابن الربيع.. إن حبيبتك في
الحفظ والصون وأنت ضيف مكرم معزز.. حتى ترغب في العودة إلى
بلدك.. في خير وسلام..

أما أنت أيها العاشق الشجاع،، فلقد علمتني شيئاً.. ولو أننى
أصبحت.. لا أصلح لتلقى أسرار الحب الخالدة.. التى تفتح قلوب الشبان
للحياة والتضحية.. وتجمع قلوب المحبين.. فى الشدة وفى وقت
الهناء..

وقضى نعمة الله أياما سعيدة فى قصر الخليفة فى دمشق.. بين
أصحابه.. ثم اشتاقت نفسه للقاء أبيه وأمه..

فودع الخليفة.. الذى أرسل معه للحجاج كتابا يلومه فيه.. وينذره
بالبطش إن هو عاد لاستغلال اسمه فى ارتكاب آثامه ويحذره من سلوك
مثل تلك الأساليب الدنيئة.

وخرج عشاق دمشق يودعون عاشقى الكوفة.. ويغنون لهم..
أغنيات عذبة ملائكية.. تحكى قصة اللقاء الجميل بعد طول فراق
وعذاب..

أبو محمد الكسلان

عاد الخليفة هارون الرشيد من مجلس الحكم والقضاء في ذلك اليوم.. شديد الضيق والملل. أتعبه وكدره ما رآه في يومه من حوادث، وما عرض عليه من قضايا وأمور. فسلطان الممالك والمهيمن على قوافل التجارة ومراكب البحور.. كان يومه مثل أمسه وهو يتخيل غده يمر عليه مثل يومه.. فحياة الرخاء والاستقرار والرفاهية.. وكنوز الخير التي تصب من كل هذه الممالك في خزائن بغداد، جلبت معها الدعة والملل، حتى إلى نفس الملك العظيم الجبار...

مضت الراقصات في تشكيلات بديعة تلف حول مجلس الخليفة وانطلقت أصوات المغنيات تلف المكان بسحر غامض غريب.. والعود يداعب الناي والدف.. والنغم يهتز مع النسيمات الرقيقة الآتية محملة بعبير البستان... لكن الخليفة صرف كل هذا بإشارة من يده.. فساد الهدوء والسكون.. وخلا لنفسه يفكر.. وبعد فترة قطع عليه خلوته من لا يجروا على قطعها غيرها. حتى دون إذن..

كانت السيدة زبيدة قد عرفت بحال الخليفة . وفكرت وهي التي تعرف طبعه جيدا في أن الخليفة في حاجة إلى قصة مشوقة، أو أمر خارق يقطع عليه الملل ويزيل عن نفسه الكدر.. فكرت ودبرت. ودون

أذن دخلت عليه وقبلت الأرض بين يديه .. وشعت ابتسامتها بالسحر حولها .. وطابت نفس الخليفة لرؤيتها .. فابتسم !

رفعت السيدة زبيدة طرف شالها الهندي وأخرجت تاجاً مرصعاً بالجواهر مختلفة الأشكال والألوان، صنعته يد صناع ماهرة لم ير الخليفة مثله في حياته .. فتناوله بنظرة إعجاب ملكية .. ومضى يفحصه وقد بدأ الكدر يزايله والممل يذهب عنه مع لألى الجواهر السحرية ..

ولكن السيدة زبيدة تظاهرت بالحزن وهي تقول للملك إن هناك مكاناً خالياً في التاج، لا تكمله إلا جوهرة بعينها لن يكتمل بهاؤه إلا بها .. فقطب الخليفة حاجبيه . وبدأ عليه الاهتمام .. وزايله الممل .. وأصدر أوامره لمسرور أن يذهب ويأتى بهذه الجوهرة التى وصفتها السيدة زبيدة من أى مكان وبأى ثمن ..

فتشت خزائن الملك .. وطلب كل تجار المجوهرات والنفائس وسألوا عنها، فلم يحر أى منهم جواباً .. فهم لم يروا فى حياتهم جوهرة بهذا الحجم وبهذه الصفات .

إلا أن شيخاً كبيراً منهم تقدم من الخليفة، وقال له إن مثل هذه الجوهرة ممكن أن توجد عند واحد فقط .. تمتلئ خزائنه بغرائب الجواهر ونفيسها .. هو ذلك التاجر الشهير «أبو محمد الكسلان، صاحب الضياع والقصور .. ومالك المائة سفينة العظيمة، التى تجوب الجزائر والبحور

تعجب الخليفة فهو لم يسمع بهذا الأسم من قبل .. قيل له أنه يقطن البصرة . فأرسل مسرور إليه كى يأتى به .. ليعلم خبره وما خفى عليه من أمره .

ذهب مسرور ومعه قوة من العسكر إلى البصرة .. ولم يزالوا
مجددين في السير حتى بلغوها في أيام .. ودخلوا على الأمير محمد
الزيدي والى البصرة .. فذهب معهم إلى قصره .

استقبلهم «أبو محمد الكسلان، بالحفاوة والترحيب اللائقين برسل
ال خليفة وواليه العظيم .. وتركهم ليأتى بالجوهره وهم يتعجبون مما
يروونه في القصر من رياش فاخر . لا يدانيه ما بقصر الخليفة العظيم
نفسه من رياش ..

فالجدران مطعمة بالياقوت والأعمدة من المرمر النقى الخالص ..
والكراسى مطعمة بالذهب الأبريز .. والستائر من أغلى الحرير الهندى
والصينى .. والأرض من الرخام الصافى كالمرايا .. وكل ما حولهم
يخطف الأبصار ويبهر العقول ... وجاء «أبو محمد الكسلان، ومضوا
معه وقد أعد قافلة كبيرة محملة بأنواع الهدايا الغريبة، والتحف العجيبة
مما لا عين رأت ولا أذن سمعت .. كانوا جميعا وقد ارتدوا حلا موشاة
خلعها عليهم وساروا وسط ضياع وبساتين لا يجدها حد ولا يقطعها
بصر .. وكلها ملكه وتحت حوزته .

وما زالوا يجدون في السير حتى وصلوا إلى بغداد . وكلهم يود أن
يعرف سر هذا الرجل الغريب .. صاحب الاسم العجيب الذى لا يدل
على علو همة . ولا قوة بأس أو مهارة ..



عقد مجلس الخليفة وكان قد وصله ما حدث فتعجب منه، وجلس
وهو مشتاق لمعرفة حكاية هذا الرجل، الذى لم يسمع به ولم يعرف عنه
شيئا إلا فى هذه اللحظة ..

ودخل أبو محمد الكسلان على أمير المؤمنين وقبل الأرض بين يديه وحياء تحية الخلافة.. وجلس حيث أشار إليه.. وسأله الخليفة عن حكايته وعن سر تسميته وعن سبب هذا الثراء الذى يعيش فيه والذى جاءت أخباره متأخرة، فأثارت لديه العجب والفضول..

فتقدم أبو محمد الكسلان وحييا الخليفة مرة أخرى وقبل الأرض بين يديه، ودعا له بطول العمر والنصر. وابتدأ يحكى حكايته والكل ينصت فى اهتمام وسرور لأن الكدر زال عن الخليفة شوقا لمعرفة هذا الأمر وتلك الحوادث.

قال «أبو محمد الكسلان».

- يا أمير المؤمنين.. أن حكايتى غريبة، وروايتى عجيبة لو كتبت بالإبر، على آماق البصر لصارت عبرة لمن اعتبر.. ولو سمحت لى يا أمير المؤمنين لفرجتك الآن على بعض ما أستطيع عمله بقوة الإله وقدرته.

وأشار أبو محمد الكسلان إلى شرفات القصر فمالت إليه ثم عادت إلى مكانها.. ثم أطار سيف مسرور من يده وجعله يرقص على نغمات غريبة مرحة. مما جعل الخليفة يستلقى على قفاه من الضحك والسرور. فلما رأى أبو محمد الكسلان أنه قد حظى بسرور الخليفة ورضاه عاد لحكايته..

- إننى يا أمير المؤمنين.. ابن حلاق فقير.. مات ولم يترك لنا أنا وأمى شيئا يذكر من المال.. وقد عانينا أنا وأمى من الفقر وما يصاحبه من ذلة ومهانة.. زادها أنى كنت شديد الكسل.. لا أقدر أن أفعل شيئا

مهما صغر شأنه .. ولقد عانت أمى من كسلى وضعف همتى وقلة
حيلتى . فأنا لم أكن أتحرك من مكانى لو انطبقت السماء على الأرض ..
أو اشتعلت النار حولى .. حتى لقد بلغ من شدة كسلى أننى لم أكن أنتقل
من مكانى لو كنت نائما فى الظل، ثم زحفت الشمس الحارقة إلى
مكانى تكوينى بحرهما .. حتى تجىء أمى فتقبلنى وتدحرجنى على
الأرض حتى مكان ظليل .. لأنها كانت من كبر السن، والضعف بحيث
لم تكن تستطيع حملى . والحق أن أمى كانت تقوم بكل شىء حتى
الأمر التى كان يجب على أن أفعلها .. لقد كانت تطعمنى بيدها
وتسقىنى .. وتسندنى إذا ما ذهب لقضاء حاجتى .. وظللت على هذه
الحالة العجيبة طوال خمسة عشر عاما طويلة . ولقد فكرت كثيرا أن أقتل
نفسى لأريح أمى من تعبها ولولا كسلى الشديد، لكنت قد نفذت ذلك
من زمن بعيد .

وذات يوم دخلت على أمى وهى غاضبة فقد بلغ بها الغيظ منى
أشده .. وصرخت بى وهى تكاد تبكى . إنها ستتركنى أموت ولن تقدم
لى لقمة واحدة، أو شربة ماء إذا لم أقم فورا، وأخذ منها خمسة دراهم
وكانت معها .. وأذهب بها إلى الشيخ أبى المظفر الرجل الطيب صاحب
التجارة الواسعة وصاحب الأفضال الكثيرة على أبى يوم كان حلاقه
الخاص .. وأن أعطى له الخمسة دراهم وأطلب منه أن يشتري لى بها
شيئا من سفرته التى سيقوم بها فى الصباح إلى بلاد الصين .. عسى
أن أبيع هذا الشىء عندما يعود الشيخ (أبو المظفر، وأكسب شيئا أبداً به
حياتى .. وعندما سمعت كلامها تضايقت وانتابنى الكدر . ولولا أننى
رأيت العزم فى عينيها على تنفيذ تهديدها لى .. لما قمت وهى تسندنى

خطوة خطوة . حتى دخلت على الشيخ أبي المظفر .. وأعلمته حالي
وطلبت منه ما قالت أمى عليه .. وتذكر الشيخ أبى فرحب بى ..
وضحك عندما أخبره الحاضرون أننى ما كنت أقوم من مكانى لولا أن
الأمر خطير ويستحق الاهتمام .. ولذا فلا بد أن يكون وراء قيامى من
مكانى هذا بركة غير مفهومة .. أو نحسا غير معلوم . المهم أن الشيخ ..
أخذ الخمسة دراهم وهو يضحك منى ويقول .. اذهب أنت يا بنى وعد
لنومك حتى لا تتعب وسأعمل ما طلبت . من أجل خاطر والدك ..
وقومتك العظيمة !



مضت عدة شهور قبل أن ينطلق المنادون فى المدينة يعلنون أن
مركب الشيخ أبى المظفر قد وصلت إلى الميناء محملة بخيرات الصين
والهند من حرير وأفويه وتوابل .. ومن أعاجيب كنوز الجزر البعيدة من
عاج وجواهر وذهب .. وانطلق التجار إلى الميناء كل يبحث عن
حاجته ، وجاءتنى أمى زاعقة وأنا نائم بجوار الحائط .. ألم تسمع
المنادى .. لماذا لا تتحرك وتذهب إلى الشيخ أبى المظفر لتبحث عن
دراهمك أيها الكسول قم وإلا كسرت ضلوعك بهذه العصا .

فقممت خائفا منها وأنا اسند نفسى على الحائط وألعن اليوم الذى
ولدت فيه .. حتى أتعب هذا التعب . وأجهد نفسى هذا الإجهاد .. وأخيرا
وصلت إلى الميناء ووقفت بعيدا لا أجرؤ على مزاحمة الناس الذين كانوا
يتدافعون بالمناكب ويتكالبون على البضائع .. حتى سمعت مناديا ينادى
على اسمى .. فكسلت أن أرد عليه .. فلما زاد إلحاحه فى النداء تقدمت
منه ، وأخبرته أننى من يطلبه .. ففوجئت به يعانقنى ويقبلنى وينادى

على الناس حتى يجتمعوا حولنا وأنا فى غاية الضيق لما سببه لى من
اجهاد.. ووقفت أسمع له وهو يحكى للناس.. وأنا أحس برغبة شديدة
فى النوم..

قال الرجل .. اعلموا يا أهل البصرة أنه لولا هذا الرجل لما عادت
هذه التجارة سالمة.. فتعجبت من قلة عقله.. وكذبه.. وكدت اتركه
لأذهب لبيتى وأنام.

وخلاصة الأمر. أن المركب لما غادرت بحر الصين كان الشيخ أبو
المظفر قد نسى أن يشتري لى شيئاً.. بالخمسة دراهم حسب وعده..
فطلب من الريان أن يعود أدراجه.. وأصر على ذلك.. فجمع له ركاب
المركب أضعاف أضعاف ربح الخمسة دراهم. حتى لا يعطلهم عن
طريقهم.. وبينما هم فى الطريق نزلوا إحدى المدن فرأوا هناك رجلا
«قرداتيا، معه قرود كثيرة. أحدها منتوف الشعر. ما إن ينام الرجل
ويغفو قليلا.. حتى تنقض عليه بقية القرود وتضربه حتى يستغيث
ويوقظ صاحبه، فيذودهم عنه.. فإذا عاد للنوم عادت القرود لضرب
ذلك القرد المسكين. فرق قلب الشيخ أبى المظفر له واشتراه بالخمسة
دراهم.. وكان قد نذر أن يشتري أول شىء يراه فى أول ميناء ينزلون
بها بنقودى، بعد أن نسى أن يفعل ذلك فى الصين.. وكان ذلك القرد
هو نصيبى..

وانطلقت بهم المركب والقرد يسليهم ويضحكهم حتى أحبه الجميع
وأهدوه الهدايا.. وذات ليلة هاجمهم قرصان البحر وأسره جميعاً.. لكن
القرد فك أسره،.. فهربوا بالسفينة. وكلهم مدين له بحياته. ونفحه
الشيخ «أبا المظفر، ألف دينار وكذلك فعل كل تجار السفينة..

وعندما وصلوا بحر اللؤلؤ.. ولمح القرد الغطاسين ينزلون للماء قفز معهم.. وظل يغطس ويعود باثمن اللأليء والكل متعجب من مهارته وفطنته.

وظلوا على هذه الحال.. يتنقلون من ميناء إلى ميناء.. وينزلون مدنا كثيرة يبيعون ويشترون ويكسبون.. والشيخ أبو المظفر يتاجر في أموالى وكل التجار يساعدونه. لأن القرد كان سببا فى إنقاذ حياتهم كلهم..

وبعد أن انتهى الرجل من كلامه مع الناس حملونى إلى منزلى وسط التهليل والتكبير. وأنا أحس برغبة شديدة فى النوم. فما أن رأيت أمى حتى أسرعت أحتمى بها من هذا العناء.. وقد سارعت هى تقبلنى عندما علمت الخبر.. وشكرت الناس الذين نقلوا أموالى إلى البيت وقبلت يد الشيخ أبى المظفر الذى أشرف على نقلها إلى بيتى بنفسه. وسلمها القرد.. وانصرف وسط سيل من دعائها له بطول العمر والهناء.. وما أن انصرف الناس حتى ذهبت فى نوم عميق.. بعد ذلك المجهود الجبار الذى قمت به فى ذلك اليوم..

عندما قمت من نومى كان القرد جالسا عند رأسى ينظر إلى نظرة غريبة جذبت انتباهى. وكدت أصرخ عندما سمعته يحيينى وينادينى باسمى.. جلست فى ركن ارتعد من الخوف.. إلا أنه طمأننى وقال لا تخف فأنا صديق لك أرسلنى الله لكى أجلب لك السعادة والحب..

فاطمأن قلبى قليلا.. إلا أننى ظللت أنظر إليه بخوف ولكنه اقترب منى وقال إنه سوف يزوجنى من أجمل فتاة فى الدنيا لو أننى أطعته، واتعبت نفسى قليلا فى مجرد الذهاب لوالدها وطلب يدها.

فكرت قليلا فيما قال . وكنت قد بدأت فعلا أفكر فى النساء واتطلع إليهم . فلما حدثنى عن الزواج بأجمل فتاة فى الدنيا، فكرت فى أنه موضوع يستحق المحاولة والقيام من مكانى ..

وأشرف القرد بنفسه على إعداد قافلة الهدايا التى سأذهب على رأسها خاطباً بنت رئيس العلافين أجمل فتاة فى المدينة ..

فلما دخلت عليه ومعى الهدايا رحب بى . واجلسنى بجانبه وأنا أتمنى أن أرى هذه الفتاة . حتى إذا لم تعجبني قمت من فورى وعدت لبيتى لأنام أشرف وأكرم ..

لكن ما إن أوقعت عيني عليها حتى أحسست بكيانى يتقلص .. وعروقى تدب فيها الحياة .. وطلبت من أبيها أن يسارع بالزفاف .. لأننى فى عجلة من أمرى .. أريد أن أرتب تجارتي .. وأجهز قوافلى . فوافق أبوها .. وحددنا موعد الزفاف فى أقرب وقت ..



منذ أن رأيت الفتاة يا أمير المؤمنين تغيرت أحوالى وأحسست أنى خلقت من جديد . ورأيت الحياة جميلة تفرد لى ذراعيها، وتود أن تحضننى، وتحيطنى بالسعادة . فأسرعت وجهزت لى نفسى دكاكين لبضاعتى وبنيت قصرا كبيرا لى أسكن فيه معها .. والحق لقد ساعدنى القرد فى كل هذا . وكان رأيه دائما سديدا وجالبا للحظ والنجاح ..

إلى أن كان يوم الزفاف،، وجاءنى القرد ناصحاً وكنت قد تعودت ألا أخالف له نصيحة أو أن أفعل شيئا دون مشورته ..

قال لى .. عندما تدخل عليها .. اتركها حتى تنام .. وفى ركن
الحجرة سوف تجد خزانة .. افتحها .. تجد ديكا وعشر رايات معلقة
ومنقوشة . اذبح الديك بسكين ستجدها بجانبه .. ثم مزق الرايات العشر ..
واقلب الصندوق ثم ايقظها . وسوف تجد سعادة الدنيا بعدئذ بين يديك ..

ودخلت على عروسى وأخذت أتحايل عليها بشتى الطرق حتى
نامت .. ففعلت ما أمرنى به القرد .. وباليتمنى كنت مت ولم أفعل
ذلك .. فقد ارتج القصر ارتجاجاً عظيماً وسمعت صياحا صاخبا وضجة
فظيعة .. والتفت خلفى فلم أجد للفتاة أثرا .. فخرجت أصرخ باحثا عنها
أو عن القرد لأسأله النصيحة فلم أجد له أثرا كذلك ..

وقابلنى أبوها ... وعندما رأى ما فعلته .. لطم خديه وقال أنت الذى
سببت شقائى . أن عروسك اختطفها ماردا كذا قد سحرناه ، وأقمنا هذا
الطلسم الذى أفسدته فى الخزانة لكى يحرسها منه .. والآن تأتى أنت
لتفسد كل هذا .. لعنة الله على اليوم الذى رأيتك فيه ..

وأخذ يشتمنى ويلعننى وأنا ألعن نفسى معه وألعن القرد واليوم الذى
دخل علىّ فيه بيتى ... وأنت تعرف يا أمير المؤمنين أن الحب هو سر
الوجود لقد أصبحت إنسانا آخر مليئا بالحيوية والنشاط منذ أن رأيت هذه
الفتاة الجميلة .. ولكننى كنت السبب فى نجاح خطة ذلك المارد اللعين ..
ولذلك قررت أنه لن تهنا لى حياة ولن يرتاح لى بال إلا إذا عثرت
عليها وعدت بها .. حتى ولو كلفنى ذلك حياتى .. لأنها هى التى
وهبتنى الحياة .. إذ كانت أيامى قبلها بلا قيمة لها فى عرف الناس وفى
رأى أيضا بعد أن أصبحت رجلا آخر وعرفت لذة العمل والتعب ..

وجهزت نفسي لرحلة طويلة .. أسأل فيها العرافين والمنجمين وسألت
والد الفتاة عن الشيخ الذي عمل الطلسم فقال لي إنه في الهند .. فشددت
الرحال في طريقى إليه ..

وفي أحد الدروب بينما أنا أجد السير في طريقى إذا رأيت أمامى ..
حيتين عظيمتين تقتتلان أحدهما خضراء والأخرى زرقاء، وقد علا
فحيحهما وثار الغبار يسد الأفق .. فشهرت سيفى وقطعت رقبة الحية
الزرقاء لأنها كانت على الخضراء باغية ولأننى خيل إلى أنها شبيهة
بذلك القرد اللعين الذى كان سببا لشقائى .

شكرتنى الحية الخضراء وكلمتنى بلسان عربى فصيح وتعجبت
لأنها تعرف قصتى .. وقالت إنها سوف تدلنى على مكان ذلك المارد
اللعين الذى خطف حبيبتى وستعيننى عليه .. وطلبت منى أن أمتطى
ظهرها، وأغمض عيني .. وطارت بى فى أجواز الفضاء .. والريح
تصفر فى أذنى ... وأحسست أننى أطيّر بين النجوم . ولكنها حذرتنى أن
افتح عيني لأننى سأدوخ من هول الارتفاع الذى نحن عليه، ولن
تستطيع هى أن تنقذنى لو وقعت .. فظللت مغمضاً عيني . فترة لا
أدرى كم هى . حتى حطت بى الحية على قمة جبل عال يناطح
السحاب . ونادت بصوت عظيم . فخرجت إليها حيات كثيرة فى مثل
شكلها فأخبرتهم كيف أننى انقذت حياتها .. وحكت لهم قصتى ..
فأشارت واحدة منهن إلى الأفق .. فرأيت مدينة عظيمة . من النحاس .
تبرق فى الشمس .. وقالت لى الحية .. إن زوجتك هناك .. حيث حبسها
المارد فى هذه المدينة المسحورة .. التى هى مدينتنا ولكننا هربنا منها
بعد أن حول المارد كل أهلها إلى حجارة .. وسنحاول أن نساعدك على

دخولها.. فلعل زوجتك تعرف سر المدينة. قد يكون المارد حكى لها الحكاية، فتدلنا على طريقة لإنقاذ أهلها.. استرح الآن وعندما يطلع صباح الغد سنحملك إلى هناك.. فالطريق طويل.. فعجبت إذ أن المدينة كانت تبدو في الأفق القريب فضحكت الحية وهي تقول. إن بينك وبينها مسيرة ثلاثة أشهر وثلاث ليالى.. فسكت وقلت فى الصباح يفعل الله ما يريد.. وليس الصبح ببعيد..

جاء الصبح يا أمير المؤمنين.. وركبت ظهر الحية فطارت بى ومعها أخوتها حتى وصلت إلى سور المدينة فلم تجد بابا تدخل منه. فأخذت أدور حولها.. حتى وجدت مجرى للماء يمر من تحت السور.. فصممت على الدخول مع الماء. وحذرتنى الحية من البقاء فى الداخل حتى يحل الظلام.. إلا إذا وصلت للسر حتى لا يقتلنى المارد.. فأجبتها.. وغطست فى الماء.. وحبست أنفاسى فترة طويلة حتى وجدتنى داخل بحيرة عظيمة.. تجلس حبيبتى فى عرش على شاطئها، وليس هناك أحد غيرها.. غير تماثيل كثيرة متناثرة هنا وهناك. لناس فى مختلف الأعمار والأحجام.. وما أن رأتنى زوجتى حتى هبت واقفة وألقت بنفسها فى أحضانى.. وبعد أن انتهينا من العناق الحار بعد الفراق الطويل.. سألتها إن كانت تعرف شيئا عن سر المدينة.. فقالت.

- نعم إن المارد قد بلغ من السذاجة ومن التعلق بى حتى أنه كان يفشى لى كل يوم سرا من أسراره لأننى امتنعت عليه.. وكان يحاول ارضائى بهذا.. اذهب إلى هذا الصندوق وحاول أن تكسره فبداخله عود إذا فركته صار خدمه فى خدمتك يفعلون ما تأمرهم به..

وأخذت أحاول كسر الصندوق بشتى الطرق حتى قاربت الشمس
إلى المغيب وسمعت صياح الحيات يحذرنني من البقاء في الداخل فقد
أقرب موعد عودة المارد.. ولكنني بذلت جهدي حتى كسرت غطاءه
وأخرجت العود والشمس على وشك المغيب. وحركت العود بسرعة..
فسمعت أصواتا كثيرة تقول لي:

- شببك لبيك عبيدك وملك ايديك..

وحبست المارد الجبار في قمقم من النحاس وألقيت به في البحر.
وجعلت خدم العود يفكون أسر المدينة من السحر. وودعت الحيات
الخنصر وشكرتهم ثم أمرت خدم العود بحملي وحببتي إلى بغداد..
وهأنذا بين يديك يا أمير المؤمنين.. شخص آخر حوله الحب من حياة
الكسل والبلادة إلى حياة كلها نشاط ومغامرة..



ابتسمت زبيدة للخليفة وهي تقول:

لعل مولاي قد زال عنه الكدر الآن. وزايله الممل..

قال الخليفة وهو يضحك:

«التاج والجوهرة لك يا زبيدة.. وشكري لك أيضا على ما دبرته..
لكي أعرف، هذه الحكاية الظريفة.. وأفهم حكمتها اللطيفة..».



(٤)
حكايات الست «أم يوسف»
(حكايات شعبية مصرية)

(تلك الكائنات الطيبة) ..

حدوتة الحواديت

الشمس يوماتي تصحى ولما يجي المساء، تقول وهي في السما
بتغيب .. صباحيتي أقرب!

ونجمة الفجر سهرانة تقول لليل : يتولد النهار شايب وعمره قليل ..
ولا بالشهور ولا بالسنين .. الأرض بتدور .. لا بتكل ولا ترتاح .. الفجر
ينده ع المساء والليل يبشر بالصباح .

وأراضى بتموت ويصفر الخضار فيها وقفر ميت بيتعمر قري
ويساتين .. وبحار بيطوى القرار أعظم مراكبها .. وبحار تعدى على
كفوف الأمان ألوفات ، ومدن وأوطان وقوافل لها عزوة .. تتوه في
رمل الصحارى يلفها النسيان .

والأرض ما تفتكر إلا خطى الإنسان كما دق دقماق على صفحة
حجر صوان .. فى كتاب ماهوش مكتوب .. لا تعلمه المدرسة ولا يعرفه
الكتاب ..

ولكن الطفل حين ينده على أمه فى نص الليل ينام فى حضن
الأمان لما بيستقراه فوق الشفايف .. ويفهم م العيون معناه .. حين يلمح
الحرية تنكسر على صدر الزرد وتلين .. وجريدة خضرة تفجر م
الصخور مية .. وكلمة حلوة تخلى الوحش زى رضيع .. وسكة الحق
بتجمع سوا الشطار .

كنا احنا لسه صغار .. العضم لسه طرى وريش الجناح أخضر .
والرجل والأرض لكن نفسنا نرفرف .. على كل زاوية ومكان سمعنا به
.. ونتعرف على الدنيا وسير الناس ..

كنا ف ليالى الشتا نقفل ببيان الدار .. يا مرحبا بالدفء فى مندره
خالتي .. تقيد لنا النار فى منقدها النحاس .. وجنبها الكنكه وعلبة البن
والفنجان وسكر راس ..

وتجيب بملو الحفان القول والحمص من الصندوق . نمد تحت الغطاء
رجلينا نتدفي ونتسلى وهيه تشرب القهوة ومزاجها يروق .. ويا للا ..
ياخالتي احكيلنا حواديتك! .. تقول لنا خالتي:

يحلا لنا قول الحديت وحكاية الحواديت، لما نصلى على الهادى
رسول الله .

نقول زى ما علمتنا .. «ألفين صلا وسلام على اللى لمسة خطاه
علمت فى الصخر، ومن ريحة عرقه شرب الشوك صبح ياسمين، ..
احكى لنا يا خالة .

وتضحك الخالة وعيونها تقول طيب .. اسمعوا يا اولاد... «وتنور
الحواديت، .

قرن الغزالين ..

كان للعنزة ثلاثة أبناء صغار.

الأول اسمه (سك - سك) والثانى اسمه (مأ - مأ) ..

أما الثالث فقد كانت عنزة صغيرة اسمها (قرن الغزالين) وفى يوم من الأيام قالت العنزة الكبيرة لأولادها :

- أنا ذاهبة لكى أحضر لكم البرسيم الأخضر . الدنيا برد، والرياح شديدة ، وقد يسقط المطر، فلا تخرجوا ولا تفتحوا الباب إلا عندما أعود.

وقبل أن تذهب تماماً إليهم قالت :

- وبالذات .. لا تفتحوا للذئب الماكر ..

ورد الجديان الثلاثة فى صوت واحد:

- اذهبى يا ماما بالسلامة وأحضرى لنا البرسيم ولا تخافى علينا ، لن نفتح الباب إلا لك عندما تعودين .

وصدقت العنزة وذهبت إلى الحقل، وحضر الذئب بعد قليل .

دق الذئب على الباب وقال وهو (يمأمئ) مثل العنزة:

- افتحوا يا أولادى .. لقد عدت إليكم بالسلامة .. بالطعام اللذيذ ..

هيا بسرعة إن الحمل ثقيل ..

وفرّح الجديان كثيراً .. لقد عادت أمهم بسرعة ومعها الطعام اللذيذ
وأسرعوا نحو الباب فرحين .. ولكن (قرن الغزالين) وقفت فجأة تهز
ذيلها، وتفكر فوق أخواها حولها يتعجبان ومأمأ الذئب وصاح :

- هيا يا أولادى .. الحمل ثقيل جداً .. والأكل لذيذ جداً.
أنا تعبت جداً جداً ..

وقفت (قرن الغزالين) بين أخويها وبين الباب قال (سك - سك) :
- لماذا لا تفتحين يا (قرن الغزالين) ؟ الحمل ثقيل وماما تعبت .

وقال : (مأ - مأ) وهو يراها مازالت تهز ذيلها وتفكر :

- ماما تعبت .. والحقل بعيد افتحى لها لتستريح .

قالت (قرن الغزالين) وقد كف ذيلها عن التفكير يمينا ويساراً :

- ليست هذه ماما .. إنه الذئب .

قال (مأ - مأ) وقال (سك - سك) :

- الذئب ؟! وكيف عرفت أنه الذئب ؟

قالت قرن الغزالين :

- الحقل بعيد والحمل ثقيل فكيف عادت أمنا بسرعة ؟

قال (سك - سك) وقال (مأ - مأ) :

- أمنا أسرع عنزة فى العالم وهى تعرف أننا (جوعانين) يا (قرن

الغزالين) ، فافتحى بسرعة .

- انتظري يا (سك - سك) واسكتي يا (مأ - مأ) . سأسأل الذئب سؤالاً

ومن إجابته سأعرف إن كان هو ماما أو ليس ماما .

قال (سك - سك) :

- اسألى .. لكن بسرعة فالحمل ثقيل .

وقال (مأ - مأ) :

- اسألى .. ولكن بسرعة فأنا جائع .

صاحت (قرن الغزالين) :

- يا أمنا العزيزة ..

فمأماً الذئب وقال :

- نعم يا أولادى الأعزاء .

قالت (قرن الغزالين) :

- هل أحضرت لنا أوراق التوت الخضراء اللذيذة التى طلبناها منك؟

فرد الذئب بسرعة دون تفكير :

- طبعاً يا حبيبتى .. لقد أحضرت لك حملاً كبيراً منها .. لقد

أحضرت لكم شجرة توت خضراء كبيرة بجذورها .. فافتحوا بسرعة

فالحمل ثقيل .

وهنا هاص الجديان وسخروا من الذئب وهم يضحكون فى سعادة ،

ورقص (مأ - مأ) مع (سك - سك) .. وغنت (قرن الغزالين) وهى تقبل

(مأ - مأ) وتقبل (سك - سك) وفرح الذئب عندما سمع ضحكاتهم

وانتظر أن يفتحوا الباب، ولكن الباب لم يفتح . همست (قرن الغزالين)

فى أذن (سك - سك) :

- الذئب لا يعرف أن أوراق التوت تسقط فى الشتاء .

وهمس (مأ - مأ) وهو يضحك :

- الذئاب لا تعرف شيئاً.. ولكن أمنا تعرف .

واقترح ، (سك - سك) أن يعطوا الذئب هدية لأنه أحضر لهم أوراق
توت وهمية ، قالت (قرن الغزالين) :

- ها .. سنعطيه القمر ..

وضحك الجديان وقد فهما ماذا تقصد أختهما .

وبسرعة ، تعاون الثلاثة وحملوا حجراً كبيراً إلى سطح المنزل ووقفوا
مستعدين عندما صاحت (قرن الغزالين) تنادى الذئب من فوق السطح:
- يا أمنا العزيزة يا من أحضرت لنا أوراق التوت اللذيذة .. لقد قررنا
أن نهديك أعظم شيء في الوجود .. سنهدى إليك القمر .

والتفت الذئب ناحية الصوت ولكنه ما كاد يرفع رأسه حتى انقض
عليه الحجر الثقيل .. وضربه ضربة موجعة فوق رأسه ، جعلته يجرى
وهو يبكي من الألم :

- آه .. لم أكن أعرف أن القمر مصنوع من الحجر .. وثقيل
كالحجر.

فطيرة . عم شلبي

قالت الجدة العجوز .. لابن ابنها الصغير:

- يا محروس .. خذ هذه الفطيرة لعمك شلبي ، وقل له: جدتي تسلم عليك كثير السلام .. وهات منه بعض العسل .. لأنى مريضة.

وكانت الفطيرة لذيذة جداً .. وساخنة جداً .. ورائحتها قوية جداً، مع أن محروس وضعها فى كيس من الكتان وربطها جيداً. وخرج محروس من القرية وسار فى الطريق إلى بيت عم شلبي الذى يعيش فيه هناك على شاطئ النيل يربى النحل ويصيد السمك:

وفى الطريق .. شم أحد الكلاب رائحة الفطيرة .. وقال لنفسه :

- فطيرة لذيذة .. وهى من نصيبى.

وسار وراء محروس فى حذر شديد .. ثم وجد فرصة فخطف الكيس الجلدى وجرى إلى الحقول الواسعة .. بينما محروس يزعمق عليه صارخاً :

- سوف يُسميك الجميع لصاً .. فأنت تستحق ذلك وأنا أول من يقول إنك لص .. لأنك خطفت فطيرة عم شلبي !!

ولكن الكلب لم يهتم .. ولم يسمع فدار محروس وسار ليكمل طريقه إلى عم شلبي، وليوصل إليه تحيات جدته .. ما دامت الفطيرة قد ذهبت.

وأخذ الكلب يجرى بالكيس حتى قابله غراب شم رائحة الفطيرة اللذيذة فقال:

- فطيرة لذيذة .. وهى من نصيب أولادى!.

وصاح منادياً الكلب ..

- أيها الصديق .. أعرف أنك تحمل حملاً لذيذاً .. لكن لكى تتم سعادتك ، لابد أن تفعل مثل والدك .

ووضع الكلب الكيس على الأرض ثم قال:

- وماذا كان والدى يفعل فى مثل هذه الظروف؟

قال الغراب:

- كان والدك العظيم .. يترك طعامه أمانة عندى ويذهب ليسن أسنانه فوق حجر الطاحون .. فيصبح الطعام أذ ألف مرة! ..

وكان الكلب خاطف الفطيرة يحب والده جداً..

فترك الكيس للغراب وجرى إلى الطاحونة .. بينما طار الغراب بالكيس إلى عشه ، ليطلع بالفطيرة أفراخه الصغيرة .

وزاقت أفراخ الغراب عندما شمت الفطيرة .. لكن الثعلب كان يمر ساعتها .. فشم الفطيرة ، وقال:

- فطيرة لذيذة .. وهى من نصيبى .

وزعق بكل قوة:

- أيها الغراب .. هات الفطيرة إنها لى .. إن لم تفعل قطعت الشجرة ، وأخذ يخريش بمخالبه ساق الشجرة ، فبكت أفراخ الغراب وقالت :

- اعط له الفطيرة .. إننا نخاف الثعلب ورمى الغراب الكيس، فأمسك به الثعلب وانطلق إلى جحره، وفي الطريق كان لابد أن يعبر النيل .. وأثناء عبوره .. شم القرموط رائحة الفطيرة وقال:

- فطيرة لذيذة .. وهى من نصيبى.

ثم بلع الفطيرة بكيسها .. وبالصدفة كان عم شلبي يصطاد عندما وصل محروس وأخبره بقصة الفطيرة. وكيف خطفها منه الكلب اللص..

ولم يصدق عم شلبي كلام محروس واتهمه بأكل الفطيرة .. ولكنه فى هذه اللحظة كان يشد القرموط خارج الماء. ولما وجد بطنه كبيرة بشكل غير عادى .. فتحها .. فوجد كيس الفطيرة فابتسم معتذراً لمحروس وأعطاه العسل وهو يقول له :

- العسل يذوب فى الماء فلا ترسله لجذتك عن طريق النهر .. ها ..ها ..ها .. مثلما فعلت مع الفطيرة.

الشمس أخت القمر

كان ياما كان فلاح غنى اسمه (أبو الغيطان) . وكان الناس يسمونه بهذا الاسم لأنه يملك حقولاً وأراضٍ كثيرة، فدان جنب فدان، ومع أنه كان يمتلك كل هذه المساحة من الحقول، لم يكن يحب أن يقوم بأى عمل على الإطلاق، لا لأنه يكره العمل فقط بل لأنه كذلك لا يتقن أى عمل من أعمال الزراعة .

وكان (أبو الغيطان) يحس سعادة كبيرة وهو يشاهد الآخرين يعملون من أجله، وكانت سعادته تزيد وتفيض إذا استطاع الوصول إلى طريقة أو حيلة يستطيع بها (أكل) أجورهم .. ولذلك كان دائماً (يغالط ويمالط) و (يماطل ويفاصل) ولا يدفع لأحد أجره إلا بعد (طلوع الروح) كما يقولون .

ولذلك امتنع كل الفلاحين في قريته عن العمل في حقوله .. وكان لأكثرهم أجور متخلفة لديه، والقليل منهم كان يأمل في أخذ أجره ذات يوم .. ولكننى متأكد تماماً أنه لن يدفع لأحد منهم مليماً واحداً في يوم من الأيام ..

وقد حدثت قصتنا بعد أن نضج المحصول الجديد تماماً وأصبح من الضروري القيام بحصاده على وجه السرعة وإلا فسد وضاع ، ولكن أحداً من أهل القرية لم يكن يريد العمل عنده .. ولم يكن هو يريد أن

يشتغل لأنه حتى اللحظة الأخيرة كان يأمل في وقوع أحد البسطاء أو الغرباء فريسة له، فيحصل له المحصول مجاناً أو على الأقل بأجر زهيد .. ولذلك كان يجلس كل صباح عند رأس الحقل في انتظار مرور من لا يعلم عن حيله شيئاً .

أيام كثيرة مضت والعاثرون على الطريق كانوا يمضون بعيداً عنه تجنباً لمجرد الحديث إليه .. والمحصول يزداد نضجاً والخسارة ستكون بمرور الوقت أكثر. ولذلك قرر في لحظة ضعف أن يعطى من يحصل له المحصول زكبية من الحبوب وهو أمر لم يحدث من قبل .

وذات صباح كان جالساً يدخن في هدوء فرأى شاباً غريباً لم يشاهده من قبل، يقبل راكباً حمارة وتؤكد (أبو الغيطان) أن الشاب لا يعرفه لأنه ألقى السلام على غير عادة أهل المنطقة، ولذلك أسرع يرحب به .

- أين أنت ذاهب يا صديقي!؟

- أنا ذاهب إلى منطقة البساتين لأشتغل في جمع الفاكهة، الموسم هذا العام عظيم والعمل كثير ..

رد (أبو الغيطان) في ود كاذب :

- المشوار طويل يا بني وسترهق حصانك الجميل ، أو حمارك الجميل الذي يشبه الحصان .. كن رحيماً ولا تجعله يصعد التل ويدور حول المنحدر ويهبط الشاطئ في حين يمكنني أن أعطيك هنا عملاً سهلاً وبسيطاً ستأخذ أجرك كاملاً عنه ..

سأل الفتى :

- وما هو هذا العمل ؟

ورد (أبو الغيطان) في نعومة :

- تحصد لى هذا الحقل الصغير ..

وتطلع الفتى إلى الحقل الواسع الشاسع .. وقال فى تردد :

- لا ياسيدى .. جمع الفاكهة أسهل كثيراً وأكثر راحة .. بعد إذنك ..
هيا أيها الحمار .. حا ..

لكن (أبو الغيطان) أمسك بمقود الحمار ليمنعه من السير قائلاً :

- سأعطيك ملء زكبية كاملة لقاء عمالك ..

فصاح الشاب معترضاً:

- لا .. زكبية لقاء حصد هذا الحقل كله .. لا .. اترك الحمار ولا
تعطلى أكثر من ذلك .. ابتعد فالشمس تصعد السماء بسرعة ..
وسأذهب متأخراً ..

قال (أبو الغيطان) فى مكر:

- لا .. أنت فهمتنى خطأ ياسيد .. إننى سأعطيك زكبية فى لقاء
عمالك حتى اختفاء ذلك المصباح المنير فى الليل .. تطلع الشاب إلى
الشمس .. وأخذ يحسب الوقت للرحلة ويحسب الوقت الذى سيقضيه فى
العمل حتى المساء .. واقتنع بإمكان البقاء وحصد المحصول .. رغم
قلة الأجر توفيراً للوقت ورأفة بالحمار، فنزل وربط حماره وأخرج
منجله وبدأ العمل فى همة ونشاط كعادته فى عمله دائماً .. وساعة بعد
ساعة كانت الأعواد تتهاوى خلفه .. كومة وراء كومة .. حتى غابت
الشمس وراء الأفق ونظف منجله ونفض القش والتراب العالق بملابسه
.. وذهب إلى حيث كان (أبو الغيطان) جالساً يدخن فى هدوء، كى
يطلب أجره :

- ها قد انتهيت من عملي .. فإن سمحت أعطيتني أجرتي ..

قال (أبو الغيطان) متظاهراً بالغضب :

- ماذا؟ انتهيت ماذا؟ .. إنك لم تنه عملك بعد فمازال المصباح المنير أمامك والحصاد لم يتم !..!

لكن الشاب نبهه إلى الاتفاق محذراً :

- هل تنوى خداعي؟ .. أنا لم أتفق معك على حصاد الحقل كله .. فلماذا تخل بالاتفاق؟

واستنكر (أبو الغيطان) أن يكون مخادعاً وقال :

- أنا الذي أخل بالاتفاق؟

رد الشاب بسرعة :

ألم نتفق على زكينة مليئة بالحبوب لقاء عملي حتى مغيب الشمس .. فضحك (أبو الغيطان) مصححاً :

- لا .. حتى يغيب ذلك المصباح الذي ينير السماء .. أليس كذلك؟!

أمن الشاب على حديثه وقال :

- وما الفرق ..؟ لقد غابت الشمس وحل الليل؟

فضحك (أبو الغيطان) مرة أخرى وقال :

- فرق كبير .. فالمصباح المنير مازال هناك معلقاً في السماء يا صاحبي ومازال أمامك عمل كثير حتى يغيب وتستحق الزكينة حسب الاتفاق ..

قال الفتى وهو يكظم غيظه :

- ولكن هذا القمر .. الشمس غابت من زمن .

هز (أبو الغيطان) رأسه موافقاً وقال :

نعم .. غابت الشمس ولكنها لا تهمل عملها مثل بعضهم لقد أرسلت شقيقها ليكمل الاتفاق .. أرسلته ينير السماء .. لأنها تعرف أكثر منك ومنى الجهد الذى ينبغى بذله ليكسب الإنسان زكبية كاملة من الحبوب الجيدة .. هيا .. أكمل الاتفاق لتأخذ أجرك وإلا فلا أجر لك عندي .

ولم يكن أمام الشاب بدأ من الإذعان حتى لا يفقد أجره .. فعاد إلى الحقل وهو يكاد ينفجر غيظاً وتأكد أنه وقع فريسة محتال كاذب .. لكنه مع ذلك مضى يعمل حتى أتم حصاد الحقل كاملاً والقمر على وشك المغيب هو الآخر .. فمضى إلى حيث (أبو الغيطان) ليطلب أجره .. وكان (أبو الغيطان) يحس إحساساً شريراً بالانتصار على ذلك الفلاح الغريب .. الذى تقدم منه وهو يغلى قائلاً : هيا أيها الرجل .. أعطنى أجرى قبل أن انفجر من الغضب .

وملاً له (أبو الغيطان) زكبية بالحبوب .. وما كاد يربطها حتى فك الشاب زكبية أخرى مثلها وفتحها أمامه طالباً منه أن يملأها هي الأخرى ..

لكن (أبو الغيطان) قال له فى غضب :

ما هذه .. لقد اتفقنا على زكبية واحدة .. هل نسيت! وهنا تناول الفتى منجله ولوح به مهدداً فى غيظ أمام عيون (أبو الغيطان) الذى اصفر وجهه واخضر وهو يسمع كلمات الفتى الغاضبة تقول :

اسمع .. هذه الزكيبة شقيقة تلك الزكيبة .. إن كنت لا تعرف ..
فإذا كانت الشمس قد أرسلت شقيقتها لينتظر انتهائي من عملي، فهذه
جاءت بناء على طلب من شقيقتها لكي تساعدنا في حمل أجرى ..
أتفهم؟ أم أنك تريد أن يشرح هذا المنجل لعقلك ، مقدار ما بذله من
جهد في حصاد حقلك! هيا ولا تضيع من صبرى أكثر من ذلك !

ونظر (أبو الغيطان) إلى المنجل المشهر الذي كان يلمع في ضوء
شقيق الشمس الذي كان يريد اللحاق بشقيقته .. وتحسس في الضوء
الخافت تلك الزكيبة وملاها وهو يرتجف من الخوف .. فقد كانت هذه
هى المرة الأولى فى حياته التى يواجه فيها مناجل تتحدث وتنطق
رغم أنها تعمل دائماً فى صمت ..

ورفع الشاب الزكيبتين فوق ظهر حمارته وعاد إلى قريته وهو يغنى
سعيداً .. فقد اختصر نصف الوقت إلى منطقة البساتين .. واختصر
الطريق كله للحصول على أجر كامل لأول مرة!!



العصاية .. الخرزان

زمان .. ونحن صغار مازلنا نلعب فى حوارى ودروب قرينتنا «ميت سلسيل» .. كنا نشاهد رجلاً غريباً يجرى ، دائماً يجرى .. وكأن أحداً يطارده .. أو كأنه يتلقى ضربات خفية فوق رأسه .. كان اسمه «المهوف» وإن كان بعضنا ينطقها «المهوف» .

ولما سألنا من هم أكبر منا سنا ، ويعرفون أكثر منا .. قالوا لنا :

- للحكاية بداية .. يوم عثر «المهوف» على قرش كامل فى التراب .. وهذا حادث غريب .. فأنت لا تعثر أبداً على نصف قرش فى جيوبنا إلا يوم العيد .. وكان «المهوف» عثر على قرش كامل .. وفى التراب .. وفى غير موسم القروش! .. وأخذ «المهوف» يفكر ويفكر .. ثم قرر أن يشتري بالقرش شيئاً ليأكله ، بشرط أن يكون كثير العدد ، ليبقى معه أطول مدة ممكنة .. ولأنه لا يمكن أن تشتري شيئاً نأكل منه إلى آخر العمر بقرش واحد .. حتى لو عثرت على هذا القرش فى تراب القرية ، سلم المهوف أمره إلى الله واشترى بالقرش «فول سودانى» وأخذه وذهب بعيداً ليأكله على حافة بئر مهجور لكى لا يزعجه إنسان أو يقطع عليه أحد لذة استمتاعه بأول وآخر قرش يعثر عليه فى تراب الأرض .

وقبل أن تدخل حبة الفول إلى فمه كان يتأملها ويتغزل فيها ويشمها .. حبة وراء حبة ، وكلما نقص عدد الحبات كلما طال وقت التأمل فيها

والإعجاب بها .. حتى كانت آخر حبة .. فأخذ يقلبها ويديرها في كفه
وبين أصابعه كأنه يودعها قبل أن يبلعها .. وفجأة .. أفلتت الحبة من
بين أصابعه وسقطت في البئر محدثة رنيناً (تلق لق لق) وذهل
«المهوف»، وكاد أن يغمى عليه من الحزن والقهر لأنها كانت الأخيرة
.. وكان يستعد لها بكل جوارحه، فانفجر يبكي ويصرخ كالمجنون ..
ويحلق في الماء من بين دموعه باحثاً عنها وهو ينوح باكياً.

يا فولتى يا فولتى .. يا مشبعة جوعتى

ولما زاد غيظه واشتد قهره اندفع يقذف الأحجار في البئر بقوة
وغيظ وكأنه يريد أن يقتل البئر الذى اختطف منه حبة عمره .

وعند ذلك خرجت إليه من الماء (حورية مسحورة) ذات شعر
طويل، تفرك عيونها كأنما استيقظت فجأة من نوم طويل، ولا تقدر
عيونها على مواجهة الضوء .. وقالت له :

- لا تحزن يا ملهوف .. حبة وضاعت .. أنا آسفة .. ولكن كف عن
البكاء ولا تزعجنى أكثر من ذلك .. خذ عوضك عن حبتك الملعونة ..
هذه الصينية المسحورة واطلب منها ما تشاء كلما أحسست بالجوع
وسوف تقدم لك كل ما تشتهييه .. والآن سأعلمك كيف تغنى لها ..
ولكن على شرط أن تذهب من هنا وتكف عن إزعاجى فإننى فى حاجة
إلى النوم .

ولم يصدق «المهوف» عينيه ولكنه وجد الصينية بين يديه بالفعل،
فقال فى صوت خائف يعيد ما علمته الجنية قوله، وهو لا يصدق :

يا برام .. يا برام .. هات لى جوزين حمام

وكاد يجن حين لسع كفه زوج الحمام الساخن الذى لم يعرف طعمه
طوال حياته .. وما أن تأكد .. حتى التهمه على الفور..

هم .. هم هم ..

وما كاد ينتهى حتى صاح :

يا صينية يا صينية .. أعطينى رز وشعرية

وعليه انقض الملهوف (حتتك بتتك!!) وشبع الرجل واستقام عوده
.. وضحك .. لقد أصبح رجلاً آخر يجرى فى عروقه دم حقيقى .

والناس يقولون .. أطعم الجعان يصبح من الجان ..

وذهب «الملهوف» إلى الحمام ..

وهكذا قالت خالتي وهى تحكى لنا «أن خيبة، الملهوف تغلبت عليه
والناس يقولون «الخائب خائب حتى ولو صار نائب» .

وفى الحمام قابل صاحب الحمام .. وقال له وهو يخلع ملابسه
ويتركها مع الصينية أمانة عنده .

- اسمع .. هذه صينية مسحورة تبرق كالبنورة .. إياك أن تسرقها ..
أو تضع مكانها صينية تشبهها فأنا أعرف صينيتى جيداً .. لأننى أغنى
لها وأطلب منها أى صنف من الطعام وهى تعطينى فوراً ما أطلبه ..
هيه .. احذر أن تقترب منها وإلا شكوتك إلى صديقتى الحورية الجنية .

واعتقد صاحب الحمام أن صاحبنا مجنون بالتأكيد .. ولم يصدق
حرفاً مما سمع .. وبعد قليل بدأ الفأر يلعب فى عبه - ماذا لو كان كلامه
صحيحاً؟ هل أضيع فرصة عمرى .. وقال لنفسه أيضاً:

«جرب فلن تخسر شيئاً ولن يراك أحد فيضحك منك!» .

وطبعاً أنتم تعرفون الباقي وماذا سيفعل صاحب الحمام بالضبط..
لقد نصحه «المهوف»، ودله على ما يجب عمله و «أهبل»، من لا يقبل
النصيحة .. ولا من شاف ولا من درى .. وعندما حان وقت العشاء
اكتشف «المهوف»، طبعاً أن الصينية مزيفة وأنها لم تعطه شيئاً ..
فأسرع إلى البئر يبكي ويشكو وينوح:

يا فولتى يا فولت .. يا مشبعة جوعتى

وخرجت الحورية .. وهى تلعن اليوم الذى فيه أكلت حبة فول
سقطت على رأسها وأيقظتها من نوم طويل طويل .. وسألته وهى
غاضبة:

- ماذا حدث يا رجل .. ألم أعطك الصينية المسحورة لقاء فولتك
الملعونة .. فأخذ يحكى وهو يبكى .. ويبكى وهو يحكى ..
فأسكتته فى غضب وقالت له :

- خذ .. هذا متر مسحور من خشب الحور .. كل ما ستطلبه من
كساء سيعطيه لك، ولكن احذر أن يضيع منك مثلما ضاعت الصينية ..
وإلا ... وجرب «المهوف»، متره المسحور..

يا متر أبو الحرير.. اكسبنى غطينى

واحمينى حر الهجير..

أو.. يامتر يا أبو الصوف.. اعمل معى معروف..

ريشنى مثل الطير..

ولكنه ذهب إلى الحمام مرة أخرى .. ودخل هذه المرة «مختلاً»،
ليغيب صاحب الحمام بملابسه الجديدة ولكن صاحب الحمام - سألته عن

سر هذا المتر الخشبي الذي يحمله .. فأنكر «المهلوف» أن به أى شىء
غريب أو أن له ميزة ما..

- آه .. أنت تظن أننى أخدعك أبداً والله .. فأنت لو قلت له أى أغنية
فلن يعطيك شيئاً .. وتظاهر صاحب الحمام بتصديقه .. وطمانه قائلاً:
- أنا على الأقل لا أعرف الأغنية ..

وابتسم «المهلوف» .. قائلاً وهو يصفق :

- أنت تريدنى أن أقول لك .. أبداً.. ليست هناك أية أغنية ولو
جلست طوال النهار تقول له :

يا متر يا أبو الصوف .. إلخ.. فلن يسأل عنك حتى بقصقوصة ..
ودخل الحمام سعيداً بنفسه لأنه لن يخدع هذه المرة .. وصاحب الحمام
لم يعرف منه السر وطبعاً .. حدث ما تفكرون فيه بالضبط ..

خرجت الحورية وهى لا تكاد ترى من الغضب وقلة النوم، وابتسمت
فى غيظ وقالت :

- الثالثة ثابتة يا صاحبى .. لم يبق عندى سوى العصا .. ولا بد أنها
خير لك من الصينية ومن المتر .. خذها .. ففيها الخير الذى لا يرضى
أحد أن يسرقه منك.

وفرح صديقنا وأخذ يغنى للعصا كما علمته الحورية:

يا عصايا خرازانى .. لفليفينى ع البيانى

بالطبله والنقرازانى .. رجعى لى عقلى تانى

واشتغلت العصا .. وأخذت تدور حوله وتلسه في كل مكان من
جسمه فصاح وجرى مذعوراً يحاول الهرب منها، دون فائدة ، ظلت
تطارده وتضربه دون توقف .



ومن يومها وصاحب الفولة يجرى .. ويقفز .. كأن أحداً يطارده ،
هكذا قالت لنا خالتي وهي ممن هم أكبر منا ويعرفون عنا .. ولكن
أحداً لم ير الصينية المسحورة ولا رأى أحد المتر المسحور .. وإن كان
الكثيرون يرون العصا التي تطارد «المهوف» .. وأحياناً ما تطاردهم هم
أنفسهم ، وهذا والله شيء غريب .. ولكنها حدوته .
وكم في الحواديت وعالم الحواديت من غرائب .



المعزة والوزة . . والحمار!!

كان فى حقلنا ثلاثة أصدقاء : أوزة وعنزة وحمار، وكانوا يسكنون معاً فى بيت صغير على شاطئ النهر الكبير.

كانت العنزة تحب العمل وتخرج كل يوم إلى الحقول وتعود بحمل كبير من البرسيم .

وكانت الأوزة تنظف البيت وتنقل الماء إليه من النهر .

أما الحمار فكان يحب اللعب ، ولا يعمل شيئاً، كان يجرى ويلعب طوال النهار ، يطارد الفراشات الملونة، ويزعج العصافير الصغيرة ، ثم يطلق نهيقه المزعج عالياً فيخيف الضفادع والفراريج والبط السابح فوق الماء . وكان عندما يشعر بالجوع .. يعود مسرعاً ليأكل الطعام الذى أحضرته العنزة أو جهزته الأوزة .

ذات يوم قالت العنزة :

- لقد وجدت قطعة أرض خصبة وقريبة من النهر هيا بنا نزرعها،
فيكون لدينا طعام فى كل وقت .

قالت الأوزة بفرح :

- جميل أن تكون لنا أرض نزرعها بأنفسنا .

فقاطعها الحمار ناهقاً :

- لا . لن نزرع أرضاً ، الأرض المزروعة كثيرة والطعام فى كل مكان، لماذا نتعب أنفسنا؟ الطعام وفير واللعب أجمل.

قالت العنزة :

- أنا أتعب كثيراً فى إحضار طعامنا .

وقالت الأوزة :

- وأنا أتعب فى طبخه وأحياناً لا أجد بصلاً أو ثوماً، أو ...

رد الحمار فى غضب :

- أنا أيضاً أتعب كثيراً فى أكل الطعام ، أتظنون أن التهام الطعام

عمل بسيط ..

غضبت العنزة وقالت :

- سوف نزرع الأرض.

وقالت الأوزة :

- نعم سنزرع الأرض.

واستأجروا حراثاً ليحرق لهم الأرض، قال الحراث عندما شاهد

قطعة الأرض:

- هذه أرض جيدة وسأحرقها لكم فى ثلاثة أيام مقابل أن تعطونى

طعاماً لثلاثة أيام .

وبدأ الحراث العمل وكان يغنى دائماً وهو يسوق المحراث :

يا محراثى هيا هيا .. الأرض تنتظر الربأ ..

وفى اليوم الأول ..

حلبت العنزة اللبن ، وذهبت به إلى الحراث، كان الحراث متعباً
فشرب اللبن وارتاح، وشكر العنزة وعاد للعمل والغناء حتى المساء .

وفى اليوم الثانى ..

عاد الحراث إلى العمل والغناء ، كان يغنى وهو يعمل :

هيا هيا يامحراثى .. إن حياة الأرض حياتى ..

جمعت الأوزة ما عندها من بيض، وذهبت به إلى الحراث ، كان
الحراث جائعاً فأكل البيض وشكر الأوزة .

وفى اليوم الثالث ..

تأخر الحمار كثيراً على الحراث ، ظل يلعب فى الطريق ولم يذهب
للحراث بأى طعام أو شراب ، وظل الحراث شديد الجوع والعطش ،
فأخذ يغنى وهو يعمل :

يامحراثى شق الأرض .. أين اللبن، أين البيض؟

أخيراً ذهب الحمار إلى الحراث ، واقترب منه يسأله عما يفعل .
وسأله الحراث عن الطعام ، لكن الحمار لم يجب وإنما ضحك ساخراً فى
وجهه بطريقة مزعجة ، فتناول الحراث عصا وضربه . ومرت الأيام ..

بذرت العنزة البرسيم فى الحقل ، وروت الأوزة الحقل بالماء ..

ومرت الأيام وظهر البرسيم أخضر طرياً وأخذ يكبر شيئاً فشيئاً .
فرحت العنزة ورقصت الأوزة، وكذلك فرح الحمار .

فرحت العنزة لأنها زرعت الأرض برسيماً وظهر البرسيم وكبر .
ورقصت الأوزة لأنها روت البرسيم فاخضر وعلا .. وفرح الحمار لأنه
طبعاً سيأكل البرسيم .. وقال الأصدقاء الثلاثة :

- لا بد أن نحرس البرسيم ، لقد تعبنا وحرثنا وبذرنا وروينا وعلينا أن نحرس ما تعبنا فيه ..

قالت العنزة :

- نحرس البرسيم حتى لا يذهب تعبنا هباءً.

قالت الأوزة :

- نعم ، هناك غريان وفئران وأرانب كسولة لا تفعل شيئاً ولا بد أن نحرس حقننا منها حتى لا يذهب تعبنا في الهواء .

قال الحمار :

- نعم، لقد تعبنا كثيراً ويجب أن نحرسه من الأعداء .

وفي اليوم الأول ..

ذهبت العنزة وأبعدت الجرذان والغريان والأرانب، وكانت نشطة ومفتوحة العينين ولم تأكل من البرسيم شيئاً بل أكلت من الحشائش المحيطة بالحقل وهي تنظف الجسور.

وفي اليوم الثاني ..

ذهبت الأوزة وأبعدت الجرذان والغريان والأرانب وكانت نشطة ومفتوحة العينين ولم تأكل من البرسيم شيئاً؛ بل أكلت من الحشائش المحيطة بالحقل وهي تنظف الجسور.

وفي اليوم الثالث ..

ذهب الحمار وأخذ يلعب مع الأرانب ويرقص مع الفئران ويطارد الغريان، وطبعاً كان الجميع يغافلون ويأكلون ما يريدون، ودهش الحمار عندما التفت، فوجد معظم البرسيم قد أكل.

... وعرف الحمار أن الجرذان والغريان والأرانب استغفلته وأكلت معظم البرسيم من وراء ظهره فما كان منه إلا أن قال :

- لم يبق في الحقل إلا ما يكفيني، وأحسن شيء أفعله هو أن آكله، أحفظه في بطني حتى لا يأكله غيري، إنها فكرة عبقرية. ثم هجم على ما بقي من برسيم وبلعه كله.

وفي اليوم الرابع ..

ذهب الأصدقاء الثلاثة إلى الحقل ليحصدوا ما زرعوا ، كانت العنزة سعيدة والأوزة فرحة والحمار صامتا ، وداعبته العنزة قائلة :

- لماذا أنت حزين؟ هل لأن الوقت قد حان لتفعل شيئاً مثلنا؟ لا تحزن فلن نحمالك أحمالاً ثقيلة ، وسننقل المحصول على دفعات صغيرة، حتى لا نرهق جسمك الرقيق يا صديقي. ضحكت الأوزة؛ لكن الحمار لم يضحك ، لأنهم كانوا قد وصلوا إلى الحقل، ولما شاهدوا المنظر ، بكت الأوزة وصاحت العنزة غاضبة:

- من أكل برسيمنا!؟

أسرع الحمار ينفي التهمة وصاح كاذباً :

- أنا لم أكل شيئاً ، لم أذق عودا واحدا.

قالت العنزة :

- أنا لا أتهم أحدا منا.. ولكن أحدنا أهمل إهمالاً كبيراً ويجب أن يعترف على الأقل لنظّل أصدقاءً.

وقالت الأوزة :

- نذهب إلى النهر ليحكم بيننا، وليعترف له كل واحد منا بالحقيقة،
والصادق هو الذى سيعبر النهر بقفزة واحدة. هذه طريقة علمتني إياها
جدتي.

وافقت العنزة وابتسم الحمار وقال لنفسه : خرافة من خرافات
الأوزة، إننى سأعبر النهر بنصف قفزة واحدة، ووافق.
وقف الأصدقاء الثلاثة على ضفة النهر وصاحت الأوزة :

- يا نهر، يا كبير، يا صاحب الضفتين، كاك كاك .. أنا أقول
الحقيقة، لا أكلت ولا شربت ولا خنت العنزة الصديقة، فاجعلنى أعبّر
فى قفزة لا قفزتين .. كاك كاك .

وتراجعت إلى الورا، ثم رفرفت بجناحيها وطارت إلى الضفة
الثانية لأنها كانت صادقة . وجاء دور العنزة فقلدت الأوزة وصاحت :

- يا نهر يا كبير، يا صاحب الضفتين ماء.. ماء .. أنا أقول
الحقيقة .. لا أكلت ولا شربت ولا خنت الأوزة الصديقة، فاجعلنى أعبّر
فى قفزة لا قفزتين ماء .. ماء .

تراجعت إلى الورا ثم أغمضت عينيها وقفزت برشاقة إلى الضفة
الثانية لأنها كانت صادقة .

وابتسم الحمار فى خبث وقال لنفسه :

- أنا أقوى منهم وأقفز أعلى وأبعد، وما على إلا أن أفعل مثلهما
وسأظهر كالصادقين . وضحك وهو يردد ما سمعه، ثم تراجع إلى
الخلف مغمض العينين مثلهما وقبل أن يقفز، تعثر فلم تحمله القفزة إلا
لمنتصف النهر، وسقط .. فقد كان من الكاذبين، وحمله التيار بعيدا ..
بعيدا..

رجعت العنزة مع الأوزة إلى البيت وهما حزینتان لأن صديقهما
كذب عليهما وأخذہ التيار. قالت الأوزة :

- نحن لم نحرمه من طعامنا .

وقالت العنزة :

- كان سيأخذ نصيباً من البرسيم مثلنا ، لأنه صديقنا .

وقالت الأوزة ، وهي تبكى :

- لقد كذب وأخذ التيار صديقنا الحمار الحمار .

وفي الليل .. دفع التيار بالحمار إلى ضفة النهر، فقال وهو الذي
كان يوشك على الغرق :

- لقد كذبت على أصدقائي ، آه من قلة وفائي ومن غبائي ، تعبوا
وارتحت أنا، وزرعوا وأكلت أنا ، لذلك نجوا وسأموت أنا من البرد، إن
نجوت من الغرق، أنا الكسول الكاذب أقسم لو خرجت ونجوت ، فسوف
أذهب إليهما وأعتذر، وسأعمل مثلما يعملون ولن أكل ما يزرعون .

في تلك اللحظة كان الذئب يسير على الشاطئ فسمع الحمار يصرخ:

- أنقذوني ، أخرجوني من الماء ، قبل أن أموت من البرد، يا أهل

الخير.

قال الذئب :

- رزق أرسله النهر إلى .. يا حسن حظي !!

ثم رفع صوته وقال :

- أيها الحمار الغريق ماذا تعطينى إذا أخرجتك من الماء؟

قال الحمار :

- أخرجنى وكلنى بدلاً من أن أموت من البرد .

فرح الذئب وقال :

- عظيم أيها الحمار العظيم، سأنقذ حياتك وأخذها ..

قال الحمار :

- موافق خذها بثمنها .

وشد الذئب الحمار من الماء وأخرجه وهو يرتعش من البرد، وكشر الذئب عن أنيابه واستعد للوليمة، لكن الحمار قال له فى رجاء :

- لحمى سيكون مرأ إذا أكلتنى وأنا بردان ، أشعل لى النار وأدفننى ليكون لحمى لذيذاً كلحم الحمير الساخنة .

وأشعل الذئب ناراً، فجرى الدم فى عروق الحمار وقال للذئب :

- هيا يا صديقى كلنى، لأنى أستحق الأكل، فقد كذبت على أصدقائى .

واقترب الذئب مكشراً عن أنيابه فى زمجرة الجائع . لكن الحمار قال مرة أخرى فى رجاء أكبر :

- لحمى سيكون رديئاً لو أكلتنى وأنا خائف ، لأن دمي يهرب عندما أخاف ، فلا تأكلنى من الأمام ، غافلنى واهجم على من الخلف حتى لا أرى أنيابك الحامية .

وضحك الذئب ووافق ، ودار حوله وهو يقول :

- حمار ظريف ، لا بد أن لحمه لذيذ مثل كلامه البسيط . ثم هجم عليه من الخلف هجمة ذئب جائع .

لكن الحمار تلقاه برفسة حمار مهدد بالموت ، وكانت رفسة شديدة محكمة أطارت أسنان الذئب وطيرته في الهواء وألقت به في النهر . وجرى الحمار ضاحكاً ناهقاً إلى بيت أصدقائه وهو يغنى :

يا أصحاب يا أصحاب .. صاحبكم هذا الكذاب ..

بعد عذاب عاد وتاب .

مأمات العنزة مرحبة ، ورفرفت الأوزة سعيدة ، وأحضروا له طعاماً فقال وهو يأكل :

- لولا أنى جائع لما أكلت ، لأننى لا أستحق اللقمة ، لكن فى الغد، سأحرث الحقل بنفسى لأستحق حبكم، ولن أكذب مرة أخرى ، فقد علمنى النهر أن الكذب أشد من البرد .

حظك . يا عبد القادر

فى قرينتا يسأل الناس هذا السؤال لمن كان حزيناً دون سبب واضح،
أو مكتئباً والناس فرحون (لماذا تحمل عبد القادر؟)

فما هو سر هذا الـ (عبد القادر) وما حكايته ولماذا يعتبر أهل قرينتا
(حملة) دليلاً على نكد الطالع وسوء الحظ؟

حملت تساؤلى هذا إلى رجل حكيم من أهل قرينتا (ميت سلسيل)
كنت أثق فى حكمته وعقله ، اسمه عم الصديق الصحصاح ، وهو رجل
عنده خبرة طويلة بالحياة فقال لى :

- حكاية عبد القادر هذا حكاية طريفة فيها عبرة ظريفة .. تقول إنه
كان فى زمان قديم ، قبل أن ينتقل بعيداً عن قرينتا شاطئ البحر
العظيم .. كان يعيش أخوان شقيقان ، من أم واحدة وأب واحد .. وكانا
يتيمين .. لكن أحدهما ، وهو عبد الله الكبير كان رجلاً نشيطاً من
التعب لا يستجير ، أما شقيقه عبد القادر ، فكان كسولاً ، لا يحب
العمل .. خيبته كخيبة الأمل التى يضربون بها المثل حين تتركب
الجمل؛ ولذلك فقد كانت أرضه بخيلة لا تعطيه قمحة ولا قطنة ولا
حتى نجيلة!

أما عبد الله فكان سعيداً له زوجة وأولاد .. يحبه سائر العباد ..
ويغنى بذكره الناياتى والعواد ..

وذات يوم ذهب عبد القادر لأخيه عبدالله .. يسأله بما معناه :

- لماذا أنت سعيد ، وأنا تعيس وحظى بليد؟ لماذا حظنا مختلف مع
أنا شقيقان من أب واحد وأم واحدة .. إن عنزتك لا يعوقها عائق وأنا
عنزتي سقطت من حالق؟ .. حمارك قوى سريع كأنه مهر رضيع، وأنا
حمارى أزعر أجرب وغبى لا يعرف طريق البيت ولا الغيط .. وإن
ركبته قمص بى ورماني عن ظهره، وجعل الناس تسخر منى ، بينما
حمارك ينهق كأنه يغنى .. هل تعرف سر هذا النحس ، وسر حظى
التعس؟

ضحك عبد الله وكان يعرف أخاه جيداً:

- يا أخى ما دمت تتحدث عن الحظ فاعلم أن حظى يحب العمل
والكد والتعب، ولذلك فهو يساعدنى فى كل شىء من عزق الأرض إلى
حصد النباتات .. أما حظك فيبدو أنه كسول نائم فى مكان ما ، تحت
شجرة ما ، فى أرض ما، يحلم بالطعام والشراب والنكات ..

نظر عبد القادر فى وجه أخيه وقال :

- هل تتكلم الجدد؟

ضحك عبد الله فى وجه أخيه وقال :

- طبعاً ، كل حظ يشبه صاحبه يا أخى، فابحث عن حظك وستجده
مثلك يفضل النوم والكسل على شهد العسل ..

وهنا قرر عبد القادر مقسماً بأغلظ الإيمان .. أن يذهب للبحث عن
حظه النائم، ليجبره على الصحيان .. وتغيير حياته ومساعدته فى أى
مكان كان!

وانطلق على الفرر بحث عن حظه..

وفي تلك الأيام، كانت الدنيا غير الدنيا .. فمضى عبد القادر يقطع الصحارى والجبال، مرة في الحقيقة ومرة في الخيال .. وفجأة طلع عليه سبع مهول.. كأنه غول وزمجر وهو يقول :

- إلى أين يا شملول؟ ومن أنت؟ أجب بسرعة فأنا جائع وأكول..

ارتعدت ركب عبد القادر وسابت ، وارتعشت شفتاه وقالت:

- أنا عبد القادر المنحوس، كنت في طريقى للبحث عن حظى النائم، لأسأله عن سر تعاستى وخيبتى ونحسى الدائم.

فكر السبع قليلاً ، ونظر لعبد القادر من فوق إلى تحت .. ثم انهار باكياً.. وابتدأ ينهه شاكياً :

- أرجوك .. إن وجدت حظك فاسأله نيابة عنى .. عن سر آلام بطنى فأنا فى الحقيقة تعبان .. ومن حياتى زهقان .. فكل ما آكله يؤلمنى حتى الفئران .. ولذلك أنا دائماً جوعان .. وسآلك الآن إلا إذا وعدتنى وعد الجدعان .. أن تسأل حظك عن دواء لبطنى يذهب المغص عنى!

وفرح عبد القادر وأقسم أن يسأل حظه عندما يجده عن دواء للسبع ، الذى تركه يمضى ويكمل طريقه وهو يبلى ريقه..!

وسار عبد القادر طويلاً ، حتى وصل إلى حقل لا نبات فيه إلا قليلاً .. وهناك وجد رجلاً عجوزاً وامرأة عجوزة وفتاة جميلة كالموزة أو كاللوزة .. وكان الثلاثة يبكون ومن التعب والحزن لا يتحركون .

حياهم .. فحيوه . طلب منهم أن يشرب فسقوه .. وقال إنه جائع ،
فأطعموه ..سألهم :

- لماذا تبكون يا أكرم من قابلت؟

أجابوه :

- لقد خدعنا من باع لنا هذا الحقل ، مع أننا دفعنا فيه كل ما نملك
من مال وعقار ، وها نحن نشغل فيه من أعوام ، ليل نهار .. دون أن
نحصل منه على شيء إذ تموت البذور وتحترق الأشجار .. ولا ندري
السر وراء هذا .. إلا إذا كان الحظ قد تخلى عنا .. أو أننا لاحظ لنا على
الإطلاق.

قال عبد القادر :

- ما أعجب هذا الاتفاق .. أنا أيضاً لى حظ ولكنه نائم وأنا ذاهب
للبحث عنه ولو كان فى بلاد واق الواق .. فاسمحوا لى أن أعمل معكم
معروفاً .. وأسأله نيابة عنكم ، عن حظكم الذى ضاع ، فأنتم أصدقائى
أيضاً .. كملك السباع ..

فرح العجوز والعجوزة .. وفرحت الفتاة التى كالموزة أو اللوزة ..
ودعوا له طويلاً أن يسدد الله خطاه .. وأن يصل إلى مبتغاه .. وحملوه
بطعام وشراب .. وقالوا له إنهم سوف ينتظرونه مهما غاب.



واصل عبد القادر مسيرته الطويلة .. حتى وصل إلى أسوار مدينة
جميلة .. وبينما هو يتأمل أشجارها المثمرة ، وبنائاتها العالية وجداولها
الجارية ، وسورها الضخم العظيم ، انقض عليه الحراس المسلحون

وساقوه مكبلاً برعبه الأليم وبالقيود ، إلى حيث قصر الملك ، وعبد
القادر موقن أنه قد هلك .

قاد الحراس عبد القادر إلى قاعة العرش على الفور ورجلاه لا
تقويان على حمله ، وقلبه يكاد ينط إلى رجله .

ولما دخل إلى قاعة العرش اطمأن قليلاً ، عندما شاهد الملك يبتسم ،
واطمأن أكثر عندما سمعه يقول :

- أهلاً وسهلاً يا عبد القادر .

خر عبد القادر على ركبتيه وهو يقول في فرح :

- هل تعرفنى يا مولاي!؟

فأجاب الملك وهو يشير إليه أن ينهض فهو ضيف الملك :

- وهل يجهل أحد سر رحلتك بحثاً عن حظك النائم ، نحن كنا في

انتظارك لنسألك بدورنا عن حظنا ..

اتسعت عينا عبد القادر من الدهشة فهذه عجيبة ، أن يضيع حظ

من يملك مثل تلك المدينة الجميلة .. وأخذ يتعجب من تصاريف

الحظوظ .. وقال :

- تسألنى أنا المتعوس يا مولاي ..

قال الملك :

- نعم .. أنت متعوس وأنا أتعس منك ..

تدلى لسان عبد القادر ولكنه بلعه بسرعة والملك يكمل :

- أريدك أن تسأل حظك عن سر تعاستى رغم جمال مدينتى وحب
رعيتى وعدالة حكومتى ثم رق صوت الملك، وهو يقول وفى عينيه
نظرة لا تشبه نظرة الملك :

- هل ستفعل وتسال يا عبد القادر؟

خر عبد القادر وانحنى وهو يقول :

- طلبك أمر يا مولاي .. وسأسأله لك قبل أن أسأله لى ..

قال الملك وقد عاد صوته أجشاً:

- اذهب فى أمان .. واعلم أننا هنا فى انتظارك ومعك الجواب ..
مهما طال الغياب !



وذهب عبد القادر .. عبر صحارى وقفار .. وصعد جبالا وتلال ..
وقطع وديانا وأنهار ..حتى كاد من التعب أن ينهار ويعود للديار . لولا
أن وقعت عيناه على (حظه) نائماً تحت شجرة وارفة الظلال ..

ووقف عبد القادر يتأمله فى حيرة .. كان شبهاً كالخيال عارٍ إلا من
ثياب قدرة كالأسمال .. شعره ملبد كشعر قرد لا يستحم .. يتشاءب وهو
نائم .. المهم .. أنه كان حظاً تعساً بليداً .. كسولاً .. ولكن هل يمكن
لعبد القادر أن يغير حظه بعد كل هذا الرحيل .. تقدم وأيقظه فى قرف
وهو ينهره .. قائلاً :

- هيا أيها التعس لقد آن أوان العمل .. عسى أن يكون هناك أمل، فى
أن يغير الواحد منا الآخر .. قم بسرعة .. إن حظ أخى يخدمه ويجلب

له السعادة وأنت تنام هنا كالطوبى .. لأعيش أنا فى تعاسة .. قم وإلا
ألهبت ظهرك بالعصا .. وأخذ يلكره ويهزه ويؤنبه ويؤدبه حتى قام
حظه متملماً متثائباً يفرك عينيه فى كسل :

- ولم أتعبت نفسك يا عبد القادر؟ لم تتسكع فى الدنيا شرقاً وغرباً؟ ..
وتضحك عليك الذى يساوى درهماً والذى لا يساوى .. هل أنت تحب
التعب؟ تعبك لا فائدة منه .. فالحظ لا يحب إلا المجتهدين الكادحين
وما كان عليك أيها الغبى الكسول إلا أن تجلس تحت شجرة مثلى وتنام
.. هناك فى بلدك البعيد بدلاً من هذا التعب .. حرام والله حرام ..
ضيعت وقتك بلا فائدة .

وجم عبد القادر وغضب وهجم عليه يريد أن يخنقه؛ ولكن الحظ
النائم كان قوياً فلوى ذراعه وأجلسه قائلاً:

- اهدأ .. قلت لك لا فائدة وإن كنت أرى أنك مهتم لدرجة أنك تريد
قتلى .. قل لى . ماذا رأيت فى الطريق؟ ومن قابلت؟ .. وهل صادقت
أحداً؟ أو صادفت من صادقك؟ قل .. فقد نجد لك حلاً فيما تريده
منى؟

وحكى له (عبد القادر) الحكاية كلها .. من البداية حتى المنتهى ،
وكان حظه يسمع والنوم يغالبه .. ولكن يبدو أن فى الحكاية شيئاً
أعجبه، إذ طرد النوم وقال:

- على كل حال .. أنت لست شيئاً إلى هذه الدرجة .. فقد قطعت
مسافة كبيرة وملأت قلوب بعض الناس والحيوانات بالأمل . وهذا يعنى
أن فىك بعض الجوانب الطيبة، التى قد تساعد على تغيير حالك ..

سأخبرك بما تقول لأصدقائك .. ولكن الباقي يعتمد عليك وعلى ذكائك .. فانتبه ولا تضيعه كما ضيعت وقتي و كما ضيعت وقتك في هذه الرحلة التي لم يكن لها أي داع .. فاسمع!



وبعد أن انتهى الحظ من حديثه ، تمدد مرة أخرى ، بعد أن تثناءب، تحت الشجرة الظليلة وراح في النوم في الحال .. وارتفع شخيره يملأ الوادى ويتردد صدها بين الجبال .. وحاول عبد القادر أن يوقظه ليسأله عن مستقبله بصورة أوضح .. ولكن هذا كان من المحال .. فعاد أدراجه حزينا .. حتى وصل إلى المدينة الجميلة التي يحكمها صديقه الملك .. وبعد أن قاده الحرس إلى حيث كان الملك منتظراً ليعرف سر تعاسته! تكلم عبد القادر قائلاً للملك :

- لقد كشف لي حظي عن سر حزنك .. وتعاستك يا مولاي .. وأنت وحدك الذى تستطيع أن تغير ذلك وبنفسك .. إنك تعيش حياة غير حياتك .. حارماً نفسك من كل شيء فى سبيل أن تظل الملك الشجاع المهاب المحارب .. وأنت يا مولاي أرق من ذلك وأجمل .. لأنك فتاة جميلة رقيقة ولست ملكاً جهماً كما تبدو ..

ابتسم الملك .. ونزع تاجه ..

ووسط شهقات الجميع ، تهدلت جداول الشعر وضحك الملك (الملكة) ضحكة صافية من القلب .. وقال - أقصد - وقالت :

- معك الحق يا (عبد القادر) ، ولأنك أول من عرف سرى .. فلتكن زوجى وملك مملكتى ..

وذهل (عبد القادر) .. إذ سيصبح (الملك عبد القادر) .. على مدينة جميلة وقصور وجداول .. وعرش ومملكة ذات جدائل .. وأخذ عبد القادر يستعيد كلام حظه غير الواضح .. وقال للملكة:

- الحقيقة أنا أشكرك يا مولاتي ولكنى أريد أن أعود لأن حظى فى انتظارى .. لقد قال لى بنفسه إن رحلتى كلها كانت بلا فائدة .. وإننى سأقابل حظاً كبيراً .. فاسمحي لى بالعودة حتى لا أخيب ظن حظى .
وترك عبد القادر الملكة والمملكة .. وسار عائداً ..

ووجدتنى أهمس (لعم الصديق):

- خيبتك ثقيلة يا عبد القادر!!

ولكن (عم الصديق) الذى لم يكن يريد قطع الحكاية .. استمر يحكى وكأنه لم يسمع ما قلته ..

ولما وصل عبد القادر إلى حيث العجوز والعجوزة والفتاة التى تشبه الموزة أو اللوزة .. قابلوه مرحبين فرحين وسألوه :

- بماذا أجاب الحظ يا عبد القادر .. وهل ذلك على حل لجذب أرضنا وضياع جهدنا ..

ضحك عبد القادر وقال :

- إن حظاً كبيراً ينتظركم .. مثل الذى ينتظرنى هكذا قال حظى .. فأحد الملوك القدامى دفن فى أرضكم هذه أربعين جرة كبيرة من الذهب مليئة باللآلىء والجواهر .. خوفاً من الأعداء وعليكم أن تخرجوها .. لتصبح أرضكم غاية فى العطاء والنماء .. ولتصبحوا غاية فى الثراء ..

رقصوا طرباً وغنوا فرحاً .. وقاموا على الفور يعزقون ويعزقون ..
حتى تأكدوا أن ما قاله حظ عبد القادر صحيحاً .. وهنا قال العجوز :
- يا (عبدالقادر) هذا ليس حظنا وحدنا وإنما هو حظك أيضا هو الذى
دلنا .. لك نصف ما عندنا .. ابق هنا .. وتزوج ابنتنا الجميلة وكن ابناً
لنا .

لكن (بعد القادر) رغم أنه أعجب كثيراً بالابنة الجميلة . فكر قليلاً ..
وأصر على العودة .. فحظه تنبأ له بأنه سيجد حظاً عظيماً .. وحزن
العجوز والعجوزة لفراقه ودمعت عينا الفتاة .. لكنه ابتسم فى خجل
وبلاهة .. وسار عائداً ، وهو يصفر منشداً ..

وكدت أكرر مقاطعتى قائلاً : خيبتك ثقيلة يا عبد القادر! .. لكنى
سكت وكتمت قولى .. حنى لا أقطع سير الحكاية وقد اقتربنا من
النهاية .

وسار عبد القادر وسار .. حتى أهلكه الطريق وتمزقت ملابسه التى
وهبتها له الملكة ، ونفذ طعامه الذى أعطته له الفتاة .. وتسلخت قدماه
ووجد شجرة فجلس فى الظل يستريح ، وتغرغرت عيناه بالدموع وتذكر
حظه فقال متمتماً يسأله :

- لقد قارب الطريق على الانتهاء ، وأين هو حظى الذى وعدتني
به .. وفجأة سمع صوتاً مزجراً يصيح :

- أهلا يا عبد القادر .. ماذا قال لك الحظ هل جئتني بالدواء؟

قال عبد القادر وقد نفذ صبره :

- لم أحضر أى دواء .. ولكن الحظ قال إن هناك علاجاً لما صابك
من داء .

سأل الأسد متلهفاً:

- وما هو؟

سقال عبد القادر:

- عليك أن تلتهم مخ رجل شديد الغباء..

فرح الأسد وقال :

- ولكن أين أجد مثل هذا الرجل .. عليك أن تساعدني في البحث عنه.. احك لي عن قابلتهم في الطريق وما حدث لك.. فقد أجد بينهم من يشفيني .

اعترض عبد القادر وقال :

- ولكني لم أجد ما وعدني به حظي وعلى أن أسرع قدر ما أستطيع!
زمجر الأسد .. فما كان على (عبدالقادر) إلا أن يطيع:

.. وحكى له كل شيء .. عن حظه النائم تحت الشجرة وعن الملكة
والمدينة وعن العجوز وبنته الجميلة .. وهنا لمعت عينا السبع .. وقام
لساعته وتأخر وانتصب شعر لبدته وزمجر :

- يا لك من غبي يا عبد القادر.

وتعجب عبد القادر وقال :

- إن حظي وعدني بحظ كثير وما زال الطريق أمامي..

اعترضه السبع وقال :

- أمامك .. لقد خلفت كل الحظ وراءك .. وأنا لو بحثت في الدنيا كلها لن أجد أحداً يمتلك غباءك .. فاستعد .. إن آلامى تزداد وتملكنى الداء .. وليس هناك ما يشفينى إلا مخ يحتوى كل هذا الغباء ..



وسكت (عم الصديق) فقلت متلهفاً :

- وهل أكله السبع؟

ضحك (عم الصديق) وقال :

- فى هذا يختلف الرواة .. فبعضهم يقول إن هذا ما حدث فعلاً .. لأنه يستحق ذلك .. ولذلك يقولون للحزين المكتئب .. لماذا .. تحمل عبدالقادر؟ .. ولكن رواة آخرين يقولون غير ذلك .. فعندما هجم السبع على عبد القادر .. انزلت قدمه فى اللحظة المناسبة .. واصطدمت رأسه بصخرة قريبة فمات ونجا عبد القادر الذى كاد يموت رعباً .. وفرح بذلك الحظ الذى أنقذ حياته .. وعاد إلى قريته شخصاً جديداً .. يعمل ويكدح راضياً سعيداً..!



الحارس والملك . والصيد العجوز

إلى شاطئ البحر الكبير عاد الصياد العجوز وابنه الصغير ليجريا
حظهما لليوم الثالث .. منذ يومين وهما لا يصطادان شيئاً له قيمة ولكن
الصياد الصبور لا ييأس أبداً ؛ ولذا قرر هو وابنه أن يبتعدا اليوم عن
الشاطئ أكثر.. وشجعه ابنه على الذهاب إلى حيث الصخرة السوداء
ذات الكهوف التي توجد هناك بعيداً عند حاجز الأمواج المرجاني .
- هناك قد يتغير حظنا فلابد أن الأسماك الكبيرة تعيش هناك بأعداد
كثيرة ..

وأخذ الرجل يعد شباكه جيداً بينما راح الفتى يضرب صفحة الماء
بالمجدافين في قوة والقارب يندفع داخل البحر في سرعة وثبات.
وهناك بجوار الصخرة السوداء التي تخترقها منذ قديم الزمان فجوات
وكهوف مجهولة أبطأ الفتى سير القارب وبدأ العجوز يلقي بشبাকে في
مهارة صياد خبر البحر لسنوات طويلة .

ودار الفتى بالقارب في خط منحني بينما ترك العجوز الشباك تنزلق
في سكون إلى الماء، وبعد أن غطست الشباك بقيت عواماتها الفلينية
تطفو في دائرة كبيرة، ترقص فوق سطح الماء مع الأمواج .. وانتظر
الاثنان لفترة كافية، ثم عاد الفتى يدور بالقارب ويسحب خلفه طرفي

الحبل الرئيسي، جاذباً الشبكة، بينما راح العجوز عند مؤخرة القارب يلمها إليه .. كان الأمل يملأ قلبيهما أن يجود البحر بأسماكه، بعد أن شح الرزق يومين كاملين ، كى تسكت البطون الجائعة فى البيت، وتعود الابتسامة للأطفال الصغار وللزوجة الأم.

وكادت الشبكة أن تتكوم كلها فوق مؤخرة القارب ولا شىء يبدو لغير الحظ السيئ الذى صاحبهما لليوم الثالث .. وأخذ الأمل فى الصيد الوفير يتلاشى .. لولا أن اهتزت الحبال وتوترت موحية أن شيئاً ما قد وقع فى الشبكة .

توقف الصغير عن التجديف ، وتطلع نحونهاية الشبكة التى كان العجوز يجذبها إلى سطح القارب .. وشهق الاثنان إعجاباً ودهشة ..

فأمامها كانت تضطرب فى الخيوط سمكة رائعة الجمال لم يشاهدها مثلها فى حياتهما ولم يسمعا بها من قبل، ولم يعرفا لها اسماً .. كانت تبرىق كضوء قمر مسحور تشتعل زعانفها بألوان براقه زاهية تتراوح بين الذهبى والأحمر .. وتمتزج فيها ألوان أخرى لا شبيه لها ..

وبعد أن راحت شهقة الإعجاب مع الريح .. بدت نظرة حزن تلوح على وجه الصياد العجوز ..

- وما فائدة كل هذا الجمال .. إنها سمكة عجيبة ولكن ما فائدتها للبطون الجائعة .. من يجد فى قلبه شجاعة لأكل كائن على هذه الدرجة من الجمال؟

لكن الفتى لم تفارقه حرارة الفرح .. لأنه من النادر أن يصادف أحد مثل هذه الأعجوبة الرائعة فى حياته ..

- يا أبى لا تحزن، صحيح أن مثل هذه الأعجوبة لا تؤكل .. ولكن لا بد أن هناك من يقدر مثل هذا الجمال .. لا تدعها تموت .. خذها وضعها فى هذا الإناء المملوء بماء البحر .. وسوف ترى أنها كانت لنا حظا جديدا.

- كيف يا بنى .. ومن سالتفت إلى هذا الجمال أو يقدره .. هل سيدفع فيه أحد شيئا، والناس كما ترى يفضلون ملء البطون .. ولا يشغلون بالهم بمثل هذا ..

- لا يا أبى ليس كل الناس أغبياء ولا كلهم عميان عن الجمال .. سنجد من يقدرها حق قدرها .

- من ؟ .. لو رأها شيخ الصيادين سيعلقها فوق دكانه لتموت وسيسخر منا .. أما شيخ بندر التجار فلا يهمه إلا أن ندفع له ضريبة الصيد والبيع ..!

- لن ندع أياً منهما يراها .. سنأخذها إلى قصر السلطان ونقدمها هدية له، وسيصنع لها حوضاً من زجاج يزين بها حجرة ابنته الأميرة ..

- ومن سيسمح لنا بالدخول .. وما نحن إلا صيدان فقيران ..

- فلنجرب ، إننا نحمل هدية للسلطان .. ولا نحمل مظلمة أو شكوى ، ولن نطلب شيئاً .. هيا بنا لنجرب .. ولو خسرنا فسنخسر السمكة وإن لم نذهب سنخسرها أيضاً .. فالأمران سواء ..

ووافق العجوز على رأى ولده .. وذهبا إلى القصر السلطانى يطلبان لقاء السلطان ليقدموا له أعجوبة من أعاجيب البحر النادرة.

وعند باب القصر تصدى لهما حارس غليظ الوجه، جهم الملامح
تبدو عليه القسوة والغباء :

- إلى أين تذهبان أيها الصعلوكان؟! ليس هذا مكان تتسكع الأوياش
فيه هيا من هنا ..

قال العجوز في أدب :

- ياسيدى الحارس ، نحن لا نتسكع ولكننا جئنا لنقدم لمولانا
السلطان هدية لم تر عين مثلها ..

لكن الحارس رد في غلظة :

- هدية ؟ .. أنتما ستقدمان للسلطان هدية .. ما أعجب زمان يقدم فيه
المتسول هدايا للسلطان .

رد الابن في قوة :

- لم نأت لنتسول .. ولسنا متسولين، إنما معنا عجيبة من عجائب
البحر، ستعجب السلطان ، انظر .. إنها حصيلة تعبنا لأيام ثلاثة ..

ورغم أن الحارس لم يكن ممن يقدرون الجمال إلا أنه فهم بسرعة
أن مثل هذه الهدية ستعود على الصياد وابنه بجائزة كبرى .. وخاف إن
هو منعهما من الدخول أن يصل خبر هذه السمكة إلى السلطان فيعاقبه
فتظاهر بالطيب وقال :

- ولكن الدخول ممنوع ، ولو سمحت لكما سأعاقب من رؤسائي ، لا
أحد يدخل على السلطان بهذه الهيئة وبدون موعد ..

- وماذا نفعل؟

- سأسمح لكما ولكن بشرط أن تعوضاني عما سألاقيه من عقاب إذا
وعدتماني بنصف جائزتكما سأسمح لكما بالدخول .. على مسئوليتي ..
وربنا يستر!

ثم يوافق الابن وقال :

- ولكن هذه رشوة .. وظلم ، كيف يسمح لك ضميرك بنهب فقراء
مثلنا؟!!!

وهنا غضب الحارس وقال : إذن هيا من هنا .. هيا والى ..

أسكت الصياد العجوز ابنه وقال :

- لا تؤاخذة ياسيدى الحارس ، إنه ضعيف الخبرة بالحياة أنا موافق
على ما تقول، لك نصف الجائزة .. إن كانت هناك جائزة .. ولكن
اسمح لنا بالدخول .. حتى لا تفسد السمكة أو تموت .

وسمح لهما الحارس بالدخول إلى القصر، ودلهما على مكان لقاء
السلطان وأخذ الابن يعاتب أباه لأنه قبل أن ينهبهما الحارس جهدهما
وعرقهما ..

ولكن الصياد العجوز قال :

- يا بنى لا تتسرع .. فالمثل يقول «من يضحك أخيراً يضحك
كثيراً» ..

أعجب السلطان إعجاباً شديداً بالسمكة الأعجوبة .. وتجمع كل من
فى القصر حول الإناء يتفرجون ، وفرحت الأميرة الصغيرة لدرجة أنها
قبلت الصياد العجوز تشكره على هديته .. وأمر السلطان على الفور

بصنع إناء من الزجاج والذهب لتسبح السمكة فى ماء كماء البحر ،
وليراها كل إنسان .. ثم التفت إلى العجوز وابنه وقال فى فرح :
- وماذا تطلبان أيها الصيادان الماهران .. إن هديتكما لا تقدر بمال
.. ولكنى على استعداد لتحقيق أى طلب لقاء الفرحة التى أدخلتها
هديتكما على قلوبنا، وعلى قلب الأميرة الصغيرة .

وضغط الصياد العجوز على ذراع ولده ليمنعه من الكلام وقال :
- مولاي .. هذه فعلاً لا تقدر بمال .. ولذلك فإننى أطلب منكم أن
تكون جائزتى - وأرجو من مولاي ألا يخيب رجائى - أرجو أن تكون
جائزتى .. مائة جلدة على ظهري .. يوقعها جلادكم هذا الذى يحمل
السوط كالوحش الكاسر! ..

ذهل السلطان، وكذلك ذهل ابن الصياد.. وذهل كل الموجودين ثم
انفجروا ضاحكين بعد أن ضحك السلطان لهذا الطلب العجيب .. الذى
فاق فى غرابته تلك السمكة النادرة ..

- هل جننت يا رجل ..؟

- لا .. ولكن كما أن لكل شيخ طريقة، فلكل إنسان طريقة للوصول
إلى الحقيقة .. وأنا أنشد الحقيقة .. والحقيقة لا تظهر أحياناً إلا بضرب
السياط ..

فهم ابن الصياد ما يقصده والده .. ولكن السلطان لم يفهم ..
وقال فى نفسه :

- هذا أعجب شئ رأيتهُ أو سمعته .. ولكن إذا كان هو مجنوناً
فلأكن أنا رحيماً .. يا أيها الجلاد .. هيا أعطه جائزته ثم همس له :

- ولكن كن رحيماً .. وإلا عاقبتك لو آذيته .. وقبل أن يصل الجلاد إلى الصياد العجوز حتى كان الابن قد تقدم بسرعة وكشف عن ظهره وصاح مسترحماً:

- يا مولاي .. أرجوك .. ارحم والدي فإن صحته لا تتحمل مثل هذه الجائزة .. واسمح لي أن يحمل ظهري بدلاً منه هذه العطية الثقيلة .
وازداد ضحك السلطان .. واستجاب لطلب الابن الذي تحمل في شجاعة ضرب السياط حتى وصل العدد إلى الضربة الخمسين .. وهنا صاح الصياد العجوز :

- كفى يا مولاي .. أرجوك ..

وعاد السلطان يضحك قائلاً :

- هل تريد أن تأخذ نصيبك من الجائزة؟ .. أم أنك تراجع عن طلبك .. دع ابنك يحمل عنك ثقلها .. فهو أكثر شباباً ..
لكن الصياد العجوز قال :

- يا مولاي إنني رجل فقير ولكني لست وأشيأ ولست كاذباً ولا أستطيع أن أحنث بوعدي قطعه على نفسي .

- لست أفهم قصدك أيها العجوز لقد طلبت مائة جلد فتركنا نعطيها لك أو لابنك .

- يا مولاي .. إن لنا شريكاً لا بد أن يأخذ نصيبه .. لقد طلب مشاركتنا .. ونحن وعدناه .. ووعد الحردين عليه ..
قال السلطان متسائلاً :

- أهو صياد شارككما صيد السمكة؟ أم هو صاحب القارب الذي استخدمتماه في الصيد؟

- لا هذا ولا ذلك .. إنه حارس بوابتك السلطانية .. لقد بذل جهداً كبيراً ليسمح لنا بالدخول .. وبناء على طلبه فإنه يستحق نصف جائزتك ، إذ سمح لنا بالمثل بين يديكم ..

وهنا كف السلطان عن الابتسام .. واستشاط غضباً وصاح بالجند أن يحضروا ذلك الحارس كي يأخذ ما يستحقه من الجائزة ..

وكما كان السلطان في الحقيقة كريماً مع الصياد وابنه، كان أيضاً كريماً مع الحارس، إذ منحه خمسين جلدة - أصيلة .. نصيبه من الجائزة .. وخمسين أخرى - وبيلة .. مكافأة على خدمته السابقة .. وخمسين أخرى رزيلة .. كمعاش ليواجه بها طرده من الخدمة . وكما قال الصياد العجوز :

- أحياناً لا تظهر الحقيقة إلا بضرب السياط .. ولكل شيخ طريقة ..!

الجعبوبة الأعجوبة*

قالت السيدة الأرملة العجوز الفقيرة :

- يارب ارزقنى بابنة صغيرة .. تؤنس وحدتى وتهون غربتى
وتشرح صدرى .. وتقوى بصرى .. وتشد أزرى .. وتغنى فقرى ..
وعندما تكبر أزوجها وزيرا أو أميرا ..

ومضت السنون وبقيت السيدة العجوز تعيش وحيدة فقيرة الحال
.. بلا ابنة ولا مال ..

وعادت السيدة الأرملة الفقيرة تقول :

- يارب ارزقنى بابنة صغيرة .. تؤنس وحدتى وتهون غربتى
وتشرح صدرى .. وتقوى بصرى .. وعندما تكبر أزوجها تاجراً أو
مزارعاً كبيراً ..

ومضت سنون وسنون .. ومازالت العجوز الفقيرة تعيش وحيدة
بلا ابنة أو حصيرة ..

قالت الست العجوز الفقيرة :

- يارب ارزقنى بابنة صغيرة تؤنس وحدتى وتهون غربتى
وتشرح صدرى وتقوى بصرى وتشد أزرى .. وعندما تكبر أزوجها فتى
جميلاً حتى ولو كان حطاباً أو نجاراً فقيراً ..

(*) الجعبوبة: إناء من الفخار أكبر كثيراً من الفنجان وأصغر قليلاً من البرام يوضع به الطعام.

ولكن السنون عادت تمضي خلف السنين وظلت العجوز تعيش كما
كانت تعيش .. لا تجد القش ولا القشيش!..

حتى دعت وقالت :

- يارب ارزقني بابنة صغيرة تكون أعجوبة .. تبرد حر بؤونة
وتدفئ برد طوبة .. بنت محبوبة حبوبة تسهل لي كل صعوبة .. يارب
بنتاً ولو كانت (جعبوبة!) .

وهذه المرة ما أن مضت تسعة شهور حتى سمعت العجوز في
الصباح من ينادى عليها ويدق الباب ..

- افتحي يا أماء .. أنا ابنتك الأعجوبة .. (جعبوبة) التي ستبرد
لك حر بؤونة .. وتدفي حولك برد طوبة .. وتسهل كل صعوبة!..
جلت لأونس وحدثك .. وأهون غريبتك .. وأشرح صدرك .. وأقوى
بصرك .. وأشد أزرك .. وأغنى فقرك .

ضحكت الست العجوز وابتسمت، وأسرعت تفتح الباب في سرعة
وخفة الشباب، لتجد أمامها (جعبوبة المحبوبة) حقيقية جديدة كأنها
مصنوعة الآن ولا عليها تراب ولا هباب .. فأسرعت تحملها وتقبلها
في إعجاب ..

وتغير الحال بعد الحال ..

وسبحانه مغير الأحوال .. وجاعل كل فقر أو مال .. إلى تبدل
وزوال ..

وسمع الناس في بيت الأرملة العجوز ضحكات تشبه ضحكات
الأطفال ، وسمعوا غناء ودعاء بالأغنية وبالموال .. والذين رأوا تلك

الأرملة فى تلك الأيام .. وجدوها تبتسم سعيدة وكأنها صارت امرأة جديدة ..

وكانت (جعبوبة الأعجوبة) تقول لأمها كل صباح :

- اغسلينى يأمه وجففينى، وعلى باب البيت اتركينى كى يأخذنى من يأخذنى .. حتى يحين حينى.

وكانت العجوز تغسلها وتنظفها وتجففها بأعلى الثياب ثم تضعها أمام الباب .

مر بجعبوبة كلب فلم يعرھا التفاتا ونبح عليها بلا صوت حين شمها من بعيد فلم يجد بها لحمًا ولا نباتًا . ومر بعده طفل، ضحك وقال:

- نسيت العجوز ابنتها .. هل نسيته أم عمدا تركتها؟

ثم مرت امرأة طماعة .. تحمل عدسا وتمشى فى لكاعة .. وحين رأت جعبوبة تلمع أمام الباب قالت لنفسها :

- لقد صدق حدسى .. إذ قلت لنفسى سوف أجد جعبوبة فى طريقى لأطبخ فيها عدسى .

ثم تلفتت حولها لتتأكد أن أحدا لا يراها من باب أو شباك وأخذتها بعد أن أخفتها وبعد أن ملأته بالعدس وجهزتها وملحتها وتبلتها وضعتها فى الفرن وقامت إلى النار فأشعلتها .. وجلست سعيدة تحلم بالأكلة وكأنها أكلتها .. سعيدة بـ (جعبوبة الأعجوبة) وكأنها ما سرقتها ..

ولكنها عندما فتحت الفرن لتأخذ الطعام .. لم تستطع الإمساك به
(جعبوية الأعجوبة) لأنها كانت ملتهبة ساخنة .. تقفز كبرام ساخن
ملىء بالطعام .. وجرت (جعبوية الأعجوبة) ونطت واختفت أمام عين
المرأة .. دون كلام أو سلام .. وبينما كانت المرأة جالسة تبكى عدسها
الصنائع .. كانت جعبوية تجرى عبر الشوارع .. متجهة إلى بيت أمها
تحمل العدس المطبوخ الرائع .. وهي تصيح:

- افتحي يا أمه افتحي .. لتأكلى وتفرحى .. فالعدس لذيذ لذيذ ..
أذ من حب العزيز .

وفتحت الأرملة العجوز الجائعة .. وأكلت حتى شبعت وشكرت
ابنتها الرائعة .. وسمع الجيران في البيت الحزين ضحكات كضحكات
أطفال مسرورين ..

وفي الصباح .. قالت جعبوية :

- اغسلينى يا أمه وجففينى وعلى الباب اتركينى كى يأخذنى من
يأخذنى .. حتى يحين حينى ..
وفعلت الأم مثلما فعلت بالأمس ..
ثم جلست تنتظر عودتها بالعدس ..



مر بـ (جعبوية الأعجوبة) خروف صنائع .. فأبدى بعض التأفف
لأن البشر لا يضعون البرسيم فى (الجعبويات) .. ولذا فليس لها عنده
فائدة ..

وبعد فترة مرت امرأة ورائتها .. فاتسعت عيناها دهشة وطمعاً
حين أعجبتها .. وقالت :

- يا للحظ السعيد .. كنت سأذهب إلى السوق لأشترى براماً جديداً ..
فإذا لم يرني أحد الآن .. فسوف آخذ هذا البرام .. وأطبخ فيه اليوم
الطعام ..

ضحكت (جعبوبة الأعجوبة) لأن المرأة ظننتها ولداً .. بينما هي
(جعبوبة) أى بنت وليست (برام)!!

لكنها سكنت ولم تعلق .. وإن ظلت تدعو فى سرها وتتمنى أن
تطبخ بها المرأة هذه المرة شيئاً من اللحم، الذى كانت أمها العجوز تحلم
به طوال الليل ..

وفرحت (جعبوبة الأعجوبة) وكادت من فرحتها تفضح وتكشف
خطتها .. عندما ملأتها المرأة لحماً وبصل .. وأدخلتها للفرن على مهل
وقلبها ملىء بالأمل ..

ومضت فترة طويلة .. نضج فيها اللحم وفاحت رائحته وانتظرت
(جعبوبة الأعجوبة) المرأة .. كى تخرجها من الفرن فى الوقت
المناسب ولكنها كانت مصابة إلى جانب الطمع .. بقلة السمع وبالكثير
من الكسل .. فلم تسمع نداءها .. ولم تأت لتخرجها قبل أن يحترق اللحم
.. فما العمل؟

قررت (جعبوبة الأعجوبة) أن تخرج من النار حتى لا تفسد
الطبخة ولا تستسيغ أمها اللحم الذى كانت تحلم به .. فأخذت تدور

وتحرك نفسها فى هدوء حتى وصلت إلى باب الفرن . ولحسن الحظ وجدت أمامه حزمة من القش ، فقفزت إليها وهى تكتم ضحكتها المرححة الجدلانة حتى لا تسمعها المرأة الكسلانة!!
وبعدها انطلقت إلى بيت أمها وهى تغنى فى لهجة مرحة من الفرح ..

- افتحى يا أمه افتحى ، كلى اللحم وافرحى .. جئت لك بلحم لذيذ أذ من أى لذيذ..!



ومرت الأيام بعد الأيام على هذا المنوال .. تغسل الأم ابنتها وتضعها أمام الباب ..

ويمر بها الناس والحيوانات .. بعضهم يظن العجوز نسيتهها فيدق الباب وينبه أمها حرصاً على سلامتها .. فتشكرهم الأم على أمانتهم وهى تحتضن ابنتها .. ثم تعيدها لمكانها حسب رغبتها ..

وكان البعض يمضى بلا اهتمام، إما لأنه مشغول بأمر هام .. أو لأنها خالية من الطعام .. ولكن الأمر يباه .. كان يحدث على الدوام ..

وتجد (جعبوبة الأعجوبة) من يأخذها وهو طمعان ليطبخ فيها الطعام .. لتعود به إلى أمها الأرملة العجوز الفقيرة .. حتى أصبحت عادة عند بعض الناس الكرام..!

حتى كان يوم من الأيام .. ورآها الثعلب أمام الباب .. مغسولة لامعة بلا تراب أو هباب فقال لنفسه :

- لأمر ما تركت امرأة (جعبوبتها) .. ولا بد أن أعرف الأسباب وأفهم حكايتها وأعرف قصتها .

اختبأ الثعلب خلف شجرة يراقب الطريق و (جعبوبة الأعجوبة) .
حتى جاءت امرأة تتلفت هنا وهناك .. ولما تأكدت أن أحدا لا يراها
اختطفها ومضت والثعلب وراءها خطوة خطوة ..

ولما دخلت إلى بيتها .. صعد الثعلب فوق سطح الجارة .. فوجد
المرأة تشعل النار .. ثم لمحها تملأ (الجعبوبة) بالدقيق واللبن والسمن
والعسل .. فتلمظت عيناه وتدلى لسانه ... وهو يتخيل نفسه ياتهم
فطيرة لذيذة تنضج أمامه ..

وخيل إليه أن وقتاً طويلاً قد مضى .. قبل أن يرى (جعبوبة
الأعجوبة) تقفز من بين يدي المرأة وتجرى خارجة من الباب مسرعة
نحو بيت أمها ..

ولم يهتم الثعلب بالمرأة الذاهلة .. بل قفز وجرى خلف جعبوبة
الراحلة ..!

وأسرع في الجرى ليقطع عليها الطريق وتظاهر بالهدوء وهو يقول
لها في صوت الصديق :

- إلى أين أنت ذاهبة يا (جعبوبة الأعجوبة) ؟

قالت وهي تحس بعض الخوف :

- أنا ذاهبة إلى بيتي ..

سأل في مكر :

- وما الذي تحمليه يا أعجوبة ..!

قالت محاولة أن تخفى ما بها من طعام :

- بعض الأشياء التافهة.

قال الثعلب :

- ولكنني أشم رائحة السمن والعسل ..

ضحكت (جعبوبة الأعجوبة) وقالت متظاهرة بالدهشة :

- حقاً .. معقولة؟ .. ما أجمل هذا .. إن ذلك سوف يسعد أُمى

العجوز الجائعة.

لكن الثعلب قال في حدة مُفجعة:

- لكن .. هذه الفطيرة ليست فطيرة أمك .. أنت سرقتها من

المرأة .. أنا بنفسى رأيتك وأنت تهربين من الفرن ولا بد أن تعاقبى على

فعلتك ..

لكن (جعبوبة) قالت له في حدة مماثلة :

- أنا لم أسرق شيئاً .. فأنا حتى لا أملك يدين أسرق بهما شيئاً!

المرأة هي التى سرقتنى وبالعجين ملأتنى .. وفى النار وضعتنى .. فهل

تريدنى ألا أعود لأُمى وأظل جالسة حيث حبستنى .. ابتعد عن طريقى

.. فأُمى فى انتظارى .. وأنا أريد العودة إلى دارى ..

سكت الثعلب وقال :

- ارجعى كما تشاءين وعودى لأُمك .. ولكن أعطنى الفطيرة ..

وإلا وضعتك فى الحبس فلا تصلحين لطبخ لحم أو عدس .

قالت :

- ولكن أُمى جائعة !..

رد. فى حدة :

- وأنا أيضاً جائع ..

رفضت جعبوية أن تعطيه شيئاً وقالت :

- ولكنى أحب أمى ..

كشر الثعلب عن أنيابه وقال :

وأنا أحب نفسى . هيا هاتى ..

ثم هجم الثعلب محاولاً الإمساك بها .. ولكن (جعبوية الأعجوبة) قفزت مبتعدة ثم دحرجت نفسها بسرعة فى اتجاه منزل أمها .. والثعلب يلاحقها محاولاً الإمساك بها .. وأخذت تحاوره وتناوره ناحية اليمين تارة وناحية الشمال أخرى .. وهو يمسكها مرة ويفلتها مرات .. حتى وصلا إلى منحدر شديد .. فتسارعت سرعة (جعبوية الأعجوبة) لدرجة فقدت معها السيطرة على مسارها .. فأخذت تصطدم بالحصى والأحجار فأخذت تصرخ تارة من الألم .. وتارة من الخوف .. والثعلب لا يريد تركها .. حتى اصطدمت بصخرة كبيرة وفرح الثعلب وأسرع ليلحق بالفطيرة ..

لكن (جعبوية الأعجوبة) التى تكسرت وتحطمت وأفلتت الفطيرة .. فتدحرجت كالكرة بسرعة فلم يلحق بها .. حتى سقطت فى النهر .. ففرحت بها الأسماك .. التى تعيش هناك .

وبكى الثعلب من الغيظ ..

وبكت الأم العجوز من الحزن . وحزن كثيرون من أهل قريتنا .. وأطفالها .. فلم يعد أحد يسمع حكايات (جعبوية الأعجوبة) ومغامراتها ..

ولم يعد أحد يسمع ضحكات العجوز وأغنياؤها ولكنهم جميعاً ظلوا
يذكرون .. أنها رزقت ذات مرة بابنة أعجوبة اسمها وشكلها (جعبوبة)
آنست وحدتها وهونت غربتها .. وشدت أزرها وشرحت صدرها وقوت
بصرها .. وأغنت فقرها لفترة قصيرة محبوبة .. وإن لم تتزوج أميراً
ولا وزيراً .. ولا حتى فتى فقيراً .. لأن الثعلب الذي لا يعرف الرحمة
أو الخجل .. لم يسمح لها بالعودة إلى أمها بفطيرة السمن والعسل ..
وقطع بكل قسوة وأنانية حبل الأمل ..!

البرغوت عمار

كان يا ما كان برغوت اسمه عمار .. قالت له زوجته :

- انتظرني في الدار بجوار النار لأنني سأذهب إلى النهر كي أملأ
الجرار.

البرغوت عمار انتظر في الدار .. لكنه أخذ (ينط وينط) فوق في
النار وعادت زوجة البرغوت عمار إلى الدار ، فوجدته قد نط في النار.

صرخت زوجة البرغوت عمار وخرجت من الدار وهي حزينة تبكي
وتنشد الأشعار فسألها النخلة :

- لماذا أنت حزينة يا زوجة البرغوت عمار؟ وتنشدين من حزنك
الأشعار؟

فقالت لها :

- أنا حزينة أنشد الأشعار لأن زوجي البرغوت عمار نط فوق في
النار.

فحزنت النخلة وقطعت خوصها الأخضر ورمت على الأرض
الثمار.

فسألها العصافير :

- لماذا تقطعين خوصك الأخضر وترمين الثمار؟

فقلت النخلة :

- إنتى أقطع خوصى الأخضر وأرمى الثمار ، لأن زوجة البرغوت
عمار حزينة تنشد الأشعار ، لأن زوجها نط. ووقع فى النار .
فحزنت العصافير ونبقت ريشها وجناحها الطيار .. ووقعت العصافير
على الأرض فسألته الغنم .

- لماذا أنت بلا ريش أيتها العصافير؟ أين جناحك الطيار؟

قالت العصافير:

- نحن بلا ريش وبلا جناح طيار، لأن النخلة أصبحت بلا خوص
وبلا ثمار ، لأن زوجة البرغوت عمار حزينة تنشد الأشعار ، لأن
زوجها نط ووقع فى النار .

فحزنت الأغنام وجزت صوفها من شدة الحزن وذهبت لتشرب من
النهر وهناك سألتها النهر فى عجب :

- لماذا أنت بلا صوف أيتها الأغنام ؟

فردت عليه الأغنام وهى تبكى :

- نحن بلا صوف يا سيد الأنهار، لأن العصافير أصبحت بلا ريش،
وبلا جناح طيار ، لأن النخلة أصبحت بلا خوص ولا ثمار ، لأن زوجة
البرغوت عمار حزينة تبكى وتنشد الأشعار ، لأن زوجها البرغوت نط
فوقع فى النار .

حزن النهر وصار عكارة فى عكار!!

وجاء الراعى صاحب المزمارة فوجد النهر عكارة فى عكار.. فسأل
متعجباً وقال :

- ما لك يا سيد الأنهار أصبح ماؤك عكارة فى عكار؟

فقال النهر :

- لقد أصبح مائى عكارة فى عكار لأن الغنم أصبح بلا صوف يا
صاحب المزمارة ، لأن العصافير أصبحت بلا ريش ولا جناح طيار،
لأن النخلة صارت بلا خوص وبلا ثمار ، لأن زوجة البرغوت عمار
حزينة تبكى وتنشد الأشعار ، لأن زوجها نط فوق فى النار .

قال الراعى صاحب المزمارة :

- ولكنى أريد أن أشرب يا سيد الأنهار ..

فرد النهر غاضباً :

- تشرب وتروى عطشك وتترك البرغوت عمار (يشوى) فى النار؟
وتترك زوجته تنشد حزين الأشعار ، والنخلة بلا ثمار ، والعصافير بلا
جناح طيار، والغنم بلا صوف ، وأنا من شدة الحزن عكارة فى عكار؟

قال الراعى صاحب المزمارة :

- عندك حق .. بالطبع لا ، سأسرع إلى الدار لأنقذ البرغوت عمار
الذى سقط فى النار، حتى لا تظل زوجته حزينة تنشد الأشعار، ويعود
للنخلة الخوص والثمار، وينبت للعصافير الريش فيرفرف جناحها
الطيار، ويكبر للغنم الصوف وحتى لا تبقى أنت عكارة فى عكار وتعود
مياهاك صافية بلا غبار .. لأشرب وأستحم طول النهار .

وانطلق الراعى صاحب المزممار يجرى، وبعد أن جرى طويلاً ..
طويلاً وطال عليه المشوار توقف حائراً ولنفسه قال :
- يا أشرط الشطار لقد نسيت أن تسأل أين دار البرغوت عمار؟

حكاية بلا نهاية

كان ياما كان .. ملك من ملوك الزمان .. يحب الحكايات والقصص وأخبار الملوك والشطار .. كل يوم .. وطول اليوم كان يجلس على «حشية» من ريش النعام .. وحوله الشعراء ومؤلفو الكلام . وهو يسمع لهم ولا يشبع .. ولم تكن الحكاية تهمة كثيراً .. لا موضوعها ، ولا أسلوبها ، المهم أن يسمع .. فقط ..

تعب الرواة والمؤلفون وهو لم يتعب .. ومهما كان طول الحكاية .. كان في النهاية يقول :

- هي .. حكاية لا بأس بها .. ولكن هناك خطأ ارتكبته أيها الراوى ، لقد كانت حكايتك قصيرة جداً وماذا حدث بعد ذلك ؟

كل رواة العالم .. ومؤلفى الحكايات دعاهم إلى قصره .. كان بعضهم يحكى حكاية واحدة لمدة يوم أو ثلاثة أيام متصلة ومع ذلك كان الملك يغضب عندما تنتهى الحدوتة .

وأخيراً أرسل رسله إلى كل أنحاء المملكة .. وإلى ما وراء الحدود شرقاً وغرباً .. ليعلن :

من عنده حكاية .. طويلة طويلة .. ليست لها نهاية
تزوجته الأميرة .. الحلوة الجميلة
وجعله الملك وليه ووزيره

ولكن لم يكن هذا كل شيء .. لقد أضاف الملك شرطاً حتى لا يأتيه
كل من هب ودب طمعاً فى الأميرة .. ولذا قال المنادى:

لكن من يفشل .. لا بد أن يقتل!!

وكانت الأميرة فى الحق جميلة .. ولكن من الذى سيغامر برأسه ..
سوى القلة القليلة ..

جاء شاب وحكى للملك حكاية طويلة! .. استمر يحكيها ثلاثة أشهر
كاملة .. ولكن الحكاية انتهت ..

- وبعد .. ماذا حدث بعد ذلك؟

ولم يكن هناك شيء يمكن أن يحدث بعد ثلاثة أشهر .. من الكلام
سوى أن يستسلم الشاب لحكم الملك .. وخاف الجميع .. وأنكروا أنهم
يعرفون أية حكاية!!

وفى يوم من الأيام .. دخل إلى المدينة .. شاب .. فلاح صغير
السن .. جاء من الجنوب .. وطلب مقابلة الملك .. وقال :

- صباح الخير يا ملك الزمان .. أنا من مكان بعيد وجئت إليكم ..
لأسمعكم حكاياتى ورواياتى .. أنا فلاح ولكنى أعرف الحواديت ..
وكان يا ما كان!

قال الملك : هل عرفت الشرط .. حكاية بلا نهاية!!

قال الفلاح : وأتزوج الأميرة ..؟

قال الملك : إن تفشل .. تقتل ..

قال الشاب الفلاح ضاحكاً:

- لا تخف فزوج ابنتك حريص على حياته .. وأنا لا أريد أن أجعل
الدموع تعرف طريقها إلى عيني الأميرة .. لا أريد أن أموت .

قال الملك ، وهو يعجب من جرأة هذا الفلاح:
- هيا احك لى .. وأنا كلى آذان صاغية ..

قال الفلاح :

كان يا ما كان .. ملك من ملوك الزمان يحكم بلاداً خصبة غنية ..
تزرع القمح والفول والأرز والملوخية .

وعندما جاء موسم الحصاد فى سنة من السنين .. أرسل جنوده
أجمعين .. فجمعوا القمح والفول من الأجران .. وتركوا الفلاحين بين
تعبان وجوعان .. وحملوا كل إنتاج الأرض إلى مكان مجهول .. وجاع
الأولاد والعيال .. وجف الدم فى العروق وخرج الرجال يبحثون عن
القمح المسروق .

وبعد بحث طويل .. عرفوا مكان المخازن السرية .. واهتدوا إلى
فتحة خفية .. ولكنها كانت ضيقة لا تسع سوى رجل واحد .. فقالوا :
- عال .. لندخل واحداً وراء الآخر .. فيحصل كل منا على أكل
العيال!

ودخل فلاح .. وحمل لنفسه جوالاً ..

ثم دخل فلاح وحمل جوالاً آخر ..

وتبعه فلاح آخر وحمل جوالاً آخر .

.. ومضى شهر والرواى يحكى ويقول :

ثم دخل فلاح آخر وحمل جوالاً آخر ..

.. ومضى عام وهو لا يزال يقول :

ودخل فلاح آخر وحمل جوالاً آخر ..

ثم مر العام الآخر..

- أيها الفتى .. إلى متى سيظل الفلاحون يدخلون ويخرجون..

فقال الفتى مبتسماً :

- يا ملك الزمان .. أمان .. إن جزءاً صغيراً جداً منهم هو الذى أخذ
طعاماً لأطفاله .. وما زال معظمهم ينتظر دوره .. وأنت تعرف .. كم
من الفلاحين يعيشون فى أية مملكة .. المهم يا مولاي .. أنه فى
الصباح التالى : دخل فلاح آخر .. وحمل جوالاً لأطفاله ..
ثم دخل فلاح ...

وهنا قاطعه الملك صارخاً:

- هل تريد أن تدفع بى إلى الجنون .. كفى .. لا أريد أن أسمع كلمة
أخرى عن هؤلاء الفلاحين خذ الأميرة .. تزوجها .. وخذ عرشى أيضاً
.. ولكن إياك أن تزيد كلمة واحدة .. أو أن تذكر فلاحاً آخر ..
وتزوج الفلاح الأميرة .. وخسرت الحكايات راوياً ممتازاً لأن الملك
حرم عليه أن يحكى أية حكاية أخرى!!

مدينة القناديل

كان السلطان (برقوش) أحد سلاطين المماليك، يعيش فى قصره الكبير ولا يعرف شيئاً عن القاهرة ، ولا يدري عن حياة أهلها شيئاً منذ قتل السلطان السابق وجلس على عرشه .

ذات يوم حكى له أحد رجاله، أن الخليفة هارون الرشيد كان يتنكر فى بعض الأحيان فى ملابس التجار، ثم ينزل إلى المدينة ليتعرف على أحوال الناس ويعرف مشاكلهم ولذلك ذكره التاريخ بالخير، فقال (برقوش) لنفسه :

- لماذا لا أفعل مثلما كان يفعل هارون هذا ، حتى يذكر عنى التاريخ أننى كنت سلطاناً عادلاً؟

وعلى الفور نادى وزيره (ياموق) وقال له:

- يا «ياموق»، هيا بنا ، سوف نرتدى ملابس الفقراء الحرفيين وننزل إلى المدينة لنرى كيف يعيش أهلها، دون أن يعرفنا أحد، فأنا قلق على شعبى العزيز.

ضاق الوزير (ياموق) برغبة السلطان هذه ، فقد كانت له دائماً شطحات كثيرة، ولكنها كانت تحدث دائماً داخل أسوار القصر أو القلعة . أما هذه النزوة فإنها ستعرضهما لأخطار لا يعرف أحد مدى خطورتها .

فكيف يأمن على نفسه وسط أهل المدينة دون حراسة . وهو أو السلطان لم يكن أحدهما يمر في الشوارع إلا في موكب عظيم له هيبة ورهبة تدق أمامه الطبول ويسعى بين يديه الفرسان .

ولكن (ياموق) لم يظهر خوفه كعادته إنما انحنى أمام السلطان مبتسماً موافقاً، وقال :

- يا لك من إنسان رحيم القلب يا مولاي ، سوف يكتب التاريخ عنك بحروف من نور، كيف كنت ترتدى الملابس الخشنة وتنزل إلى الأسواق، لتعرف أحوال الناس وتشاركهم في الآمهم .
فأجاب السلطان بصوت واهن ضعيف :

- المهم يا وزيرى المخلص ، ألا يكلفنا هذا أكثر من ذلك .

خرج السلطان ووزيره من باب سرى يؤدي إلى سرداب طويل ، ومنه إلى بيت قديم يسكنه خادم عجوز فتح لهما الباب فصارا وسط السوق الكبير .

ورأى السلطان (برقوش) من أحوال الناس ما جعله يرتجف تحت جلده . كانوا يتقاتلون على درهم ، ويسرق البائع فلوس المشتري بعد أن يغشه علناً. ويتعاركون بلا سبب ويتلقون سياط الجند بلا سبب، وهم يدعون للسلطان ثم يشتمونه ويسبونه بأعلى صوت عندما يبتعد الجنود الذين كانوا يضربون السارق والمسروق ويجلدون الناهب والمنهوب .

وفي الزحام تعرض السلطان المتنكر للشد والجذب ، وضربه رجل متسول لأنه لم يعطه إحساناً .

ولكن رعبه الأكبر كان عندما حل الليل وأقبل الظلام وساد الأزقة الضيقة ظلام خالك رهيب .

تعجب السلطان لذلك ونسى أنه كان قد أصدر أوامره المشددة بذلك من قبل، لولا أن ذكره وزيره ، فرفع يده محتجاً ، لكنه لما لم يستطع السلطان رؤية أصبعه فى الظلام صرخ من الرعب واحتضن الوزير، وطلب منه العودة فوراً إلى القلعة .

لقد كان السلطان يخاف الظلام منذ كان طفلاً ، وكان يخفى هذا الأمر حتى عن أقرب أصدقائه حتى لا يستغله أعداؤه .. وعندما وصل الاثنان إلى القصر التفت (برقوش) إلى (ياموق) وقال:

- عليك يا وزيرى أن تأخذ مائة ألف دينار من بيت المال واعمل على تضاء المدينة كلها غداً ، لا أريد ركناً أو شبرا منها غير مضاء ، فلا أريد أن يعيش شعبى المسكين فى الظلام .. غداً فى المساء يجب أن أرى المدينة غارقة فى النور .. هل سمعت ؟

خرج الوزير من عند السلطان وملس الدنانير الذهبية يملأه نشاطاً ويملاً رأسه بمائة ألف فكرة ذهبية اختار منها فكرة واحدة ثم استدعى نائبه (زقزوق) وقال له بعد أن شرح رغبة السلطان وأوامره :

- خذ هذا الكيس .. فيه خمسون ألفاً من الدنانير الذهبية أظنها كافية لتنفيذ الأمر فوراً ..

وانطلق نائب الوزير بعد أن حيا الوزير ، إلى بيته وقد عمر رأسه بخمسين ألف فكرة ذهبية اختار منها واحدة هو الآخر ، واستدعى إليه الوالى على عجل وصاح به :

- خذ أيها الوالى .. هذه عشرة آلاف من الدنانير الذهبية أمر مولانا السلطان أن تصرف من أمواله لإضاءة المدينة كلها ، هيا واعمل على أن تتلأأ المدينة فى المساء بالأنوار والا ..

وخرج الوالى من عند نائب الوزير وقد داعبته عشرة آلاف فكرة
عبقرية لكن الأمر لا يحتاج إلا لفكرة واحدة، فاستدعى قائد جند
المدينة وأصدر إليه أوامر مشددة بإضاءة المدينة كلها كما أمر السلطان.

ثم أضاف بعد تردد:

- خذ .. هذه ألف دينار ذهبى رصدها السلطان لتحقيق رغبته
السلطانية.

عاد قائد الجند إلى بيته حيث اطمأن على أنه أودع الدنانير الألف
مكاناً أميناً ثم خرج إلى عمله ليأمر باستعداد جميع مشايخ الحارات
ومشايخ الحرف والصنائع ، فجاءوا وهم يحسبون ألف حساب لذلك
الاستدعاء المفاجئ فهم يعرفون قائد الجند وقسوته .

لما حضر الجميع ووقفوا وهم يحسبون أنفاسهم فى انتظار سماع
الخبر الرهيب الذى أخرجهم من أسرتهم وفراشهم على عجل..

وبعد فترة من الصمت القاتل أصدر القائد أوامره بلهجة حاسمة، أن
على كل صاحب دار أو دكان أو حانوت أن يعلق أمام ملكه قنديلاً
مضاء قبل أن يحل الظلام فى المساء وإلا فإن الحاضرين يعرفون ما
يفعله بهم عندما يغضب لعصيان أوامره، فما بالهم وهذه هى أوامر
السلطان؟

وبعد أن أمرهم بالانصراف ، جلس يداعب قطته السوداء وهو يلعن السلطان
على بخله لأنه لم يرصد سوى هذا المبلغ الضئيل لتغطية مصاريف هذا
المشروع الكبير الفائدة. وخلال الوقت الباقى من الليل وطوال النهار. لعبت
المدينة لعبة القناديل .

نشط المرابون يقرضون من لا يملك ثمن القنديل ..

ودارت معاصر الزيت وارتفع الدق في حوانيت الحديد والصفيح .
واشتد النفخ في مصانع الزجاج .

وكان قائد الجند يمر في المدينة ليطمئن على سير الأمور وهو
حزين لأن ألف دينار ذهبي لا تساوي جزءاً ضئيلاً من جهد هؤلاء
المساكين الذين يشتغلون بكل إخلاص وجد .

وجاء المساء كانت المدينة كلها غارقة في النور، وتحسّس مشايخ
الحارات رقابهم لأنهم أفلتوا من غضب قائد الجند الذي ابتسم له الوالى
شاهداً على كفاءته .

وذهب الوالى لينحني أمام (زقزوق) متلقياً منه التقدير ، وذهب
(زقزوق) إلى (ياموق) فريت الأخير على كتفه وأخبره أنه سوف يشهد
له بالكفاءة والإخلاص عند السلطان .

وهنا (ياموق) نفسه لأن له رجالاً في غاية الإخلاص ، وذهب
ليشهد سعادة السلطان وفرحه بالأنوار التي تتلألأ في المدينة مثل
النجوم . ابتسم السلطان وقال لوزيره :

- أليس هذا عملاً رائعاً؟ بالتأكيد إنها فكرة مدهشة ، اسمع .. أحضر
لنا من بيت المال مائة ألف دينار ذهب أخرى، فالسلطان العادل يجب
أن يكافئ نفسه جيداً حتى تظل عبقريته تبتكر أفكاراً جيدة .

ضحكة بنت السلطان

قال الشيخ ظاظا:

- هذه الحكاية حدثت أيام السلطان «برقوش».. والسلطان «برقوش» كان سلطاناً عظيماً ورحيماً.. ربما!! هكذا تقول كتب التاريخ القديم. ومعظم هذه الكتب كتبها رجال يعملون في خدمة السلطان «برقوش» وغير السلطان «برقوش» من الملوك والمماليك.

مكتوب في هذه الكتب أيضاً: إن السلطان «برقوش» كان عادلاً وحكيماً، ولكن هذه القصة التي سمعها والذى العجوز من جده الشيخ الهرم تقول: إن السلطان «برقوش» لم يكن يعرف عن العدل شيئاً..

ومكتوب في هذه الكتب أيضاً: أن السلطان «برقوش» كان طيباً وكرماً.. يعطى الفقراء من ماله وينصف المظلومين.. ويساعد الضعفاء ضد المعتدين والظالمين.. وأن شعب مصر كان يعيش في عهده عيشة كلها سعادة ورخاء.. ولكن هذه القصة التي رواها لى والذى العجوز وأنا صغير.. والتي سأحكيها لكم الآن.. تقول: إن السلطان «برقوش» ومماليك السلطان «برقوش» نهبوا الفلاحين.. وسرقوا الصناع والصيادين.. بكل الطرق المعروفة وغير المعروفة أيضاً..

لقد كان السلطان «برقوش» يبتكر وسائل عجيبة وغريبة لسلب الشعب، ونهب أمواله وناتج أعماله..

كان إذا خرج يوماً إلى الحمام يأمر كل من يمر عليه في طريقه أن يدفع دينارين لببيت المال - أى بيت مال السلطان - كضريبة كان يسميها «بركة وجه السلطان».

وإذا ربي رجل من العامة شاريه، فعليه أن يدفع ديناراً عن كل مرة يخرج بشاريه إلى السوق.. وفي نفس الوقت فرض ضريبة كبيرة على كل من لا يربي شاريه، وكذلك على الحلاقين.. حتى لا يتهرب أحد من ضريبة الشوارب العامة..

وإذا أشرقت الشمس يوماً.. كان على كل فرد من أهل مصر أن يدفع درهمين من الفضة.. أما إذا حدثت وغابت الشمس لأى سبب من الأسباب.. فإن ضريبة الشمس تخفض إلى درهم واحد..

ولا تسألونى من أين يأتى أهل مصر بكل هذه الدراهم والدنانير؟ فأهل مصر لا يكفون لحظة واحدة عن العمل.. بل إنهم يمرضون إذا لم يشتغلوا. هذه طباعهم منذ أيام الفراعنة.. يعملون ليلاً ونهاراً فى الحقول والدكاكين، وفى البحر والطواحين.. ليقدموا الدنانير والدراهم لكل «برقوش» وحاكم..

واعذرونى يا أولادى.. إذا كان لكم رأى غير هذا!! فأنا عمري الآن مائة عام وعشرة.. ولقد سمعت هذه الحكاية من أبى وأنا صغير فى مثل سنكم.. وفرق كبير بين أيامى وأيامكم.. فإن سرحت مرة أو شطحت فاعذرونى.. ولا تزعلوا منى فهذا حكم السن وحكم الزمان.. فساعدونى واسمعونى.. حتى لا أنسى شيئاً من حكاية صاحبنا «همام». وهذه الحكاية التى هى جزء من تاريخ قريتنا القديم.. شاهده جد والدى ورآه بعينيه.. وليس من رأى بعينيه كمن سمع بأذنيه. (أو حتى كمن قرأ كتاباً.. مهما كان هذا الكتاب.. يا أصحاب).

قال الشيخ «ظاظا» :

تبعد قرينتنا الآن كما تعرفون، عن شواطئ بحيرة المنزلة بمسافة كبيرة، أما في الزمان القديم.. فكانت «ميت سلسيل»، تقع على شاطئ البحيرة تماماً.. وكانت مجرد قرية صغيرة تحيط بها أدغال البوص والغاب والبردى.. ويفصل بينها وبين الحقول والأراضي الزراعية تلال ترابية وزملية، وملاحات تنمو فيها أبصال النرجس التي تزهر مع الربيع.. فتغطي أزهارها الجميلة مساحات واسعة لا يبلغ البصر مداها، وعندما تختلط رائحتها برائحة السمك والجمبرى.. تتكون رائحة غريبة مميزة اشتهرت بها قرينتنا.. «ميت سلسيل»..

وكان كل أهل القرية في ذلك الزمان يشتغلون بالصيد. ويغيبون في البحيرة أياماً طويلة، ثم يعودون بالقوارب والمراكب الصغيرة محملة بخيرات البحيرة.. وما أن يصلوا إلى الشاطئ حتى تنقلب فرحتهم بالصيد إلى حزن وغم.. فعلى الشاطئ يكون «الداودار شبار»، ورجاله من المماليك في انتظارهم.. حيث يستولون على الصيد سداداً لضرائب وغرامات كثيرة يعرفونها، وأخرى لا يدرون عنها شيئاً..

ولم يحدث مرة أن غادر القرية أحد من أهلها.. إلا إلى البحيرة.. ولم يحدث أن سافر أحد منهم أو عرف إلى أين يؤدي ذلك الطريق الوحيد الممتد جنوباً خلال الملاحات والتلال.. التي تغطيها أزهار النرجس وأدغال البردى..

لا أحد يعرف.. أو يسافر.. أو حتى يسأل. فالناس في القرية يعتقدون أن رجال «الداودار» سيمنعونهم من مغادرة القرية، وإذا ما ألح على أحدهم السؤال، فإنه كان يعتقد أن الجواب عند رجال «الداودار» سيكون بالعصى والسيوف. أو بالحبال..

وحدث ذات يوم أن وصل إلى قريتنا رجل غريب .. عجوز وطيب،
له لحية بيضاء طويلة .. يبدو معها كأحد شيوخ الحواديث القديمة،
وراءه كانت تسير حمارته .. حمارة غريبة وعجيبة ولها عينا إنسان ..
وابتسامة طفل صغير ..

لم يكن أحد من الرجال يومها في القرية .. فقد كنا في موسم
الصيد .. وما أن دخل الرجل الشيخ إلى القرية حتى أغلقت الأبواب ..
كما يحدث دائماً عند وصول الغريب .

ووقف الأطفال وراء الأبواب والشبابيك، ينظرون إلى الرجل الغريب
وحمارته في خوف .. وهم يتعجبون منه ! كيف وصل إلى القرية
ورجال «الداودار» يقطعون الطريق .. هل يكون من رجال «شبار» .. لا ..
إنه ليس جندياً مثلهم .. وهو لا يشبه المماليك .. إنه يشبه أهل القرية
أكثر .. لكن رائحته ليست رائحة القرية المعروفة .. المكونة من خليط
من رائحة النرجس ورائحة الجمبرى .

حبست كل أم طفلها خوفاً عليه وبكى معظم الأطفال حينما
أبعدتهم أمهاتهم عن الشبابيك وهم يريدون الفرجة .

قالت الأمهات: الرجل العجوز جاء ليخطف الصغار .. ليبيعهم عبداً
للمماليك .

ولكن الأطفال لا يصدقون أن هذا الرجل الطيب .. صاحب الحمارة
الطيبة .. التي لها ابتسامة كابتسامة طفل صغير .. يمكن أن يؤذي
طفلاً ..

ولكن الأبواب ظلت مغلقة، خوفاً من الرجل الغريب الذي هبط إلى
القرية فجأة، والرجال غائبون في البحيرة بحثاً عن السمك ..

سار الرجل العجوز وحمارته في حوارى قريتنا القديمة الصغيرة ..
دون أن يقابلهما أحد .. ودون أن يفتح لهما باب أو يخاطبهما إنسان ..
وكان صوت بكاء بعض الأطفال يرتفع وراء بعض الأبواب المغلقة ..
فتتقف الحمارة لتسمع، وقد شدت أذنيها جيداً ولكن لا شيء غير هذا ..

قال الشيخ لحمارته التى كانت تبتسم فى سخرية:

- ما رأيك يا «فكيهة»؟

قال الشيخ «ظاظا» .. وكانت هذه أول مرة فى حياتى أسمع أن هناك
حمارة أخرى لها اسم قبل حمارتى العزيزة «ست الملك» .

ومدت الحمارة رقبتها وهزت رأسها بعنف بطريقة جعلت أذنيها
تصفعان وجهها بشدة كما تفعل الحمير عادة عندما تفكر .. ثم قالت:

- قرية .. مثل بقية القرى .. الناس فى البيوت، والشوارع خالية، لا
شيء فى الشوارع سوى الخوف يا «زرزور» ..

قال الشيخ «ظاظا»:

- يا للعجب! وهذه أيضاً أول مرة أعرف أن هناك حمارة تتكلم ..
قبل أن تبتدع الأجهزة الحديثة المصنوعة من الخشب والحديد والتي
تنطلق وتحكى الحواديت ..

وقبل أن يرد الشيخ رأت الحمارة كلباً يعدو خائفاً مبتعداً عن
طريقهما ..

فقال:

- الخوف! والكلاب يا «زرزور» .. وحتى الكلاب نفسها خائفة ..

ثم رأت أن تنادى الكلب الهارب فصاحت:

- انتظر يا صديقى المرفوع الذيل.. انتظر ولا تخف منا.. أنا لست
ثعلبة أو ذئبة؛ إننى مجرد حمامة عادية لا أؤذى أحداً.. ولا أرغب فى
أذى أحد..

فتوقف الكلب.. والتفت إليها يتأملها وهو يفكر.. ثم حك أذنه
اليسرى.. كعادة الكلاب عندما تتوقع شراً.. وبعد أن تأكد من صدق
الحمامة ومن عدم رغبتها أو قدرتها على إيذاء أحد. قرر أن يؤدى
واجبه.. فانتفض نابحاً بشدة..

- هو.. هو.. هو.. هو.. هو.. هو.. هو.. هو..

فقالته «فكيهة، لصاحبها الشيخ:

- انظر.. ماذا فعلتم يا بنى آدم فى هذه الحيوانات.. وكيف
أفسدتموها.. عندما ذهب الخوف وتأكد من مسالمتى.. يريد أن يثبت
بطولته.

فضحك الشيخ قائلاً:

- ها.. حاولى أن تلصقى التهمة ببنى جنسى.. هذه هى عادة كل
من يمشى على أربع.. أسد علينا وفى الحروب أرايب.

فاحتجت الحمامة قائلة.. وهى تحاول أن ترفع صوتها حتى لا
يضيع فى النباح:

- أيها الثعلب العجوز.. أنت تعرف من فعل فىنا ذلك.. ألا يعيش هذا
الكلب فى قرية بشرية؟

فسارع الشيخ يقول لها:

- لم يثبت لدينا بعد.. أن في هذه القرية أحداً من بنى البشر. لم نر
غير هذا الكلب الشجاع.. أما صوت البكاء الذى سمعته فقد يكون بكاء
بعض جنيات البحر الصغيرات..

فتجاهلت الحمامة الرد عليه، وصاحت بالكلب الذى كان لا يزال
ينبح:

- أيها الكلب الغبى.. كف عن هذا الذى تفعله واستمع إلى..

وفوجئ الكلب بصرختها.. فكف على الفور عن النباح.. وأخذ يهز
ذيله كما تفعل الكلاب دائماً عندما تتذلل.. ووقف فى أدب ينتظر ما
تأمر به. قالت الحمامة وهى تحاول أن يكون صوتها مقنعاً:

- لماذا تنبح.. هه؟! إننا غرباء نعم.. ولكننا أصدقاء.. وقد جئنا
للبحث عن أصدقاء لنا صغار فى هذه القرية.. أو كبار نحن لا نمانع..

انظر إلى هذا الشيخ الطيب إنه لا يستطع إيذاء بعوضة..

فغضب الشيخ «زرزور» من هذا الذى تقوله.. وصاح محتجاً:

- أنا لا أؤذى أحداً حتى البعوض بالفعل.. ولكن ليس لأننى لا
أستطيع ولكن لأننى لا أريد.. إننى..

فقاطعت الحمامة بإشارة من رجليها الأمامية:

- لسنا نناقش الآن ضعفك أو قدرتك ياشيخ.. ولكن أرجوك أن تسكت
حتى أستطيع التفاهم مع هذا الكلب البطيء الفهم.. لم نحضر إلى هنا
ونقطع كل هذه المسافة لنترك مهمتنا ونتشاجر.. دعنى أشرح لهذا

الكلب الأمر بالأسلوب الذى يفهمه .. فإنه على ما يبدو لم يتناول طعاماً
آخر غير السمك فى حياته .. وهذا لا بد أن يجعله أقل قدرة على فهم
الآخرين، فاصمت تماماً ودعنى أعمل ..

كان الكلب يتراجع ناحية الحائط وقد بدأ يشك فى نوايا الشيخ .. بعد
أن سمعها تتكلم، ولكنه كان لا يزال يهز ذيله بشدة ..

فقال له الحمارة:

- تعال يا صديقى .. نحن غرباء .. ونريدك أن تساعدنا وأن تدلنا،
وسوف يكون فى ذلك خير كثير لك ولنا. لن تستغرق مهمتنا سوى
ساعات قليلة ترحل بعدها .. ولن نسبب لك أية متاعب ..

كان الشك قد ملأ رأس الكلب .. فاقترب منهما .. يتشممهما وليتأكد
أن الشيخ بالفعل عجوز لا يؤذى أحداً .. وقال فجأة:

- ما المهمة التى جئتما من أجلها يا ذوات الأذنين الطويلتين ..

ولم تعجب الحمارة هذا الاسم ولكنها تجاهلت ذلك وقالت:

- هل هذه القرية خالية من السكان .. لا بد أن هنا بعض الأطفال ..
ولا بد أن هناك بعض الحمير أيضاً ..

فهمس لها «زرزور» فى تأنيب:

- ولماذا تسألين عن الحمير. نحن لم نأت إلى هنا بحثاً عن
المتاعب، لا تضيعى الوقت فى بحث مشاكلك العائلية .. واسأليه عما
نريد باختصار، فإنه على ما يبدو قد نفذ صبره ..

وبالفعل كان الكلب يتأهب للنزال والهجوم .. فقد تأكد أنهما إما
جاسوسان أو تاجران للصيد جاءا ليسرقا الأطفال .. فى غياب الرجال ..

وأخذ الكلب يتراجع وهو يبتسم إعجاباً بالفكرة التي توصل إليها
بذكائه .. ودهشت الحمامة والشيخ لسلوك الكلب المفاجئ .. ولكن قبل أن
يجد أحدهما وقتاً ليسأله عما به .. كان نباحه يملأ الساحة .. هذه المرة
كان نباحاً غريباً معطوفاً كأنه يستنجد بأحد ما .. ولم تمض دقيقة حتى
امتلات الساحة بالكلاب من كل نوع .. جاءت صارخة تنبح وتهاجم
الغريبين دون كلمة، وألقى الشيخ اللوم على الحمامة لأنها لم تشرح
الأمر للكلب كما يجب .. واتهمته الحمامة بأنه السبب لأنه كان يقطعها
باستمرار ..

واشتد هجوم الكلاب .. واحتمى الشيخ بالحمامة، وكانت هي تحاول
الاحتباء به .. ووجد الاثنان في جدار قريب حماية مؤقتة .. واستسلم
الاثنان للخطر، وعلا النباح واشتد، وأخذت المسافة تضيق بين
المهاجمين والمحاصرين شيئاً فشيئاً .. واختفت ابتسامة الحمامة التي
تشبه ابتسامة الطفل .. وحلت محلها نظرة تعجب ودهشة .. فهذه أول
مرة في حياتها تقابل كلباً على هذه الدرجة من الغباء ..

قال الشيخ «ظاظا»:

وكان الفتى «همام» يجلس في دكانه .. يشتغل!

قلنا:

- يا عم «ظاظا» .. وماذا فعلت الكلاب بالشيخ «زرزور» وبحمارته

الظريفة؟!!

قال الشيخ «ظاظا»:

- سوف أتى إليكم في الكلام .. لا تتعجلوا .. ألا تعرفون أصول

الحكاية .. أنا أشوقكم .. حتى لا تشرذوا بعيداً عني .. وعن حكايتي، هذه

هي الأصول.

ولكننا صحنا به:

- لا تشرد أنت.. وقل لنا.. ماذا جرى للشيخ وللحمارة؟!..

ولكن الشيخ «ظاظا»، لم يعجبه ما نفع.. فغضب وقام محتجاً وهو يقول:

- إذا كنتم تريدون حكايتي.. فعليكم أن تسمعوني دون مقاطعة أنا حر.. أحكيها كما أريد.. أما إذا كنتم تريدون حكاية على هواكم فابحثوا عن أحد آخر يحكيها لكم.. سلام عليكم..

صحنا جميعاً في استعطاف:

- لا.. لا.. ياعم الشيخ «ظاظا»، لا تتركهم هكذا.. ولا تتركنا.. سنسكت سكوتاً ولن نقاطع مرة أخرى.. لقد خوفنا بما فيه الكفاية.. هل أنت «الداودار ظاظا»،.. ها.. ها..

ثم سكتنا.. وسكت الشيخ.. وطال سكوته وهو ينظر في عيوننا كأنه يسألنا عن شيء..

ولكن أحداً لم يجرؤ على الكلام.. فصرخ فينا غاضباً:

- قلت لكم إن «همام» كان في الدكان يشتغل.. فلماذا لا تسألونني ماذا كان «همام» يعمل؟!..

هذا الشيخ حيرنا.. إذا سألنا غضب وإذا سكتنا زعل.. على العموم.. قلنا:

- وماذا كان «همام» يشتغل يا شيخ «ظاظا»؟

قال الشيخ «ظاظا»:

- هذا مهم جداً.. عمل «همام» هام جداً في حكايتنا.. أتعرفون ماذا كان يعمل «همام»؟!..

قلنا فى دهشة:

- وكيف نعرف؟! .. لم يقل لنا أحد ماذا يشتغل «همام» .. عجيبة!!

فابتسم الشيخ واعتدل فى جلسته وقال:

- أنا أقول لكم .. لقد كان الفتى «همام» .. فناناً عظيماً .. نعم .. كانت قطعة الخشب القديمة والجديدة أيضاً .. تتحول فى يديه إلى تحف جميلة .. إلى تماثيل ولعب .. وعرائس .. كانت كل طفلة فى قرينتنا تملك عروساً من صنع يدي «همام» .. وكان كل طفل فى القرية عنده حصان أو عربة أو قارب صغير صنعه «همام» .. كان «همام» صانع ابتسامه كل طفل فى القرية .. وطول الوقت كنت تجده جالساً على مصطبة قديمة فى آخر القرية يسميها الدكان .. يصنع ابتسامات الأطفال .. على هيئة لعب وعرائس وأشياء أخرى كثيرة وجميلة .

كانت القرية كلها تحب «همام» .. وكان «همام» هو طفل القرية كلها .. لم يكن له أب .. ولم تكن له أم على قيد الحياة . ولكن جميع الرجال كانوا آباءه .. وجميع الأمهات فى القرية أمهاته .. وكل بيوت القرية كانت بيوته وأطفالها إخوته .. لم يكن «همام» يعرف من هو؟! .. ولا أحد فى القرية، حتى الكبار منها لا يعرفون ..

وفى قرية قديمة وصغيرة مثل قرينتنا ... تقع على شاطئ بحيرة ويعمل أهلها فى الصيد ... فإن الناس يحكون دائماً حكايات كثيرة، وأساطير عن جنيات الماء الجميلات، وعن عرائس البحر التى تظهر فى الليالى القمرية .. فوق الأمواج . والتى كثيراً ما تتزوج من رجال الأرض ..

أىكون الفتى «همام» ابن إحدى هذه العرائس .. تزوجت أحد الصيادين؟ لا أحد يعرف .. ولا أحد يحاول أن يعرف! ..

ف «همام» هو ابن القرية كلها.. هذا هو كل ما نعرفه.. وما كان يعرفه أهل القرية أيامها.. كل ما يعرفه الناس أنه يصنع ابتسامه كل طفل في القرية حتى في الأيام الحزينة التي يبكي فيها الكبار. عندما يأخذ «الداودار شبار» ناتج عملهم وشقائهم.. ويتركهم للجوع والفقير وللأحزان..

ولكن أحداً منهم لم يكن يعرف أن هناك حزناً دفيناً يملأ قلب «همام» الصغير، وأنه كان حزينا في كثير من الأيام..

وأنه في ليالٍ كثيرة كان يذهب إلى شاطئ البحيرة.. أو إلى مكان خفي وسط أدغال النرجس والبردى.. ليجلس وحيداً يفكر. وأحياناً ليبكى.

كان «همام» يحلم بالبلاد البعيدة.. ويسأل نفسه كثيراً عما وراء هذه البحيرة.. وإلى أين يؤدي ذلك الطريق الممتد عبر الملاحات..

كان «همام» يحلم بجزائر خضراء ومدن كبيرة وأناس ذوي لحى بيضاء.. كان يحن لشيء بعيد مجهول لا يعرف ما هو.. ولكنه كان دائماً ما يجعله يسأل.. ويريد أن يعرف.. ولكن ما هو هذا الشيء.. لا يدري «همام».. فكان كلما خلا إلى نفسه بكى في حرقة من فقد شيئاً عزيزاً.

أما عندما يكون وسط الأطفال أو مع قطع الخشب الصغيرة.. التي يبدع منها اللعب والتماثيل.. فكانت له ابتسامه أرق من ابتسامه أي غلام آخر.. ابتسامه رائعة تشبه ابتسامه زهرة النرجس في الصباح..

وفي ذلك اليوم.. كان «همام» يشتغل وهو يضحك.. كان يصنع دمية تشبه «الداودار شبار» راكباً حماراً عجوزاً ووجهه ناحية ذنب

الحمار.. وكان «همام» يتوقع أن يجعل أهل القرية الغائبين يضحكون من القلب عند عودتهم.. عندما يرون هذه اللعبة..

كان منهمكاً في العمل عندما سمع نباح الكلب الأول.. ولكنه لم يترك ما بيده.. فلا بد أن أحد الكلاب يلعب!! ولم يتوقع وصول أحد إلى القرية.. فالكلاب أصبحت لا تنبح عند وصول غرباء.. لأنه لا يصل إلى القرية غرباء سوى رجال «الداودار» وهؤلاء تخافهم الكلاب حتى الموت.. وبعد فترة.. سمع «همام» نباح الكلاب الكثير.. فانتبه إلى أن شيئاً خطيراً.. لابد قد حدث!..

فما الذي جرى يا ترى؟!..

ترك «همام» ما بيده واندفع يجرى ناحية الأصوات.. وفي الساحة رأى الشيخ العجوز الطيب في حالة يرثى لها.. والكلاب تحيط به وبالحمارة وتهاجمهما في عنف.. فلم يستطع أن يمنع نفسه من الضحك.. عندما وجد الكلاب تهاجم بكل هذه الشجاعة التي لا يملكها الشيخ العجوز وحمارته.

وما أن سمعت الكلاب ضحك «همام» الساخر.. حتى توقفت عن النباح.. وهزت ذبولها خجلاً.. وأسرعت تختفي في الحواري القريبة.. وعند ذلك استعادت الحمارة شجاعتها.. وعاد إلى الشيخ هدوؤه.. ووقف الثلاثة يتأمل كل واحد منهم الآخر في صمت..

وصاح «همام» يعرفهم بنفسه:

- اسمي «همام».

وأسرعت الحمارة تقدم نفسها إليه أولاً.

- وأنا «فكيهة» حمارة الشيخ «زرزور».. وهذا هو صاحبى الشيخ «زرزور».. إنه رجل شجاع.. ولكنه يخاف الكلاب فى بعض الأحيان.

وهمس «همام» فى حب:

- إننى أعرفكما منذ وقت طويل..

فالتفتت «فكيهة» إلى صاحبها.. وقالت فى دهشة:

- هذه القرية تحيرنى.. سنرى ونسمع فيها العجب.. لست أفهم كيف يعرفنا وهو لم يرنا قبل الآن..

ووجدها «زرزور» فرصة لاستعادة مكانته، وإعادة الحمارة إلى المركز الثانى.. فليس هذا نقاشاً مع الكلاب.. قال الشيخ..

- هذا هو الفرق بيننا وبينكم يا ذوى الأربع.. أنا أفهم ما يريد أن يقوله.. وليس غريباً أبداً أن يعرفنا هذا الفتى.. فلم تفهم «فكيهة» شيئاً..

قلنا للشيخ «ظاظا»:

- ونحن أيضاً لم نفهم شيئاً.. فكيف يعرف «همام» الشيخ «زرزور» وحمارته.. وهو لم يرهما من قبل؟..

وبدت على وجه الشيخ «ظاظا» علامات خيبة الأمل.. وقال:

- كنت أظن أنكم أكثر ذكاء.. معذورة يا «فكيهة»..

ولما سألنا فى احتجاج..

- وهل فهمت أنت؟!!

صرخ فينا غاضباً:

- أنا الذى أحكى الحكاية.. ما دمتم لا تفهمون.. فاسكتوا وانتظروا حتى أكمل.. ماذا أصنع إذا كنتم لا تفهمون.. لا تقاطعونى.. ولو تكلمتم كلمة واحدة.. فلن أحكى شيئاً..

وسكتنا ..

قال الشيخ «ظاظا»:

قبل هذه الحادثة بفترة من الزمن، حدثت ضجة عظيمة في المدينة الكبيرة، وهنا قاطعه الطفل الذي يجلس إلى جوارى هامساً في خوف:
- وعدتنا أن تكمل الحدوتة حتى نفهم .. ماذا حدث بين «همام وزرزور»؟ .. لماذا تتحدث الآن عن المدينة؟

وقبل أن يغضب الشيخ «ظاظا» مرة أخرى .. همست أحذر الفتى:

- هل تريد أن تكون أقل ذكاء من «فكيهة»؟! .. اسكت ..

وسكت الفتى .. وعاد الشيخ «ظاظا» يقول متجاهلاً ما حدث:

- قبل حادث النباح الكبيرة بمدة .. حدثت ضجة عظيمة في المدينة الكبيرة حيث يوجد قصر السلطان «برقوش»، وقلعته الكبيرة .. وشاهد أهل المدينة الرسل والمنادين ينطلقون من أبواب القلعة السبعة إلى كل الجهات .. وتطلعت العيون إلى القلعة .. وخفقت القلوب وارتعشت خوفاً .. لأن ما حدث لا يبشر بالخير، وهذا يعنى أن الشر لن يقع إلا فوق رؤوس أهل المدينة ..

كان السلطان «برقوش» يصرخ في القصر فيهتز، ويأمر غاضباً وهو يدق الأرض ويهز جدران القصر .. فتسمع المدينة صرخاته الغاضبة فتغلق أبوابها .. ويتوقف الناس عن البيع والشراء .. وتغلق الدكاكين والحوانيت .. وتخلو الشوارع من المارة، ويفضل الناس البقاء في بيوتهما انتظاراً لما تأتي به الساعات ..

وطال انتظار الناس وقلقهم .. ثم دقت الطبول .. ومضى المنادى
يجوب شوارع المدينة وهو يقول:

الغائب يعلم الحاضر .. منذ اليوم .. هناك أوامر ..
أن يحيا الناس .. جميع الناس .. بالعدل وبالقسطاس ..
قال الناس: خيراً فعل السلطان ..

وخرجوا من بيوتهم مطمئنين إلى أشغالهم .. وفتحوا الدكاكين
والمحلات .. ورفعوا أيديهم إلى السماء شاكرين .. يلعنون ما فات ..
ويدعون لسلطان السلاطين ..

ومضت عدة أيام .. وعادت الضجة العظيمة تهز المدينة الكبيرة ..
وشاهد أهل المدينة الرسل والمنادين ينطلقون مرة أخرى من أبواب
القلعة السبعة إلى كل الجهات .. وكان السلطان في القصر يزعق
ويصرخ .. وأغلقت المدينة أبوابها وتوقف الناس عن البيع والشراء
وأغلقت الحوانيت والدكاكين ..

وخلت الشوارع من المارة .. وفضل الناس البقاء في بيوتهم انتظاراً
لما تأتي به الساعات .. وطال انتظار الناس وقلقهم .. ثم دقت الطبول ..
ودار المنادى في الحواري يقول:

سلطان السلاطين .. يأمر الخلق أجمعين
أن يلبسوا الحرير .. وأن يأكلوا الفطير ..
فلن يبقى بعد اليوم .. في المدينة
رجل مسكين .. أو طفلة حزينة ..

قال الناس خيراً ما يقوله المنادى .. ويأمر به السلطان .. لو كان
بأيدينا .. أو لو كان سيعطينا ..

وخرجوا للأسواق .. وفتحوا الدكاكين ..

ودار رجال السلطان .. يوزعون الملابس الحريرية على الشحاذين ..
ووقف طباخو السلطان على النواصي يوزعون اللحم السمين .. والخبز
والفطير الكثير ..

ومع أن الجنود كانوا يوزعون الضرب والإهانة مع الملابس
والطعام .. إلا أن الناس كانوا مسرورين ..

ونادى منادٍ يقول:

- إن على جميع الناس - صغاراً وكباراً - أن يخرجوا إلى الشوارع
مسرورين ضاحكين، وأن تعلق الزينات في العيادين والحارات .. وعلى
القردياتية والبهلوانات أن يملأوا الشوارع بالألعاب والألغاز
والمضحكات .. وتعجب الناس .. لأنهم ليسوا في موسم عيد .. ولم يكن
رمضان قد حان ..

ثم عرف الجميع السر .. فبنت السلطان الأميرة الجميلة الصغيرة ..
سوف تخرج في موكب لتتري المدينة وأهلها .. ولا بد أن يكون الجميع
في أزهى صورة وأعظم مظهر ..

وقال الناس للناس:

- بنت السلطان حزينة .. يقولون إنها مريضة .. لا تعرف الضحك أو
الابتسام ..

عجيبة هذه القصة؟! سأل طفل أمه .. وهو راكب فوق كتفها:

- هل الأميرة حزينة لأنها جائعة يا أمي .. ولا تجد لبنا؟! ..

وقال رجل لجاره .. فى همس:

- إذا كانت بنت السلطان حزينة .. يا قلب لا تحزن ..

وسأل طفل جده العجوز:

- لماذا لا تضحك بنت السلطان؟ هل يضربها الفقيه فى الكتاب لأنها

لا تحضر له رغيف الصباح.

وصاحت طفلة:

- لو أحضرت لى بنت السلطان تاجها الذهبى لألبسه مرة واحدة فى

حياتى .. لأخذتها معى إلى الساحة لتلعب معنا أنا وأصدقائى ..

ولضحكت طول اليوم ..

والحقيقة أن الأميرة الصغيرة لم تكن تضحك أبداً .. وكانت حزينة

دائماً، ولا أحد يعرف السبب .. ولا أحد يدرى متى بدأت هذه الحالة ..

ولا كيف اكتشفت ... وإن كان الجميع قد أكدوا أنه مرض خطير ..

قلنا للشيخ «ظاظا»:

- هل تظن أن الأميرة كانت معقدة نفسياً؟ ..

فضحك الشيخ «ظاظا» . وقال:

- ومن أين أعرف أنا .. ولم أدرس فى المدارس الحديثة مثلكم .. هذا

غير مهم .. دعونا منه .. فأسباب الحزن كانت كثيرة . وكان لا بد أن

يصيب أحدهم الأميرة .. لا بد .. هذا شىء غير بعيد ..

نعود إلى موكب السلطان . الذى كان الآن يخرج من البوابة ..
وبجواره ابنته والحاشية والحراس فى أبهى زينتهم .. والرايات والأعلام
ترتفع على البيوت .. والناس على الجانبين - كل الناس - يضحكون
ويرقصون ويلوحون بأيديهم وقد علت هتافاتهم .. وكل واحد منهم يريد
أن يظهر للسلطان أم للجنود المنتشرين بينهم أنه فى غاية السعادة ..

وكان السلطان يضحك ويشير للأميرة ويشرح لها .. ويريهما الملابس
الجديدة التى يرتديها الشعب .. ولكن الأميرة .. ظلت جامدة ساكنة ..
وفى عينيها نظرة حزينة عميقة ..

كانت لا تنظر إلى أحد .. وفجأة تساقطت من عينيها الدموع ..

ولأن الناس كانوا يرقصون ويضحكون غصبا .. ولأنهم كانوا
يلوحون بأذرعهم التى تحمل آثار الضرب بالسياط .. ولأن قلوبهم كانت
ملينة بالخوف من الجنود . لذلك لمحوا دموع الأميرة بمجرد أن لمعت
فوق خديها .. وأكثر من ذلك .. لقد بكت طفلة صغيرة كانت محمولة
على كتف أمها ..

وحاولت الأم أن تسكتها بسرعة قبل أن يقترب الجندى الذى نظر
إليها غاضبا .. ولكن طفلا آخر بكى .. ثم تبعه ثالث .. فرابع .. وارتفع
بكاء الأطفال .. وكف الناس عن الرقص وضاع صوتهم فى بكاء
الأطفال .. ولم يعد غير بكاء الأطفال والصمت يلفان الشوارع .

ووقف السلطان متعجبا والغضب يخنقه .. فلم يستطع الكلام .. ونظر
إلى ابنته التى كانت لاتزال تبكى .. ووقف حصانه .. وظل لحظة لا
يدرى ماذا يفعل .. وقد تحول العيد إلى جنازة .. ولف بحصانه وأمر
بالعودة إلى القصر بسرعة ..

وما أن اختفى السلطان .. حتى كانت الساحات مملوءة بصيحات
وأصوات من نوع آخر.. فقد أفاق الجنود.. وأدركوا ما حدث.. لم يكن
أحد قد أعطاهم أية أوامر.. لأن قادتهم لحقوا به.. لكنهم كانوا يعرفون
ما يجب أن يفعلوه دائماً في مثل هذه الأحوال.. وارتفع صراخ الناس..
وجرى كل واحد يبحث لنفسه عن ملجأ ونجاة من سياط الجند
وحرابهم.. الذين انطلقوا ينزعون عن الناس الملابس الجديدة
ويضربونهم.. انتقاماً لما حدث.. وانتظاراً لأوامر السلطان..

وعاد السلطان إلى القصر.. وقد فشل في إزالة حزن الأميرة أو
شفائها، لقد قالوا له:

- لا بد أنها رأت من مظاهر البؤس والفقير ما جعلها حزينة.. وهي
ما زالت صغيرة، وهذه الأشياء تؤثر في قلبها الصغير.. فأطلعها على
حال الناس وهم سعداء..

وعاقب السلطان مربية الأميرة وجواربها عقاباً صارماً وشديداً..
لأنها لا بد خرجت معهم.. ولا بد أنها ذهبت دون علمه إلى الأحياء
القدرية من المدينة.. فانتقلت إليها عدوى مرض من الأمراض التي
تعيش وتنتشر هناك..

وچار الأطباء والحكماء في مرض الأميرة واحتار المهرجون في
اختراع وسائل لإضحائها..
وقالت جارية لنفسها:

- لا بد أن الأميرة حزينة لما حولها من نفاق وكذب.. جنود
كالأصنام في كل مكان، وجوار كعرائس المولد.. ولا طفل هناك يلعب
معها أبداً..

وقال خادم عجوز لزميل له يثق به:

- الحزن مرض يسود إذا ساد الظلم بين الناس.. لقد شاهدت ذلك طول حياتي في كل مكان.. ولكن الغريب أن يصيب الحزن الأميرة وهي لم يظلمها أحد ولم تظلم أحداً بعد.. لا بد أن لهذه الأميرة قلباً طيباً.. لا يتفق مع الإمارة والسلطنة.

وقال رجل من رجال السلطان مجرب ولئيم:

- لا تخافوا إلى هذه الدرجة.. فسوف تشفى الأميرة.. إنه عارض تافه.. ولا أهمية له.. فسوف تضحك الأميرة غداً كثيراً مهما كانت أسباب حزنها الآن.. غداً تذوق حلاوة السلطة.. فتموت من الضحك..

لقد رتب السلطان «برقوش» حكاية الموكب هذه على يرفه عن الأميرة.. ويربها صورة جميلة للشعب وللمدينة.. ولكن الأمر لم ينتج أثراً.. بل أصبح الأمر أشد سوءاً..

وأعلن السلطان أن من يستطيع أن يضحك الأميرة.. فسوف يصبح زوجها في المستقبل.. وسيكون شريك السلطان ووريثه في الملك..

ولا أحد يعرف هل كان السلطان يعنى ما أعلنه حقاً.. أم أنه لجأ إلى هذا الحل.. لأن كل الحواديت التي تتحدث عن مرض الأميرات.. تقول إن هذا ما يجب أن يحدث.. لا ندري..

المهم أن المنادين انطلقوا إلى أنحاء الدنيا الأربع.. يدقون الطبول.. ويقرؤون الأوامر الجديدة.. ويعلنون في نفس الوقت أن كل من يتقدم إلى المهمة ويفشل.. فإن سيف السيف القاطع.. سيتولى أمره.. ليكون عبرة لغيره..

ويوماً بعد يوم.. عاد الناس إلى أعمالهم.. لأنه كان لابد أن ينشغلوا بأعمالهم.. ولأن الحياة تحتاج إلى ذلك العمل.. ولا يمكن للكون أن يقف انتظاراً لضحك الأميرة..

عاد الفلاحون يزرعون الحقول. وعاد الخبازون إلى قمعهم ودقيقهم.. يعجنون ويصنعون الخبز.. وعاد النجارون والحدادون يصنعون الأدوات البسيطة.. وعاد الجنود أيضاً يجمعون الدراهم والغرامات.. وعادت الأمهات يرضعن أطفالهن ويحكين لهم الحكايات عن السلاطين والأميرات..

وكان أطفال المدينة والقرى.. يمضون أيامهم في اللعب والعمل.. وأحياناً كانوا يتذكرون الحكاية.. ويتعجبون لأن بنت السلطان حزينة تبكى وعندها ملابس تسد عين الشمس.. وعندها من الطعام.. ما يكفي قرية كاملة في اليوم الواحد..!

وفي بعض الأحيان كان بعض الأطفال يحلمون وسط العمل.. كل منهم يتصور أنه يستطيع أن يجعل بنت السلطان تضحك.. ولكن سرعان ما كان يتذكر سيف السيف.. ويتذكر أن الممالك لا يمكن أن يسمحو لواحد مثله أن يصبح سلطاناً حتى ولو أضحك بنت السلطان ألف مرة..

ولكن كثيراً من المغامرين وحتى من الممالك.. طمعوا أن يتزوجوا الأميرة وأن يصبحوا ورثة للعرش..

وفشلوا جميعاً..

ويوماً بعد يوم.. زاد عدد الرءوس المعلقة على سور المدينة. ذلك السور الذى كانت الأميرة تراه أحياناً فى أحلامها. فتهب صارخة.. أكثر حزناً من اليوم السابق..

وانشغل السلطان أحياناً كثيرة بمرض ابنته.. فلم يعد يتفنن فى اختراع وسائل جديدة لنهب الناس. ونسى حكاية الشوارب.. وضرائب شروق الشمس وغروبها.. ومارس الناس حرية تربية الشوارب وحلقها دون خوف..

ولكن عندما قل عدد من يتقدمون لإضحاك الأميرة خوفاً من الفشل.. فرض السلطان غرامة باهظة وعقاباً بديلاً على كل من لا يتقدم إلى إضحاك الأميرة..

وأحтар الناس.. هل يحزنون مع الأميرة أو يفرحون لحزنها.. وذات ليلة..

هب الداودار شبار، من نومه صائحاً.. يرقص ويقفز هنا وهناك.. وهو يأمر باحضار ملابسه لييرتديها.. واستيقظ أهل القصر جميعاً على صياحه ورقصه وغنائه.. وهم فى دهشة.. يظنون أن سيدهم قد جن..

ولكن الداودار، كان سعيداً يكاد يطير من الفرح.. فلقد اكتشف أنه هو وحده الذى عنده دواء الأميرة وشفائها.. ولما أخبر زوجته بما اعتزمه.. ركعت على الأرض ترجوه ألا يفكر فى هذه الأمور وأن يبتعد عن السلطان وسيف السلطان..

ولكن الداودار، لم يلتفت إليها.. فقد كان متأكداً مما يفكر فيه.. لقد

تذكر ذلك الطفل «همام» الذى يصنع اللعب لأطفال إحدى القرى التى يملكها هناك على شاطئ البحيرة.. إنه يصنع أشياء تسعد وتفرح كل أطفال القرية رغم ما يلاقونه من شقاء وفقر.. ورغم ما يفعله «الداودار» نفسه بأهليهم..

ألا يستطيع أن يضحك الأميرة؟ لا بد أنه يستطيع..

وأخذ «الداودار» يلوم نفسه لأنه لم يفكر فى هذا الأمر.. منذ البداية.. على العموم هناك وقت لإحضاره فيضحك الأميرة.. ويستولى «الداودار» على الجائزة.. فهو من المماليك، أما «همام».. فيكفيه بعض المال.. أو ضربة سيف واحدة.. إذا رفض..

وحاولت زوجة «الداودار» أن ترجعه عن عزمه.. ولكنه انطلق فى جماعة من فرسانه إلى السلطان فأيقظه من نومه، مما غاظ السلطان كثيراً.. ولكنه كتم غيظه حين سمع ما يبشره به «الداودار».. وإن كان قد حذره تحذيراً شديداً أنه فى حالة الفشل.. لن ينسى له أنه أيقظه من نوم لذيذ..

وبكت زوجة «الداودار».. لأول مرة منذ زمن بعيد.. وهى ترى زوجها يتجه مسرعاً مع جنوده إلى باب المدينة الشمالى.. قاصدين تلك القرية.. الصغيرة على شاطئ البحيرة البعيدة..

قال الشيخ «ظاظا»:

- سنترك الجنود وعلى رأسهم «الداودار شبار».. فى طريقهم إلى قرينتنا.. فأمامهم طريق طويل.. ولنعد نحن إلى ماذا؟.

قلنا فى اشتياق: إلى الحكاية الأصلية.

- نعود إلى «همام» طبعاً وإلى الشيخ والحمارة!..

- نريد أن نعرف كيف كان «همام» يعرف الشيخ قبل أن يراه؟!..

قال الشيخ «ظاظا»:

- عقولكم خشب.. أى والله «همام» فتى لم يشاهد أى مكان فى الدنيا.
ولم يغادر القرية.. نعم! ولكنه يحن إلى الجزائر الخضر البعيدة، ويحلم
بالسفر بالوديان المسحورة والبحار وبالناس.. «وزرزور» وحمارته..
يسافران دائماً بحثاً عن قرية الشيخ المفقودة، وشاهدا العجائب المائة
وركبا البحر وعبرا الصحارى.. وقرأ الشيخ حواديت الناس وسمعها..
ورأى ما لم يره إنسان.. فليس عجباً أن يحلم «همام» بالشيخ.. لقد كان
يراهما فى أحلامه.. هل فهمتم؟!..

وفكرنا.. لم يكن يهمنى الفهم أو عدم الفهم.. وإن كنا نريد أن نعرف
بقية الحكاية! لذلك قلنا جميعاً سواء من فهم منا غرض الشيخ أو من لم
يفهم:

- نعم لقد فهمنا يا شيخ.. أكمل. أكمل. ماذا فعل «همام» وماذا فعلت
«فكيهة»؟..

قال الشيخ «ظاظا»:

- لا شىء..

فأصابتنا خيبة أمل.. وظننا أن الشيخ غاضب..

- لا شىء؟ كيف؟ ولماذا أتيا إذن وسافرا كل هذه المسافات؟!..

قال الشيخ «ظاظا»:

- لم يفعل سوى ما يفعلانه بأى قرية يدخلانها.

- وماذا يفعلان بأى قرية يدخلانها؟

قال الشيخ «ظاظا»:

- تقول الحكايات إن الشيخ «زرزور» إنما يسافر بحثاً عن قريته..
التي فقدتها منذ أن كان صبياً.. ومنذ أن كانت حمارته هذه مجرد
جحشة لا تعرف شيئاً عن الدنيا..

فقد الشيخ «زرزور» قريته.. وهو يبحث عنها فى كل مكان.. ولا
يريد أن يعيش فى غيرها.. فهى قرية مختلفة عن كل القرى التى
عرفها الناس..

الشيخ «زرزور» يقول للناس فى كل مكان.. ويحكى لهم أن قريته
كانت لا تعرف الظلم أو الخوف.. ولا يعرف أهلها الجوع أو الحزن..
طبعاً.. كان الناس يضحكون من كلامه هذا.. فهم لا يمكن أن
يصدقوا أن هناك قرية بهذا الشكل فى العالم..

ولكن الشيخ «زرزور» يقسم أن قريته كانت كذلك.. وأنه لولا صغر
سنه زمان وضعفه الآن.. لعاد إليها منذ زمن ولوجدها بسهولة.. ولكنه
نسى الطريق.

ولم يكن أحد يصدق حكاية الشيخ «زرزور» وقريته المفقودة سوى
الأطفال.. ولم يكن يؤمن به غيرهم وغير الحمار «فكيهة».. وحتى
الحمار «فكيهة» كانت تئأس فى أحيان كثيرة.. وتمل من حديث الشيخ
الذى لا ينتهى عن تلك القرية، ولكنها تظل تحلم معه بالعودة إليها..

حيث لا ظلم ولا جوع ولا خوف.. وحيث لا تشتغل الحمير هناك طوال اليوم.. وحيث لا يعتبر اسم الحمار لعنة تطارد بنى جنسها.. والضعفاء من بنى البشر..

الأطفال فقط كانوا يصدقون «زرزور» تماماً.. بل وكان الكثيرون منهم يريدون لو رحلوا معه بحثاً عن قرينه المفقودة..

ولذلك كان «زرزور» يجد نفسه مع الأطفال.. فيستعيد قوته.. ويعود إلى الدروب يبحث من جديد.. ويحلم باليوم الذى يستطيع فيه أن يهدى قرينه السعيدة إلى كل الأطفال فى كل القرى.

قال الشيخ «ظاظا»:

وما كان يحدث فى كل القرى.. حدث كذلك فى قريننا..

وكان دكان «همام» هو مكانهم المفضل.. حيث يجلس الشيخ وحوله كل الأطفال بل وبعض الأمهات.. يستمعون إلى حكاياته.

ومضت الأيام الثلاثة وهم على هذه الحال أصبح الجميع خلالها أصدقاء.. وكان «همام» أكثر الأطفال تأثراً.. فلقد أحس أنه يرتبط بهذا الشيخ برباط خفى.. وأن قرية الشيخ لا بد أن تكون هى قرينه التى يحلم بها.. أو التى جاء منها هو الآخر.. وإلا فلماذا أحس أنه يعرف الشيخ منذ زمن بعيد؟ ولماذا كان يحلم به وبحمارته فى أحيان كثيرة..

كان الشيخ يحكى عن الأهوال التى قابلها فى الطريق.. والعجائب التى شاهدها، والحكم والحكايات التى سمعها.. وكانت «فكيهة» تحكى الكثير عن أحوال الناس وأخبار الحيوانات..

وفجأة قرر «همام» أن يرحل مع الشيخ بأى ثمن.. لم يخبر أحداً

بقراره ولكنه صمم عليه .. وما أن استقر على هذا الرأي حتى أحس أن العالم يفتح له قلبه .. وأنه يستطيع أن يحتضن الدنيا .. وأنه سيجد بالتأكيد تلك القرية لأن الشيخ في حاجة إليه وهو في هذه السن .. ومضت الأيام الثلاثة .. التي تستغرقها رحلة الخيل من المدينة إلى قريتنا ..

وكان الشيخ «زرزور» وحمارته في الدكان وبعض الأطفال حولهما .. وفجأة أقبل طفل من طرف القرية الآخر يجرى صارخاً:
- ليهرب كل الأطفال .. «الداودار شبار» وجنوده هجموا على القرية .. وهم يطلبون الأطفال ..

وامتلاً الجو بالصراخ .. وببكاء الأمهات .. كانت كل أم تبحث عن طفلها لتحميه، وظل «همام» في مكانه لا يدري ماذا يفعل .. فهذا ليس ميعاد رجال «الداودار» .. لم يعد الرجال بعد من البحيرة .. لماذا جاءوا هذه المرة مبكرين؟ وأحس بخوف غامض يملأ قلبه .. وتأكد خوفه عندما جاء طفل آخر ..

- همام .. اهرب يا «همام» .. «الداودار» جاء خصيصاً لأخذك أنت .. إنه يبحث عنك في كل مكان .. اهرب .. بسرعة ..

قال «همام» للشيخ:

- أنا لا أحب هذا الرجل .. وأخاف عليك أنت و«فكيهة» ..

تعال معي .. أعرف مكاناً يمكن أن تختفي فيه .. هناك بين الملاحات .. مكان لا يعرفه أحد ..

ولكن الشيخ قال:

- أسرع بالهرب أنت.. إن كان يريدك.. ستكون سبياً في تأخيرك،
فأنا عجوز ثقيل الحركة.. ولن يلتفت «الداودار» إلى.. سأبقى هنا.. لكى
أعطله ارحل أنت بسرعة..

وقفز قلب «همام» بين ضلوعه خوفاً أن يعود فلا يجد الشيخ.. فصاح
وهو ينطلق إلى الأدغال:

- انتظرانى.. لا ترحلا بدونى.. سوف أصحبك ياشيخ وستجد
القرية.. لا تذهب قبل أن أعود..

وكانت أصوات حوافر الخيل وصيحات الاستغاثة والغضب والضرب
تقترب.. وهمست «فكيهة» فى حزن عندما اختفى «همام» بين أدغال
البردى:

- الوداع يا صديقى..

ووجدت دموعها تسيل.. فمسحتها فى خجل بينما ربت الشيخ على
رأسها.

فقالت:

لست أدري لماذا أحببت هذا الصبى كل هذا الحب؟!..

قال الشيخ «ظاظا»:

غضب «الداودار» غضبا شديداً عندما لم يعثر لـ «همام» على أثر..
وفى الحقيقة كان خوفه أكبر من غضبه.. لأن السلطان أعطاه مهلة
سبعة أيام لكى يعود ومعه علاج الأميرة.. ولذلك كان خائفاً.. لم يكن

قد توقع أى مصاعب.. كان يظن أنه سيعود فوراً بـ «همام»، دون أى مشقة سواء رضى «همام»، أم لم يرض.. أما الآن فماذا يفعل.. وليس أمامه سوى يوم واحد..

لا أحد يريد أن يدلّه على مكان «همام».

وهذا الشيخ العجوز الغريب.. ماذا يفعل فى هذه القرية.. التى لم يدخلها غريب منذ أن أصبحت من أملاكه.. لا بد أنه يعرف سر اختفاء «همام».. وقد يكون هو الذى أخفاه.. ولذلك فقد أمر بالقبض عليه.. وانزعجت الحمارة «فكيهة»، فأخذت تصرخ وتضرب الجنود وتسبهم.. عندما رأتهم يقبضون على «زرزور»، ويعذبونه.. ولكنهم أبعدها عن طريقهم بعد أن أشبعوها ضرباً وأشبعتهم هى عضاً ورفساً.. واختبأ الأطفال فى صدور أمهاتهم.. واختبأت الأمهات فى جوف منازلهن.. ولم يعد فى الشوارع سوى الجند.. وصراخ الحمارة «فكيهة»، التى لا تستطيع أن تصل إلى مكان «الداودار»؟.. حيث أخذ الجنود «زرزور»، ليسألوه عن مكان «همام»..

ولكن «زرزور»، لم يخبر «الداودار» بشيء..

كانت الساعات تمر بسرعة.. والوقت يمضى.. وخوف «الداودار»، يزداد.. عليه أن يعود، ولكن ماذا سيقول للسلطان؟

ولذلك قرر أن يأخذ معه «زرزور»، مقبوضاً عليه ليقدمه إلى السلطان على أنه السبب فى فشل مهمته، فقد ينال العقاب الذى سينزله به السلطان بدلاً منه.. وارتاح قليلاً لهذه الفكرة.. سيفتدى نفسه بالشيخ العجوز وسيقدمه للسلطان ليصب عليه غضبه.. لم يكن متأكداً من

نجاح ذلك .. ولكن ماذا كان يستطيع أن يفعل غير ذلك .. وقيد «زرزور» جيداً حتى لا يفلت . وظل الجنود يفتشون كل ركن في القرية وما حولها .. لعلهم يجدون شيئاً يدل على مكان «همام» . إلى أن يحين وقت رحيلهم مع الصباح ..

وكادت «فكيهة» تجن عندما علمت بما قرره «الداودار» .. وصممت على إخبار «همام» بما حدث .. لعله يجد طريقة لإنقاذ «زرزور» .. وتسللت فكيهة، دون أن يراها أحد .. واختفت في أدغال البوص والبردي .. حيث اختفى «همام» من قبل ..

لم تكن «فكيهة» تعرف كيف ستصل إليه .. ولا أين مكانه ولكن انشغالها بما ينتظر «زرزور» وقلقها عليه .. جعلها تمضى وهي متأكدة من الوصول إلى «همام» بطريقة ما ..

وأخذت تتخبط في الظلام وهي تلعن الطريق الذي قادهما إلى هذه الأدغال .. التي لا يعرف الطريق خلالها إلا من عاش بها . كانت الأرض رطبة زلقة ومشبعة بالماء والرطوبة بدرجة كانت تغوض فيها إلى ركبتهما وكان القمر غائباً . وراشات مجهولة تصطدم بوجهها .. فيخيل إليها أن المكان مملوء بالأرواح والمخلوقات الخفية .. كانت تهمهم في غضب .. وتتمتم ببضع كلمات قلقة عن «زرزور» وما ينتظره .. عندما قفزت أمامها ضفدعة كبيرة خضراء .. اعترضت الطريق في تحد وعيناها الجاحظتان تبرقان في الظلام .. فتوقفت الحمارة خائفة .. وظل المخلوقان ساكتين حتى قالت الضفدعة في صوت أجش ..

- إلى أين تظنين أنك ذاهبة أيتها الحمامة الحمقاء؟! ليس هنا مكان للحمير... عودي من حيث أتيت..

لو أن أحداً وجه الحديث إلى «فكيهة»، بهذه الطريقة قبل الآن.. لما خرج من المناقشة سليماً.. حتى ولو كان «الداودار»، نفسه.. ولكن «فكيهة»، كان يشغلها أمر أخطر من الدفاع عن كرامة الحمير.. فقالت في صوت ضعيف:

- إننى أبحث.. عن فتى.. فتى اسمه «همام»،.. هل تعرفين الطريق إليه ياملكة الضفادع؟! وضحكت الضفدعة ضحكة عالية ساخرة.. وهى تقفز وتنط فرحة لأنها جعلت هذا الحيوان الضخم يكلمها بهذه الطريقة الشديدة التأدب..

فقالت:

- ليس للضفادع ملكة.. يا ذات الأسنان الكبيرة.

قالت «فكيهة»:

- لولا أننى مشغولة جداً.. لقضيت الليل معك هنا نتبادل الشتائم الودية.. ولكن إذا لم تكونى تعرفين الطريق إلى «همام»،.. فلا تضيعى وقتى.. وإلا فسوف أستعمل حوافرى.. وقبل أن تتحرك «فكيهة»، قالت الضفدعة:

- وهل تظنين أنك ستذهبين هكذا إلى «همام»،.. ها.. هل جئت لتدلى الجنود على مكانه؟.. هل أنت من رجال ذلك الرجل المجنون «شبار»؟!!

فصرخت الحمامة غاضبة:

- وهل ترين فى شكلى ما يجعلك تتهميننى بذلك؟! لا.. اننى صديقة لـ «همام»..

- وماذا يثبت لى..؟! وكيف أتأكد من كلامك؟

- لا تضيعى الوقت.. فالوقت ضيق.. وقد قبضوا على الشيخ الطيب «زرزور» صديق «همام».. وسيدى.. وإذا لم تكونى تعرفين الطريق إلى «همام» فلا تعطلينى. وإن كنت تعرفينه فقودينى إليه على الفور.. وسوف ترين أننا أصدقاء.. والا.. فاذهبى أنت وأخبريه أن «فكيهة» تنتظره.. وسوف أبقى هنا حتى تأتبنى به..

فضحكت الضفدعة مرة أخرى ضحكتها الساخرة قائلة:

- أنا أعرف أنك صديقته.. وكنت أقف هنا أنتظر من يخبرنا بأخبار القرية..

فصرخت «فكيهة»، وكادت تضربها غاضبة..

- عليك اللعنة.. لماذا إذن تضيعين هذا الوقت.. هيا بنا بسرعة.. فالفجر أوشك على البروغ..

وتقدمتها الضفدعة، وهى تقفز فى خفة بين أوراق البردى وأعواده الكثيفة، وتبعها الحماره بصعوبة..

كانت حوافرها تغوص فى الطين.. وكادت تقع فى المستنقع أكثر من مرة.. ومرتا فى طريقهما على فأر غيط كبير.. يتأمل النجوم.. وأزعجه منظر الحماره كثيراً فصاح بالضفدعة:

- لا تأمنى لهذه الحيوانات البليدة الضخمة يا عزيزتى.. فإن معاشرتها للبشر قد أفسدتها..

ولكن «فكيهة»، ردت عليه فى أدب:

- ليس كل البشر فاسدين يا سيدى الحكيم.. كما أنه من المؤكد.. أن
القران الطيبة لا تعامل ضيوفها هكذا..

وضحكت الضفدعة ضحكة عالية وسرت من رد الحمامة..

فاغتاظ الفأر وقال:

- لا تأتون إلينا من القرى إلا بكل.. غلباوى طويل اللسان.

فقال له الضفدعة:

- لا تهتم.. وارجع إلى عملك.. فلا بد أنك نسيت عدد النجوم التى
أحصيتها..

ولم ترد «فكيهة»،.. فقد كانت تسير على شريط ضيق من الأرض
الصلبة.. لا تستطيع معه أن تلتفت إلى الفأر لتكلمه.

وأخيراً وصلتا إلى حافة المستنقع.. حيث تمتد سهول واسعة وخلاء
عريض تفرشه أزهار النرجس.. وهنا صاحت الضفدعة بطريقة معينة
بوضع يديها حول فمها.. فخرج إليها ثلاثة أرانب بيضاء مسلحة..
بالحراب.. وبعد أن همست إليها ببضع كلمات.. قفزت عائدة وهى
تقول للحمامة:

- يؤسفنى أننى لن أتمتع بصحبتك أكثر من ذلك.. فنفوذى لا يمتد
إلى أبعد من هذا.. وسيوصلك هؤلاء الأصدقاء إلى حيث ترغبين فى
اللقاء..

واختفت.. دون أن تنتظر جواباً..

تقدم أحد الأرناب وقاد «فكيهة» من لجامها.. بينما قفز الآخر
وامتطاها.. وتبعهم الثالث شاهراً سيفه القصير..

ولم تسألهم «فكيهة» إلى أين سيذهبون بها.. فلم تكن تعرف لغة هذا
النوع من الأرناب.. ولذلك سلمت لهم زمامها.. ومضى الموكب
صامتاً.. وسط الأزهار حتى وصلوا إلى تل صغير.. وفجأة اختفت
الأرناب الثلاثة.. دون كلمة..

وبقيت «فكيهة» في الظلام.. لا تدري ماذا تفعل.. وندمت لأنها
تبعتهم هكذا دون تفكير.. وأخذت تفكر في ذلك المقبوض عليه هناك..
وأحست بتأنيب الضمير لأنها تركته، وقبل أن تقرر العودة من حيث
أتت.. سمعت صوتاً حبيباً تعرفه جيداً..

كان «همام» أمامها وحوله الأرناب الثلاثة.. واندفع «همام» إليها.
واندفعت هي تأخذه في أحضانها..! ولم تستطع «فكيهة» أن تمنع نفسها
من البكاء.. عندما سألتها عن القرية و عما حدث بعد رحيله..

وقالت «فكيهة» رداً على سؤال «همام»:

- لقد قبضوا على «زرزور».. «الداودار» يتهمه بإخفائك.. «الداودار»
هذا قاس جداً.. لم يرحم شيخوخته.. إنه يقول إنه جاء ليأخذك إلى
السلطان.. يريدك أن تضحك ابنة السلطان المريضة بداء عدم
الضحك.. وداء الحزن..

- داء عدم الضحك؟! وما دخلى أنا؟ هل سأعمل مهرجاناً لأضحك
بنت السلطان؟!..

- جاء «الداودار» يريدك أن تضحكها كما تضحك أطفال القرية
وتسعدهم..

- ولكن.. هذا أمر مختلف.. أنا أصنع لعباً بسيطة تضحك أطفال القرية.. نعم.. لأنهم بائسون لا يعرفون غيرها.. إنها الشيء الجميل الوحيد في حياتهم.. أما بنت السلطان فماذا أفعل لها.. يستطيع أى أمير أن يضحكها.. أما أنا.. فلا أستطيع.. ولكن.. ما دخل «زرزور».. لماذا يقبضون عليه؟..

- «الداودار» مصمم على أخذك لتضحك الأميرة.. وهو يعتقد أن «زرزور» هو الذى يخفيك.. وسأأخذه للسلطان.. بدلاً منك..

فضحك «همام» فى سخرية:

- ولكن.. هل سيضحك «زرزور» بنت السلطان.. هل؟! ولكن.. إنه..؟ ها.. ها.. اللعنة عليك يا «شبار».. إنه سيقتله دون شك..

وأحس بخطورة الأمر.. فكاد يصرخ:

- «فكيهة» إن «زرزور» فى خطر حقيقى.. فالسلطان «برقوش».. يقتل بنفس السهولة التى يأكل بها.. و«الداودار» نفسه يحب أن يتشبه به.. لا بد من إنقاذ «زرزور».. لا بد حتى ولو اشتغلت مهرجاً لأضحك بنت السلطان.. هيا يا «فكيهة».. يجب ألا نضيع وقتاً أكثر من ذلك..

وقفز «همام» راكباً «فكيهة» وانطلق يقودها فى طريق يعرفه.

كانت الشمس على وشك البروغ.. ولونت أشعتها السماء بلون ذهبى.. وتنهد «همام».. وهو يرقب تلك السهول الحبيبة التى تغطيها أزهار النرجس.. وأحس بقلبه يقتله الحنين.. عندما غمره إحساس بأنه سيغادر هذا المكان وقد لا يراه بعد الآن.. كاد «همام» يبكى للفكرة الطائشة التى طرأت له دون سبب معروف.. وأحس أنه لم يحب هذه

القرية فى يوم من الأيام.. مثلما أحبها اليوم.. هو الذى كان يحلم دائماً
بالأماكن البعيدة المجهولة..

كان «همام» مشغولاً بأفكاره.. وكانت «فكيهة» قلقة تتعذب لأنها
تركت «زرزور» فى قبضة «الداودار».. وتعجب كيف يمكن أن يجد
إنسان القدرة على تعذيب وإيذاء شيخ طيب مثل هذا الشيخ.. الذى لا
هم له سوى إسعاد الناس والأطفال.. ومدهم بالأمل فى العثور يوماً على
قرينه تلك التى لم يرها.. والتى يعيش فيها الجميع بلا خوف.. وبلا
أحزان..

وكانت الشمس قد طلعت.. ودبت الحياة الخفية فى البرارى...
ولكن القرية ظلت صامتة كأنما لا يوجد بها أحد.. لا صوت ولا
حركة.. والأبواب مغلقة والسكون يلف كل شىء..

وارتجف قلب «فكيهة».. أين الجنود؟ أين الناس؟ أين الشيخ
«زرزور» الحبيب!؟

وامتدت كف حديدية تعصر قلب «همام» وتملؤه بالحزن....
وبالقلق..

لا بد أن شيئاً فظيماً قد حدث.. فأصوات بكاء كثيرة تصله من خلف
الأبواب المغلقة.. رفع «همام» صوته ونادى.. فخرج إليه طفل صديق
يتلفت حوله، وأخبره.. وأخبره أن «الداودار» رحل هو وجنوده فجر
اليوم.. وقد صحبوا معهم الشيخ «زرزور»... مكبلاً بالأغلال.

قبل أن يقول الشيخ «ظاظا» شيئاً.. هذه المرة.. قلنا له جميعاً:

.. لقد ملأت حكايتك هذه بالبكاء.. الأطفال يبكون.. الناس فى
المدينة يبكون.. الصيادون سيبكون عندما يعودون.. لماذا كل هذا
البكاء.. هل يبكى الجميع لأن بنت السلطان حزينة لا تضحك..

وانفجر الشيخ «ظاظا» يضحك . حتى خفنا أن يخنقه الضحك،
وأسرع بعضنا يحضر إليه بعض الماء.. وعندما كف عن الضحك قال:

- يا سلام.. الدنيا كلها تبكى لأن بنت السلطان حزينة!!

قلت لكم قبل الآن مرة.. إن عقولكم خشب.

الأطفال يكون لأسباب كثيرة.. وأهل المدينة يكون لأسباب أخرى
أيضاً.. كل فرد منهم عنده من الهموم ما يكفيه.. الناس يا أبناء
(المدارس) يكون لأسباب أعمق من حزن بنت السلطان أو عدم
ضحكها.. صحيح أن مرضها سبب للناس كثيراً من الحزن.. كما
رأينا.. وكثيراً من المصائب.. ولكن هي نفسها لا تعرف ذلك.. لقد
سألت «فكيهة»، «همام» سؤالاً في الطريق.. وكان جواب «همام» حكيماً..
لقد قال «همام» رداً على سؤال «فكيهة»:

- بنت السلطان لا تضحك.. وماذا في ذلك.. ليس هذا مرضاً.. إنها
ما زالت صغيرة.. ولكنهم يصنعون منها ملكة منذ الآن.. قد يكون
حزنها لأنها لا تلعب مع أطفال آخرين.. أو لأنها - كما يقولون شاهدت
الكثير من الظلم.. ولكني متأكد.. أنها عندما تكبر ستنسى حزنها هذا..
وستضحك كثيراً مثل والدها.. وهي نفسها.. ستفعل مثله.. هكذا
الحال.. يا «فكيهة».. أنا أعرف أن الأطفال الذين أعرفهم..
يضحكون.. أصنع لهم لعباً بسيطة فيفرحون بها.. ولكنني أعرف أيضاً
أنهم سيصبحون غداً كثيراً عندما يكبرون.. سيقع عليهم الكثير من ظلم
السلطان و«الداودار» وغيرهما..

أفهمتم الآن؟.. هذا ما قاله «همام» منذ مئات الأعوام..

وتقولون أنتم يا أبناء المدارس.. هل الدنيا تبكى لأن بنت السلطان
حزينة.. ثم تلوموننى لأن حكايتى مليئة بالحزن.. لأن بنت السلطان لا
تضحك.. ها.. ها.. إنكم تضحكوننى.. وللأسف.. لن أكمل الحكاية
مادمتم تفهمون الأمور هكذا.. سلام عليكم..

وأصابنا هم شديد.. وغم.. وأمسك كل منا بطرف من جلباب عم
الشيخ «ظاظا»..

ويكى طفل صغير وهو يقول:

- ياعم الشيخ «ظاظا».. هل تتركنا هكذا.. هل تترك أطفال القرية
يبكون.. وتترك «همام» حزينا.. و«زرزور» فى الأغلال.. تحت رحمة
«الداودار».. هل تريدنا أن نبكى نحن الآخرين.. هل تحكى لنا حكاياتك
لتبكيها.. وأنت الرجل الطيب القلب..

قال الشيخ «ظاظا»:

وماذا تريدون منى أن أفعل!؟

لو كان الأمر بيدى.. لكنت أخذت «زرزور» من يده حتى قرينه
المجهولة.. وكنت حملت «همام» على كتفى ودرت به أريه الجرائر
البعيدة والجبال والوديان والغابات.. والناس.. وكنت.. كنت فعلت لكم
أنتم أشياء كثيرة.. ولكن.. إذا كنت لا أصدق كتب التاريخ التى كتبها
رجال السلطان «برقوش» وغيره من السلاطين.. فهل تريدون منى أن
أكذب..

قلنا له فى استعطاف:

- لا.. لا سمح الله.. ولكن لا تتركنا هكذا.. واحك لنا ما جرى.. لا
تتركنا فى هذا الحزن وهذه الحيرة!؟

فقال الشيخ «ظاظا» :

- لا تظنوا أنني سألق لكم حكاية .. كبقية الحكايات ..

وأقول لكم مثلاً إن «همام» .. قد اندفع كالفرسان ركباً «فكيهة» شاهراً
سيفه خلف «الداودار» ورجاله .. فشتتهم وهزمهم .. وأنقذ «زرزور» من
أيديهم ..

قلنا:

- نعرف أن «همام» لا يستطيع هزيمة جنود «الداودار» وحده .

قال الشيخ «ظاظا» :

- لا تظنوا إذن أنني سأكذب وأقول لكم إن «همام» صنع عروسة
جميلة ظريفة .. أو لعبة مثل ما كان يصنع لأطفال القرية فيفرحهم ...
وذهب بها إلى قصر السلطان .. فضحكت الأميرة .. وضحك السلطان
وجعله وزيره الأول .. وعاشوا جميعاً في التبات والنبات .. بعد أن يصبح
«زرزور» في هذه الحال .. حكيم الملكة ..

قلنا:

- وهل حدث غير ذلك؟ إذن .. ماذا فعل «همام»؟ يجب أن يفعل
«همام» هذا .. يجب عليه أن يلحق بـ «الداودار» .. وأن ينقذ «زرزور»
بأى طريقة .. وأن يضحك بنت السلطان .. ويتزوجها .. فيمنع الظلم عن
قريته .. ويخلصهم من «الداودار» .. ويجعل الناس يعيشون في تبات
ونبات ..

هكذا تكون الحواديت يا شيخ «ظاظا» .. قال الشيخ «ظاظا» ضاحكاً في

سخرية:

- قلت الحق .. هكذا تكون الحواديت .. أما أنا فلا أحكى لكم حدوتة ..
أنا أقص عليكم شيئاً من تاريخ قريتنا القديمة أيام السلطان «برقوش» ..
فى الحواديت يتزوج الصياد بنت السلطان .. نعم ..

فى الحواديت تبكى بنت السلطان دون سبب معروف ثم تضحك
أيضاً .. دون سبب معروف ..

فى الحواديت .. ابن الفلاح قد يصبح أميراً كبيراً ..

أما ما سأحكىه أنا .. فلا يحدث فيه شيء من هذا . وأنا لا أكذب ، إذا
أردتم أن أحكى على هذا الشرط .. فأهلاً وسهلاً .. أما إذا لم تقبلوا يا أبناء
المدارس .. فأمامكم الراديو .. اسمعوا منه ما شئتم من الحواديت
السعيدة .. التى لا أعرفها أنا ..

قلنا وقد أصبنا بخيبة أمل كبيرة:

- إذن لن ينقذ «همام» «زرزور» ..

هز الشيخ «ظاظا» رأسه قائلاً:

- وكيف يستطيع فتى صغير مثله أن يهزم جيشاً وسلطاناً و
«داودارا»؟ وسألته طفلة صغيرة:

- ألن تضحك بنت السلطان!؟

ولكن الشيخ ظل صامتا .. فأعادت عليه السؤال .. وهى تهزه .. فقال:

- ستضحك الأميرة كثيراً .. هل يرضيك هذا ..!؟

قلت له:

- ولكن ماذا سيحدث لـ «زرزور».. ألن يتحرك «همام» لإنقاذه.. لو كنت مكانه لفعلت هذا.. حتى لو.. لو اضطررت لقتال جيش كامل..
ولما ضحك الشيخ «ظاظا»، قلت له:

- لا تسخر مني.. أقاتل حتى لو قتلوني.. لقد ضحى «زرزور» بحياته في البحث عن القرية السعيدة لكل الناس.. وغنى للأطفال، وحكى لهم وأسعدهم.. وضحى من أجل «همام»، نفسه ولم يخبر الجنود عن مكانه، وكان يعرف المكان.. على «همام»، إن كان كما تصفه.. أن يضحى من أجله.. أنت نفسك قلت لنا.. إنه ركب «فكيهة»، وتبع الجنود لكي ينقذ «زرزور»، حتى ولو اضطر للعمل كمهرج لبنت السلطان..
ألم يقل «همام»، ذلك.. فلماذا لا تريده أن يفعل؟!..

قال الشيخ «ظاظا»، محتجاً:

- أنا لا أريده أن يفعل؟! ومن أنا حتى أمنعه. لقد قال «همام»، ذلك نعم.. أنا لا أنكر.. ولكن فرق كبير بين ما قاله همام، وما صمم على فعله.. وبين ما حدث..

- إن ما حدث كان غير هذا.. ولا ذنب لى أنا.. لماذا تريد أن تتهمنى بأننى لا أريده أن يفعل ما يريد؟..

صحنا جميعاً فى وقت واحد:

- عم الشيخ «ظاظا»،..

أحك لنا ما حدث.. ولا تحيرنا أكثر من ذلك.. أتعبتنا معك يا شيخ!!

قال الشيخ «ظاظا»:

- قلت لكم إن السلطان «برقوش» كان سلطاناً عظيم الشأن يحكم أكثر من سبعين مدينة وألف ألف قرية!! وعنده جنود كثيرون يحصل بقوتهم على ما يريد، فلا تظنوا أنه سلطان أحمق حتى يعطى ملكه هكذا ببساطة لأي شخص يستطيع أن يجعل ابنته تضحك.. لقد أعلن ذلك نعم.. ولكن فرق كبير بين كلام السلاطين وما يفعلون.. يقولون في الحواديت إن كلام الملوك لا يرد.. ولكن هذا في الحواديت.

أما معنا هنا.. فإنه لو حدث وأضحك أحد الناس الأميرة فعلاً.. فمن المحتمل أن يكون مصيره نفس مصير الآخرين الذين فشلوا في إضحاكها إذا فكر أن يتجاوز حدوده.. وطالب بتحقيق وعد السلطان..

هناك حالة واحدة كان يمكن أن يتحقق فيها وعد السلطان ذلك إذا أضحك الأميرة رجل مثل «شبار».. لأنه مثل «برقوش».. و «برقوش» قريب «شبار»..

ولذلك كان «الداودار شبار» حريصاً على أن يحضر «همام» بنفسه لكي يضحك له الأميرة.. فيصبح سلطاناً.. أو وريثاً للسلطان.. لقد كان هناك كثيرون من المماليك يطمعون في السلطنة.. ولكن إذا أضحك «شبار» الأميرة فسيكون هو أكثرهم استحقاقاً للعرش.. بحكم الوعد الذي قطعه السلطان على نفسه.. أما «همام».. فالتخلص منه سهل.. كلمة واحدة للسياف.. أو حتى لأحد الجنود كافية للتخلص منه.. بإلقائه في جب الرعب..

قلت له وما هو جب الرعب هذا؟!

قال «ظاظا»:

- جب مظلم يلقون فيه بأعدائهم سرا.. فلا يذكرهم أحد إلى الأبد..

ولقد قلت لكم.. إن «زرزور».. رجل طيب.. وهو رجل طيب بالفعل.. ظل طول عمره يحلم لنا وللناس بالقرية السعيدة.. التي لا يعرف أحد أين هي.. حتى هو لم يكن يعرف.. فكان يدور في البلاد يحكى للناس عنها.. ويبشرهم بالعثور عليها يوماً ما.. تلك القرية الغريبة.. التي لا تعرف الخوف أو الجوع.. والتي ليس بها.. «لا شبار ولا برقوش»..

كان الشيخ «زرزور».. يحس أحياناً.. بأنه سيموت دون أن يصل إلى تلك القرية.. أو يعرف طريقها.. فالدنيا مازالت مليئة بالسلطين البراقيش والداودارات، فكان كل همه أن يبحث عن الأولاد في كل القرى والبلاد.. ليحكى لهم عن حلمه.. لعل أحدهم يعرف الطريق إليها يوماً ما..

وقد سحرت حكاياته «همام» كما سحرت كثيرين غيره.. وأخذ «همام» يحلم بتلك القرية.. وقرر بينه وبين نفسه أن يصحب «زرزور» ليرى بحث عنها.. ولذلك اندفع بحماس لإنقاذ «زرزور».. كان يظن أنه سيستطيع ذلك.. كان على استعداد لأن يضحي بحياته لو اقتضى الأمر القتال من أجل «زرزور».. من أجل حلمه بأن يصحبه للبحث عن جنته الموعودة..

وكان «همام» يظن أن الأمر سيتم ببساطة عندما يلحق بالجنود ويتفق مع «شبار» على أن يضحك الأميرة، بأن يصنع لها لعبة أو يحكى لها حكاية.. ثم يطلب من «شبار» أن يتركه يذهب هو والشيخ في سلام.. إنه لا يريد شيئاً أكثر من أن يصحب «زرزور» في رحلة

أحلامه .. وفي طريق عودته إلى قريته .. حيث لا خوف ولا جوع ولا
أحزان ..

هكذا كان يفكر «همام» .. وعلى هذا انطلق راكباً «فكيهة» التي
مضت بأقصى سرعة وراء الجنود.

لم يفكر «همام» أن يتزوج الأميرة .. ولا أن يعيش في التبات
والنبات .. ولم يفكر في الحصول على شيء .. كل ما كان يريده هو أن
ينقذ «زرزور» .. فلا تلوموا «همام» إذن على ما حدث ..

لقد كان يريد أن يضحى فعلاً بحياته في سبيل صديقه العجوز لو
اقتضى الأمر ذلك .. لا تلوموه .. فلم يكن يستطيع أبداً أن يغير الحوادث
مهما كانت نواياه .. أو قوته .. وسكت الشيخ «ظاظا» طويلاً.

ولكننا فهمنا لعبته .. فلم نتكلم .. يريدنا أن نقاطعه فيجدها حجة
ويتعبنا .. ويجعلنا نحايله .. ولما وجدنا الشيخ «ظاظا» ساكتين قال:

- انطلقت الحمارة «فكيهة» بكل قوتها .. ولكنها لم تكن سوى حمارة،
لقد كان الجنود يركبون خيولاً مدرية .. ولذلك فقد سبقوها بمراحل ..

وليس لـ «فكيهة» ذنب في أنها حمارة . وليست لها قوة الخيل أو
سرعتها .. ولذلك فقد مرت ثلاثة أيام بعد وصول الجنود إلى المدينة ..

وقبل أن تصل «فكيهة» بـ «همام» إليها ..

وفي تلك الأيام الثلاثة .. وحتى قبل تلك الأيام الثلاثة .. بيوم رابع ..
حدثت أشياء كثيرة .. لا ذنب فيها لأحد .. لا لـ «همام» ولا للحمارة ..
ولا حتى لـ «الداودار» نفسه ..

- لقد ضحكت بنت السلطان .. لا تسألوني كيف حدث ذلك فأنا لا أعرف كثيراً .. لم أكن موجوداً لأعرف .. وحتى لو كنت موجوداً لما عرفت أكثر مما أعرف الآن .. لقد أثار ذلك دهشة الجميع حتى الأميرة نفسها ..

الذى حدث أن السلطان كان قلقاً منذ ذهب «الداودار» وجاءه برجل أفاق متشرد قيل إنه يعرف نوادر كثيرة وفكاهات .. وأنه يدور في الأسواق .. يصنع ألعاباً تعجب الناس .. فهو يأكل الزجاج .. ويخرج النار من أنفه .. ويستطيع أن يخفى فيلا في منديله .. جاء الوزير بالرجل ليرفه عن السلطان، وليزيل قلقه .. وأمر السلطان بإحضار الأميرة لتشاهد الرجل معهم .. مجرد إجراء عادي .. لم يكن يظن أن بقدره هذا الرجل الأفاق أن ينجح في إضحاكها، وقد فشل قبله أربعون من خيرة الحكماء والمهرجين .. وحضرت الأميرة .

وصمت الجميع وابتدأ الرجل يصنع حيله وألعابه .. وفجأة التفت إلى الأميرة وقال لها:

- هل تعرفين يا أميرتي أين تذهب الشمس بعد أن تغرب؟! .

فوجئت الأميرة بسؤال الرجل .. فقالت .. في دهشة:

- لا .. لا أعرف ..

ثم غلبها الفضول فسألت:

- هل تعرف أنت؟! .

ودهش الجميع لأن الأميرة تكلم الرجل .. وعادت تسأله:

- هل تعرف أين تذهب الشمس بعد الغروب؟! ..

وصمت الرجل قليلاً ثم قال:

- إنهم يكسرونها ويصنعون منها نجوماً.. هي تلك التي تشاهدونها
منثورة في السماء.

لم يضحك أحد.. فقد كانت نادرة سخيفة ومعروفة.. ولكن الأميرة
وسط دهشة الجميع.. انفجرت في الضحك..

وأفاق الحاضرون من دهشتهم.. وانطلقوا يضحكون مع الأميرة..
ورقص السلطان فرحاً.. وانقلب حال القصر.. وهاص.. وزاط..
وخرجت الرسل تبشر الرعية والشعب بما حدث.. وعين الرجل الأفاق
مهرجاً رسمياً للقصر ومضحكاً للأميرة.. وكان رجلاً عاقلاً يعرف
حدوده فلم يطمع في أكثر من ذلك.. وأصبح الوزير وارثاً للسلطنة..
وزوجاً منتظراً للأميرة..

وأمر السلطان بتوزيع الهدايا على أهل المدينة.. وإن كان حريصاً
على أن يأمر الجنود بالحرص عليها.. حتى يحين وقت جمعها مرة
أخرى بعد انقضاء الأيام الثلاثة.. التي أمر بأن تكون عيداً.. تمنع
خلالها الضرائب والغرامات.. إكراماً لشفاء الأميرة..

في ذلك اليوم.. وصل «الداودار» وجنوده..

ولما علم بما حدث كاد يموت من الغيظ.. وصب غضبه على دماغ
«زرزور».. فأمر بإلقائه في الجب المرعب.

وذهب إلى القصر حاملاً أكبر قدر ممكن من الهدايا والخيرات التي
جمعها في طريق عودته.. حتى ينسى السلطان فشله.. وضحك مع
الضاحكين غصباً.. ورقص مع الراقصين وقلبه مقهور.. وهنا الوزير

بما ناله من حظ، والغبيظ يكاد يقتله.. وأحس الوزير بذلك.. ولكنه تجاهله مؤقتاً..

وانقضت أيام العيد الثلاثة.. وعاد الناس إلى حياتهم العادية.. وعاد السلطان أيضاً إلى حياته العادية.. استهلها بجمع ما وزع من هدايا مضاعفاً.. وابتدأ يتفنن في فرض الضرائب الغربية ويتفنن في اختراع الوسائل التي يحصل بها على الأموال من الناس..

وذكره الوزير بفشل «الداودار».. وزين له أن يستولى على أملاكه كلها لنفسه، فهو لا يستحقها.. وما كان أسهل أن يقتنع السلطان بذلك.. مادام في الأمر مال جديد يضاف إلى خزائنه..

وقد حدث.. ووجد «الداودار» نفسه مقبوضاً عليه ومسوقاً إلى الجب المرعب حيث ألقى بـ «زرزور» وغيره من قبل..

وكان ذلك في نفس اليوم الذي وصل فيه «همام» وحمارته.. إلى المدينة.. وكان من الطبيعي ألا يجد أحداً في المدينة يعرف شيئاً عن «زرزور».. أو يذكر شيئاً عن «الداودار»..

فقد كان الجميع يعرفون أن من يذكر أحداً ممن ألقوا في الجب فلا بد أن يلحق به.. ولذا لزم الجميع الصمت.. ونصح الطيبون منهم ذلك الفتى الصغير الغريب.. أن ينسى الموضوع بأكمله. خيراً له وللناس.. ولحمارته ذات البسمة التي تشبه ابتسامة الطفل الصغير..

وعاد «همام» و«فكيهة» إلى الطريق مرة أخرى.. وهذا ما حدث بالتمام والكمال. صحنا:

- ياعم «ظاظا».. ليس هذا تماماً ولا كمالاً.. لقد ضحكت علينا على الأقل قل لنا ماذا حدث لـ «همام» وللحمارة.

لا يمكن أن نسمح لك بأن تفعل بـ «زرزور» ذلك.. وأن يموت معه حلمه القديم.

فغضب الشيخ وصاح قائلاً:

- أفعَل به ذلك؟! .. أنا ما فعلت ذلك به .. إنه «الداودان» ولست أنا..
لو كان الأمر بيدي .. لما حدث ذلك..
وكان ذلك صحيحاً..

لماذا تلوم الشيخ «ظاظا».. وهو مجرد راوٍ.. وسكتنا طويلاً... ثم
قلنا:

- حسن.. حدث ما حدث.. ولكن هل عاد «همام» و «فكيهة» إلى
القرية؟

قال الشيخ «ظاظا»:

- ولماذا يعودان.. لقد مضيا إلى الدنيا الواسعة يبحثان عن قرية
«زرزور».. فلقد صمم «همام» على أن يعثر عليها إكراماً لخاطر صاحبه
وتحقيقاً لحلمه.. وصاحبته «فكيهة».. التي كانت تعرف كثيراً عن
الطرق والبلاد..

قلت للشيخ «ظاظا» في حزن:

وهل عثر «همام» على تلك القرية العجيبة التي لا تعرف الخوف أو
الأحزان.. ولا تعرف الظلم أو الفقر ياعم الشيخ؟

قال الشيخ «ظاظا» وقد نفذ صبره:

- ومن أين لي أن أعرف.. لو أنني عرفت لذهبت إليها على الفور!.
لم يحك لي أحد ما حدث بعد ذلك لـ «همام».. حتى حمارتي «ست

الملوك، لا تعرف شيئاً عما جرى لـ «فكيهة»، فتاريخ الحمير لم يكتبه أحد..

وهمس الشيخ وقال كأنه يحلم:

- لقد فكرت أنا نفسي أن أذهب للبحث عن قرية «زرزور» هذه.. وقد فعلتها بالفعل.. أخذت حمارتي «ست الملوك».. وذهبت مرة.. لكن..

قلنا في لهفة.. وتعجب!!:

- ولكن.. ماذا حدث؟!..

قال الشيخ «ظاظا»، وقد عاد الحزن إلى صوته وعينيه:

- يا أبنائي.. الطرق الآن خطيرة.. مليئة بالسيارات والمركبات السريعة التي لا ترحم والسماء عامرة بالطائرات والصواريخ التي جعلت المهمة صعبة على «ست الملوك»، وأمثالها. وحتى أنا.. لا أصلح لهذه المهمة.. فأنا عجوز. وأخاف من خيالي ومن أصوات هذه الآلات والأشياء العجيبة.. راحت علينا.. أما أنتم فصغار وشطار.. وتعرفون هذه الأشياء وقد تجدون هذه القرية العجيبة بأنفسكم يوماً ما..

بارك الله لكم فيها.. حين تجدونها.. أما الآن فقد تعبت من كثرة الكلام.. وهذا هو حكم السن والشيخوخة.. يا أصحابي.. فاتركوني في سلام.. لأنني أريد أن أنام في هدوء.. لكي أحلم لكم بحكاية أخرى.. أحكيها لكم في ليلة أخرى... يا أعز الناس!.

الملك الفشار

يحكى أن أحد ملوك الزمان . كان (فشاراً) كبيراً.. أو باللغة الفصحى (نفاجاً).. يحكى حكايات كثيرة غريبة لم تحدث ولا يمكن أن تحدث.. ومع ذلك أصبح الملك يصدق نفسه ويعتقد اعتقاداً شديداً أن ما يحكيه قد حدث فعلاً..

ورغم أنه كثيراً ما عجز عن الخروج من بعض المآزق وهو يحكى حكاياته العجيبة، كان جميع السامعين يصدقونه.. فمن الذى يستطيع أن يقول للملك أنت كذاب يا ملك!! من الفأر الذى يستطيع أن يعلق الجرس فى رقبة القط!؟

وجاء يوم كبرت فيه ابنة الملك.. وكان من الضروري أن تتزوج. وفى الزمان القديم كان الملك (المحارب) يزوج ابنته من أشجع الفرسان.. وكان الملك (الحكيم) يعطى ابنته لأفكه الشبان.. وكان الملك (العالم) لا يزوج ابنته إلا لمن يكتشف سراً خطيراً أو لمن يحل لغزاً محيراً!.

فماذا يا ترى سيفعل الملك النفاج (الفشار)؟.. أعلن الملك أنه سيزوج ابنته لمن يحكى له حكاية لا تصدق.. حكاية لا يصدقها الملك الفشار نفسه!.

وطبعاً كان هذا شيئاً صعباً جداً.. فمن أصعب الأمور أن «تفشر»
أوتحكى حكاية لفشار خبير.. صنع كل شيء وجرب كل شيء ويصدق
أى شيء..

ولكن كثيرين جاءوا يجربون حظهم.. وتقدموا إلى الملك يحكون له
حكايات لم تخطر على بال بشر.. بها أحداث لم تخطر على بال الجن
والعفاريت.. ومع ذلك كان الملك.. يسخر من حكاياتهم.. ويهون من
شأنها.. ويدعى باستمرار، أن ما بهامن أهوال قد حدث له أيام كان
صبياً لا يكاد يعي.. ويتس الشبان من المحاولة.. حتى وصل خبر
مشروع الزواج الملوكى وشروطه الصعبة إلى صاحبنا الفلاح الشاب..
الذى كان أصغر أبناء فلاح عجوز له ثلاثة عشر ولداً وكان الفقر قد
حط عليهم بكل ثقله.. فكان صاحبنا الثالث عشر يرتدى الملابس بعد
أن تكون قد خدمت خدمة شاقة عبر اثنتى عشر مرحلة فوق أجساد
إخوته الكبار...

ولذلك فقد أدارت فكرة الزواج من الأميرة رأسه.. ووجد فيها
خلاصاً له وإخوته جميعاً.. فودع والده وإخوته بعد أن فكر جيداً فى
الأمر وتدبر.. وقال له والده وهو يودعه...

يا بنى.. قل للملك إن من رعيته فلاحين فقراء يموتون من الجوع..
هذه هي الحكاية التى لن يصدقها أبداً.. فهو يأكل حتى يشبع.. ولذلك
لا يمكن أن يسمع صوت البطون الخاوية!:

ولكن الفتى ابتسم قائلاً لوالده:

- هل تظن يا أبى أننى ذاهب لكى أحارب الملك.. أنا ذاهب لأتزوج
ابنته.. ذاهب لأحكى له حكاية.. أنت طيب القلب يا ولدى.. كيف

يمكن أن تقول لملك إن شعبه يموت من الجوع.. إلا إذا كان في يدك
سيف تعرف كيف تستعمله جيداً.. إلى اللقاء يا أبى.. وسأدعوكم جميعاً
في القريب لتحضروا حفل زواجى..
ومضى الفتى إلى قصر الملك!..

صاح حاجب الملك يعلن اسم ذلك الشاب الفلاح المهلهل الثياب
المعقر الوجه الذى أرهقه السير الطويل...

وكان الملك جالساً وحوله الأمراء والوزراء والكبراء حينما دخل
الفتى الفقير فى خطوات واثقة كمتناقض مع مظهره المسكين المتواضع..
فضحك الملك.. وطبعاً ضحك الحاضرون ولكن الفتى أدار عيوناً جريئة
شجاعة فيهم.. فسكت الملك وسكت الآخرون.. وارتبك الملك قليلاً ثم
صاح:

- هيه... ماذا عندك يا صغيرى من حكايات غريبة لا تصدق؟
ولكن حذار.. فلو حكيت لنا حكايات مملة وعادية حدثت لى من قبل أو
رأيتها.. فإنى سوف أعاقبك عقاباً شديداً.. لجرأتك الهائلة على التقدم
للزواج من الأميرة.. هيا..

قال الفتى الفلاح لنفسه.. «لقد بدأ يغضب، وهذه بداية طيبة تبشر
بالخير...».

ثم رفع صوته وقال:

- يا مولاي... حكايتى ليست غريبة ولا عجيبة.. حكايتى بسيطة
جداً وعادية جداً. لدرجة أنى الفلاح البسيط الساذج الذى لا يملك ذكاء
حضرتكم الملوكى لا أصدقها ومع ذلك يا مولاي جئت لأحكيها لكم
طامعاً فى كرمكم فالناس لا يصدقوننى..

فصاح الملك غاضباً:

- لا بد أنك جننت لتأتى هنا وتحكى لنا حكاياتك الساذجة .. وفرعلينا
ذنب قتلك .. وعد من حيث أتيت .. سأعطيك فرصة لتتقذ جلدك ..

ولكن الفتى لم يتحرك .. بل ابتسم فى ثقة وإصرار ... فقال الملك:

- إذن .. هات ما عندك .. هيا .. أنا مصغ إليك ..

قال الفتى الفلاح:

- نحن يا مولاي ثلاثة عشر أخاً، نعيش مع أبينا وأمنا فى بيت
صغير جداً، تشاركنا فيه بقرة وجاموستان وحمار وأربع دجاجات
وعنزة بلا قرون .. وقلة ماء .. ونحن نعيش على ما نزرعه فى قطعة
أرض صغيرة جداً .. ومهما اشتغلنا ومهما تعبنا .. فإننا لا نجد ... وهنا
قاطعه السلطان متأففاً ...

- هذا شىء عادى .. أكمل بسرعة .. وماذا بعد؟! ..

وأكمل الفتى وكأنه لم يسمع اعتراض السلطان ..

- بيتنا صغير يا مولاي .. لدرجة أننا لا نجد مكاناً نخزن فيه إنتاج
أرضنا الصغيرة الوفير .. فوالدى .. عندما يشعل غليونه يملأ الدخان
البيت .. حتى لا يصبح فيه موضع لقدم .. فنضطر للمبيت خارجه ..

قال الملك:

- شىء عادى .. فالرجال يدخنون بكثرة فى بعض الأحيان ..

قال الفتى:

- فعلاً وإن كان والدى يدخن قليلاً فى الليل ومع ذلك فنحن نضطر
فى الصباح لاستئجار عشر عربات كبيرة كى تنقل الدخان إلى الحقل ..

ونكومه هناك .. أكواماً .. أكواماً كالجبال .. عدنى يا مولاي أن تزورنا
ذات يوم لتسرى منظر حقلنا الساحر والدخان مكوم فوق سطحه
كالجبال .. لا ..

قاطعهُ السلطان:

- لا أريد أن أرى ذلك .. فقد رأيت جبلاً من الدخان فى أماكن
كثيرة خلال رحلاتى المتعددة ..

فقال الفتى:

- يا لحظنا التعس إن كنت لن تزورنا .. ولكننى يا مولاي متأكد أن
ما حدث بعد ذلك كان شيئاً لا يصدق .. فقد حدث أن أخطأ إخوتى،
فنقلوا الدخان ذات صباح إلى حقل جار لنا وكان يتحتم علينا أن ننقله
مرة أخرى إلى حقلنا .. ولما كان هذا شيئاً من الصعب تنفيذه .. بعد أن
عادت العربيات إلى القرية .. فقد اقترح أحد إخوتى أن .. ماذا تظن يا
مولاي أنه اقترح للتغلب على هذه المشكلة .. هه ..

فصاح به السلطان .. وقد هاج من الغضب:

- وما شأنى أنا؟! لا يهمنى ما فعلتم من هذا الأمر التافه! وتظاهر
الفتى بالدهشة:

- ولكن يا مولاي .. إنها كانت مشكلة حقيقية .. وصعبة .. ولكن حلها
كان فى منتهى البساطة . فقد تعاون إخوتى معاً .. وفى لحظة كنا قد
رفعنا حقل جارنا فيما بيننا ثم .. «دلقنا» ما به من أكوام الدخان فى
حقلنا مرة واحدة ... دون أن نحتاج إلى دأية عربيات ...

- ولكن هذا غريب .. كيف حدث هذا؟

وأسرع الفتى يقول:

- هه.. هل لا تصدقنى يا مولاي..

واستدرك الملك قائلاً:

- لا.. ولكن إننى أفكر فى عدوانكم على جاركم فكيف ترفعون
الحقل دون إذن منه.. ألا يمكن أن يضر حملكم الحقل بهذه الطريقة
بالمحاصيل المزروعة، التى ليست ملكاً لكم..

فقال الفتى:

- لا تهتم يا مولاي.. فالحقل كان خالياً.. إلا من أكوام الدخان
الخاصة بنا. وعلى أية حال يا مولاي فقد زرعتنا حقلاً قمحاً.. وأنت
لا تعرف ماذا يفعل سماد الدخان هذا بالقمح.. ياه.. لقد نمت عيدان
القمح نمواً مذهلاً.. فأصبحت كالنخل طولاً.. وعرضاً.

فضحك الملك أو تظاهر بالضحك وقال:

- إنها مجرد أعشاب.. بالنسبة لما رأيت من بلاد القمح العجيب
حيث حبة القمح فى حجم رأس الفيل..

- ولكن تصور يا مولاي.. أن أبى رفض أن يحصد ذلك القمح
العجيب.. ولما كدنا نهلك من الجوع.. استأجر والدى شخصاً آخر
لحصده بدلاً منه لقاء زكيفة من الحب.. واستطاع هذا الرجل أن يقوم
بالعمل خير قيام.. فلقد كان رجلاً ماهراً جداً.. لقد حصد القمح كله فى
نهار واحد.. تصور.. لا بد أنك تصدق ذلك.. فهذا الرجل الذى استأجره
جدى.. شهير جداً.. أنت تعرفه جيداً... قال الملك وهو ينظر إلى الفتى
فى ريبة:

- أعرفه؟! .. من .. من تعنى؟! ..
- الرجل الذى اشتغل لنا .. وحصد القمح ..
- ولماذا تظن أننى أعرفه؟! ..
- بالتأكيد تعرفه ..
- من هو؟! ..

فقال الفتى معتذراً أو متظاهراً بالاعتذار فى الحقيقة ...

- أنا آسف يا مولاي .. إذا كان لم يخبرك .. صحيح أنه اشتغل لدينا ..
- ولكن ذلك كان نهراً واحداً على أية حال .. ولذلك لم يخبرك ..
- ولماذا يخبرنى أنا؟! ما شأنى به؟! ..
- لأنه والدك يا مولاي .. والدك الملك الكبير ..
- وهنا استشاط الملك غضباً وصاح ..
- وماذا تقول؟! ..

ولكن الفتى أكمل بهدوء شديد:

- الحق يقال يا مولاي .. أن والدك كان رجلاً نشطاً، وخبيراً واستحق أجره كاملاً .. إن كثيرين من الذين استأجرهم والذى للعمل فى حقله كانوا يخدعونه .. لكن والدك والحق يقال .. كان شريفاً جداً .. لذا أعطاه أبى رغيفين وبصلة هدية له على ..

ولم يطق الملك صبراً فهب من فوق عرشه صارخاً غاضباً لهذه الإهانة السافرة وأمر السيف أن يقطع رقبة الفتى على الفور ... وارتجت القاعة وصوته يجلجل:

- كيف تجرؤ أيها الفلاح الجلف على القول بأن والدك استأجر والدي
لحصاد قمحه.. هل تريدني أن أصدق مثل هذا.. يا سياف..

ولم يتحرك الفتى من مكانه.. بل قال في هدوء أشد...

- إننى آسف يا مولاي.. ولكن هذا هو ما حدث.. فإن كنت لا
تصدقنى.. فإننى أتجرأ واذكر مولاي العظيم بأننى جئت لكى أخطب
الأميرة.. وأنا الآن.. استحقها وأعتقد أنك موافق على زواجى.. إنك لم
تصدق حكايتى ولا يمكن أن تقتلنى فتصبح ابنتك أرملة قبل أن
تتزوج.. يا سياف.. عد إلى مكانك..

وجلس الملك على عرشه فى يأس.. فقد أوقع به الفتى.. ذلك الفلاح
الذى فهم أن ملكاً فشاراً يصدق كل شيء.. لا يمكن أن يصدق.. أن
والده العظيم.. قد اشتغل بيديه.. وأنه استحق بصلة علاوة على أجره..
بسبب إخلاصه فى العمل.. طبعاً.. شيء لا يمكن أن يصدق!.. أليس
كذلك!؟..

الشاطر بلحاية

فى مكان بعيد.. خلف الجبال والبحار.. والوديان.. وفى زمان
بعيد.. كان يا ما كان. يعيش فى الحقول الواسعة.. بين النهر العظيم
والنهر الصغير القليل المياه.. حيث تعيش أسماك البلطى الفضية.. فلاح
عجوز مع زوجته..

كانا يزرعان شبراً من الأرض بجوار النهر، يكفى لإنتاج طعامهما
القليل، بالجهد الشاق الكثير..

كان يحكم تلك البلاد سلطان ظالم..

كانت عينه ترى كل شىء..

وكانت يده لا تترك شيئاً رآته عيناه..

ولكن العجوز وزوجته كانا بعيدين جداً عن عين السلطان ويده..

ليس لأن السلطان لا يراها.. ولكن لأنه لم يكن عندهما ما يطمع

فيه السلطان.. فقد كان العجوزان فقيرين جداً.. وعجوزين جداً..

كانت العجوز تضحك وهى تقول.. ليس عندنا سوى سنوات طويلة

عشناها.. ولا أعتقد أن السلطان يطمع فى سنوات عشناها، ولن تطيل

عمره أبداً.. فقد قضيناها فى شقاء وتعب!.

وكان العجوز يقول: لا يمكن أن يطمع السلطان فى لحيتى .. هى
الشىء الوحيد الكثير الذى أملكه ... ها .. ها ...
وترد عليه زوجته: ليس عندنا ما يغرى أحقر اللصوص بالاقتراب
منا ..

فابتسم العجوز وهو يقول: «فما بالك بسلطان عظيم الشأن»!
كانا يمضيان أمسياتهما فى تبادل الحديث المرح ... ولكن شيئاً
حزيناً .. كان يطل من بين النظرات والبسمات .. إذ كان الرجل يحن
لأن يكون له طفل ..

وكانت العجوز تحلم بأن يكون لها ولد ..

ولكن أنت عجوز يا رجل وزوجتك عجوزة ..

ولابد من حدوث معجزة .. والمعجزات لا تحدث للفلاحين ..

فى كل ليلة كانت الست العجوزة تبكى سراً وتدعو وهى تصلى -
كانت تستيقظ عند منتصف الليل وتظل ساهرة حتى الصباح، تراقب
النجوم وتدعو القمر وهو يظهر ويختفى .. وتتسمع للرياح وتحدث
الطيور الغريبة المهاجرة وهى تعبر السماء فى الليل الهادى .. وتغنى:

يا رب .. يا ربايه .. يا مخضر النخلة من النوايه

ابعت لى ولداً صغيراً .. لو حتى يكون بلحاية ..

ومرت الأيام .. وراء الأيام .. كما كانت تمر وتمضى، وكما ستظل

تمر وتمضى حتى آخر الأيام ... التى لا نهاية لها ..

كان الرجل العجوز فى الحقل يعمل منذ الفجر فى تجهيز الأرض
وتسوية القنوات .. وكان يحس بالتعب أكثر من أى وقت مضى .. ولكنه

يجاهد نفسه ويغالب تعبته .. لكي يجد هو وزوجته ما يأكلانه . وكانت العجوز تكس البيت بعد أن خبزت الرغيفين اليوميين للإفطار .. وعندما حملت الجرة كعادتها لتحضر الماء .. سمعت دقاً على الباب .. دقاً ضعيفاً منغماً فتعجبت لذلك .. فزوجها لا يعود عادة قبل شروق الشمس .. ولأن أحداً لم يتعود أن يزورهم في مثل هذا الوقت ..

توقف الدق فأقنعت نفسها أن ذلك كان وهماً، وخاصة وهي تتوهم أشياء كثيرة بعد أن كبرت وأصبحت في هذه السن ..

وعاد الدق مرة أخرى أقوى وأشد من المرة الأولى، لم يكن هذا صوت الريح، إنه دق حقيقى، ولكنها ابتسمت عندما فتحت الباب فلم تر أحداً. وقالت لنفسها:

الريح تداعبك يا عجوز .. الريح تمزح معك ..

لكنها عندما أرادت أن تغلق الباب، أحست بشيء ما يتعلق بأذيالها .. ويشدها بقوة لا تتناسب مع حجمه الضئيل الذى لم تميزه ولم تره .. ثم سمعت صوتاً رقيقاً حلواً يغنى لها ويقول:

يا أمى .. يا ضى عيني .. من زمن (مستى ..)

فى كفك خذيني .. ولا تخافى .. منى ..

فى حضنك دفينى ..

وعلى الشجاعة والأدب .. وحب الناس ربينى ..

ضحكت السيدة العجوزة .. وابتسمت .. وعلى ابتسامتها طلعت الشمس .. وعلى ضحكتها زقزقت العصافير، ومن فرحتها .. ما قدرت أن تحتمل، جلست على الأرض .. المعجزة تحققت .. وصار لها .. أخيراً ابن - فقالت وهي تبكى من الفرحة:

اظهر وبان .. وعليك الأمان
لو كنت إنسى .. أو كنت جان

بنطة واحدة .. وجدت ابنها فى حجرها .. كان ابناً صغيراً ..
صغيراً .. مثل البلحة الزغلول فى الطول .. وعلى رأسه كان طربوشه
الأصفر .. مثل طربوش البلحة الزغلول يلمع كالذهب .

أخيراً أصبح لك ابن يا عجوز .. ابكى من الفرحة وضميه إلى
صدرك الحنون يدر اللبن وقولى له :

- أبوك سيفرح بك .. والبيت سعيد بك ..

وفى رفة عين .. وقبل أن تنتبه العجوز لما يحدث .. قفز الولد
الصغير إلى وسط البيت، وشمر عن ذراعيه الرفيعتين، وأخذ يكمل ما
تركته من أعمال .. فحمل كتل الحطب وورصها إلى جوار الفرن ..
ومضى يجرى بسرعة عجيبة بين البئر والبيت حاملاً جرار الماء ..
والأم لا تستطيع إلا أن تجلس فى مكانها تحمق فيه بعيون مفتوحة ..
وقد شبكت كفيها فى حجرها وقلبها يدق فى عنف من شدة السعادة ..

كان ابنها يفعل كل ما عجزت عنه، فى رشاقة وخفة وهو يغنى
بصوت مثل صوصوة العصافير .. قافزاً هنا .. جالساً هناك .. صاعداً
فوق المكنسة .. متسلقاً الحائط .. متأرجحاً فوق حبل مدلى من
السقف .. ممسكاً بكفها .. محاولاً أن يجعلها ترقص معه وهو يغنى :

بلحاية أنا .. بلحاية أنا .. بلحاية ..

كان لى حكاية وغداً تكون لى حكاية

فى يوم أنا يا أمى كنت نواية

زرعنى أبويا وقلبه كان ويايا
أخضرَ يا أمى صبح نخلاية
دمه فى لوني أنا اللي قلبى مرايه
أقدر أشيل الدنيا دى على كتفى
وأغير الدنيا أنا بضحكايه
مع إنى قد العقلة .. والبلحاية



عاد العجوز من الحقل متعباً .. ولم يكمل الحرث وكان يتعجل
الخطى لكى يصل إلى الفراش .. ولكنه كاد يطير من الفرحة عندما رأى
ابنه الصغير فى ملابسه المزركشة التى صنعتها له أمه .. والتى أصبح
بعدها لبسها كأمير من أمراء الحواديت القديمة .. ولو أنه فى طول
البلحة ..

ولم يشبع العجوز وزوجته من حكايات بلحاية .. الذى أخذ يحكى
لهم عن حياته الماضية .. وعن أصدقائه الذين يلبون له كل ما يطلبه ..
نحل العسل والعصافير ... وديدان الحرير .. والفراشات .. إنه يستطيع
بمساعدتهم أن يجعل أيام العجوزين غاية فى السعادة والهناء، وسيفعل!
لم يكن يكف عن الحركة .. فقد كان مملوءاً بالنشاط والحيوية يتكلم
ويقفز ويرقص .. ويفعل عشرات الأشياء فى وقت واحد ..

وعندما حان وقت العشاء .. قامت العجوز لتجهزه .. لكنه ابتسم
وأشار إليها أن تجلس فى مكانها .. وهو يقول لها إن أيامها وأيام أبيه
الماضية لم تضع هباء .. لقد حرث أبوه الأرض ورواها مئات المرات ..

واختلط عرقه بترابها.. فأنبئت البذور والزهور والأشجار.. لقد عاش
أصدقاؤه جميعاً على خيرات أبيه وصنع يديه.. ثم أشار بيده إليهما ألا
يتحركا.. واتجه إلى الباب.. ووقف أمامه وأطلق صغيراً طويلاً مغرداً..
فرأى العجوزين أغرب منظر يراه بشر!

جاءت أسراب غفيرة من النحل تحمل أقراصاً من العسل وتبعتها
عشرات من العصافير الملونة والخضراء تحمل فطيرة كبيرة من البلح.
ثم أحاطت بالبيت الصغير ملايين من الفراشات.. تحمل عقوداً من
الزهور.. ألقتها فوق العجوزين.. ثم دوى بوق عال فتوقف الدوى
والطنين.. وتقدمت فرس النبي تحمل ملكة الحرير.. وورائها كان آلاف
من أبو العيد والعناكب تحمل هدايا عديدة مختلفة من الحرير والأقمشة
وأرغفة الخبز الأبيض كان كل شيء يبدو جميلاً ورائعاً.. والعجوزان
وسط كل هذا التكريم..

وتقدم نطاط الحيط.. وألقى خطبة طويلة ختمها بقوله إن كل هذا ما
هو إلا أقل من القليل جزاء لتعب العجوزين الطويل وشقائهما الذي جعل
الأرض خضراء.. وجعل الحياة تستمر إلى يومهم هذا.. والذي سيجعلها
تستمر في المستقبل..

وسكت الجميع فجأة عندما بكى الرجل العجوز تأثراً.. ولم يستطع
بلحاية أن يمنع الحزن من أن يخيم على المكان الذي كان ينبض
بالسرور والسعادة.. منذ لحظات.. عندما حكى العجوز.. عن تلك الأيام
التي حرمت منها البلاد.. تلك الأيام البعيدة الماضية التي لن تعود..
والتي كان يتمتع فيها كل فرد بكل ما يراه أمامه في سعادة..

ولم يهدأ بلحاية.. ولكنه ظل قلقاً مسهداً طول الليل.. بعد أن ودع
أصدقاءه الذين عادوا.. والحزن يملأ قلوبهم.. لقد كانوا يريدون أن
يردوا للعجوز بعضاً من جمائله الكثيرة عليهم.. ولكن ماذا ستفعل له

هذه اللحظات.. وما هي فائدتها الحقيقية لو ظلت له وحده.. هذا ما ظل بلحاية يفكر فيه طول الليل.. وهو يدور في الحقول.. يتحدث إلى نفسه وإلى القمر.. وإلى القليل من أصدقائه الذين كان يقابلهم في الطريق..



قال بلحاية لأبيه عند الفجر.. خذ يا أبى.. هذه البذور وازرعها.. اذهب ستجد الحقل جاهزاً للزراعة.. تعجب الرجل لأن بلحاية قد أعطاه بذور خيار.. وقال لنفسه.. كيف يمكن أن تنبت بذور الخيار في مثل هذا الجو.. وكيف ستقاوم شجيرات هذا البرد الشديد..

قال بلحاية: لا تهتم يا أبى.. سوف تزرع ما تريد في أى وقت تشاء.... إن عقلك كبير.. وأنا معك..

وابتسم الابن له ابتسامة حانية مليئة بالحب، جعلته يمضى إلى الحقل، ولدهشته الشديدة وجدته محروثاً ومخططاً وجاهزاً ليستقبل البذور، فمضى يزرعها.. وهو يعجب مما ينويه ابنه.. لكنه سكت وقال لنفسه إنه يعرف أشياء أجهلها أنا.. فلننتظر وسنرى ما سيحدث. وعاد العجوز مع المساء.. ليجد بيتاً من الحجر الأبيض مكان الكوخ القديم.. فظن أنه ضل طريقه لولا أن رأى ابنه الصغير وهو يضع الحجر الأخير في مكانه.. وينادى عليه ليقول رأيه في ذلك البيت المتواضع الجميل.

ورأى العجوز زوجته بجوار السور تبكى من التأثر.. فلم تكن تحلم أن يحدث لها كل هذا في أيامها الأخيرة.. فأخذ يربت على كتفها وهو يخفى مشاعره...

وقفز بلحاية إلى الأرض.. صائحاً.. هل زرعت الخيار؟.. لقد

تعبت يا أبى اليوم، وعليك غداً أن تستريح لأنه يتحتم عليك أن تذهب
بعد غد إلى المدينة لكي تبيع الخيار هناك..

فصاح العجوز.. فى دهشة! ماذا تقول؟!..

ضحك بلحاية وهو يقفز إلى كتف والده.. أنت تخاف السلطان؟!..
ولكن لا تخف إلى هذه الدرجة فسوف يعجبه الخيار جداً!.. كما أنه
سيعجب المدينة كلها.. ولكن العجوز قاطعه فى خوف:

- أنا.. أنا.. طبعاً أخاف السلطان.. ولكنى لا أقصد هذا. أنا أتكلم عن
الخيار..

فرد بلحاية فى براءة: ماذا عن الخيار؟!..

فصاح العجوز ضيق الصدر كأنه يخاطب رجلاً فقد عقله:

- كيف سأبيع الخيار بعد غد.. أنا انتهيت الآن فقط من بذر
البذور!..

فضحك بلحاية ضحكة طويلة ردها معه عصفور كان يعبر السماء
وهو يحييه - ثم قفز من فوق كتف أبيه وهو يغنى.. ويرقص فى خفة
كعادته:

اللى امبارح زرعناه.. ويعرقنا رويناه..
يطلع علينا الصباح.. قدام عينينا نلقاه..



كان العجوز يرتجف وهو ينادى على الخيار.. وتجمع الناس وهم
فى غاية العجب.. خيار فى غير أوانه.. إنها بشرى بسلطان جديد..
هذه معجزة هذا الرجل!...

وابتدأت الهمسات تنتشر. لقد جاء رجل فلاح إلى المدينة .. ومعه خيار عجيب يقول إنه زرعه منذ يومين فقط .. وسال لعاب السلطان:
- خيار حقيقى فى غير أوانه .. أين تلك الأرض التى أنبتته .. وكيف غابت عنى ..

وارتبك القصر واضطربت الحاشية .. أمام صياح السلطان .. وأيقظ بوق الحرس أهل المدينة من دهشتهم .. واقتاد الحرس الرجل العجوز إلى القصر ..

- من أين أنت يا عجوز؟ ..

- أنا رجل فقير يا مولاي ..

- أنت ساحر؟ ..

- أنا ضعيف يا مولاي !!

- لا بد أن عندك أموالاً كثيرة؟ .. أين هى؟! ..

- لا أملك شيئاً يا مولاي .. سوى يداى ..

وقال الوزير: دعه يمضى لنعرف سر كنوزه! ..

وقال وزير آخر:

- قد تكون حكاية الخيار صدفة .. أو معجزة .. فلنطلب منه شيئاً آخر .. ونهدده بالموت .. ولنصبر لتأكد .. واشتد الخلاف .. وضاق صدر السلطان .. إنه يريد أن يعرف سر الرجل .. إن من يزرع خياراً فى ثلاثة أيام .. وفى غير أوانه لا بد أنه يملك .. كنوز قارون أو خاتم سليمان ..

صاح الملك صيحة ارتجف لها العجوز:

- يارجل.. إذا أردت أن تنقذ حياتك فعليك أن تقدم لنا غداً سبعة
أميال من الحرير الدقيق طويلاً... و... و... عرضاً.. على أن تمر إذا ما
طويت من خاتمي هذا..

وحتى الحاشية ذهلت من طلب الملك.. وذعر العجوز.. وخاصة
عندما صاح به الملك:

- لا تحاول خداعي.. ولا تهرب مني.. ولا تتظاهر بالخوف.. غداً
إن لم تعد.. فسأحصل عليك ولو اختفيت خلف الجبال السبعة!



ومضى العجوز.

وأمر السلطان بعض حراسه أن يتبعوه ليعرف أين يقيم وأين يخفى
سره.. وقال العجوز لنفسه وهو يخرج من المدينة ولا يصدق أنه قد
نجا:

- إنني فعلت بنفسى ذلك..

وكان بلحاية ينتظره فوق أغصان شجرة تين عجوز.. فقفز على
كتفه.. وصاح به العجوز:

- لماذا فعلت بي ذلك.. يا بلحاية...

قال بلحاية فى رقة:

- أنا فعلت خيراً.. السلطان هو الذى فعل الشر..

فرد العجوز:

- ولكن ما لنا ومال السلطان.. كنا فى حالنا.. ولم يكن يعرف لنا
طريقاً..

- وهل تظن أنه كان سيسكت لو رأك سعيداً، أو رأك تعيش كما يعيش
الناس.. لا تقل ذلك يا أبى.. السلطان لم يكن يراك لأنك لم تكن تملك
شيئاً يطمع فيه..

فقال العجوز: لقد انتهينا.. وعرف السلطان طريقنا..

فقال بلحاية: كان لابد أن يعرف الظلم طريقه إليك يوماً ما.. أم
كنت تريد أن تموت بلا ابن..

فبكى العجوز.. واحتضنه وهو يقول: لاتقل ذلك يا حبيبى.. لا
تغضب.. لن أخاف.. ولن يهمنى السلطان..

فضحك بلحاية قائلاً: إذن ستذهب إليه غداً..

- أنا؟!..

- نعم.. ومعك الحرير.. فسوف نلقنه درساً لن ينساه..

صاح العجوز مذعوراً: سيقطع رقبتى..

- لا تخف.. فأنا لن أتركه يفعل ذلك.. والتفت بلحاية.. وصاح
صيحة عظيمة:

- أيها الجواسيس.. عودوا من حيث أتيتم.. وقولوا للسلطان إننا سنعود
غداً.

وارتعش الحراس خوفاً.. وأطلقوا سيقانهم للريح..



صفر بلحاية، صفيراً طويلاً متقطعاً، وكان القمر ساطعاً والنجوم
تلمع.. فاستيقظ أصدقاؤه من نومهم.. وتقدمت ناحية بلحاية.. صفوف

طويلة من العناكب .. و فراشات الحقول وديدان الحرير .. وطوابير من
أبو العيد المنقوش .. وفرس النبي ..

وجلس بلحاية وسط بعض الشجيرات بينما انتشر أصدقاؤه حوله فوق
الغصون وعلى الأرض ينتظرون ما سيقوله ..

قال بلحاية بصوت حزين:

- إن أبي العجوز فى خطر! ..

وقص عليهم قصته مع السلطان وكيف طلب منه السلطان نسيج
الحرير الذى يمر من خاتم الملك ..

وكان بلحاية متأكداً من أن ما حدث سوف يحدث .. فقد اندفعت
فرق كاملة من ديدان الحرير تغزل الخيوط الرفيعة التى حملتها
الفراشات وشدتها على سيقان نبات البرنوف بينما اندفعت العناكب
بمغازلها الذهبية .. ومضى أبو العيد وفرس النبي آفاقاً مؤلفة تصنع
الصبغات من العصارة النباتية الملونة ..

بينما استلقى بلحاية تحت الشجرة .. يغنى لهم .. وهم يعملون بهمة ..
وقبل أن تشرق الشمس .. كان بلحاية ... يودع أصدقاؤه عائداً إلى
البيت وهو يقفز على رجل واحدة ويصفر سعيداً حاملاً لفة رفيعة فوق
كتفه ..

وكان العجوز قد قضى أسوأ ليلة فى حياته .. كان يحلم بسيف
السلطان يطارده ..

وظلت زوجته ساهرة طول الليل تحاول أن تخفف عنه .. حتى سمع
طرقات بلحاية على الباب .. فاشتد خوفه وظن أن جنود السلطان قد

جاءوا ليقتصوا منه .. ولكنه كان بلحاية .. يحمل ما يطلبه السلطان على كتفه ..

وقفز العجوز وانطلق إلى المدينة يجرى حاملاً لفة الحرير .. واهتزت المدينة فرحاً .. ونسى الناس كل شيء إلا أن رجلاً عجوزاً هزم السلطان الظالم .. وعاد معه شيئاً كالمعجزة .. هزت قلوب الناس .. وأحييت قانوناً قديماً كان قد مات منذ زمن وهو (أن من يخدم المدينة يحكمها) .

وكان لابد للسلطان من العمل بسرعة .. ونصحه الوزير أن يلجأ إلى الحيلة .. فخرج إلى الناس لكي يهدئ من غضبهم وثورتهم .. وابتسم في وجههم بمكر وهو يعلن أن القانون القديم سوف يعود ..

وهلك الناس وكبروا .. ولكن السلطان اشترط أن يلبي العجوز طلباً ثالثاً ... لكي يتأكد الجميع من أنه ليس مخادعاً ..

وكان العجوز واقفاً يسمع ويرى وهو لا يفهم شيئاً .. كل ما يفهمه أن السلطان غاضب جداً ومع ذلك كان يبتسم ... وأن الناس سعداء جداً ومع ذلك كانوا غاضبين ... ولكنه فهم كل شيء .. وكاد قلبه أن يسقط بين قدميه .. حين طالبه السلطان .. بأن يحضر لهم .. الطلب الأخير . وجمع السلطان قادة الحرس .. وأصدر أوامر مشددة لهم ..

إما أن تعودوا بسر الرجل وكنوزه وإما أن تتخلصوا منه ..

وفي كلا الحالتين .. لا أريده أن يضع قدميه في المدينة مرة أخرى !.



كان العجوز يمضى على الطريق بعد أن غادر المدينة مودعاً أطيّب وداع من أهلها.. الذين كانوا يريدون مرافقته لولا أن أمر السلطان بغلق الأبواب.. وأخذ العجوز يفكر حزيناً فى طلب السلطان - فطيرة لذيذة فى حجم كف اليد ولكنها تكفى لإشباع كل المدينة.. إن هذا لا يمكن أن يحدث حتى ولا فى الحواديت!.

وفجأة شعر بحركة وراءه.. ووقعت عينه حينما التفت على منظر مضحك غريب..

كان بلحاية مشتبكاً فى معركة مع أربعة رجال ضخام الأجسام.. يتعثرون ويسقطون على الأرض من الخوف والرعب، وهم يرون ذلك الكائن الغريب الصغير، يقفز فى الهواء بين الغصون ويوجه إليهم ضرباته القاضية بقبضة كالحديد، ويصرخ فى وجوههم، صراخاً كزئير الأسود يجعلهم يرتجفون كأوراق الشجر!. ولم يتركهم بلحاية إلا بعد أن جردهم من أسلحتهم وملابسهم وتركهم يعودون إلى المدينة عرايا.. وأخذ يضحك وهو يطلب منهم إبلاغ تحياته القلبية للسلطان العظيم.

وقال بلحاية لأبيه:

- لقد أرسلهم السلطان خلفك لقتلك.. لأنه شعر بالخوف من أهل المدينة وشعر أنك ستعود إليها مرة ثالثة منتصراً.. وهذا سيجعل مركزه خطيراً..

فقال العجوز:

- يا بلحاية يا ابنى.. اعفنى من هذا الأمر، أنا رجل عجوز وضعيف وأريد أن أستريح.. ولا شأن لى بالسلطين..

قال بلحاية:

- ولكن السلطان لن يتركك فى حالك، فعندما أحس السلطان أنك تملك حمل حمار من الخيار، أفسد عليك حياتك وهو يفعل هذا مع كل الناس الذين مثلك..

- إذن يمكنك أن تستريح يا أبى، واترك أهل المدينة ودع رفاقك الفلاحين لهذا الرجل يفعل بهم ما يشاء، واترك الظلم الذى جاء إلى بابك يلتهمك أنت الآخر!.

قال العجوز: وماذا سأفعل أنا.. لقد طلب طلباً آخر أكثر استحالة.. هل يمكن أن نصنع فطيرة فى حجم الكف وتكفى أهل المدينة جميعهم.. ولا تنتهى أبداً.. أنا لا أستطيع ذلك.

رد بلحاية عليه بابتسامة، ولكنك ستفعل.. ولن تفعل ذلك من أجله ولكن من أجل أهل المدينة،..

أنا لا أستطيع أن أطحن حبة قمح.. ليس لى أسنان.

- نعم نستطيع!! فمن الأرض التى اختلطت بعرقك سنأتى بالسنابل.. وسترى.. اذهب أنت ونم.. فأمامك سفر طويل غداً.. نم أنت ملء جفونك.. فإن السلطان وحده لن ينام الليلة!!



مضى بلحاية إلى الحقول.. ونادى أصدقاءه ملوك الحقول السبعة الخضراء.. القمحاية والشعيرة.. والفولة وحبة البازلاء.. والعدسة وحبة الذرة.. وحب العزيز!! وحكى لهم الحكاية.. فابتدأوا التنفيذ..

واندفعت الآلاف والملايين من الحبات يذبن أنفسهم فى الماء الذى
كانت العصافير تحضره من النهر.. بينما كان بلحاية يغنى لهم..

قد الكف.. قد الكف يا حبايه خشى الصف..

دقى دقيقتك، بلى عجبناك، خلى رغيث العيش يتلف..

وأما البركة تطرح فيكم، لقمة تكفى مليون ألف..

حتى تم صنع الفطيرة.. ولكنهم قالوا له يا بلحاية: يلزم للفطيرة ما
يحميها.. قال بلحاية: وما هذا؟!!

قالت له قمحاية:

سيف من أجل الحق دباح. من دقيقتى ومن عرق فلاح!!.

ومن عرق والده ودقيق صاحبتة.. عجن بلحاية سيفه بدموع والدته
وكساه القمر بفضة من نوره.. وأصبح أقوى من سيوف الحديد، ومن
جميع الحراب!!.

وقال بلحاية لأبيه: «ضعنى داخل الفطيرة»!.

وحمل العجوز الفطيرة وابنه داخلها إلى قصر السلطان.. كانت
المدينة كلها مجتمعة عند القصر تنتظره.. وعندما أقبل، علت الهتافات
فارتجف قلب السلطان.. وارتعش فى يده سيفه الحديد.. دخل العجوز
بالفطيرة.. قال السلطان لنفسه: حرسك فشل فى قتله وتخليصك منه..
وسيفك هو حاميك ياسلطان اهجم عليه!.

.. وهجم السلطان فى غدر على العجوز.. وكاد أن يصل إليه.. لولا
أن انشقت الفطيرة.. ووقف فوقها بلحاية.. بسيفه العجين..

زغلولى يا بلحاية طول البلحه
لكن جميلة طلعتك سمحة
طلع لأهل البلد من الليالى نهار
واغلب بسيفك كل سيف جبار
واملى قلب العجوزة الصابرة بالفرحة

كان السلطان يقاتل وهو خائف.. وكان بلحاية يهاجم وقلوب الناس
معه.. تحبه وتدعو له.. وسلم جميع العساكر سلاحهم.. والسلطان راح
وانتهى.. وأكلوا من الفطيرة.. ولم تنته الفطيرة أبداً.. ولبسوا الحرير..
ولم يفن الحرير مع الأيام.. وأكلوا الخيار فى الشتاء.. والبرتقال فى
الصيف.. ورجع قانون المدينة القديم المنسى..

من يخدم الناس يحكم الناس..
ومن يحب الناس.. لا يظلمهم.

قال العجوز: «الحق أن الفضل يذكر لصاحب الأفضال بلحاية».

وقال بلحاية: «يا والدى.. أنا من النخلة التى زرعتها بيدك ورويتها
بعرقك».

قال الرجال: لا خلاف.. والحكم لأهل المدينة... قالوا المدينة
تحكم..

وحكمت المدينة وقالت من سيحكمها.. وابتسم الناس لأول مرة من
زمن طويل.. وطاف حلم بالأيام البعيدة أمامه كأنه حقيقة.. وأفضل
من العلم؟ الحقيقة!.. وأحلى من الماضى؟ المستقبل.. من يخدم الناس
يحكم الناس، ومن يحب الناس لا يظلمهم، يبعد عنهم ما يحزنهم،

ويسعدهم بما يضحكهم ويفرحهم، ولولا أنى عدت مسرعاً، كنت عرفت
رأى المدينة ولكنى جريت وجئت أحكى لكم الحكاية سواء حكم العجوز
أو حكم بلحاية، لابد من ضحكة سعيدة تنهى الحكاية..

لقد عاشوا فى تبات ونبات، وخلفوا صبيان وبنات.. كان لكل واحدة
حكاية، ولكل واحد حكايات!.



الشاطر قرن الفول

كان ياما كان فى بلدنا زمان .. فلاح من الفلاحين .. فقير وعنده أولاد ثلاثة حالهم عجيب غريب، كل واحد منهم له صفة غريبة .. ولكل واحد فيهم طبع عجيب، كان الأول طويلاً .. أطول من النخلة بكثير، ولذلك كان الناس ينادونه باسم «على عود الخرزان» . وكان الثانى سميناً (تخيناً) . أتخذ من الفيل بقليل، ولذلك كان أهل القرية يسمونه «سلامة الباذنجان» ، أما ثالث الثلاثة .. وهو صديقنا الذى نحكى عنه فقد كان قصيراً .. قصيراً . لا يزيد طوله ولا ينقص عن طول أصبع والده الخنصر، ولهذا كان الجميع يسمونه «حسن قرن الفول» .

أما والد الإخوة الثلاثة فكان اسمه «حجاج» ، ولأنه كان رجلاً فقيراً .. جداً جداً .. جداً فإنه لم يكن يجد طعاماً لأولاده وزوجته إلا العيش والدقة .. حتى لو اشتغل طول النهار .. والليل كله لم يكن يعود لأسرته بغير الخبز والدقة .. وأحياناً كثيرة لم يكن يعود لهم إلا بالخبز فقط .. ولذلك تفننت زوجته فى صناعة الدقة .. واختراع أصناف منها لا يعرفها الناس .. دقة حمراء بالفلفل الأحمر، ودقة خضراء بنعناع .. ودقة سمراء وبيضاء ... ودقة عجيبة غريبة لها ألف لون .. لها طعم الدجاج والجرجير تصنعها من الحمص والفلفل والملح وأشياء أخرى سرية .. لا

أحد يعرفها إلا هي .. وكان من الطبيعي طبعاً أن يسمى أهل قرينتنا هذا
الفلاح زوج صانعة الدقة، باسم عم حجاج دقة.

وكان عم حجاج دقة يشتغل في أراضي الناس الذين يملكون
الأراضي .. يحرث ويعزق ويروى .. فى موسم الزراعة .. ويحصد فى
موسم الحصاد... ويلقى فى العمل من المتاعب ما يلقاه الآخرون ..
ولكنه لأنه لم يكن يكسب إلا القليل .. كان يعانى من أولاده الثلاثة
ومتاعبهم الكثيرة .. فإذا استطاع أن يشتري بضعة أمتار من القماش
فإنه يصبح بين أمرين .. إما أن تلبس الأسرة ثياباً تصنعها من هذا
القماش .. أو أن تتركه للابن الطويل «على عود الخرزان» .. ليصنع منها
قميصاً له وحده فقط .. وإذا رزقه الله عدداً من أرغفة الخبز أو كيلاً من
الذرة،، فإما أن تأكل الأسرة كلها لما تشبع .. أو تعطى نصفها «لسلامة
الباذنجان، الذى يلتهمه فى لمح البصر، ثم يرفع صوته بالصراخ طالباً
المزيد لأن له بطناً يطحن الصخر والحديد.

أما ما كان يعانيه من المشاكل بسبب «حسن قرن الفول» .. فقد كانت
أكثر من أن تحتمل، فهو يستطيع أن يبقى بدون ملابس هو وأسرته ..
ويستطيع أن يتحمل الجوع وأن يتجاهل صراخ ابنه «المفجوع» .. ولكن
ماذا يفعل مع الناس، فقد كانت لا تمر دقيقة إلا وجاء أحدهم يصرخ ..
الحق يا حجاج .. «حسن قرن الفول» .. كسر قرون العجول .. أو يأتى
أحد وهو يستنجد به .. الحق يا حجاج «حسن قرن الفول» .. ضرب أولاد
زغلول . وهكذا كانت الأيام تمضى بعم حجاج ... يصرخ من مأزق
سببه له «عود الخرزان، ليقع فى أزمة سببها الباذنجان أو حادثة ..
صنعها قرن الفول.

حتى جاء اليوم الذى جمع أولاده الثلاثة فيه .. وصرخ فيهم ..

- لا بد أن نجد حلاً .. أنا لا أحتمل هذا .. كل طعام الدنيا لا يكفى سلامة - وكل قماش العالم لا يكسوا على .. وأنا لم أعد أحتمل مشاكل قرن الفول .. فليرحل أحدكم ليساعدنى .. وليساعد أمه وإخوته .. مهما كان ومهما جرى أنا أحبكم، ولكن يكفينى اثنان وليرحل الثالث .. ليبحث عن عمل فى البلاد المجاورة .. ما رأيكم .. دام فضلكم؟

وهنا قفز سلامة البانجان .. وقال .. أنا أرحل .. فأنا جانع .. وليس هنا طعام!.

كانت معدته تصرخ فيه - اذهب: فقال دون تردد .. أنا ذاهب .. وانطلق يتدحرج بشحمه ولحمه على الطريق ... مثل كرة ضخمة ... ضربها فيل بأقدامه الأربعة .

سار سلامة فى طريقه .. وبكاء معدته يشتد .. حتى أصبح يظن كل شىء أمامه صالحاً للأكل .. ففكر فى أكل شجرة خروع، أمام كوخ صغير .. ولما ازداد صراخ أمعائه قرر أن يأكل حماراً كان يقف بجوار شجرة جميل لولا أنه لمح حملاً من البرسيم الأخضر اليناع أمام الحمار ففكر فى أن قليلاً منه يصلح المعدة .. ولكن الحمار فهم ما يدور فى رأس سلامة .. فنظر إليه شذراً ثم استدار وتحفز وكأنه يحذره من الاقتراب لأن حافرين قويين فى انتظاره .. دفاعاً عن البرسيم ..

وجمع سلامة البانجان جوعه الأبدى فى نظرة استعطاف تجعل الحجر يبكى .. ولكن الحمار لم يرحمه، ومضى يأكل فى صمت وانتظار .. وهو يقول لنفسه:

- هذا طعامي... كسبته بعرقى.. وتعبى طول النهار.. تريد أن تشاركنى فيه.. هكذا وكأننى سرقتة إذا أردت أن تأكل.. تعال واشتغل معى ولا تفكر فى سرقتى..

وهنا صاح سلامة: أنا موافق.. أريد أن أشتغل... وذعر الحمار جداً... فهو لم ينطق بكلمة واحدة.. فكيف سمعه هذا الرجل.. وكيف استطاع أن يقرأ أفكاره، وأكمل سلامة الباذنجان كلامه قائلاً:

- لو أمرتنى يا سيدى الحمار أن أحمل جبل الجيوشى.. لفعلت.. فقط أعطنى حزمة.. فأنا أكاد أجن من الجوع..

وخاف الحمار جداً.. فقد كانت هذه المرة الأولى فى حياته التى يقابل فيها إنساناً، يقرأ أفكار الحمير ويتكلم لغتهم.. ودهش وهو يبحث عن سبب.. حتى أقنع نفسه أن ذلك لا بد أنه يحدث بسبب الجوع.. فصاح سلامة يؤكد له ذلك.

- نعم.. الجوع قد يصنع المعجزات.

وهنا همس الحمار فى أذن سلامة الذى مضى يلتهم البرسيم فى نهم..

- اسمع.. إن صاحبى وصاحب هذه المزرعة.. رجل عجيب غريب.. ولكنه طيب.. «أحكى، له حكايتك «واشكو، له حالك وسوف يعطيك عملاً.. ولكن لا تنسى أن ترد لى برسيمى الذى بلعته كله.. يا.. يا.. مفجوع!

وهز الحمار رأسه بشدة.. وضرب أذنيه بعضها ببعض.. ليقنع نفسه على طريقة الحمير. بأن ما يحدث أمامه شىء حقيقى فعلاً... وإن

هناك إنساناً يمكن أن يكون على هذه الدرجة من الجوع.. الجشع..
لدرجة أنه لم يترك ورقة خضراء من أوراق البرسيم إلا وابتلعها فتغيب
فى بطنه.. وليصبح المكان نظيفاً لدرجة أدهشت المزارع الغريب
العجيب. والذي أثبت أنه طيب أيضاً... عندما سمع حكاية سلامة. إذ
أعطاه عملاً على الفور. واستطاع سلامة أن يسدد دينه للحمار وأن
يأكل الكثير ويحس بالشبع لأول مرة فى حياته... خلال أيامه
بالمزرعة..

ومضى عام كامل.. اشتغل فيه سلامة بإخلاص.. وفى النهاية..
أعطاه الغريب العجيب الطيب كيساً غريباً.. وقال له:

- خذ يابنى.. هذا الكيس سيكفيك ويكفى أهلك شر الجوع... كان الله
فى عون والدك.. إن ظل مسئولاً عن إطعامك.. واعلم أن هذا كيس
مسحور.. عندما تريد منه شيئاً.. ضعه أمامك وقل له:

بحق تعبى وشقايا.. ناولنى يا كيس غدايا

وفكر فيما تريد أن تأكله.. ثم ضع يدك فى الكيس وأخرج ما تشاء
منه حلال عليك. أنت تستحق كرمه وإخوانك يستحقون.. وبالذات
والدك فكم شقى فى حقول الدنيا.. هيا. لا تضيع الوقت.. فإنهم فى
انتظارك!؟..

وجرى سلامة يتدحرج على طريق العودة.. مثل كرة منفوخة
شاطها، فيل مجنون.. ولكنه بعد أن سار بعيداً، تذكر أنه لم يجرب
الكيس.. طبعاً هو يثق جداً فى كلام الرجل الغريب العجيب الطيب..
ولكن التجربة أحسن.. وخاصة أنه بدأ يحس بالجوع.. فجلس تحت
شجرة جميز عجوز.. ووضع الكيس أمامه وفرك كفيه سعيداً.. وقال:

بحق تعبى وشقايا .. ناولنى يا كيس غدايا

وكادت عيونه تخرج من الدهشة .. وهو يمسك داخل الكيس بأوزة كبيرة محمرة .. تسيل سمناً كالزبد ولم يضيع سلامة وقتاً كثيراً .. ففى لحظات كانت قد اختفت فى بطنه .. وخلفها دجاجتان محشوتان وأربعة من أزواج الحمام المشوى .. وبيض لا عدد له وكوز من البطاطا .. وقلة ماء بارد لذيد. ولما هدأت أنفاس سلامة الباذنجان .. وانتظمت .. وأخذ يسلك أسنانه فى استرخاء، وطوى الكيس ووضع تحت رأسه .. وقال: المثل يقول: «تغدى وتمدد، .. ولكنه لم يتمدد فقط طبعاً .. بل غرق فى نوم عميق ثقيل ..»

وهنا - تسلت أقدام شريرة .. وأخذت عيون شريرة تنظر هنا وهناك .. ثم امتدت يد شريرة فسحبت الكيس .. واستبدلته بكيس آخر يشبه تماماً .. وعادت فى هدوء .. وسلامة غارق فى نومه .. مثل ثمرة باذنجان ضخمة .. يحلم بالتهام عجل مشوى كامل.

وعندما لمح حجاج دقة ابنه الغائب سلامة الباذنجان عائداً من بعيد .. أسرع يتناول اللقمة التى بقيت من غذائه ووقف ينتظر.

ودهش حجاجاً .. لأن ابنه عاد بسرعة وأحس بخوف من أن يعود إلى سابق عهده .. يبكى ويصيح دائماً طالباً الطعام .. ولا يشبع أبداً، ولكنه دهش أكثر عندما رأى ابنه قد ازداد سمناً وأخذ يقفز سعيداً يلوح من بعيد بكيس فى يده .

ولم يفهم الرجل شيئاً إلا أن ابنه شفى من مرض الجوع الأزلى .. وأنه شعبان بالفعل . وطلب سلامة من والده أن ينادى أمه وأخويه فوراً،

لأن هناك مفاجأة تنتظر الجميع . فقد عاد سلامة الباذنجان الجائع دائماً . بالشبع إلى الأبد .

وجاء أخواه على عود الخرزان الذى فى طول النخلة وحسن قرن الفول الذى هو أقصر من الخنصر... ووراءهم جاءت الأم تحمل كيس الدقة الشهير . فما كان من سلامة . إلا أن أمسك بالكيس .. ونثر ما فيه على الأرض فصرخت أمه حسرة ، ولكنه قال فى ثقة :

- لن تحتاجى إلى الدقة بعد اليوم لقد مضت أيام الجوع إلى الأبد .

وابتسم سلامة الباذنجان فى ثقة كبيرة فهو يعرف ما يفعل لقد جرب الكيس بنفسه عند الشجرة .. وذاق طعامه ولذلك طلب منهم فى ثقة أن يحلموا وأن يذكروا سرأ أشهى ما يتمنونه من طعام .. ثم جلس وقال :

بحق تعبنا وشقانا .. يا كيس ناولنا غدانا

ثم وضع يده داخل الكيس فلم يجد شيئاً . فأخذ يردد القول دون جدوى . كان الكيس خالياً .. فصاح به : ألا تسمع .. ناولنى عشايا . ولكن الكيس لم يفعل شيئاً ... وأخذ سلامة يقلبه ظهرأ لبطن بلا فائدة .

ووقف حجاج دقة الذى أبيض شعر رأسه من طول الشقاء والتعب .. وقال :

- كنت أتوقع مصيبة .. لقد ذهبت وأنت جائع .. وعدت إلينا وأنت مجنون ، كان الله فى العون وقالت الأم وهى تبكى :
- لماذا بعثرت الدقة . حرام عليك سنأكل بلا إدام ..



ولكن سلامة أخذ يقسم لهم أن الكيس مسحور، وأنه جربه بنفسه هناك تحت شجرة الجميز.. والرجل الطيب لم يخدعه.. وأخذ يصف لهم ما أكله من طعام قبل أن ينام.. ولكن حديثه لم يزد لهم إلا جوعاً.. ولم يصدق أحد.. لأن الجوعى لا يصدقون الحواديت بينما قضى سلامة الليل كله يقلب الكيس الفارغ.. وهو يتعجب مما حدث.. وفى الصباح.. نسى الجميع حكايات الكيس ما عدا سلامة طبعاً.. الذى رأى بعينه وذاق بلسانه طعام الكيس اللذيذ، هناك عند شجرة الجميز. وقال حجاج دقة لأولاده:

- من منكم سيرحل الآن.. ليبحث عن عمل مثل سلامة الباذنجان؟؟

قال على.. الطويل الذى طوله أطول من النخلة بكثير. والذى يسمونه «على عود الخرزان»:
أنا سأرحل يا أبى، ولا تزعل.

ودله سلامة على الطريق. وتعدى له الجميع التوفيق. وعاد كل واحد إلى عمله. وقامت الأم لتصنع كيساً جديداً من دقتها المشهورة، لتواجه الأزمة التى لا بد ستحدث لهم فى الطعام. وبعد عودة سلامة الباذنجان الذى لا يشبع.

وسار «على عود الخرزان» حتى وصل إلى نفس المكان الذى ربط فيه حمار صاحب المزرعة، صديق (سلامة الباذنجان). وحدث له ما حدث مع أخيه. فاشتغل عند الرجل بجهد وإخلاص لمدة عام كامل بالتعام. وعندما جاء موعد الرحيل. قال له الرجل:

- أعرف أنك تعبت فى العمل يا عود الخرزان .. ولذلك خذ هذا المغزل العجيب، إنك تستحقه بالفعل عندما تريد ملابس لنفسك أو لأهلك .. أو لأحد من الفقراء . فكر فيما تريد ثم أدر المغزل وقل له:

يا مغزلى دور.. دور.. فصل لى توبى المسحور..

وتناول عود الخرزان، ذلك المغزل وهو سعيد فرحان .. لأنه سيكفيه شر البرد والحر.. والملابس القديمة . ولكنه بعد أن مضى على الطريق فترة .. فكر فى أن يجرب المغزل وأن يتأكد أنه لم يخدع .. وأن المغزل مسحور بالفعل .. وليس مثل ذلك الكيس الذى جاء به أخوه، والذى لم يكن مسحوراً ولم يخرج طعاماً ولا شراباً .. وعند الجميزة جلس يستريح .. ووضع المغزل أمامه وبدأ يديره وهو يغنى ..

يا مغزلى دور.. فصل لى توبى المسحور

وما أن أنتهى من غنائه حتى وجد نفسه يرتدى رداء زاهياً كرداء أمير من أمراء الحكايات والحواديت .. ووجد سيفاً مذهباً قصيراً، يتدلى من حزامه .. وعلى رأسه كانت عمامة السلاطين .. لها ريشة من الذهب . كان المغزل مسحوراً بالفعل وإلا فمن الذى أعطاه هذا الرداء الغالى الذى يرتديه .. وتأكد على من أنه لم يخدع مثل أخيه .. فمضى يرقص .. ويغنى .. حتى تعب .. فجلس وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة .. وقرر أن ينام قليلاً، حتى يستعيد هدوءه . وحتى يستطيع أن يقطع المسافة الباقية من الطريق بسرعة .. وفى حنان وحرص وضع المغزل فى جيبه .. ونام ..

وفى هدوء .. زحفت نحوه قدمان .. وتسالت يدان .. وسحبت المغزل فى هدوء وصمت .. ووضع مكانه مغزلاً آخر .. يشبهه بالكمال ..
والتمام ..

وعندما استيقظ على عود الخرزان . قام نشيطاً .. وأخذ يتأمل نفسه وهو يرتدى ملابس أمراء الحواديث .. ثم مضى فى طريقه إلى البيت .. وهو يصفر سعيداً .. يحلم كيف سيدير المغزل العجيب الذى أعطاه له صاحب المزرعة ، ويجعله يصنع ملابس لأمه ولأخوته جميعاً .. وكيف ستكون عنده تجارة واسعة .. وأموال كثيرة تكفيهم طول العمر ، وترحمهم من المشقة ومن أكل الدقة .. وكان أول شيء لمح حجاج من بعيد - تلك الريشة الذهبية التى ترفرف فوق رأس ابنه .. الذى لم يعرفه .. وظنه أميراً ضل الطريق إلى هذا المكان الذى يعيش أهله فى ضيق ..

ولدهشته الشديدة وجد الأمير يقبل عليه ، حتى وصل إليه .. ثم كادت عيونه تقفز من العجب ، لأن الأمير يحتضنه ويقبله ويرقص معه ، وهو يغنى سعيداً .. فقال له بأدب شديد .. وهو يلهث من التعب ..
- لو يسمح لى مولاي .. أريد أن ألتقط أنفاسى .

فأخذ الأمير يضحك .. فأخذ ينادى سلامة وحسن قرن الفول وأمهما .. ليضحكوا مثله .. ولم يفهم عم حجاج شيئاً إلا عندما قال له حسن قرن الفول :

- هذا ليس أميراً يا أبى .. آه مجرد ابن من أبنائك .. إنه على عود الخرزان .. وقد عاد إلينا مرتدياً ملابس الأراجوزات هذه .. وغضب على عود الخرزان ... وقال :

- هذه ليست ملابس أراجوزات - إنها ملابس غالية جداً .. أمى وصفتها لى مرة فى حديثه ... وقد فكرت فيها عندما أدت المغزل ..

فأعطاهما المغزل العجيب لى.. وهو سوف يعطيكم جميعاً ملابس مثلها
إذا أردتم..

فضحكوا من كلامه.. وسأله والده:

- أى مغزل.. هل جننت مثل أخيك سلامة..؟

فقال على: لا.. أنا لم أجن.. وسلامة الباذنجان كان عنده حق..
لأن الرجل الذى أعطانى المغزل.. سألتنى عن الكيس المسحور. وهل
أكلنا من طعامه؟.. ولكننى أخبرته أن الجوع ما يزال يسكن عندنا فى
البيت لأن الكيس لم يعطنا لقمة واحدة، وأعطانى الرجل هذا المغزل...
الذى سوف يعطينا كل ما نحلم به وما نريده من ملابس. وأراد حجاج
دقة أن يذهب لعمله.. وهو يدعو الله أن يشفى أولاده من الجنون الذى
أصابهم.. ولكن حسن قرن الفول قال له:

- لا بد أن كلامه صحيح.. لأنه يلبس بدلة أمراء فعلاً..

فقال حجاج: يمكن سرقها من أى مكان..

وهنا ضاح على: إن لم تكونوا تصدقوننى فسوف أدير المغزل
وسترون..

وأدار على المغزل.. مرة.. بعد مرة.. ولم يعطه المغزل شيئاً.. فى
أى مرة.. فارتدى على الأرض يبكى ويقول:

- صدقونى.. لقد أعطانى المغزل هذه الملابس..

وأخذ حسن قرن الفول يفكر ويقول:

- لا بد أن فى الأمر سرّاً!

وصف حجاج دقة ولديه: سلامة وعلى بالجنون . لأنهما يحكيان
حكايات وهمية عن كيس مسحور يخرج الطعام ومغزل يدور فيصنع
الملابس، وسهر قرن الفول طول الليل يفكر..

لقد أقسم له سلامة الباذنجان.. الجائع دائماً.. أنه شبع لأول مرة
في حياته عندما أعطاه الكيس المسحور الطعام وفي مسائل الأكل لا
يكذب سلامة الباذنجان أبداً.. وأقسم له على عود الخبز.. أن المغزل
هو الذى أعطاه ملابس الأمراء هذه.. وأنه لم يكن يصدق سلامة
وكلامه عن الكيس.. ولكنه جرب المغزل بنفسه قبل أن ينام تحت
الشجرة.

وقال سلامة: نعم وأنا جربت الكيس قبل أن أنام، تحت الجميزة
أيضاً..

وهنا سأل حسن قرن الفول - جميزة؟ .. ما هذه الجميزة؟..

فقال سلامة: جميزة ضخمة كبيرة عند أول الطريق وسأله قرن
الفول:

- وهل نمت تحتها؟

فقال سلامة: نعم.. كانت الأكلة ثقيلة . واضطرت للنوم كى أستريح
قليلاً..

فالتفت إلى على الذى قال:

- لقد فرحت جداً بالملابس وأخذت أرقص حتى ارتميت متعباً.. فى
ظل الجميزة نفسها..

وهنا ابتسم قرن الفول.. وقال:
- يا أبى حجاج.. أتركنى أذهب الآن.. وسوف أعود ومعى الكيس
والمغزل. فقال له والده حجاج:
- لا بد أنك جننت أنت الآخر.. بسبب سوء التغذية.. اذهب.. يكفى
أن يكون فى منزلى مجنونان.. أفضل من ثلاثة!



ظل قرن الفول يشتغل عند الرجل مدة عام ثالث كامل.. وكان
بالرغم من قصره الشديد.. يستطيع أن يقوم بالعمل كله فى القصر
والمزرعة.. وأعجب به صاحب المزرعة إعجاباً كبيراً..
وقال فى نفسه: لست أدرى.. وما هى الهدية التى تساوى كل هذا
التعب والجهد الذى بذله؟ ولما زادت حيرته قال لنفسه:
- سأتركه ليختار بنفسه، وسوف أعطيه ما يطلبه.. ولو طلب منى
المزرعة نفسها.. إنه يستحقها! ولكن حسن قرن الفول.. ثم يطلب
المزرعة.. وأثار دهشة الرجل عندما قال له:
- يا عمى.. لقد انتهى العام.. وأرجوك أعطنى أجرى فإن لى أخوين
ينتظران.. ووالد يتهمهما بالجنون.. فسأله الرجل:
- وماذا تريد يا حسن؟

فقال حسن: شاطر قرن الفول يريد العصا المسحورة التى تضرب لى
أى مخلوق أفكر فى ضربه عندما أريد..

ودهش الرجل وقال:

- أنت دائماً تثير المتاعب يا قرن الفول. الآن تريد العصا
المسحورة.. هل أنت شرير إلى هذه الدرجة!

ولكن قرن الفول ابتسم وقال:

- لست شريراً.. ولكن هناك كثير من الناس الأشرار فى هذا العالم..
لقد سرقوا أخواى.. أنت أعطيت أذى سلامة الباذنجان.. الكيس
المسحور وعلمته أن يقول له..

بحق تعبى وشقايا.. ياكيس جهز لى غدايا..

قال الرجل:

- نعم هذا حدث.. لأن سلامة الباذنجان يأكل كثيراً.. ثم إنه تعب
جدا فى العمل واستحق أن أهديه الكيس حتى لا يجوع هو ولكى لا
يجوع أهله..

فأخرج حسن قرن الفول الكيس المزيف وقال:

- انظر إلى هذا الكيس.. هل هو الذى أعطيته لأخى سلامة؟

وتناول الرجل الكيس وأخذ يتفحصه.. ثم هز رأسه وقال:

- إنه يشبهه تماماً.. ولكنه ليس الكيس المسحور..

فقال قرن الفول:

- أرايت.. الأشرار سرقوا الكيس واستبدلوه بهذا.. سرقوا تعب أخى..
وحرمونا من طعامنا.. ألا يستحقون الضرب.. بالعصا؟

قال الشيخ صاحب المزرعة:

- معك حق.. وأين مغزل عود الخرزان..

- هو أيضاً سرقه الأشرار وأعطوه هذا الذى لا يساوى شيئاً.. وهنا

غضب الرجل جداً وقال:

- ولكن أخواك مخطئان .. كيف سمحا لأي كان أن يسرقهما هكذا؟

فقال قرن الفول:

- إن أخوى طيبان يظنان الناس طيبين، مثل والدهما الفقير حجاج
دقة .. ولكن الأشرار ليس لهم سوى العصا .. فهل ستعطيها لي؟
وغاب الرجل الطيب قليلاً ثم عاد .. وناول قرن الفول عصا صغيرة ..
عجيباً تطوى فتصبح قصيرة جداً .. وتنفرد فتصبح كالشومة .. وقال
له: ...

- سأعطيك هذه العصا .. ولكن أحذرك أنها ستضريك أنت .. لو
حاولت أن تضرب بها رجلاً صادقاً .. أو حاولت أن تضرب بها
مظلوماً .. هذه العصا ستساعدك على اكتشاف الكذابين والأشرار
والظالمين .. وإن أردت أن تهزمهم ستساعدك في ذلك .. يا شاطر قرن
الفول .. هذه العصا .. ستكشف لك من سرق الكيس والمغزل .. فخذها ..
لتعد الطعام والملابس لأهلك الفقراء .. ولكن أحذرك مرة أخرى .. سوف
تضريك أنت لو حاولت ظلم إنسان .. أو حيوان .. وسوف تطيعك فقط
في ضرب الكذابين والأشرار واللصوص والظالمين .. عندما تقول لها ..
يا عصا نقرزان .. خلى نور الحق بيان ..

وحمل قرن الفول العصا المسحورة ومضى عائداً إلى بيته وهو
يصفر ويقفز سعيداً، لأنه سيؤدب اللص الذي سرق كيس الطعام
المسحور والمغزل العجيب .. وسيجبره على إعادة ما سرقه .. ذهب إلى
شجرة الجميز التي عند أول الطريق .. والتي نام تحتها أخوه سلامة
وأخوه على ..

وهناك تظاهر أنه سوف ينام .. وقال لنفسه بصوت عالٍ .. ليسمه
اللس المجهول ..

- آه لقد تعبت جداً .. بسبب الكنز الذي أضعه تحت ثيابي .. سأنام
قليلاً . لكي أستريح وأستطيع العودة .

وبعد أن تظاهر بالاطمئنان على ما تحت ملابسه .. رقد وأغمض
عينيه .. وأخذ يصفر ويشخر .. مثل الدب مع أنه كان قصيراً كالقزعة ..
وبعد أن اطمأن اللص المجهول واعتقد أنه نام وراح فى الأحلام .. نزل
فى خفة وهدوء من فوق الشجرة .

كان مخلوقاً قزماً بشع الخلقه له شكل الحيوان مع أنه يعيش ويتكلم
كالإنسان ، أخذ يهبط فى هدوء .. إلى الأرض وقرن الفول ، متظاهراً
بالنوم يراقبه فى صمت وسكون .. وهو يقول لنفسه إنه يشبه الغول الذى
تحكى عنه الحواديت وتقول . وما أن أصبح على بعد خطوة من قرن
الفول ، حتى تناول حجراً كبيراً وقال قرن الفول لنفسه سترى الآن يا
حضرة الغول ماذا ستفعل مع قرن الفول ، وهمس ينادى العصا ..

يا عصا يا نقرزان .. خلى نور الحق بيان ..

وما كاد ينتهى من همسه .. حتى كانت العصا .. قد اندفعت من
تحت ثيابه وانهاالت فى سرعة كبيرة على ذلك المخلوق قبل أن يلقى
بالحجر فوق قرن الفول .. وإرتفعت صيحاته .. يستغيث ولا مغيث ..

- الحقونى .. حرمت يا شاطر قرن الفول . حرمت

وصاح قرن الفول :

- هات الكيس والمغزل .. اللذين سرقتهما .. وسوف أنقذك ..

قال وهو يصرخ:

- أنا لم أسرق شيئاً..

فابتسم قرن الفول وقال:

- يا عصايا..

واشتدت ضربات العصا.. ومعها صرخات القزم اللص واضطر لكى
ينقذ نفسه أن يعترف.. وأن يخرج من بين ثيابه الكيس المسحور
والمغزل العجيب ويلقى بهما على الأرض..

وهنا قال قرن الفول:

كنت تكذب وتقول إنك لم تسرق شيئاً.. والآن ماذا تريد أن أفعل

معك

فصاح اللص به:

- أرجوك.. انقذنى من العصا.. وسوف أصبح خادمك الأمين..

قال قرن الفول:

- أتريد أن تهرب منى قبل أن أقوم بتجربة الكيس والمغزل؟

فصاح اللص:

- أبداً.. أقسم لك.. قل للعصا أن تكف عن ضربى...

وأمر قرن الفول العصا أن تكف عن ضربه ثم ربطه إلى الشجرة،
وتناول الكيس والمغزل.. وقال:

- والآن لنجرب هذا الكيس المسحور.. فقد جعت وعصافير بطنى

زقرقت..

ولكن الكيس لم يخرج أى طعام مع أن قرن الفول غنى له أغنيته
المسحورة..!أشتد غضب قرن الفول؛ لأنه ترك اللص يخدعه.. فزقق
وقال:

- يا عصا يا نقرزان..

وقبل أن يكمل كانت العصا أحاطت باللص من كل ناحية حتى كاد
أن يموت.. فصاح مستسلماً:

- الكيس الحقيقى والمغزل هنا.. احفر هنا، وسوف تجدهما بجوارك
تحت جذع الشجرة..

وأمر «قرن الفول، العصا أن تكف عن ضربه.. وأمره أن يحفر
بنفسه ليخرج الكيس والمغزل..

وبدأ اللص يحفر تحت جذع الشجرة.. حتى أخرج الكيس المسحور
والمغزل العجيب.. ولكنه ما كاد يمسك بهما حتى حملهما وانطلق
هارباً.. ولكن «قرن الفول، كان أسرع.. أمر العصا باللحاق به لتأديبه
وطاردته العصا وانهاالت فوق رأسه وجسده، فاضطر لإلقاء الكيس
والمغزل.. لينقذ نفسه.. ولكن العصا لم تتركه إلا عندما ناداها.. قرن
الفول لتعود..

وجرب «قرن الفول، الكيس وهو يفكر فى الخوخ الناضج.. وقال:

بحق تعبى وشقايا.. يا كيس هات له حباية

ومد يده فأخرج حبة ناضجة لذيذة.. ثم أمر المغزل أن يدور وأن
ينسج له ثوباً من الكستور.. وبعد التجربة تناول العصا وطبقها وأعادها
إلى جيبه.. وحمل الكيس والمغزل عائداً إلى بيته وهو يكاد يجرى.. ولم

ينتبه حجاج دقة .. ولم يلاحظ ابنه إلا عندما أصبح على بعد خطوة منه .. وصاح قرن الفول وهو يحتضن أباه الذى حمله ليقبله .. وجاء سلامة الباذنجان، مسرعاً، وقد كف عن الصياح طالباً للطعام .. واستيقظ «عود الخرزان» من نومه .. وأخذ يفرك عينيه وهو لا يصدق أن أخاه قد عاد إليهم، ومعه تلك الأشياء التى فقدت منهم ..

وجاءت الأم . ولكنها أمسكت بكيس الدقة جيداً .. خوفاً من أن يبعثره ابنها مثلما فعل أخوه من قبل .. ولكن قرن الفول طمأنها وقال:

- لا تخافى يا أمى فمهما أعطانا الكيس المسحور من طعام فلن نستغنى أبداً عن دقتك .

وجلس قرن الفول .. وحوله جلس الجميع وطلب أن يفكر كل منهم فى شىء يحب أن يأكله ..

ثم قال للكيس:

بحق تعبنا وشقانا .. يا كيس ناولنا غدانا

ووسط ضحكات الجميع .. مدت الأم يدها فى الكيس .. وأخرجتها وهى تمسك بكوز بطاطا .. وشوال من الدقة .. وعندما أدخل حجاج دقة يده .. خرجت ممسكة بأربعة أقراص من الطعمية الساخنة ..

وضحك قرن الفول وقال: سوف أطلب لكم أنا الطعام .. مادتم لا تصدقون إننا منذ اليوم سنأكل ما نريد، ونرتدى ما نريد، لأننا تعبنا كثيراً .. وخاصة أنت يا والدو .. ولكن لن ينفعنا الكيس وحده .. ولا المغزل وحده .. تلزمنا هذه .. وأخرج العصا من جيبه .. ثم أكمل:

مازال هناك لصوص كثيرون فى العالم.. يمكن أن يسرقوا منا
الكيس والمغزل.. ومازال ذلك اللص الذى سرقهما فى المرة السابقة
مطلق السراح.. وأنا أقسم لكم إننى سوف أبحث عنه فى كل مكان..
والآن.. هيا فالمائدة جاهزة وستأكل عيلة حجاج دقة لأول مرة حتى
تشبع!...



الشاطر الصياد

كان ياما كان فى سالف العصر والأوان، غلام يتيم اسمه (سعد) يعيش فى مدينة قديمة، تحرسها مائة قلعة، خلف الجبال السبعة ووراء البحار السبعة. هذا ما تقوله الحواديت عن المدن أما عن البشر فإنها تقول: إن «سعد اليتيم» كان يتقن مهنة صيد الطيور لأنه ورثها عن والده الصياد المشهور، وكان يخرج كل صباح من المدينة متوجهاً إلى البرارى، حاملاً فوق ظهره الفخاخ والشباك والشراك، لينصبها هناك حتى يكسب عيشه بعرق جبينه كما يفعل أهل الحلال، وكان أحياناً يعود مجبور الخاطر بطائر أو أكثر من طائر، يبيعه لمن يهوى الطيور للزينة من أغنياء المدينة.

وفى يوم من الأيام، وقع فى أحد شراكه غراب غريب، فقد كان أسود اللون كأكثر الغربان، لكن رأسه كانت بيضاء كحمامة ورقاء، أما عيناه فكانتا صافيتين، وفى لون المياه الزرقاء.. كل هذا ممكن ومقبول، فكم من عجائب فى الأرض وكم من غرائب.. لكن الأمر غير المعقول، أن الغراب الغريب أخذ يستعطف (سعداً) ويرجوه بلسان فصيح أن يتركه حراً يطير فى الفضاء الرحب الفسيح..

وتعجب (سعد) اليتيم لأنه لم يحزن يعلم أن الغربان كانت تستطيع الكلام فى تلك الأيام... والحقيقة أننى أيضاً لم أكن أعرف هذا حتى

الآن .. فأنا متأكد أن الغربان لم تستطع الكلام فى أى يوم من الأيام
لكنها الحواديت .. وكم فيها من أحلام وأوهام ..

والحقيقة الحقيقة أن الغلام لم يكن فى نيته الاحتفاظ بالغراب
الكليم .. فمن يشتري غراباً بمليم . لكنه عندما تحدث إليه، ازداد عطفاً
عليه .. ولمح فى عينيه نظرة إنسانية حزينة تستعطفه وترجوه أن يطلق
سراحه .. وأن يجبر جراحه .. مقسماً (أى الغراب الغريب) أنه سوف
يدله (أى سعد) على مكان طائر جميل نادر، لم يوجد ولن يوجد مثله،
فى أى زمان أو مكان .. لكنه يصلح هدية لملك أو سلطان! ..

وضحك الغلام اليتيم وابتسم فى استبشار، وأطلق الغراب الغريب
ففرح وطار .. لكنه لف فى الفضاء لفة ثم دار .. حتى اقترب من الغلام
وأشار، وتبعه الغلام إلى أكمة خضراء الأشجار، زاهية الأزهار .. وهناك
استطاع (سعد) أن يمسك طائراً لامثيل له بين الأطيوار ..

وفرح الغلام بالطائر الجميل وحمله فى التو والساعة إلى قصر
السلطان، وهو يحلم بعطية تليق بالطائر الهدية .. فتخفف عنه شقاء
الأيام، وتريحه قليلاً من العناء . وتمنحه قليلاً من الراحة والهناء .

وكان سلطان تلك المدينة يحب كل غريب عجيب من الأشياء ..
وكان قصره مليئاً بتحف وعجائب تأخذ بالألباب .. وتذهب بالعقول ..
فعنده الفيل الطائر والثعبان الكذاب والضفدعة الراقصة وطاقية الأحلام
والتفاحة الذهبية وغيرها كثير مما تكلمت عنه الحكايات ووصفته
الأساطير .. ولذلك فرح السلطان فرحاً عظيماً عندما شاهد الطائر النادر
الجميل، فأخذه بين يديه وراح يتأمله بقلبه وعينيه، مفتوناً بألوانه
الزاهية .. مسحوراً بتأجه الرائع .. واحتار كيف يكافئ هذا الفتى الفقير ..
لكنه قال له دون قصد وهو يحدثه:

- أيها الأمير الصغير، لقد أسعدتنا بهذا الطائر.. و..

والسلطان لا يمكن له كسلطان أن يرجع عن كلامه.. فقد حدث
وكان.. وكان فرماناً سلطانياً قد صدر في حق الغلام.. لا يقبل نقضا
أو إبراماً.. فمنذ تلك اللحظة صار صياد الطيور الفقير أميراً!.. فكلام
ملوك الحواديث لا يرد..!

علق السلطان الطائر الجميل في قفص من ذهب، وأسكن الأمير
الصياد في حجرة من خشب نادر بين الخشب، وأنعم عليه.. وجعله
أقرب الناس إليه..

ولم يعجب هذا بالطبع وزير السلطنة وكان كما قالت الحدوتة لنا،
وزيراً ماكرًا شريراً. لا يريد للسلطان أن يصاحب أحداً غيره أو أن يأتمن
أو يستشير أحداً.. سواه.. لذلك أخذ يفكر ويدبر ويفكر ويقلب
الأمر على كافة الوجوه، ليبعد الغلام الأمير الصياد عن القصر.. ليخلو
له المكان وتعود المكانة، فظل يتحين الفرصة كي يضربه ضربة تزلزل
كيانه!!..

وكان الطائر من الطيور الشادية المغنية، لكنه حين كان يغنى كان
يصدر غناءً حزيناً، رقيقاً كالدموع يشق قلب الحجر، ويفتت كبد
البشر.. قال الوزير للسلطان المحزون:

- الطائر حزين يا مولاي لأنه كان متعوداً على العيش في قصر من
العاج الثمين.. هكذا أخبرني العارفون بأسرار وطبائع الطيور، وعلى
الفتى الذي أحضره، أن يدبر إحضار ما يلزم حتى لا نخسره وحتى
لا يذرف من الدموع يا مولاي دعماً غالياً أكثر مما ذرف.. وأنا يا
مولاي واثق أنه سيفعل ذلك لو عرف..

وكان سهلاً على السلطان كأي سلطان أن يصدق هذا الكلام، فالوزير أقام الدليل على صحة ما قيل ولذا فقد أمر الغلام أن يرحل فوراً لإحضار العاج المطلوب في زمن معلوم محسوب وإلا فإن غضبه سيكون شديداً.. وعقابه لو فشل سيكون أكيداً.. وغضب الملوك والسلاطين مثل كلامهم لا يرد.. ولا ينجو منه أحد..!

وحزن (سعد) وتألم وحار.. ولكنه جهز نفسه للرحلة وسار.. ولم يكن يعرف في الحقيقة أين ذلك العاج الذي يطلبونه.. فهو صياد طيور فقير.. لم ير في حياته قطعة واحدة منه، فأين سيجده؟ ومن يدله على الطريق إليه؟ وكيف سيحضر القدر الكافي لبناء قصر منه؟.. وهل للخروج من هذا المأزق سبيل؟..

لقد قال بعضهم له إن: العاج هو سن الفيل.. جميل ولكن صياد الطيور لا يعرف ما هو الفيل ولم يره أبداً، حتى ذلك الفيل الطائر الذي يقولون إنه عند السلطان، لم يحدث أن أخذوه إليه أو فرجوه عليه..!

وبينما كان يسير في طريقه خارج المدينة غارقاً في أفكاره الحزينة.. لمح صديقه الغراب الغريب مقبلاً عليه، حتى استقر على إحدى كتفيه.. وتعجب الطائر من حزنه رغم أنه قد صار أميراً في القصر فقص عليه الغلام قصته وحكى له حكايته.. وطلب منه أن ينقذه من ورطته، وأن يجد وسيلة ليعيده صياد طيور في التلال يكسب رزقه الحلال..

لكن الغراب الغريب قاطعه وقال:

- لا يا صديقي وصغيري، لقد أصبح مصيرك هو مصيري ولا تسألني الآن كيف الأمور ستسير.. لكن تأكد وتشجع ولسوف نهزم الوزير.

ثم تناول ريشة معينة من ذيله وأضاف:

- لا مجد لمن يخاف، ولا نصر بغير تعب، احمل هذه الريشة وهي ستحمك وتذكلك إلى حيث توجد مقبرة الأفيال.. على بعد آلاف الأميال، هناك خلف التلال ووسط الأدغال، وإن حملتك الريح فلا تخش العواصف، وإن أحاطت بك الصعاب فتذكر الصباح وتحصن بنبيل العواطف.. وحين يقابلك الفيل العجوز حارس المقبرة، هاجمه بشجاعة ومقدرة. فهو في الحقيقة لا يرى، وحين يخافك الفيل ستنال طلبك المستحيل..

والحدوتة تقول إن هذا ما حدث فعلا فعلا.. وعاد الأمير الصياد يحمل من العاج حملا.. أطنانا فوق أطنان إلى قصر السلطان. وطبعا زاد به الإعجاب، وزاد عليه حقد الوزير. ويات هذا في سعادة وفرح ونام ذلك في غم ونكد وترح. وهو يفكر في وسيلة أخرى شريرة، ومهمة أخرى خطيرة ليهلك الفتى الذي أخذ مكانته ومكانه.. ذلك لأن السلطان الفرحان بالعاج الأطنان... جعل الأمير الصياد وزيراً ثانياً على البلاد..

وأخفى الوزير الأول غمه في ابتسامة، وضحك ملء الفم، والقلب يفيض بالحزن والغم. ولما هدأت فرحة السلطان بالعاج، همس في أذنه مبتسما:

- والآن يا مولاي صرت تملك أجمل طائر جاد به الزمان، وأصبح عندنا قصر عالي البنيان ولكن للأسف مازالت الأحزان تملأ قلب الطائر الجميل ولذلك أنا من حزنه مندهش، ومن الشك في سبب بكائه أرتعش.. مع أننا أحضرنا له العاج الذي تمناه.. ونقلناه إلى القصر الذي بالعاج بنيناه، ولكن ما هو السر وراء غنائه الحزين؟

تنبه السلطان وكشر.. وحرار فقام ودار ثم فكر.. ولما لم يجد إجابة
قال:

- فعلا ياوزير.. دبرنى فأنت سديد التفكير عظيم التدبير..
وهنا رقص قلب الوزير الذى عاد كما كان له من مكان، وقال فى
ارتياح:

- الطائر حزين ما يزال يا مولاي.. لفراق صاحبه القديمة..
زاد فضول السلطان فصاح:

- ومن هى صاحبه القديمة؟ وفى أى مدينة تعيش؟
اصطنع الوزير الأسف وقال:

- وكيف أعرف يا مولاي؟ أنا لم أحضر الطائر.. إن الذى اصطاده
لا بد أن يعرف بلادها وبلاده، بل هو يعرف بالتأكد مكانها البعيد!..
ومرة أخرى أمر السلطان.. ومرة أخرى حزن الأمير الصياد.. إنه
لا يعرف للطائر صاحبة أو صاحب..

ولم يكن يفكر أن الأمر سيجر عليه كل هذه المتاعب..
فقرر بينه وبين نفسه أن يهرب من القصر، وأن يعود لمهنته
القديمة.. بل فكر فى أن يبحث لنفسه عن عمل آخر لا علاقة له
بالطيور من قريب أو بعيد..

ولكن السلطان لم يوافق وقال له:

- لك أن تفعل ما تشاء.. ولكن بعد أن تحضر صاحبة الطائر.. فقد
يزيل اللقاء حزنه ويعود فرحاً للغناء..

وخرج الأمير الصياد إلى الخلاء، ينعى حظه التعس ويبكى ما جره
الأمر عليه من عناء وبلاء.. لكن صديقه الغراب لمح من بعيد فجاء

ليخفف عنه الشقاء. وضحك الغراب - فمن يستطيع الكلام يستطيع الضحك
طبعاً - حين سمع أن السلطان يريد إحضار صاحبة الطائر الجميل على
الفور. فقال للصياد:

- لاتحزن يا صديقى.. فقد جنى الوزير الطائش على نفسه كما جنت
على نفسها (براقش). اسمع جيداً ما أقول.. أنا سأدلك على مكان
الأميرة وسندبر معاً كيف نحضرها بالحيلة... ولكن عليك أن تطلب
منه إن أراد تحقيق طلبه، أن يبني لنا سفينة عظيمة من الذهب تكون
تحفة للناظرين، وجنة للراكبين، بشرط واحد.. ألا يدق فيها مسماراً
واحداً.. لا يشتري من مال الوزير.. أفهمت كل السفينة تجهز من أموال
الوزير تلك الأموال التي جمعها منذ وثق فيه السلطان والتي لا يعلم
عنها أحد شيئاً.. وإلا ستفشل الرحلة.. ولن نستطيع العودة بالأميرة
الجميلة صاحبة الطير الجميل.

وماذا سيمنع السلطان أن يأمر وزيره بصنع السفينة الذهبية من
أمواله.. وماذا سيمنع الوزير من طاعة الأمر كل الطاعة، وهو يكاد
يموت من الغيظ ومن الفقر.. حين شاهد الصياد يرحل للبحر راكباً
أمواله على هيئة سفينة فاخرة إلى حيث لا يعلم أحد.. ودون أى ضمان
لعودته!

وقام الغراب الغريب بقيادة السفينة الذهبية بنفسه عبر البحار السبعة إلى
حيث تقيم ملكة الحوريات صاحبة الطائر الجميل.. هناك فى قصرها
البللور وسط مياه البحور.. قبل البحر السابع.. فى جزيرة البدائع؟!..



ورست السفينة بعد رحلة طويلة على شاطئ الجزيرة في هدوء الليل.. وبدت السفينة الغريبة لمن يراها، وكأن الجن هو الذى بناها، خالية ومهجورة تماماً إذ اختفى الغراب الغريب بينما اختبأ الصياد فى قاعها حسب الخطة .

وفى الصباح، حينما أشرق النور ولاح.. أطلت ملكة الحوريات من شباك قصرها.. فأسرت عيونها تلك السفينة الغريبة الجميلة التى ترسو على شاطئ جزيرتها.. فأسرعت تنادى حورياتها فى فرح ومرح ليشاهدنها وليتفرجن عليها. وأسرع الجميع وهن يضحكن كالعصافير أو كالأطفال، وكأنهن وجدن لعبة تستحق الفرحة.. وتعجبت ملكة الحوريات عندما رأت السفينة خالية.. ومرت بها وبحورياتها لحظة شك وخوف، ولكن سرعان ما تغلب جمال السفينة ودقة صنعها على هذه المشاعر العابرة.. فأسرعن يصعدن فوق السفينة يتأملن جمالها فى فرح ومرح.. وأخذن يتأملن أجزائها، وهن ينتقلن من مكان إلى مكان مبهورات ضاحكات فلم يتنبهن إلى أن السفينة قد رفعت مرساتها.. وانطلقت تمخر عباب البحر، فى طريق العودة من حيث أتت.. واستسلمت الملكة وحورياتها عندما وجدن أنفسهن وسط البحر الواسع متجهات إلى حيث كان السلطان ينتظرها لتكون سلطانة وملكة على بلاده.. وليعود طائرهما الجميل النادر إلى غنائه العذب الفرح..

أقيمت الأفراح أربعين ليلة كاملة، وكانت دقائق الطبول تدق فى رأس الوزير، خاصة عندما أهدى السلطان السفينة الذهبية هدية للأمير الصياد.. لأنه بالسلطنة الجديدة قد عاد.. وكان الوزير يبتسم ليخفى الغيظ والألم، وهو ينظر صابراً يتحين الفرصة كي ينتقم..

ومرت الأيام فى سلام..

حتى جاء يوم قال الوزير فيه .. لقد حانت ساعة الانتقام .. فلقد مرضت
الملكة السلطانة مرضاً شديداً .. وقال الأطباء والسحرة والعلماء، إن دواءها
الأكيد .. عشب ينمو في جزيرتها القديمة وسط حديقة قصرها البعيد .. تلك
الحديقة التي يحرسها (الكباشان الأكلان) الذين في الهواء ينتطحان .. ولا
يتركان غريباً يمر بينهما أبداً ..

وتقدم الوزير ليعلن في مكر ودهاء .. أنه مستعد للذهاب كي يحضر
الدواء .. لولا أنه لا يعرف الطريق إلى الجزيرة .. وقال الأمير الصياد:

- أعرف ما ترمى إليه أيها الوزير وأفهم ما تقصده .. أنا الذي
سيذهب لإحضار الدواء، لأننى الوحيد الذى يعرف طريق الجزيرة ..
لقد كنت تلقى بى المرات السابقة إلى التلهكة رغماً عنى أملاً فى
التخلص منى .. ولكنى هذه المرة مستعد للذهاب حتى آخر الدنيا
لأحضر الدواء المطلوب ولو قضى نحبى فى سبيل ذلك .. ومهما كانت
المصاعب والمهالك ..

وركب الأمير الصياد سفينته مرة أخرى .. كان الأمر مختلفاً هذه
المررة .. إذ لم يكن الغراب معه منذ اختفى عند الجزيرة .. يوم ذهباً أول
مرة لإحضار الأميرة .. ومر نهار بعد نهار .. والصياد يقود السفينة
كأشطر الشطار .. يشق بها موج البحار كالإعصار .. وذات صباح كان
نائماً ومن الاجهاد متعباً، عندما سمع صوت صاحبه الغراب الغريب،
يقول له فى رقة الحبيب:

- إننى معجب بشجاعتك يا صديقى . ولكن الأمر حين يتعلق
(بالكباشين الأكلين) الذين ينتطحان فى الهواء .. سوا .. فالشجاعة
وحدها لا تكفى، لا تسألنى شيئاً الآن .. لقد اشتقت إليك أيضاً .. وكنت

أعرف أنك لن تتخلى عنى ولذلك لن أتخلى عنك أنا الآخر.. قلت لك من البداية إن مصيرى مرتبط بمصيرك.. فأنت ستحررنى أيضاً.. خذ هذه الريشة من ذيلى ستساعدك فلا تخش شيئاً.. إلى اللقاء هناك عند العشب المطلوب..

ولم ينتظر الغراب الغريب ليرد على استفسارات صاحبه.. بل تركه فى حيرته، وانطلق بعد أن أعطاه ريشته.. وأخذ الصياد يفكر فيما قاله.. دون أن يستطيع تفسير كلامه.. لكنه أصبح واثقاً الآن أنهما معا، سيتغلبان على المصاعب معا.. كما حدث من قبل..

وعندما رسى الصياد بسفينته على شاطئ الجزيرة.. نزل إلى الشاطئ فى حذر.. وما أن لامست قدمه أرضها حتى وجد الريشة تتحول فى يده إلى ثوب عجيب، وللحظة تساءل عما يمكن أن يفعل به.. لكنه ضحك ساخراً من نفسه وقال: الثوب خلق ليرتديه الإنسان.. وبالفعل لبس الثوب.. ومال على الماء ليرى صورته فيه.. لكنه لم يبصر نفسه. فعجب ودهش.. وراح يتأمل بعض جسمه فزادت دهشته.. إذ لم ير نفسه ولم ير بعضه أيضاً.. ها هي يده! يمسكها بيده الأخرى!.. ولكن عيناه لا ترى شيئاً.. ففهم الأمر.. وعرف السبب فبطل العجب.. إنه ثوب يخفى من يرتديه..!

فضحك وأحس بالثقة ومضى نحو القصر مرحاً فرحاً.. حتى وصل إلى حيث باب الوعيد.. والذى عنده يتناطح (الكبشان الأكلان) اللذان ينتطحان فى الهواء.. سوا.. ووقف يتأمل ما يحدث فى عجب.. كان الكبشان غاية فى الضخامة لهما قرون كقرون وحيد القرن وكأنها قوسان من حديد.. وكانا يبتعدان قليلاً ثم ينطلقان كل منهما نحو الآخر

فى عنف .. لىحدث اصطدام رأسيهما دويأ رهيبأ .. وكان أنفاسهما
الغاضبة تملأ المكان رهبة ورعبا ..

وأخذ الصياد يتحين الفرصة، ويقيس المسافة .. فوجد أنه لو انطلق
كالبرق لحظة افتراق الكبشين عابرا فيما بينهما فقد يستطيع المروق فى
سلام .. وأخذ يفكر ويدبر .. ويحسب ويستعد .. حتى كانت اللحظة التى
قرر فيها الانطلاق .. وفعلها بصعوبة بالغة .. إذ لو أخطأ فى حساب
سرعته وسرعتهم لسحقت عظامه سحقاً بين القرون والحوافر .. ولم
يחס الكبشان بشيء، بل ولم يسمعا ضحكته الفرحة الساخرة بعد أن
نجا، إذ كانا منمكين فى معركتهما الأبدية ..

ووصل الصياد الى حيث كان العشب المطلوب وسط الحديقة وكان
الغراب الغريب فى انتظاره .. وقال الغراب:

- الآن أستطيع أن أعود معك، وأن أبقى معك إلى الأبد .. المهم أن
تشفى الملكة وأن تسامحنى هيا بنا .. لقد تم المراد وسيتم الشفاء ..
وينتهى الشقاء ..

وكالعادة لم يسأل (سعد) صديقه تفسيراً لما يقول .. منتظراً أن
تكشف الأيام عن المجهول ..

ومنذ لمح الناس أول نقطة من شراع السفينة، أخذوا يتجمعون فى
الميناء .. المدينة كلها كانت هناك .. ودقت الطبول مرحبة .. ولكن شيئاً
ما جعل (الغراب الغريب) قلقاً .. فانطلق يسبق السفينة إلى القصر ..
حيث شاهد الحزن مخيماً على الجميع والسلطان ينظر من النافذة فى
قلق ودموعه على خديه .. فعرف الغراب الغريب أن الأمر خطير وأن

الملكة تعاني سكرات الموت.. فأسرع عائداً إلى السفينة وأخذ العشب بمنقاره وانطلق إلى حيث كان السلطان، فاندفع رغم دهشة السلطان مارقاً إلى الداخل فاخطف العشب من منقاره وانهمك في تقطير عصيره في فم السلطانة.. ولما بدأت الحياة تدب مرة أخرى في عروقها.. وحمرة الدماء تعود إلى خديها التفت يبحث عن الغراب الغريب الذي أحضر العشب فلم يجده.. إذ كان قد عاد ليشارك صاحبه الصياد فرحة اللقاء مع أهل المدينة، الذين شاهدوا كل شيء، فرقصوا وهللوا وطبلوا فرحاً بالصياد وبالغراب الذي أنقذ الملكة المحبوبة..

وعادت الابتسامة والضحكات إلى القصر وجفت الدموع وحلت الفرحة والزغاريد مكان نهنات النحيب والبكاء.. وأطلقت المريضة متعافية على الميناء.. فارتفعت أصوات الفرح والغناء.. وعندما وصل الأمير.. زاد الصياح والتهليل.. ولمح الجميع الغراب الغريب يطير ليستقر فوق كتف صاحبه.. مصفقا بجناحيه كأنه يرقص مشاركة لهم.. فرحتهم ورقصهم.

لكن الدهشة عقدت السنة الجميع.. وساد صمت رهيب عندما صاحت السلطانة غاضبة حين وقع بصرها على الغراب.

- ما الذي جاء بهذه اللعينة إلى هنا؟.. ألقوا بها بعيداً..

واحتمى الغراب بصاحبه، وسأل الأمير في دهشة:

- من تقصدين يا مولاتي؟..

وأشارت السلطانة إلى الغراب غاضبة:

- ومن غيرها؟.. وصيفتى الخائنة التى تمردت على قوانين
جزيرتنا وفرت منها أكثر من مرة.. بحجة رؤية العالم والبلاد
الأخرى.. فمسخت إلى غراب جواب..

قال السلطان معاتباً وضاحكاً بسبب غضب السلطانة:

- ولكنه.. أقصد ولكنها هى التى أنقذت حياتك.. فحاولت حزننا
عليك إلى فرح بشفائك...

وأضاف الصياد:

- بل إنه.. أقصد أنها، كانت السبب فى جمع شملنا جميعاً، فهو الذى
دلنا على الطائر.. وأكثر من ذلك لولاه.. أقصد لولاها.. لما رأيت أنت
العالم والناس يا مولاتى.. ولاتركت الجزيرة حتى اليوم.. فهل أنت
نادمة على ذلك..

هلل الناس.. عندما ابتسمت الملكة.. وزال غضبها وقالت:

- لا.. لست نادمة طبعاً.. لقد كان الحق معها.. فالبقاء فى جزيرة
منعزلة إلى الأبد.. سجن كئيب ولو كانت جنة..

ومدت ذراعيها ناحية الغراب الغريب.. فحط على كفها ورتبت
على ظهره فى حنان.. وتمتمت بكلام.. ثم قبلته فى منقاره.. ورمته
إلى الأرض.. فرفرف بجناحيه، لكنه لم يسقط ومكانه كانت واقفة
كالبشر حوزية كأنها القمر..

وعاش الجميع فى التبات والنبات..



ركب الصياد وحوريته التي تعشق الأسفار سفينتهما الذهبية..
يقطعان بها المسافات عبر الأزمنة والأمكنة والبحار.. وحتى الآن ما
زالت تلك السفينة العجيبة تجوب البحار السبعة.. وسيراها الواحد منا
يوماً ما.. في شهر ما.. في سنة ما..



أما الوزير الشرير.. فلم تخبرنا الحدوتة عنه شيئاً.. ويبدو أن
الرواة.. تجاهلوه.. تماماً ولست أدري هل كان هذا هو الأفضل.. أم
الأفضل أن يذكروا لنا ماذا به الدهر سيفعل..!



الشاطر على وذات الجمال

كان ياما كان . يعيش رجل عجوز عنده ثلاثة أبناء . وكان أصغرهم اسمه «على» وكان الرجل يحب ابنه الأصغر أكثر من أخويه الآخرين ، لأنه كان نشيطاً يحب العمل .. فهو يشتغل في الحقل من الصباح إلى المساء . ويدير أمور البيت ويرعى الماشية . أما أخواه الآخران فقد كان كل منهما التسكع في المقاهى ، والنوم بلا تفكير فى أى أمر من الأمور سوى ما يهمهما فقط .

وحيثما أحس الفلاح العجوز باقتراب المنية . دعا إليه أبناءه الثلاثة وقال لهم .. خذوا هذه البذور الثلاثة .. كل واحد منكم واحدة .. وعلى كل واحد منكم أن يأتى إلى قبرى ليلة بعد موتى ، ليزرع بذرتة على رأس قبرى .. على أن يرويها بماء يأتى به ساعتها من النيل ..

ومات الرجل ودفن .. وحيثما جاء الليل كان الدور على الابن الأكبر أن يذهب لينفذ وصية أبيه . لكنه آثر أن يذهب لينام بعد أن تظاهر أمام أخويه أنه ذاهب لتنفيذ طلب أبيه .

وفى الليلة التالية كان الدور على الابن الأوسط ، ولكنه كان كسولا مثل أخيه فقال لنفسه (لماذا أتعب نفسى .. وماذا سيعود على إذا أنا ذهبت لزراعة هذه البذرة .؟ ولماذا طلب أبى ذلك ..؟ لا بد أنه قد جن قبل وفاته حتى يطلب منى هذا العمل العديم الفائدة ..) وأقسم ألا يذهب ورمى بالبذرة بكل قوه فى ظلام الليل .

وجاء دور الابن الأصغر فى الليلة الثالثة فتناول فأساً صغيرة ودلوا وتوجه إلى القبر.. ولم يجد هناك أثراً لبذور زرعت حديثاً. فقد كانت الحشائش تغطى جوانب القبر مثلما كانت. فعرف أن إخوته لم ينفذوا وصية أبيهم. فحزن حزناً شديداً ولكن سرعان ما تناول فأسه وأخذ يزيل الحشائش بهمة ونشاط وعزق مكاناً للبذرة عند رأس القبر ثم وضعها وغطاها بالرمال الناعم.. وحمل دلوه واتجه إلى شاطئ النيل.. ليحضر الماء كما طلب والده. وأخذ يتلمس طريقه فى الظلام مسافة طويلة حتى وصل إلى هناك. وملاً دلوه ثم رجع إلى القبر وروى البذرة. وجلس ليستريح بجانب القبر وهو يفكر فى طلب والده الغريب.. فما لبث أن راح فى النوم لشدة تعبته.

وفجأة استيقظ «الشاطر على»، على صوت عذب يناديه ويقول.. «يا شاطر على.. يا شاطر على.. اصحى.. واسمع كلامى يا شاطر على.. اصحى.. باب الهنا مفتوح ينادى عليك يا على..!».

أخذ «على»، يتلفت حوله فى عجب، ولكنه لم ير شيئاً ولم يتبين من أين يأتى ذلك الصوت الجميل.. ولكن عينه وقعت على وردة حمراء غاية فى الجمال.. فى المكان الذى زرع فيه البذرة التى أعطها له والده. كانت الوردة تبتسم ابتسامة حقيقية كأنها إنسان.. ثم ما لبثت أن كلمته مثل ما يتكلم الإنسان.. وقالت له.. «يا شاطر على.. لما يفوت المنادى ويطلب (جدع فارس شجاع يحرس غيطان الملك) عليك تروح يا على.. والسعد فى رجلك».

وظلت الوردة تبتسم.. ولكنها لم تتكلم بعد هذا كلمة أخرى.. وظل «الشاطر على»، جالساً بجانب قبر أبيه وهو فى غاية العجب مما حدث.



وذات يوم سمع «الشاطر على» صوت المنادى وهو يسير بطبوله
ومزاميره . ينادى ويقول ..

« .. عايزين جدع فارس .. يكون حارس على قمح الملك .. »

وكانت الأخبار قد انتشرت في كل المملكة والممالك المجاورة عن
كائن غريب يسطو في الليل على قمح الملك .. بعد أن يدرس القمح
ويذرى ويكوم في الأجران، كل موسم حصاد .. فلا يأتي الصباح إلا
وقد أتى عليه كله ..

وكم من الفرسان والشجعان كلفهم الملك بحراسه قمحه . وكم من
الأبطال ذهبوا من تلقاء أنفسهم حباً في المغامرة .. ولكن لا أولئك ولا
هؤلاء استطاعوا القبض على ذلك الكائن .. فإما كان النوم يغلبهم وإما
كانوا يخافون ويولون الأدبار عندما يسمعون صوته الجبار . وأولئك
الذين صمدوا واستطاعوا أن يروا ذلك الكائن وأن يصارعوه لم يعودوا،
ولذلك لم يعرف ما هذا الكائن وما هي صفاته ..



ذهب «الشاطر على» إلى القصر .. وتقدم من الحراس وأخبرهم أنه
رجل فلاح جاء يطلب أن يتولى حراسة قمح الملك .. وضحك الحراس
منه .

ولكن أحداً لم يستطع أن يرفض طلب «الشاطر على»، وقال الملك
«فلنجرب .. ماذا سنخسر .. إن أحداً لم يتقدم لهذه المهمة بعد ..»



وتوجه «الشاطر على» إلى جرن الملك.. ومرت الليالى عليه وهو ساهر لا يكل ولا يغفل ينتظر ذلك الكائن الغريب.. وعندما انتصف الشهر واكتمل القمر بدرأ.. تنبه «الشاطر على» إلى نور يبزغ فى الأفق كأن الشمس قد أشرقت فجأة... ثم تبين «الشاطر على» وسط الضوء الباهر فرساً بيضاء ذات عرف ذهبى تقفز من البحر.. وتقبل على الجرن، فى سرعة، والأرض تنتفض تحت حوافرها الفضية.. ومن عيونها يسطع ما يشبه البرق فيضىء الليل.. وتأهب «الشاطر على» وأخذ يستعيد كلمات الوردة الحمراء عند القبر ويستمد منها الشجاعة على الثبات.

وما أن مرت الفرس البيضاء بجانب الكومة التى يختبئ «الشاطر على» فوقها.. حتى قفز قفزة هائلة واستقر على ظهرها وأمسك عرقها الذهبى بقوة.. وفوجئت الفرس فجفت وجمحت به، وأخذت تصهل صهيلاً عالياً ارتجت له المدينة على البعد. ثم انطلقت «بالشاطر على» عبر السهول والحقول.. تقفز فوق الترع والمساقى.. وعبرت النهر فى قفزات عالية كأنها طائر كبير مسحور. وهى تحاول التخلص من «الشاطر على» ولكنه كان كالصخرة الثابتة على ظهرها، وفشلت محاولاتها لأنه قابض على عرقها بقوة. فاتجهت به إلى الشمال حتى وصلت إلى المستنقعات وأخذت أقدامها تغوص فى الطين وهى تصهل بقوة حتى غاصت لبطنها فى الطين ولم تعد تستطيع الحركة فتوقفت عن الجرى وكفت عن الحركة..

وظلت لفترة ساكنة ساكنة. ثم خاطبت «الشاطر على» قائلة:

- يا «شاطر على، يا جرىء.. أنت عليت ضهرى.. أنا خدامة طول
عمرى.. تأمر أطاوع أوامرك.. أطلب نجوم السما تلقاها ملك ايديك..
أدخل ف ودنى اليمين.. واخرج من الشمال.. تصبح فى حال غير
الحال.. لا ذهب ولا مال.. ولكن بقلبك وكف ايديك تهد جبال..»

وأراد «الشاطر على، أن يجرب ما قالته الفرس البيضاء فدخل من
أذنها اليمين وخرج من أذنها الشمال.. فإذا هو فارس جميل.. على
رأسه عمامه تزينها ريشة ذهبية تداعب الريح وسيفه يتدلى فى جانبه
وثيابه القصب والحريز تلمع فى ضوء الفجر كالسما الصافية.. تلمع
على صدرها النجوم وتبرق.. فسر سرورا عظيما، وعاد فدخل من أذنها
الشمال وخرج من أذنها اليمين فعاد كما كان يرتدى ثوب الفلاح وقاد
الفرس إلى قصر الملك.. الذى أمر أن تذهب إلى إسطبلاته وأن يعين
«على، الفلاح رئيسا لسياس إسطبل الملك، جزاء له على إنقاذ قمح
الملك.

ولم يعجب هذا سياس خيل الملك واغتاضوا من «الشاطر على،
وضاقوا به فكيف يأتى هذا القروى الجلف كى يكون رئيسا عليهم
يصدر إليهم الأوامر والنواهي.. وصمموا على التخلص منه بأى
طريقة... وأصبح تدبير المكائد له شغلهم الشاغل.. لا يجمعهم مجلس
إلا «الشاطر على، حديثهم وكانت فرسه البيضاء تنقل اليه كل ما يدور
بينهم..»

وذات يوم جاء رجل سكير إلى الإسطبل الملكى وحاول السياس
طرده، ولكنه أخبرهم أنه يستطيع أن يدلهم على طريقة للتخلص من

ذلك الفلاح الذى عينه الملك رئيسا عليهم .. فأسرع إليه السياس لىسمعوا له فهمس لهم بما دبره .. وهم فى غاية السعادة .



وفى المساء كان السياس يتحدثون تحت شباك الملك بصوت عال متعمدين إحداث ضجة وخلاف حتى يشعر بهم الملك .. وسمع الملك الضجيج فسأل السياس عن سبب ضجيجهم فأخبروه أن «الشاطر على» ادعى أنه يستطيع إحضار المزممار الراقص وأن بعضهم يصدق ذلك ويقول: إن من استطاع القبض على لص القمح يستطيع أن يحقق المعجزات .. والبعض الآخر يرى أن «الشاطر على» ركب الغرور وأنه لا يستطيع أن يأتى بالمزممار الراقص .. وإذا ذهب فسليقى حتفه .

وكان الملك يطمع فى الحصول على المزممار الراقص من زمن بعيد .. وكم أرسل من الفرسان للحصول عليه ولكن الفشل كان نصيبهم جميعا . وكم ذهب أبطال من جميع الممالك ليحصلوا على ذلك المزممار لأنفسهم ولكنهم أخفقوا .. ومنهم من دفع حياته ثمناً لمحاولته .. ولقى حتفه فى الطريق الصعب الطويل .. ومنهم من قتله المارد صاحب المزممار .. ومنهم .. من لم يسمع أحد شيئا عنه سوى أنه ذهب ولم يعد .



أرسل الملك واستدعى «الشاطر على» وقال له:

- لقد سمعت أنك تستطيع أن تذهب وتأتى بالمزممار فاذهب من فورك وأحضره . وإلا فسوف أقطع رقبتك ..!

وأراد «الشاطر على» أن يتكلم فصاح به قائلا: كلام الملوك لا يرد .. أتريد أن تعصى أوامرى .. اذهب ولا تدعنى أرى وجهك إلا ومعك

المزممار الراقص.. وأمامك سبعة أيام إذا لم تحضر خلالها المزممار..
فسوف أقطع رقبتك..!

انسحب الشاطر على، إلى ركنه في الإسطبل حزينا مهموما.. يفكر
في الأمر ورأته الفرس البيضاء على هذه الحال فاقتربت منه ومسحت
رقبتها في جسمه في حنان وسألته عما يفكر فيه وعن سبب حزنه..
فأخبرها بالأمر وقال لها: إنه لم يسمع في حياته بذلك المزممار.. ولا
يعرف مكانه فكيف يحصل عليه..

قالت له الفرس.. لاتحزن يا صديقي.. إن من يسأل لا يتوه... أنا
أعرف من يعرف مكانه. هيا بنا.. اركب ولا تضيع وقتا..
وانطلقت الفرس البيضاء حاملة الشاطر على، تسابق الريح.

وعند العصر وصلا إلى مكان بين جبلين.. ورأى الشاطر على،
الطريق يتفرع إلى فرعين أحدهما لليمين والآخر للشمال.. وعند مفترق
الطرق كانت مغارة كبيرة في بطن الجبل.. وكانت هذه المغارة هي
مغارة «أما الغولة».

قالت الفرس للشاطر على،.. يا شاطر على.. اذهب إلى باب
المغارة.. ستجد هناك إناء به ماء.. ضع يدك فيه دون أن يراك أحد..
إذا وجدت الماء يغلي ويفور.. اجرى إلى بسرعة فنبتعد من هنا. أما إذا
وجدته بارداً.. فادخل إلى الغولة وألقى عليها السلام فإنها ستكون هادئة
وشبعاة. فلا تؤذيك...

تقدم الشاطر على من المغارة ودخل في هدوء ومد يده إلى الإناء..
فوجد الماء بارداً كالثلج.. فتشجأ واطمأن ودخل المغارة.. فوجد الغولة
تجلس وهي تخطط رداءها فقال لها في أدب شديد...!!

.. السلام عليك يا أمي الغولة...!!

فانتبهت إليه وردت عليه، وهي تتطلع إليه في نهم مكتوم..

- لولا سلامك سبق كلامك أنا كنت أكلت لحمك وقرقشت عظام، ثم سألته عن طريقه وعن غايته ومن أرسله في طريق المهالك هذا.. فحكى لها «الشاطر على»، الحكاية وطلب منها أن تساعد.. فقالت له إنها تستطيع أن تدله على الطريق فقط وأعطته كرة من الكتان كلما قذفها في الهواء أمامه تدحرجت في الطريق الصحيح حتى تصل به إلى قصر المارد صاحب المزمار.. ولكنها حذرتة!

- إن كثيرين غيرك قد ذهبوا في طلب المزمار، ولكنهم لم يعودوا، وأنا أحذرك للمرة الأخيرة.. أطلب السلامة وعد من حيث أتيت، لأنك لو ترددت لحظة أو ركب قلبك الخوف ولو ثانية واحدة فسيهلكك الطريق.. أما إذا صممت فكن دائما مستعدا للتضحية في سبيل ما تطلب.. ولا تجعل الخوف يتسلل إلى قلبك لحظة واحدة..

وتمنت له التوفيق وودعته وودعها وعاد إلى فرسه. وحكى لها الحكاية فحزنت الفرس لفراقه ولكنها قالت له أن ينزع ثلاث شعرات من عرفها الذهبي.. وأن يدعك واحدة منها في كل مرة يتعرض فيها لخطر أو يجد نفسه في مأزق..

فأخذ «الشاطر على»، الشعرات الثلاث، ثم قبل فرسه بين عيونها.. وانطلق في خلف الكرة مع ضوء الفجر..



وبعد أيام طويلة قضاها «الشاطر على»، سائراً خلف كرة الكتان وصل إلى سفح جبل شاهق على قمته قصر كبير له أبراج عالية وسور ضخمة وقباب من النحاس تبرق في ضوء الشمس.. وقادته الكرة صاعدة الجبل حتى استقرت بجانب السور في مكان بعيد عن باب القصر.. وأراد أن يأخذها ليقذف بها للمرة الأخيرة فلم يستطع أن يحركها وخيل إليه أنها تجذبه إلى باطن الأرض.. فطرات له فكرة أن يحفر في هذا المكان... وبسرعة بدأ الحفر حول الكرة.. وفجأة اختفت الكرة فاستمر هو في الحفر وراءها حتى وجد حلقة حديدية.. جذبها فرفع معها غطاء سرداب ممتد إلى داخل القصر.

هبط الشاطر على سلالم السرداب فوجد ممراً طويلاً منحوتاً في صخور الجبل تنيره نيران مشتعلة في الشقوق.. فتسلل «الشاطر على»، حريصاً ألا يحدث صوتاً ومضى يتلمس طريقه بحذر.. ولا شيء يعترضه أو يظهر له، حتى وصل إلى سلم آخر فصعد عليه إلى أن وجد نفسه في أحد أبراج القصر.. فتقدم إلى الداخل، حيث صالة كبيرة شاهقة الارتفاع تحيط بها أعمدة ضخمة وأبواب شديدة الاتساع.. أخذ «الشاطر على»، يسير متسللاً بين الحجرات وهو يبحث عن المزمارة فلم يهتد لشيء إذ كانت الخزانات والدواليب كبيرة الحجم لا يستطيع عشرة رجال أن يفتحوا أحداها.. ففكر الشاطر على أن ينتظر حتى يأتي المارد لعله يستدل عن طريقه على مكان المزمارة..

وحيثما أقبل الليل وهبط الظلام على الكون.. وأضاءت القصر آلاف الشموع الضخمة.. سمع «الشاطر على»، ضجة عظيمة وسمع خطوات ثقيلة اهتزت لها جدران القصر.. وأخذت الخطوات تقترب بينما سارع

«الشاطر على» بالاختباء فى ثنايا الستائر والتماثيل التى تزين قاعدة أحد الأعمدة.. ودخل المارد إلى الصلاة يسبقه شخير أنفاسه التى تهب مثل الريح ووقف متردداً لحظة يتلفت حوله كأنما يشك فى وجود غريب.. والشاطر على يرقب نتيجة تردده هذا ويده على شعرة الفرس الأولى.. ولكن المارد تخلص من تردده. وسرعان ما جلس لتناول عشائه.. وبعد ساعتين كان قد التهم ثوراً وأربعة خراف وعدة قناطير من الخبز والأرز.. وعب عدداً من براميل الخمر واستند إلى أحد الأعمدة وهو يترنح من التخممة ومن فعل الخمر.. ثم أخرج من جيبه مزماراً ذهبياً نفخ فيه ثم تركه على الأرض... وكان هذا هو المزممار الراقص.. الذى اندفع فى الرقص قافزاً على أرض الصلاة وهو يرسل أحياناً راقصة شجية جعلت المارد الذى كادت تقتله الرغبة فى النوم يحاول النهوض ليرقص.. ولكنه لم يستطع ولم يلبث أن ارتمى على الأرض وراح فى سبات عميق واستمر المزممار يطلق أحياناً لا يسمعها غير «الشاطر على» الذى وجدها فرصة سانحة لا تعوض.. فتسلل من مكانه وهو يزحف فى هدوء حتى اقترب من المزممار الذى كان يقفز ويرقص فى أنحاء الصلاة.. حتى اقترب منه فى إحدى قفزاته فانقض عليه.

ولكنه حين أمسك به لم يأمره بالسكوت على الفور.. ولذا أطلق المزممار صرخة طويلة حادة.. استيقظ على أثرها المارد فرأى «الشاطر على» وهو يجرى ناحية السرداب فقام مسرعاً ومد يده ليمسك به لكن «الشاطر على» كان قد أخرج إحدى الشعيرات الثلاث الذهبية ودعكها.. فأمسك المارد كتلة من النار بدلا منه، فصرخ من الألم وما كاد ينتبه

من المفاجأة. حتى كان «الشاطر على» قد قطع نصف المسافة في السرداب إلى الخارج..

وأسرع المارد وراءه فزاد الشاطر على من سرعته وكان المارد بطيئاً بسبب حجمه وما كدسه في بطنه واحتراق يده..

ولما صعد «الشاطر على» سلم السرداب دعك الشعرة الثانية فتفجرت جدران السرداب بالمياه وأحاطت بالمارد الذي ارتفع صياحه الغاضب... بينما كان «الشاطر على» يهبط الجبل كانت صرخات المارد تغيب شيئاً فشيئاً في المياه التي ملأت السرداب.

ووصل «الشاطر على» إلى أول الطريق فوجده متفرعاً إلى ثلاثة طرق واحتار أى الطرق يختار فأخرج الشعرة الثالثة ودعكها فحطت أمامه فرسه العزيزة البيضاء تضرب الأرض بحوافرها الفضية وتحنى رأسها له تحييه أجمل تحية...

وركب الشاطر على.. فانطلقت به عائدة تسابق الزمن.



فرح الملك فرحاً شديداً بالمزمارة الراقص. لدرجة أن نسي أن يوجه كلمة شكر واحدة لذلك الذى أحضر المزمارة.. وأخذ يقيم الحفلات والسهرات ويدعو إليها الملوك والأمراء من كافة الممالك لكي يفاخر ويباهى بالمزمارة.. وكان المزمارة يجعل الجميع يرقصون فى البيوت والشوارع. ولا يكفون عن الرقص واللعب حتى يسكت المزمارة ويكف عن الحركة.

وتذكر الملك أخيراً ذلك الذى أحضر المزمارة فعينه مستشاراً للمملكة جزاء له على شجاعته كما قال. ولكن الغيرة والحسد ملأ قلوب الوزراء

والأعيان والأمراء ولم يرق لهم هذا الوضع فكيف يكون ذلك الفلاح الجلف مسشارا للملك يجلس معهم على مائدة واحدة.. ويشرب معهم من إناء واحد.. الأولى أن يقف لخدمتهم. وزاد خوفهم لأنه قد يأتي اليوم الذى يصبح فيه «الشاطر على» الرجل الأول فى المملكة.. لأنه أكثر قدرة وشجاعة منهم.

وتذكروا ذلك الرجل السكير الذى أشار على السياس.. فأحضروه وبعد أن سقوه نصف برميل من الخمر المعتقة قال لهم إذا كنتم تريدون التخلص من هذا الفتى.. فما عليكم إلا أن تطلبوا من الملك أن يبعث به ليحضر الأميرة «ذات الجمال» التى رفضت أن تتزوج الملك فى العام الماضى.

وصاح الأعيان والوزراء فرحين مهللين لأنهم كانوا يعرفون أن «الشاطر على» لا بد أن يلقى حتفه عندما يقفز ليخطف منديل الأميرة وهى واقفة فى شباك برج القلعة العالى أو حينما يحاول مخطفها من قصرها.. وكانت هذه هى شروط الأميرة لتقبل الزواج من أحد.

وذهبوا إلى الملك وكانوا يعرفون مدى تعلقه بهذه الأميرة. وما أن أخبروه أن من استطاع إحضار المزمارة الراقص والقبض على لص القمح حيث فشل الأبطال والشجعان لقادر على إحضار «ذات الجمال»... واستدعى الملك «الشاطر على» وأمره أن يذهب ليحضر الأميرة «ذات الجمال» وإلا قطع رقبته فى الحال.



كانت الأميرة «ذات الجمال» بنت سلطان السهول الخضراء.. ذات حسن باهر تحدث فى وصفه الشعراء وسار بذكره الركبان. وكانت على

حسنها وجمالها تحسن اللعب بالسيف والضرب بالرمح وركوب الخيل والفروسية وقد تقدم لخطبتها فرسان وأمراء من الأربعين مملكة ولكنها لم تقبل واحداً منهم لأن أحداً لم يستطع خطف منديلها من يدها وهي واقفة أعلى البرج ولا أحدهم استطاع خطفها من قصرها.. ومن استطع أن يفعل ذلك؟.. سوى فارس لم يذهب إليها بعد... وكان هذا الفارس هو «الشاطر على».

امتطى «الشاطر على» صهوة فرسه وانطلق يسابق الريح إلى مملكة السلطان صاحب السهول الخضراء..

وقبل أن يصل إلى المدينة.. دخل في أذن الفرس اليمنى وخرج من أذنها اليسرى.. فانقلب إلى فارس لم تقع عين على مثله.. يلمع في ضوء الشمس رداؤه المحلى بالياقوت والزمرد وسيفه المرصع بالفيروز يتدلى على جانبه بحمالات من الحرير الهندي. وعلى رأسه عمامة تزينها ريشة ذهبية تلاعب الريح طولها نصف متر.

ودخل «الشاطر على» إلى المدينة.. وعرف الناس أنه جاء خاطباً.. وتجمع الناس من كافة الأرجاء وكل من رآه أيقن أنه سيفوز... وأحبه الناس فهتفوا له وتمنوا نجاحه..

ووقفت الأميرة في نافذة البرج العالى.. وفي يدها منديلها وهي ترقب جموع الناس تحيط بذلك الفارس وتهتف له... ونظرت إليه.. كان جميلاً رائعاً على فرسه البيضاء التي لا تهدأ.. وتمنت الأميرة له أن يفوز..

ومضت لحظات الترقب والانتظار. والفرس تحت الشاطر لا تكف عن الحركة والنشاط.. تضرب الأرض بحوافرها الفضية فتنتطلق

شرارات نار.. وتسهل صهيلاً عالياً يرتج له الميدان.. وأخذ الناس
يفسحون الطريق للفارس الجرى.. وأحاطت جموعهم بالميدان فلم
تكن ترى موضعاً لقدم.. ودقت الطبول.. ثم ساد صمت رهيب والفارس
تتراجع إلى الخلف. وتتطلع إلى البرج كأنها تقيس المسافة بين الأرض
والنافذة.. والذين شاهدوا هذا قبل هذه المرة أقسموا على أن الأميرة
كانت تمد يدها بالمنديل.. على قدر ما تستطيع.

وفي قفزة واحدة هائلة كطائر أسطوري، كانت الفرس أمام النافذة
والمنديل في يد الشاطر على،.. والناس مذهولين والأميرة تبتسم..
وفي لحظة كانت هتافات الناس تشق عنان السماء فرحة بذلك الفارس
الشجاع.. الذي كان قد اختفى هو وفرسه إذ وصلت بقفزة أخرى إلى ما
بعد أسوار المدينة.. واختفت عن الأنظار.

أحبت الأميرة الشاطر على،.. وأخذت تترقب مجيئه ليحملها من
القصر خطفاً على أحر من الجمر.. وأخذت تخفف الحراسة شيئاً فشيئاً،
كى تسهل عليه مهمته.. ولكن عجوزاً أخبرتها أن الشاطر على لم يأت
ليأخذها لنفسه، وإنما جاء ليخطفها لذلك الملك العجوز الأبله الذى يعيش
عبر الممالك السبع، والذي رفضته زوجاً فى العام الماضى فحزنت ذات
الجمال حزناً شديداً وأخذت تبكى.. وعادت فأمرت الحراس بتشديد
الحراسة.

هذا كان من أمر الأميرة ذات الجمال،.. أما ما كان من أمر
الشاطر على، وفرسه البيضاء.. فإنها انطلقت به إلى السهول.. حتى
يتدبرا أمر خطف الأميرة. رغم الحراسة المشددة ورغم أسوار القصر
وقلاعه..

وذات ليلة كانت الأميرة ساهرة تفكر في أمر ذلك الفارس الغريب
الذى فعل ما لم يفعله فرسان الممالك الأربعين ومع ذلك فهو يخاطر
بحياته من أجل ملك عجوز مخرف وتمنت لو وجدته أمامها إذن
لاستطاعت أن تبين له خطأه. ولاعترفت أنها تحبه عله يغير رأيه
ويأخذها لنفسه. ولكن أين هو وقد اختفى مثل الشهاب.

كانت الأميرة تنتظره على شوق.. ولكنها خائفة من حضوره..
لأنها كانت تعرف أنه سيخطفها ولن يقف في طريقه حراس ولا أسوار
وسيذهب بها إلى ذلك الملك الذى تكرهه من كل قلبها. قامت الأميرة
من فراشها وأخذت تنظر إلى النجوم من نافذتها.. وتحديثها عن
حبيبها.. وتحلفها أن تقنعه أن يغير رأيه وأن تخبره أن «ذات الجمال، لا
تريد أن تتزوج أحدا سوى «الشاطر على»..



في قفزة واحدة كانت الفرس حاملة «الشاطر على» في حديقة
القصر. وقبل أن ينتبه الحراس كانت قد تحولت إلى شجرة تفاح غريبة
تتدلى من غصونها ثمار تفاح ذهبية وأخرى في لون الفيروز وبجانبيها
الشاطر على في ثياب الفلاح القديمة كأحد الجنائنية...

ازداد التفكير بالأميرة واشتد أرقها فقامت من فراشها لتتجول في
حديقة القصر.. هبطت السلالم وأخذت تسير في دروب الحديقة
ودموعها تسيل على خدها. وصورة حبيبها أمامها في كل زهرة وعلى
صفحة كل جدول...

وعلى مدى البصر رأت الأميرة شجرة التفاح الغريبة التى لم تعهد
مثلا في حديقة القصر.. فتعجبت لذلك الأمر.. واقتربت منها لتستطلع

خبرها.. فبهرتها التفاحات الذهبية.. وأرادت أن تقطف واحدة لكن ما أن لمستها حتى كانت الفرس البيضاء واقفة مكان الشجرة والشاطر على، يحتضن الأميرة، ويركب وهو ممسك بها فرسه التي انطلقت كالطائر تقفز فوق قمم الأشجار. وصاحت الأميرة. ولكن الفرس كانت قد عبرت أسوار المدينة في قفزة واحدة قبل أن ينتبه أحد من الحراس أو أن يدري أحد ماذا حدث.

استمرت الأميرة تحاول التخلص من يد الشاطر على، فترة ولكنها لم تستطع فكفت عن المقاومة.. وكان الشاطر على، قد بهره جمالها منذ رآها في نافذة القصر.. ولا أحد يدري أنه أيضاً قضى الأيام الماضية منذ خطف المنديل في قلق وتفكير..

ورأت الأميرة منديلها على رأس الشاطر على، فبكت.. وسالت دموعها. فسألها عن سبب بكائها فقالت له:
- أبكى لأن منديلي.. سيلبسه رجل عجوز مخرف.. أكرهه مثل كرهى للموت.

فابتسم الشاطر على وقال لها:

إن منديلك لن يلمس إلا هذه الرأس.. وأشار بيده إلى رأسه..

ورقصت الفرس البيضاء تحتها وصهلت صهيلاً طويلاً كأنها تزغرد.. وقالت له:

يا شاطر على، أنا مع الحب ومعك وذات الجمال، مخلوقة لك وأنا على تدبير الأمر.. فاسمعوا قولي...



تركتهم الفرس عند شاطئ البحر وانطلقت تغوص في الماء..
وجلس الشاطر على، يحكى لـ ذات الجمال،.. ويقول:

- أنا فلاح، الأرض عصرتنى، وعصرتها حين مات أبى.. أعطانى
بذرة زرعتهها جنب قبره، البذرة شربت من ماء النيل ومن عرقى..
وأزهرت أجمل ما فى الدنيا من ورد.. وقالت لى طريقى من أين..
يبتدى ولا كنت أعرف نهايته فىن.. ذقت الإهانة فى قصر الملك..
وشفت الموت بعيونى فى قصر العارذ صاحب المزمارة.. وعرفت الحب
فى عيونك يا ذات الجمال.. فكرت كثيراً.. أن أخطفك وأهرب بك
وبلاد الله لخلق الله فى جزيرة بعيدة نعيش ونحب بعض هناك رجع
لى عقلى.. وقال لى لا.. الإهانة اللى دقتها فى قصر الملك حيدوقها
غيرى كثير والموت كلنا بنقابله وكلنا بنموت لكن بعد ما نعيش..
والحب يا صاحبتى بلا قيمة من غير الناس حنرجع لقصر الملك يا ذات
الجمال، لكن لن يبقى فيه الملك ما دمت أنت تخطى برجلك فيه.

كان القمر وسط السماء بدر.. وموجة البحر تلعب على الرمل
الأبيض المغسول والفرس قالت حنرجع لما دموع ذات الجمال،
حتسيل.. ذات الجمال، نظرت للبدر.. وأخذت تناجى النجوم وعيون
الحبيب مليانة بالحب. وسالت مع الخدود دمة انشق البحر وخرجت
الفرس من وسط الموج.. وهى سعيدة ترقص وتنفض المياه من
جسمها.. واقتربت من الشاطر على، وأعطته خاتما من الذهب وقالت
له:

- هذا الخاتم لك.. ولا يصلح لأحد غيرك البسه ولا تخلعه من
أصبعك أبدا وهيا بنا فقد اقترب أجل الملك العجوز. وأجل أيامه.



أقام الملك الاحتفالات أربعين ليلة احتفالا بزواجه من الأميرة ذات
الجمال، ومدت الموائد فى الشوارع والميادين لكل الناس وأقيمت

الزيينات ورفرفت الأعلام فوق البيوت والأسوار.. سارت المواكب فى الشوارع ورقص الناس بأمر الملك فى الساحات.

واشند غيظ الأمراء والوزراء حينما عاد «الشاطر على»، وقد انتصر مرة أخرى. مات أحد الوزراء كمدا.. بينما سقط ثلاثة مرضى فى فراشهم.. وتصدر «الشاطر على»، الموائد والمواكب والأميرة «ذات الجمال»، دائماً فى ذراعه.

والليلة الأربعون كانت ليلة الزفاف وكان الناس مجتمعين فى القاعة الملك فى الوسط و «ذات الجمال»، على يمينه و«الشاطر على»، عن يساره وحولهم الأمراء والوزراء والأعيان وكبار التجار وقادة الجيش، وطلبت الأميرة من الملك بصوت عال أن ينفذ لها طلباً ستطلبه منه وفى غمرة النشوة والسرور وصاح الملك مستنكراً: إن على «ذات الجمال»، أن تأمر وكل ما تأمر به مطاع مجاب.. حال رد الجواب ولو طلبت أن يشبك لها القمر جوهرة على صدرها.. أو أن ينظم النجوم عقوداً تتزين بها.. ولكنها قالت له:

- يا ملك الزمان. أنا لا أريد سوى أن تعود لى شاباً جميلاً رقيقاً كما كنت فى شبابك.

وبهت الملك.. وساد صمت رهيب.. وكيف تعود شاباً يا من ابيض شعرك وانحنى ظهرك تحت وطأة السنين واسود وجهك تحت ثقل المظالم واحمرت عيونك من كثرة ما ارتكبت من جرائم فى حق الناس.

وقال الملك.. ولكنى لا أعرف يا عزيزتى كيف يحدث هذا.. ولو كنت أعرف لما تأخرت لحظة واحدة..

فقال له .. سأخبرك كيف يحدث ذلك! إن الأمر بسيط في غاية البساطة.. فأنا أعرف تعويذة إذا قرأتها على قدور ثلاثة بها عسل وخمر وماء من النيل موضوعة على النار تغلى.. ثم استحم فيها إنسان.. يعود شاباً فور خروجه من القدر الثالث.

هرب الدم من وجه الملك إذا كانت أعماله قد تركت في وجهه قطرة دم.. وأحس بركبتيه لا تستطيعان حمله.. وشعر أن هناك؛ أمراً يدبر فرفع صوته محاولاً أن يبدو طبيعياً قدر إمكانه وقال:

- يا حبيبتي أنا سأعود شاباً بفضل تعويذتك على أنه يجب تجربة ذلك على أحد الناس. ثم التفت إلى الموجودين وصاح:

- من منكم يا أصدقائي سوف يفعل ذلك ويكون له شرف أن يسبق الملك..

وأخذ الملك يتطلع إلى الوجوه المطرقة في خوف وصمت.. ولم يرد أحد بكلمة ولم يحاول أحدهم أن يرفع عينيه خشية أن تلتقى بعيون الملك.. وفجأة ارتفعت ضحكة عالية ساخرة..

وقال «الشاطر على»:

- ما أشجعكم وما أشد حبكم للملك العظيم إنه يحبكم كذلك بنفس القدر ولكن حبكم له لا يساوي ذرة من مقدار كرهكم لي.. وللناس!
ثم أمر «الشاطر على» بإعداد القدور الثلاثة. وارتفعت ألسنة اللهب حول القدور وسمعت لها همهمة مثل همهمة الجموع التي كانت في الخارج تنتظر ما ستأتي به الساعات. وساد صمت رهيب لا تسمع فيه سوى طقطقة النار.. وصهيل الفرس البيضاء وقفز «الشاطر على» في القدر الأول.. بعد أن تلت الأميرة تعويذتها المزعومة وذهل الناس. وهم يرونه يخرج من القدر ليقفز في القدر الثاني وزاد عجبهم حينما رأوه

أمامهم مرتديا ثياب الفارس المطرزة وسيفه يتدلى بجانبه وماء الحياة
فى وجهه والعافية تكاد تنطق على خدوده والريشة الذهبية تتراقص
فوق عمامته ..

وكان ذلك بفضل الخاتم الذى أحضرته له فرسه العزيزة التى
صهلت تعطيه إشارة القفز إلى القدر الثالث التى تغلى .

وردت الروح للملك وتمالك نفسه .. بل وضحك لأنه تذكر أنه بعد
قليل سيصبح شاباً مثل «الشاطر على» ..

ووقف الملك أمام القدر فى تردد .. ثم استجمع شجاعته وقفز فى
قدر العسل الذى يغلى . وكانت هذه آخر مرة رأى فيها أحد وجهه
الكريه ..



وصاح الناس هاتفين فى الساحة أمام القصر فرحاً بموت الملك
وبحياة «الشاطر على» الذى أعطته «ذات الجمال» خاتم الملك .

وكعادتهم دائماً قدم ... الأعيان والأمراء فروض الطاعة، «الشاطر
على» .. لكنهم ظلوا يدبرون له المكائد .. إلا أنه بفضل الخاتم الذى
أعطته له فرسه الحبيبة وبفضل حب الناس .. استطاع أن يتخلص
منهم ..

وعاش مع حبيبته ذات الجمال فى سعادة وهناء ولم يسمع أحد أن
«الشاطر على» ظلم أحداً أو أهان أحداً .. أو تسبب فى موت أحد .
واستمرت السعادة ترفرف عليهم حتى جاءهم هادم اللذات ومفارق
الجماعات .. بعد أن تركوا وراءهم صبياً وبنات .. وأنا نفسى شربت
الشربات يوم أن ولد «الشاطر على» «ذات الجمال» طفل كأنه الهلال
فى الحسن والجمال ..



وجه القمر

كان يا ما كان فى سالف العصور والأوان ففتاتان جميلتان تعيشان مع أبيهما الشيخ. وقد تزوجت الفتاة الكبرى من شهبندر تجار المدينة وهو رجل شديد القبح سيئ الخلق لكنها تزوجته لأنه يعيش فى قصر كبير يملؤه الخدم والعبيد.

أما أختها الصغرى فقد تزوجت من حطاب فقير وذهبت لتعيش معه فى كوخه الصغير عند حافة البرارى لأنها كانت تحبه.

وقد ولدت الأخت الكبرى بنتين توأمين كان كل من يراهما يقول عنهما: «إنهما تشبهان أباهما فى القبح وسوف تأخذان عنه أيضاً سوء الخلق». انظروا.. إن لكل واحدة عيناً واحدة هذه تشبه عين السمكة وتلك تشبه عين الصيرة.

ولذلك أصبح اسم الأولى «عين السمكة» والثانية صار اسمها «عين الصيرة».

أما زوجة الحطاب فقد ولدت لزوجها فتاة جميلة كان كل من يراها يصيح معجباً بها قائلاً: «ياجمال هذه الفتاة.. إن وجهها يشبه القمر».

ولذلك صار اسم بنت الحطاب «وجه القمر».

وكبرت الفتيات الثلاث.. كانت «عين السمكة» و«عين الصيرة» لا تحبان أحداً من الأطفال أو الناس ولا يحبها أحد ولذلك كان الأطفال يصيحون خلفهما كلما رأوهما.. «عين السمكة» وقعت في الشبكة.. «عين الصيرة» أكلتها الطيرة..

أما «وجه القمر» فقد كانت زيادة على جمالها طيبة القلب تحب الأطفال والشجر والطيور.. حتى وحوش الغابة كانت تحبها.. وكان أطفال الحطابيين يأتون إليها من أطراف البراري ليلعبوا معها.. وكانت فروع الأشجار تنحنى لها إذا سارت في الأحراش لتحبيها.. وكانت الطيور تأتي لتسمع لصوتها الساحر وهي تغنى، فقد كان صوتها أجمل من صوت البلابل وأحلى من تغريد الكروان.. حتى أسماك النهر كانت تطل برءوسها فوق سطح الماء لتردد وراءها الأغنيات.

وكان لـ «وجه القمر» صديق عزيز جداً عليها لا يفارقها لحظة واحدة لا في البيت.. ولا في الغيط.. كان لها ديك ذهبي.. عرفه من الياقوت الأحمر وجناحاه من الفضة وجميع ريشه من الذهب الإبريز وكان في آخر النهار يعود وراء «وجه القمر» إلى البيت ومعه الطيور يغنون لها ويقولون.. «يا وجه القمر يا ست البنات.. يا ورد الجنائين يا سكرنيات...»



لكن الموت مر يوماً على الغيط فاختطف الحطاب وزوجته وبقيت «وجه القمر» وحدها تبكي أباه وأمها وحط الحزن على المكان.. فنفضت الأشجار أوراقها.. وكفت الطيور عن الغناء.. وخيم الضمت على كل شيء كان يتحدث إلى رفاقه في همس احتراماً لحزن «وجه القمر»..

وخاف الديك على صديقته من شدة الحزن لأنها كانت تبكى فى الصباح وتبكى فى المساء وتبكى فى كل وقت. فقال لها ذات يوم «يا وجه القمر، هيا بنا نعيش فى المدينة مع بنات خالتك فأنت هنا تعيشين وحيدة.. وأنا أضمن لك أنك سوف تجدين هناك السعادة والهناء.

ولكن «وجهه القمر، لم تجد السعادة ولا الهناء لأن الغيرة أكلت قلب «عين السمكة، و«عين الصيرة، من «وجه القمر، لجمالها وحب الناس لها ولحلاوة صوتها العذب حتى وهى تنوح حزناً على أبويها.. وكانتا تحسدانها أيضاً على ديكها الذهبى الجميل وتتمنيان الخلاص منها لتستوليا عليه..

وكانت «وجه القمر، تقوم بكل الأعمال فى المنزل فهى التى تنظف الأرض وترتب الفراش، وتطهو الطعام وتذهب إلى السوق.. أما «عين السمكة، و«عين الصيرة، فلاعمل لهما طول النهار إلا إصدار الأوامر لها والإمعان فى إذلالها.. وكانت تشكو همومها لصديقها الديك الذهبى فكان يصبرها ويهون عليها ويعدّها خيراً.. فكانت تنسى همومها حينما يجلس معها يحدثها ويحكى لها الحواديت.

وفى يوم من الأيام كانت عائدة من السوق.. فلم تسمع صياح الديك يرحب بها من بعيد.. فقلقت عليه وأسرعت تجرى إلى البيت فلم تجده واقفاً فوق السور ينتظرها.. فخافت وجرت تنادى عليه.. واستقبلتها «عين السمكة، و«عين الصيرة، وهما تدعيان الحزن وقالت لها «عين السمكة، وقد امتلأت عينها الواحدة بدموع زائفة «إن الديك العزيز قد وقع فى بيت الغول حينما كان يجرى فوق السور.

بكت «وجه القمر، بكاء شديداً حزناً على صديقها العزيز وطلبت من «عين السمكة، و«عين الصيرة، أن تساعداها على إنقاذه.. وجاءت

بملاءات السرير وربطتها ببعضها. ورجتها أن يدلهاها في بيت الغول حتى تحضر الديك قبل أن يعود.

وكان قلب «وجه القمر» يرتجف خوفاً من الغول.. لكنها كانت تحب صديقها الديك ولا تريد أن تتركه واطمأنت إلى وعد «عين الصيرة» و«عين السمكة» بأنهما سيرفعاها من بيت الغول.

وتعلقت «وجه القمر» بملاءات السرير وأخذت تهبط بهبط ببطء حتى وصلت إلى الأرض وحين ابتعدت عن الملاءات رفعتها «عين الصيرة» بسرعة وهي تضحك بصوتها القبيح وتقول: «ها.. ها.. ها.. والآن ابحثي عن صديقك العزيز بحثاً جيداً يا «وجه القمر».. فأنت لن تجديه، لأننا استولينا عليه وسوف نبيع ريشه الذهب بمال كثير أما أنت فانتظري الغول فهو يحب أكل الفتيات الجميلات.. ها.. ها.. يا «وجه القمر»، يا ست البنات يا ورد الجنائين يا سكر نبات».

وكان صوت ضحكاتها يتردد في أرجاء بيت الغول المظلم مثل صوت الشياطين فاشتد رعب «وجه القمر» وأخذت تبكي وتستعطفها بلا جدوى. ظل قلباهما كالحجر لا يلين لبكائها واسترحامها.. حتى تعبت «وجه القمر» من كثرة البكاء، فتكومت في أحد الأركان وراحت في سبات عميق.

استيقظت «وجه القمر» من نومها وقامت تتجول في البيت تبحث عن مكان تخرج منه ولكنها لم تجد. فأخذت تسير في حجرات البيت فوجدت القذارة تملأه فأحضرت مكنسة وأخذت تنظف الأرض ثم وجدت بعض الملابس القذرة في أحد الأركان فقامت وغسلتها.. وفي المطبخ وجدت بعض الأرز فطهته.. ثم فتحت النوافذ ولأول مرة من

زمان بعيد دخلت الشمس إلى بيت الغول فأضاءت ظلامه . وهب النسيم
محملاً برائحة التمرحنة تعطر حجراته ونسيت «وجه القمر، أحزانها
وخوفها وهي تعمل .. وارتفع صوتها بالغناء عذباً جميلاً .. أتت على
صداه بعض العصافير ووقفت على الناظفة تردد وراءها الأغنية .

وجاء الغول .. فتح الباب فرأى النور يملأ البيت .. والرائحة الزكية
تعطره . ثم سمع صوت الغناء الساحر فوقف يستمع وقد أخذ العجب ..
من أين جاءت هذه الفتاة التي تغنى ؟ .. وأخذ يتسلل على أطراف
أصابعه فلمحها وهي تعمل ، وتغنى فأسرع وتحول عن صورته الوحشية
بقوة سحره وصار في صورة إنسية .. ثم تقدم منها وألقى عليها
السلام .. فالتفتت إليه «وجه القمر، مذعورة .. فقال لها «لا تخافى منى
فلن أؤذيك .. لقد فعلت فى بيتى عجباً ..

اطمأنت «وجه القمر، لطريقة حديثه وللعطف الذى كان يشع من
عيونه وهو يتحدث إليها، وقصت عليه قصتها مع بنتى خالتها .. فقال
لها الغول: «لا تحملى همأ يا ابنتى إننى أعيش هنا وحدى .. وكنت دائماً
أتمنى أن تكون لى ابنة .. فهل تقبلين أن تكونى ابنتى .. لقد جعلت بيتى
جنة جميلة! ..



عاشت «وجه القمر، مع الغول كابنته .. يحيطها بالعطف والرعاية ..
ويحضر لها أجمل الثياب وأحسن الأطعمة وأغرب الفاكهة . حتى عاد
إليها رونقها وصارت خدودها مثل التفاح وجبينها مثل زهرة متفتحة
فى ضوء الصباح .

و ذات يوم بينما كانت «وجه القمر» تنظف أحد الجدران عثرت على طاقة سرية. لما فتحتها هب عليها نسيم عطر محمل برائحة الياسمين والزهور.. وملأت أذنيها أصوات البلابل والطيور.. ووقفت كالمسحورة تتطلع إلى المنظر الجميل الذي كان أمامها.. كانت هذه الطاقة تطل على بستان السلطان..

وكان للأمير ابن السلطان طاووس جميل المنظر.. شديد الإعجاب بنفسه وبألوانه الزاهية.. وعندما يسير يلوى رقبتة في كبرياء ويغنى لنفسه في زهو وعظمة.. قائلاً: «مين اللي زبي هنا.. أجمل ما في الدنيا أنا».

مر الطاووس في هذه الساعة أمام الطاقة.. فلم تملك «وجه القمر» نفسها من الضحك عليه وعلى طريقته في السير والغناء.. فالتفت ناحيتها في غضب وصاح بها.. «ما الذي تضحكين عليه أيتها الغبية.. ها.. لو كنت مكانك لقتلت نفسي من البكاء.. ألا تعرفين أن الغول يطعمك ويسمنك لأنه في النهاية سيأكلك»!

ذعرت «وجه القمر» حين سمعت هذا الكلام، وأسرعت تغلق الطاقة وهي خائفة.. وقضت ذلك اليوم في بكاء ونحيب.. حتى تعبت فنامت..

ولما جاء الغول في ذلك اليوم. أحس أن شيئاً ما قد حدث لأنه لم يجد البيت مرتباً كالعادة.. ولم يسمع صوت «وجه القمر» الجميل يتردد في أنحائه. ولما اقترب من حجرتها سمع صوت بكائها ونحيبها.. فظل وراءها يسأل ويلح في السؤال حتى أخبرته بما قاله الطاووس.. فضحك الغول وقال لها في عطف: «هل تصدقين يا ابنتي كلامه هذا..

اسمعى .. فى الغد حين يقول لك ذلك .. قولى له .. لا .. إن أبى الغول
يطعمنى .. ويسمننى لأن ابن السلطان سيتزوجنى، .



وفى الغد .. حين سمع الطاووس كلام وجه القمر هذا .. اشتد غيظه
وأخذ ينتف ريشه، ويضرب رأسه فى الشجرة ويصرخ ويتمرغ فى
التراب .

وأسرع الحراس يخبرون الأمير أن الطاووس قد جن .. فلما رآه على
حاله هذا .. تعجب وأصر على أن يعرف السر الذى جعل الطاووس يفعل
بنفسه هكذا . فقتبعه فى اليوم التالى دون أن يراه .. حتى عرف الحكاية
ولكنه تسمر فى مكانه وهو يتأمل «وجه القمر» ويسمع صوتها العذب
الذى يشبه سلاسل الفضة .. حتى ذهب «وجه القمر» وأغلقت النافذة ..
وعاد إلى القصر وقد شغل فكره وتحير أمره .. وصورة «وجه القمر»
لاتبارح خياله .. وظل ساهراً طول الليل يفكر فيها .



وأقيمت الزينات أربعين ليلة احتفالاً بزفاف الأمير على «وجه القمر»
ابنة الحطاب ورقص الناس فى الشوارع .. وأخذ الأطفال يغنون فى
الساحات «يا وجه القمر يا ست البنات .. ياورد الجنائين يا سكر نبات» .
وكان الكل سعيداً يتسابق لتقديم هداياه لابنة الحطاب .. وصنع لها
النجارون أثاث قصرها .. وجاءها الفلاحون بالزهور والتوابل
والرياحين .. ورقص الحطابون فى حديقة القصر أمام الأمير و «وجه
القمر» .

كل القلوب سعيدة لزواج الأمير بابنة الحطاب.. إلا قلبين أسودين..
ملأتها الحسرة والحقد حين علما بالخبر.. ومن غير «عين السمكة»
و«عين الصيرة»، بنتى شهبندرالتجار يغيظهما هذا الخبر.. لقد ألقيا بها
فى بيت الغول ولكن ها هى تتزوج من الأمير بينما تحول الديك الذهبى
إلى تراب عندما ذبحته لتبيعا ريشه..

وفى يوم من الأيام.. كانت «وجه القمر» تنظر من الشباك وجوارها
حبيبها الأمير.. إذ أبصرت الحراس يضربون امرأتين تلبسان السواد
وتريدان الدخول إلى القصر.. فأمرت بإحضارهما.. ولم تكونا غير
«عين السمكة» و«عين الصيرة».. وعندما رأتا بنت الحطاب.. أخذتا
تستعطفانها، وتظهران الندم على ما فعلتا معها.. ولما كانت «وجه
القمر» لا تعرف حقاً ولا تفكر فى انتقام.. فقد أمرت لهما بملايس
نظيفة وأسكنتهما معها فى القصر.. ولم تكن تعرف أنها بذلك قد أسكنت
الثعابين فى فراشها...

لأن «عين السمكة» و«عين الصيرة» تعرفان شيئاً من السحر.. وبعد
أسابيع.. ذهبتا إلى الجبل وأحضرتا بعض الأعشاب السامة وجففتاها
وصحنتاها ثم تسللتا وأدابتاها فى حمام الأمير ذات صباح.. ودخل
الأمير إلى الحمام فى ذلك اليوم.. وما أن خرج حتى أصيب برعشة
شديدة وارتفعت حرارته وسقط فى فراشه مريضاً لا يستطيع الحركة
ولا الكلام.

خيم الحزن على القصر.. ولف المدينة بذراعيه الأسودين.. الناس
تبكى على أميرها. و«وجه القمر» تبكى حبيبها.. ونكست الأعلام التى
كانت ما تزال مرفوعة منذ يوم العرس القريب. وأغلق الناس

الدكاكين .. ولم تعد هناك رغبة فى بيع أو شراء . أو عمل .. وحبست
وجه القمر، نفسها مع حبيبها الأمير لا تفارقه لحظة واحدة .. والمدينة
لا يسمع فيها سوى نواح وجه القمر، .. وصوت بكائها ...

وأعلن السلطان فى المدينة .. أن من يشفى الأمير ستكون له نصف
المملكة .. فتقدم الحكماء، والكهان وأصحاب الطب والسحر .. ولكن دون
جدوى .. لم يستطع أحد أن يرد الدماء للوجه الذى ذبل .. فغضب
السلطان وأمر فى ثورة غضبه بقطع رقبة كل من تقدم لشفاء الأمير ولم
يستطع .. وكل من يحاول التقدم لشفائه ولا يستطيع .

وكانت عين الصيرة، تضحك كلما تقدم أحد لشفاء الأمير .. لأنها
كانت تعرف أنه سيفشل فهى فقط التى تعرف دواء الأمير، لأنها هى
التي تسببت فى مرضه .. كانت تعرف أن دواء الأمير هو كبد يمامتين
يجفان فى الشمس ويعجنان بجزء من دم وجه القمر، ويدهن به جسم
الأمير ..

ومن أين يعرف الحكماء والأطباء أن دواء الأمير من دم حبيبته
وجه القمر، !! .



دخلت عين السمكة، على السلطان وقبلت الأرض بين يديه وقالت
له إنها تعرف ساحراً هندياً يستطيع أن يشفى الأمير وأن يعرف سر
مرضه .. فحذرها السلطان أنه سوف يقطع رقبتها معه إذا فشل فى
علاج الأمير .. فابتسمت عين السمكة، ابتسامتها الصفراء الكريهة ..
وقالت للسلطان سوف أذهب لإحضاره يا سلطان الزمان .. فعلى يديه

سيكون شفاء الأمير... ثم ضحكت بخبث وقالت: «شفاؤه من كل ما أصيب به؛ وكانت اللعينة تعنى زواجه من بنت الحطاب.



وأمام السلطان وضع الساحر الهندي الذي لم يكن سوى «عين الصيرة»، كرتة الزجاجية المسحورة.. وأخذ يطلق البخور.. ويهمهم بالكلمات الغامضة. ويصيح. حتى امتلأت القاعة بالدخان ثم رفعت «عين الصيرة»، عينيها إلى السلطان وقالت: «يا ملك الزمان... إن أقرب الناس للأمير هي التي وضعت له السم في ماء حمامه...!»

فقال السلطان في تعجب: من تعنين... «وجه القمر»؟!

ردت «عين الصيرة»، بصوت كالفحيح.. «إنها هي يا مولاي.. وهل تستغرب أن يحدث هذا.. من ابنة حطاب..»

غضب السلطان غضباً شديداً وأخذ يلوم نفسه لأنه وافق على زواج ابنة من بنت حطاب.. وصاح بالسياف وأمره أن يأخذ وجه القمر.. ويذبحها في الجبل...

فقالت له «عين الصيرة»، «لا تنس يا مولاي.. أنا أريد بعضاً من دمها لأصنع منه دواء الأمير..!»

ولم يستطع السياف أن ينفذ أمر السلطان.. فقد كان يحب «وجه القمر»، مثل كل الناس لأنها كانت تعطف على الجميع وتعاملهم كإخوتها..

فقال لها.. وهما في الجبل.. «يا ابنتي.. اذهبي أنت!.. اذهبي إلى كوخك القديم حتى يأتي الفرج.. ويظهر الحق.. أما أنا فسوف أذهب إلى السلطان بزجاجة من دم الغزال.. على أنها من دمك..»

وشكرته «وجه القمر» وهى تبكى وتقول له: «عندما يشفى الأمير..
أخبره أننى بريئة.. وأننى أحبه...»

واصطاد السياف غزالة وأخذ زجاجة من دمها إلى السلطان..
وظنت «عين الصيرة» أنها من دم «وجه القمر» فجهزت الدواء من كبد
يمايتين جففتها وصحتتها وعجنتها بالدم.. ودهنت بالدواء الذى
صنعه جسم الأمير. وأخذت تنتظر شفاءه.. ولكن.. لأن الدم لم يكن
من دم وجه القمر.. فلم يشف الأمير.. ومر صباح.. وآخر.. وهى تكرر
العملية دون جدوى.. وغضب السلطان غضباً شديداً.. حينما رأى
فشلها.. وحين تبين أنها خدعته وأنها تسببت فى قتل زوجة ابنه الحبيبة
أمر بقطع رقبتها ورقبة «عين السمكة» التى أحضرتها إليه فى ثياب
ساحر هندى..



أما ما كان من أمر «وجه القمر» فقد ذهبت إلى كوخ أبيها الصغير
فى البرارى وراها عصفور صغير وهى تدخل وسرعان ما كانت كل
طيور الغابة تعرف الخبر.. فجاءت تغنى لها وترحب بها...

ولكنهم وجدوها تبكى بدموع غزيرة.. وقصت عليهم القصة.. من
البداية إلى النهاية.. وحكت لهم عن غدر «عين الصيرة» و«عين
السمكة»، فأخذت الطيور تلغنها.

وتقدم من «وجه القمر» زوج من اليمام.. وقال لها: «لاتحزنى يا
«وجه القمر» فإن كيد «عين السمكة» و«عين الصيرة» قد عاد إليهما..
لقد قتلها السلطان لأنها فشلتا فى علاج الأمير.. لأن الدواء لم يكن
معجوناً بدمك.. ولكن بدم الغزال التى اصطادها السياف..»

فتعجبت «وجه القمر» وقالت.. «ولماذا يعجن الدواء بدمي»!..
فأخبرها «زوج اليمام» بقصة الدواء... ثم علمها كيف تصنعه..
وتقدم إليها وطلب منها أن تذبحه وتأخذ كبديه... ثم تعجن مسحوقهما
بجزء من دمها... فيكون شفاء الأمير على يديها.
ففرحت «وجه القمر» وأخذت تغنى سعيدة، والحقول تردد غنائها..
ورقصت العصافير على الغصون.. وحتى أسماك النهر رفعت رءوسها
لتردد معها الأغنية..
وأسرع حاجب قصر السلطان، يخبره أن شيخاً عجوزاً.. بالباب يقول
إن شفاء الأمير سيكون على يديه..
وكانت حالة الأمير قد بلغت حداً من السوء. جعل الجميع يفقدون
الأمل.. فأمر السلطان بإدخاله على الأمير بسرعة...
وفي الصباح كان الأمير سليماً معافى.. وانطلق البشير.. إلى
السلطان.. ولف، المنادون شوارع المدينة.. «لقد شفى الأمير.. لقد شفى
الأمير.. وازدانت البيوت بالأعلام وأقيمت الزينات.. واستعد الناس
لإقامة الأفراح والليالي الملاح..
ولكن الأمير سأل عن «وجه القمر».. ولم يستطع أحد أن يقول له أين
هي، حتى السلطان خجل أن يقول له إنه ذبحها غدرًا... وأخذ الأمير
ينادى.. «وجه القمر» ولكن صوتها الحبيب لم يرد عليه.. فاسودت
الدنيا في وجهه.. ودخل حجرته حزيناً مهموماً، يبكي بكاء شديداً...
وتقدم الشيخ العجوز من الأمير وقال.. «أيها الأمير.. لاتحزن.. بعد
ساعة أدخل حجرة «وجه القمر» وسوف تجدها هناك...».

وقبل أن ينطق الأمير بحرف.. كان الشيخ قد اختفى في زحام
العسكر..

وبعد سائة.. كان الأمير يدخل حجرة وجه القمر.. وكم كانت
سعادته كبيرة.. حين رآها أمامه تبتسم له.. وتمد له ذراعيها.. وعلى
الأرض كانت ثياب الشيخ العجوز وذقنه البيضاء الكبيرة..



وعاش الأمير مع بنت الحطاب في سعادة..

وجلسا على العرش معاً يحكمان بالعدل.. وأحبهما الناس كثيراً..
وعاشوا في تبات ونبات... وأنا حالاً جاي من هناك.. وساييهم مخلقين
صبيان وبنات...



حمدان والغازية

المقهى هو المقهى اليتيم فى القرية الصغيرة.. وكان سامر القرية
يعقد فيه كل مساء.. فتدور الأحاديث والأخبار والحواديت..

وكان حمدان فارس هذه الأحاديث.. وناسج القصص الذى لا
يبارى حول كنز قارون وحراسه.. والكتب التى تحدثت عنه والرواة
الذين شاهدوا الرجال المغاربة الغامضين الذين كانوا يجيئون للبحث
عنه..

كان حلم حمدان الوحيد والذى يعيش من أجله ولا يكف عن
الحديث عنه هو هذا الكنز الغامض.. لم يكن يغريه الحديث عن
الجنيات أو قصص البشر، عن الحديث غازية تحدثت عنها الفيوم
كلها.. وعشقها الأعيان وتقاتل فى سبيل الفوز بها أبناء القصور.. وهى
تنتقل من بلد إلى بلد تحمل اللوعة والحسرة إلى القلوب.. وتحيل الليالى
الحزينة إلى أفراح لا نوم فيها..

الغازية، كانت حلم حمدان الذى لا وهم بعده ولا أمل فيه.. فأين
هو من كل هؤلاء الذين أحبوا وقاتلوا فى سبيلها بلا طائل...

وهو اليتيم الذى لا أحد له سوى أمه ولا رأسمال لديه سوى دعواتها
الطيبة وقوة ذراعيه والقارب الصغير القديم..

لكن حمدان كان متأكداً أن العثور على كنز قارون سيحل المعضلة
فلا يمكن أن تتجاهل الغازية عندئذ وسامته وفتوته وغناه.. ويومها أين
سيكون منه حتى أغنى أغنياء الفيوم.. أين.. سيكون هو الأغنى..
وسيشترى لها كل ما يغرى النساء.. سيجعلها ملكة الزمان.. وسيحميها
من كل الطامعين ويبنى لها قصرًا يطل على البحيرة.. طوبى من
الذهب وطوبى من الفضة وسيكون لها من الخدم والحشم أكثر مما
تحكى عنه الحواديت.



هكذا كان حمدان يفكر وهو فى طريقه إلى البحيرة.. حيث ينتظره
قاربه الصغير بين الأعشاب الممتدة فى الماء الضحل والطين.. وفك
القارب ودفعه إلى أحضان الماء وأسرع بالركوب وضرب الماء
بالمجداف عدة ضربات.. دفعت به إلى داخل البحيرة ثم توقف عن
التجديف. وأخذ فى إعداد شبكته وتسليك خيوطها وترتيب قطع الفلين
والرصاص وطوى الشبكة على حافة القارب وألقى بالحجر فغاص فى
أعماق البحيرة.. ثم جدف تجديفة قصيرة.. واندفع القارب بطيئاً يرسم
على سطح البحيرة خطاً دائرياً من الفلين الطافى بينما اندفعت قطع
الرصاص إلى قاع البحيرة.. ودار حمدان بالقارب.. وأوقفه ثم جلس
ينتظر..

وبعد فترة بدأ حمدان فى جمع أطراف شبكته.. ومضى يشد الحبل
ساحباً القارب.. حول ذلك الخط من الفلين الطافى فوق سطح الماء..

وبعد أن جمعها كان قد ألقى فى قاع القارب صيده الضئيل .. الذى لا يمكن أن يزيد طالما هو لا يصيد إلا فى هذه المنطقة .. التى لا يستطيع قاربه القديم أن يتعداها .. إلى تلك المناطق البعيدة ذات الأمواج .. حيث الصيد وفير... وحيث لا تذهب سوى القوارب ذات الأشرعة ..

ألقى نظرة طويلة على البحيرة وعلى الأشرعة البيضاء المتناثرة هناك فى الأفق .. وعاد يلقي نظرة أخرى متحسرة على صيده الضئيل، ثم عاد يعد الشبكة لطرحه جديدة .. عندما ارتفعت الزغاريد من القرية .. فوقف لحظة متطلعا .. ثم أفاق لنفسه وتذكر .. فالיום هو فرح ابن شيخ البلد ولا بد أنه سيكون فرحاً معتبراً .. ورقص قلبه عندما طرقت ذهنه فكرة أن الغازية ستكون ملكة السهرة الليلة .. وأنه سيراها .. وينعم بقربها وأعاد إلى قاع القارب ما كان قد وضعه على المؤخرة من أدوات وفى عجلة جلس وأدار القارب بالمجاديف .. عائداً .. الغازية ستكون هنا .. اليوم لا صيد ولا عمل .. فلا يمكن أن يكون هناك عمل يوم العيد .. واليوم عيد له ..

سوف يرى الغازية .. وسوف يجعلها تراه وتحس به .. دون كل الحاضرين .. وربط القارب وأسرع يحمل السمك القليل الذى اصطاده .. واندفع إلى البيت وطلب من أمه أن تسخن له بعض الماء ليستحم .. وأسرع إلى المزين لكى يستعد ليلته الجميلة .



هاصت القرية وزاظت وارتفعت الزغاريد فى كل الحواري فأيام الأفراح قليلة وما أكثر ما ينتظر الناس فيها من متع لقد وزع الشربات منذ الصباح .. ومضى الأطفال فى كل الشوارع يلعبون ويتعاركون ..

وتسكع الرجال على النواصي .. ورصت الكراسي على باب القهوة،
فسوف تكون هي المسرح وفرش القش في الساحة القائمة أمامها ..
حيث سيجلس أهل القرية ليشاهدوا الفن والرقص ..

وزاد الهرج والضجيج وصراخ العيال عندما سمع بوق سيارة آتياً من
الطريق الزراعي الضيق وبدت من أول الشارع الكبير عربة أجرة
سرعان ما اختفت تحت أجساد الرجال الذين ركبوها من الجانبين ..
وأخذت تشق طريقها بصعوبة وسط النساء والأطفال الذين اندفعوا من
الحواري الجانبية إلى الشارع الرئيسي الضيق ..



خرج حمدان من بيته في أتم استعداد ليلية انتظرها طويلاً .. كان
يمنى نفسه بالأحلام .. سيكون الليلة في أقرب مكان للغازية .. سيمتع
نظره وقلبه وحواسه وأكثر من ذلك لا بد له أن يلفت نظرها ..

لم يكن يطمع في أكثر من ذلك ولكن الليلة أعطته أكثر مما كان
ينتظر .. فعندما رقصت الغازية أول مرة .. خابلته بثوبها المشغول
اللامع .. فعلت هذا مثلما تفعل مع الجميع ولكنه أك لنفسه أنها كانت
تقصده طوال الرقصة بنظراتها المغرية وإلا لماذا وضعت عصاها حول
عنقه وهي تضحك بينما تعالي صياح الجميع يهنتونه بذلك الحظ .

وفي رقصتها الثانية كررت نفس الحركة، ولكنه لم يكذب خيراً بل
اندفع إلى المصطبة وتناول منها العصا ودون أن يدري وجد نفسه
يرقص معها .. واشتد صياح الناس وتهليلهم .. بينما نسي هو نفسه
واندفع يدور حولها ويميل عليها على دقات الطبل وتصفيق الجالسين له

على الواحدة.. وأفلتت منه ودقات الطبلة تزداد والأيدى تصفق فى سرعة.. حتى انتهت الرقصة وهى تضع ذراعها حول كتفه ثم تدفعه ضاحكة وسط الجالسين . فيتلقونه وهو لا يكاد يعى ما حوله من النشوة والانبهار.. حلم حياته يتحقق.. إنها الآن تعرفه باسمه.. فقد كان الجميع ينادونه حاسدين ومشجعين فى الوقت نفسه.. إذا ماذا بقى.. لا شىء مستحيل.. ومضت الليلة وهو يشعر أنه العريس وأنه بطل..



ومع الفجر كانت السهرة قد انتهت.. ولكن حمدان كان فى عالم آخر.. عاد إلى البيت بعد أن غابت العربة عن عينيه فى الأفق حاملة فى داخلها حلمه وذكرى لحظات سعيدة غير عادية لا تتكرر..

وفى البيت ارتمى على الحصيرة وهو يلعن حظه من الدنيا وتذكر نظرتها الأخيرة وهى تسلم عليه.. وأحس أنه لم يستطع أن يؤكد هذا الشىء الخاص.. كان المفروض أن يقدم لها هدية.. بهذا كان يمكن أن تتذكره.. ولكن من أين؟.. يا حول الله.. بهذا مضى يفكر وهو يرتدى فى ركن الحجرة التى كانت أمه نائمة فى ركنها الآخر.. والحصيرة تعيده إلى نفسه.. وراح فى نوم قلق مضطرب ولم يدر كيف مضت به الساعات.. لكنه شعر وكأن أمه توقظه فى لهفة حتى لا يتأخر.. كان خفيفاً حينما مضى إلى القارب وبسرعة فك المرساة وجهاز الشباك سيذهب إلى أخطر مكان فى البحيرة.. لا بد أن يعود بأكبر قدر من الصيد حتى يجمع ما يستطيع من المال ليشتري هدية عظيمة لحبيبة قلبه.. وربما عثر هناك على كنز قارون.. أو على القمقم الذى تتحدث به حكايات القرية..

كانت ذراعاه تضربان الماء بالمجاديف والأمواج تضطرب وخيل إليه أن ماء البحيرة قد صار في لون الدم ولكنه ظل مندفعاً بقاربه والأمواج تزداد اضطراباً.. واصطخاباً.. والقارب يعلو ويهبط وتصيب العرق غزيراً على جبينه ونضح من كل مسام جسده وذراعاه تضربان بقوة وشدة. وازدادت ضربات قلبه.. لا بد أنه الآن في منطقة الكنز.. فكل هذه الأشياء الغريبة لا يمكن أن تخفى شيئاً عادياً.. لا بد أنه الآن سيعثر على قرموط قارون حارس الكنز الذي سيدله على مكانه. هكذا تقول الحكايات.. وهكذا هو مؤمن.. هل يمكن أن يكون لون المياه في لون الدم بلا سبب.. ولماذا كل هذه الأشياء العجيبة.. القاع المضيء الملىء بالغرائب.. وهذه الأسماك المجهولة.. والأمواج الهائلة. لا بد أنه الآن في المنطقة المسحورة التي تحتوى على الكنز.. فليهدأ قليلاً وليعد عدته.. وأخذ يعد الشبكة ويجهز الصنانير.. ثم أخرج سكينه الكبيرة التي خيل إليه من اضطرابه أنها أصبحت أطول منه حتى أنها نامت على القارب كسيف أسطوري غريب.. ولا سيف أبو زيد الشهير..

وأعادته حركة مفاجئة بين الأمواج إلى صوابه. ورأى ذنباً أسود كأنه زعنفة الشيطان يشق الماء، مبتعداً عن القارب في سرعة.. آه.. لا بد أنه قرموط قارون حارس الكنز والذهب والعقبة الكبرى في سبيل امتلاكه المال والجاه.. وأسرع إلى شبابه في عجلة.. حتى كاد القارب أن ينقلب.. وجهزها ثم مضى إلى المجاديف وأخذ يطارد القرموط الذي وجدته فجأة يستدير ويهاجمه.. فتناول شبكته في حذر وهو يترقبه حتى صار على بعد ذراع منه.. ولم يخف من منظره المرعب.. عندما فتح فمه الرهيب الذي كان في حجم كهف كبير مهدداً

بابتلاعه .. بل وجد نفسه يضحك ضحكة عالية واثقة ويطوح الشباك في حركة بارعة كي تنزل فوق الماء في دائرة كبيرة محتوية القرموط الضخم في وسطها .. ثم أخذ يلماها بسرعة .. ولم يكد القرموط يحس أنه قد أسر حتى اندفع وجر خلفه القارب الصغير إلى داخل جبل الأمواج الحمراء ..

أخذ حمدان يجذب الحبل والقرموط يجاهد للتخلص من الشبكة وهو يندفع إلى الأمام وثبت حمدان طرف الحبل في مقدمة القارب الذي كان يندفع على سطح البحيرة الهائج وكأنه يطير ..

ولم يدر حمدان من أين جاءت هذه القوة .. ولا هذه الشجاعة .. كان صوت الغازية يناديه .. وخيال القصر يملأ ناظره .. ورنين الذهب الأصفر يطغى على همسات الريح الشيطانية ..

واستمرت المطاردة .. وقتاً لا يعرف أحد مداه .. ولكن حمدان تناول سيفه الكبير .. وأخذ يشد الحبل عندما أحس القرموط يضعف .. وأخذت المسافة تضيق شيئاً فشيئاً .. بينهما .. حتى إذا ما أصبح القرموط قريباً من متناول يده هم برفع السيف .. وضرب القرموط ضربة أخطأ فيها الحساب .. فقد سمع ضحكة الغازية خلفه وكأنها تسخر منه .. وكانت جالسة على تل عالٍ من القطع الذهبية تنثرها عليه وكأنها ترشه بالماء ..

مزقت ضربة السيف الشبكة .. واندفع القرموط قبل أن يفيق حمدان لنفسه .. وابتلع القارب ..

عندما استيقظت أم حمدان في اليوم التالي للفرح .. لم تجد حمدان في مكانه فظنت أنه لم يعد بعد .. ولكنها تعجبت قليلاً فهي تذكر أن

الفجر كان قد لاح عندما سمعت صوت العربة تغادر القرية وهى شبه نائمة .. ولكنها لم تشغل بالها كثيراً فربما بقي حمدان لأمر من أموره .. لكن الشمس طلعت ولم يعد حمدان .. وملأت أصوات الرجال القرية ودبت الحياة فى طريق البحيرة .. الناس ذاهبون لأرزاقهم .. وبعضهم جاء ينادى حمدان كى يذهب معهم .. ولكى يتندروا عليه وعلى ما حدث أمس مع الغازية .. وأخبروا أمه أنه عاد مع الفجر إلى البيت وودعهم .. وانقبض قلب الأم لغياب ابنها .. وأخذت تنظر إلى الشباك التى لم تصلحها بعد .. وإلى الأوانى الفارغة .. وهى قلقة لاتهدأ ..



ولكن الأيام مضت ولم يعد حمدان .. وذات يوم .. ارتفعت صرخة حادة عند شاطئ البحيرة .. كانت فتاة قد مضت تحضر بقرة شردت وهى ترعى .. وما أن اقتربت من شاطئ البحيرة .. حتى تجمدت فى مكانها فزعة وهى تصرخ فى رعب .. واندفع الناس إلى الشاطئ .. وهناك .. بين أعواد البوص كانت جثة حمدان ملقاة نصفها على الشاطئ .. ونصفها تغمره أمواج البحيرة الهادئة .. التى كانت تهمس للشاطئ بكلام غير مفهوم .. عن حكاية جديدة .. لقصة قديمة عن كنز لم يوجد فى أى مكان .

فهرست

٥ (١) خرافات قديمة عصرية جداً (تلك الكائنات التي..)

- ٧ البيطة التي رحلت للدنيا الواسعة.....●
- ٩ البيطة التي أكلت سمك الثعلب.....●
- ١٢ البيطة التي أكل النسر أفرانها.....●
- ١٤ الثعلب الذي فاوض الأرنب.....●
- ١٦ الثعلب الذي قطع رأسه.....●
- ١٩ الثعلب الذي فقد ذيله.....●
- ٢١ الثعلب الذي أصيب بالزكام.....●
- ٢٣ الثعلب الذي هبط من القمر.....●
- ٢٥ الديك الذي لم يوقظ الشمس.....●
- ٢٧ الغراب الذي نبت له عقل.....●
- ٢٩ القرد الذي يحكم بالعدل.....●
- ٣١ القرد الذي يغسل قلبه.....●
- ٣٤ الفأر الذي صادق القط.....●
- ٣٧ القط الذي أكل العصفورة.....●
- ٤٠ القط الذي أكل الدجاجة.....●
- ٤٢ القط الذي اشتغل قاضياً.....●
- ٤٤ النمر الذي خاف من الشيهم.....●
- ٤٦ النمر الذي أكله التمساح.....●
- ٤٨ النمر الذي صادق الغيلم.....●
- ٥١ الفيل الذي هزمته اليمامة.....●
- ٥٣ الدب الذي أكل النملة.....●

- الفراشة التي خدعتها ألوان النار ٥٦
- النملة التي زرعت حبة قمح ٥٨
- حبة القمح الحمقاء ٦١
- النملة التي أصابها الغرور ٦٤
- الصرصار الذي وجد بيتاً ٦٨
- الضفدعة التي تحب الغناء ٧٠
- الضفادع التي تكلمت ٧٢
- الضفادع التي دخلت المعركة ٧٥
- السمكة التي تحترم القانون ٧٧
- الأرنب الذي صادق القنفذ ٧٩
- الأرنب الذي خاف من أذنيه ٨٢
- الأرنب الذي يحمل الأخبار ٨٤
- الكلب الذي وجد صديقاً ٨٥
- الذئب الذي صار متحضرًا ٨٧
- العصا التي تصنع العجائب ٨٩
- ضحكات التنين الأخيرة ٩١
- صداقة الكلاب ٩٣
- قرصة البعوضة ٩٥
- ثلاث خرافات عصرية قديمة جداً ٩٧

١٠١ (٢) حكايات وأساطير إفريقية (تلك الكائنات الحكيمة...)

- حكايات جوزو ١٠٣
- سبق مجنون .. مجنون ١٠٧
- لعبة شد الحبل ١١٠
- اغسل يدك يا قرد ١١٣
- النبات الذي غلب الحيوانات ١١٥

١١٨ ذئب وضبع	●
١٢٠ لكل غباء دواء	●
١٢٣ صفحات من حياة تعاليم	●
١٣٠ أرنب أمكر من ثعلب	●
١٣٧ من سيضحك فى النهاية	●
١٤١ أول إفريقي على الأرض	●
١٤٥ ذهبت مع الريح	●
١٥٣ ابنة الساحر	●
١٦٠ هروب من العمالقة	●
١٦٦ طائر الرخ	●
١٧١ البطل والأغنية التى لا تموت	●
١٧٥ الحرية المسحورة	●
١٧٨ هروب حتى الموت	●
١٨٣ سيد البحيرة	●
١٨٨ آخر الصيادين	●
١٩٤ ماساي وكيكوى وكامبا	●
١٩٨ الكلب مات وأنقذ النبات	●
٢٠٣ معكوسة فعلت بالعكس	●
٢٠٦ دبرها من يدبرها	●
٢١١ عنيزة المعيزة	●
٢١٤ أغلى من الذهب	●
٢١٦ حلم سبنى تبنى لانى	●
٢٢١ يوم تكلمت البطاطا	●
٢٢٥ أكلنا .. وما أكلنا	●
٢٢٩ ١٢ رجلاً وشجاع واحد	●
٢٣٣ حكمة الأغبياء	●

٢٣٧	(٣) حكايات وحواديت شرقية وغربية (تلك الأحلام المسحورة)
٢٣٩	● الضفدعة الخضراء
٢٤٢	● أجراس الإمبراطور
٢٤٥	● أذنى الأرنب
٢٥١	● صانع العرائس
٢٥٤	● المدينة الحزينة
٢٦٠	● العقل والجوهر
٢٦٤	● الملك والبطيخ
٢٧٠	● ابن البلوطة
٢٧٤	● الفلاح وبنت ملك القمر
٢٧٨	● زيارة إلى بيت الشمس
٢٨٠	● الذئب والحداد
٢٨٢	● الملك والملح
٢٨٥	● أول مرآة فى التاريخ
٢٨٩	● حكايات بركات الحكيم
٢٩١	● عمود من الخشب
٢٩٤	● الإبرة واللصوص
٢٩٧	● نصائح صغيرة
٣٠٠	● بقرش آه .. بقرش أوه
٣٠٣	● الحفيد المنتظر
٣٠٦	● رحلة إليمنابع الحكمة
٣٠٩	● الراعى والأميرة فيروزة
٣٢٥	● عذراء الربيع
٣٣٥	● القصر المسحور
٣٥٤	● تعوز وأشتار
٣٦٤	● شجرة الكريز

من ألف ليلة وليلة

- ٣٧٧
٣٧٩ ملكة الحيات ●
٣٩٣ نعمة و.. نعم ●
٤٠٤ أبو محمد الكسلان ●
- ٤١٧ (٤) حكايات شعبية مصرية (حكايات الست أم يوسف) (تلك الكائنات الطيبة)
- ٤١٩ حدوتة الحواديت ●
٤٢١ قرن الغزالين ●
٤٢٥ فطيرة عم شلبي ●
٤٢٨ الشمس أخت القمر ●
٤٣٤ العصاية الخرزان ●
٤٤٠ المعزة والوزة.. والحمار! ●
٤٤٩ حظك يا عبد القادر ●
٤٦١ الحارس والملك والصيد العجوز ●
٤٦٩ جعبوية الأعجوبة ●
٤٧٩ البرغوت عمار ●
٤٨٣ حكاية بلا نهاية ●
٤٨٧ مدينة القناديل ●
٤٩٢ ضحكة بنت السلطان ●
٥٤٢ الملك الفشار ●
٥٥٠ الشاطر بلحاية ●
٥٦٨ الشاطر قرن الفول ●
٥٨٨ الشاطر الصيد ●
٦٠٢ الشاطر على وذات الجمال ●
٦٢٢ وجه القمر ●
٦٣٥ حمدان والغازية ●

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٧١٩ / ٢٠٠١

I.S.B.N 977 - 01 - 7127 - 5

هاكهم اقرأوا كتابيا

هذا كتاب للخيال البشري..

من إبداع نوع خاص من البشر.. هم أصحاب الخبرة العلمية التي تثمر الحكمة الفلسفية وتنتمي رغم تنوعها وتعدد منابعها واختلاف مصادرها للوجدان والروح الإنسانية الواحدة - عبر العصور والازمان والاجناس والألوان والعقائد والأديان - الخالدة في كل مكان.. صافية مكثفة وبليغة العبارة. حية على الدوام لا تموت ولا تفقد سحرها ولا تبتهت قدرتها العبقرية على الامساك بجوهر القيمة وبهجة الحلم..

كان ياما كان.. التي هي فاتحة الطريق إلى العقل والقلب، وبوابة الدرب إلى الغد حيث الفردوس المفقود، المعقود فيه الأمل لسلطة العدالة والحب والحرية والجمال.

ولقد حاولت - بكل ما أملك من خبرة وما أستطيع من قدرة - في صياغتي لهذه الحكايات - سواء التي ترجمتها بنفسني (بتصرف) أو التي ترجمها غيري (دون تصرف)، أو تلك التي سمعتها من طفلة في إحدى قرى الشرقية أو التي اتحفني بها عجوز في إحدى عزب الدقهلية وكفورها، أو تلك التي نورت بها قلبي (الست أم يوسف) وأنا صغير أو التي قرأتها صبيا أو شابا أو كهلا في كتاب قديم شعبي أو حديث عصري لواحد من عباقرة الحكاية العظام - لقمان، إيسوب، ابن المقفع، كريلوف، دافنشي، تولوستوي، لافونتين، جوزو الأفريقي، ابن الجوزي، الجاحظ العربي الإسلامي أو ذلك العبقري الشعبي المجهول الذي تغنت برواياته وتناقلت حكاياته القلوب والعقول -

أقول.. إنني حاولت ان انضخ فيها بعضا من روحي وان أنمقها بقليل أو كثير من دمي وان ألونها واطرزها وأوشيهنا بكثير أو قليل من ألوان أحلامي - لعلها تعكس شيئا من عشقي للبشر وحبني للجمال والخير البشري وتصوري للعالم الجميل الذي تحن إليه قلوبهم والإيمان الذي يغمر قلبي بتلك السكينة المفعمة بمشاعر الخير وملامح الجمال وأحلام الحرية، التي يتجلى سحرها في العبارة الخالدة - كان ياما كان.



عبد الباقى

القرن العشرين

KAMEL GRAPHICS